عبد العظيم عبد العزيز سبيع

ولماذا أكون مسلماً؟!

مكتبة السلام
دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

من المنهـج الســماوى

● ﴿ أوَمَنْ كان ميتا فأحييناه ، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ .. كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون ﴾ .

●﴿ قل هذه سبيلى .. أدعو إلى الله ـ على بصيرة ـ أنا ومن اتبعنى ... وسبحان الله وما أنا من المشركين !!! ﴾ .

من الهدى النبوى

● « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

● « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلّا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » . رواه البخارى

★★★

الإهداء

إلى كل مسلم ومسلمة — فى العصر الحديث — والعصور المقبلة إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ...

إلى المؤمنين الذين يدعون إلى الله على بصيرة أهدى هذا الكتاب . إلى خليفة الله فى أرضه ... إلى من فضله الله على كثير من خلقه فاغتر ، وفتن بما علمه العليم الخبير — سبحانه — ... أهدي إليه هذا الكتاب ليستعمل عقله وفكره وقلبه وعلمه فيهتدى إلى خالقه ، ويؤمن برسول الإنسانية وهادى البشرية محمد — ﷺ — فيفوز بسعادة الدارين » .. ﴿ **وفى الأرض آيات للموقنين .. وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟!!** ﴾ .. ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟!!** ﴾ .

إلى كل شاب مسلم وكل شابة مسلمة ، ليعرف كل رسالته فى هذا الوجود فيؤمن ويعمل ويدعو إلى الله على بصيرة .. ثم أهدى هذا الكتاب إلى روح أساتذتى وكل من تعلمت منهم علما نافعا وهداية ورشدا ثم إلى روح والدّي العزيزين — رحمهما الله — عسى أن يسكنهم جميعا فسيح جناته وأن يجمعنا بهم جميعا فى مستقر رحمته .. آمين .

وأخص بالإهداء أولادى الأحبة — « أمانى وعزة ومحمد وأحمد » — وعلى رأسهم والدتهم الفاضلة رفيقة الدرب والوفاء وأخت العقيدة — باعتبارهم إخوتى فى الله والعقيدة — ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ عسى الله أن يجعلهم من جنود الدعوة إليه على بصيرة ، وثمرة من ثمار العمل الصالح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المؤلف

عبد العظيم عبد العزيز سبيع

شكر وتقـــدير

وإنى لمدين ببالغ الشكر لأولئك السادة الأماجد الذين طوقوا عنقى بجليل معاونتهم وتشجيعهم، وجميل تقريظهم وتقديرهم ، ونبيل ثنائهم ، وحسن تسديدهم .

ولا أزال أحفظ بالإجلال والإكبار مالقيته فى هذه المناسبة السعيدة من بعض الشخصيات التي لها وزن الرأي والنظر ، وأعتذر عن عدم نشر تقاريظهم والتنويه بفضلهم ،لحياد فى طبعي وضيق فى طبع الكتاب .. وأسال الله العفو والمغفرة لمن أساء الفهم وغلبه الهوى ، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

***

أمـل ورجـــاء

فَلَكَمْ هي محاولاتي وأهدافي .. فإذا كنت قد أصبتها فمن الله ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ .

وإن كانت الأخرى فمن نفسي وأستغفر الله .

ورجائى من كل **قارىء** اطلع على عيب أن يهديني إليه ؛ فالدين النصيحة والمسلمون بخير ماتعاونوا ، ونضر الله امرأً أهدى إليّ عيوبي وما نجح سلفنا الراشد ــ وكانوا خير أمة أخرجت للناس ــ إلا بهذه الفضيلة .

والله الهادى إلى سواء السبيل

★★★

بين يدى الكتاب

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، صلاة وسلاما ينتظمان إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومحبيه من أمته أجمعين .
أما بعـــد :

فهذا كتاب (ولماذا أكون مسلماً) كتبته فى ضوء مالمسته من حاجات طلاب جامعة البترول والمعادن عبر لقاءات أعوام أربعة (١) فى حلقات دينية وندوات روحية فى مجالس الإيمان وعلى مائدة القرآن ــ خارج الدوام الرسمى ــ فى مساجد السكن بالمدينة الجامعية ، حيث الحرية الكاملة لديهم فى الحضور أو عدمه ، وحيث الدوافع الشخصية التى لاتحركها الاختبارات ولا تجذبها الدرجات، إلى غير ذلك من الأمور النظامية التى تقتضيها الدراسة الجامعيـة ؛ فقد تبينت احتيـاجات طلاب هـذه المرحـلة إلى ملء الفراغات الدينية والفكرية وحل المشكلات التى تعترضهم ؛ نتيجة الاحتكاك الفكرى المعاصر ــ قراءة ومشاهدة واستماعا ــ وحصيلة للغزو الفكرى ــ الغربى والشرقى على حد سواء ... !

ولما كان لي شرف التوجيه الدينى ، وتدريس مادة الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعة (٢) مادة أساسية منهجية ولأول مرة فى تاريخ الجامعات فى المملكة ــ فضلا عن غيرها ــ وليت جامعات عالمنا الإسلامى تحذو حذوها وتقتفى أثرها .. !!

ولما كان المنهج المقرر هو « مدخل العقيدة الإسلامية » رأيت من أمانة التوجية وأهداف التدريس :

---

(١) وكانت آنذاك كلية .

(٢) صارت الكلية جامعة فى الخامس من محرم ١٣٩٥ هـ الموافق ١٧ من يناير ١٩٧٥ م .

أن أوضح فى هذه المقدّمة للشباب (١) ــ وهم عماد الأمة ــ رسالتهم فى هذه الحياة الفانية ــ كبشر .. ومسلمين .. ليكون فهم هذه الرسالة مدخلا لعقيدتهم الخالدة ، وطريقا إلى الله (٢) ومنطلقا للحياة الخالدة فى جنات عرضها السموات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله .

وذلك فى سلسلة محاضرات نظامية ألتزم فيها ــ إن شاء الله ــ بمنهج البحث العلمى ، مراعاة للبرنامج الزمنى وطبيعة الدراسة الجامعية .

وتكون بأيدى الطلاب كخلاصة مركزه تعميما للنفع وشمولا للفائدة ، وبالله التوفيق ــ مع لفت أنظار الطلاب إلى المكتبة العامة بالجامعة والمكتبات الخاصة بمسجد الجامعة ومساجد السكن وما بها من مراجع قديمة وحديثة وما تشهد به أقلام المستشرقين ــ والفضل ماشهدت به الأعداء ــ وما يظهر فى الأسواق من كتب حديثة للكتاب المسلمين المحدثين المؤمنين ومحاولة تكوين مكتبة إسلامية خاصة .

ثم فى ختام المحاضرات أزجى بعض الآداب الإسلامية والسلوكية الاجتماعية التى تربى عليها الرعيل الأول فى المدرسة المحمدية ، لتكون مثالا يحتـذيه المسلم . والله أسال يحقق الآمال ، ويذلل الصعاب ، ويسدد الخطا ، وأن يجعلنا من الذين يقولون فيعملون ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ــ اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون .

ولهذا جعلت الكتاب فى جزءين يشملان أربعة أبواب وخاتمة .

الجزء الأول ــ رسالة المسلم

الباب الأول : الثقافة والمدنيّة

الفصل الأول : الثقافة الإسلامية وعلوم « التقنية »

الفصل الثانى : الإسلام والمدنيـة

---

(١) فتية وفتيات لأن الفتى مسئول عن تكوين البيت المسلم وتبليغ الدعوة ، والبنت صنوه تماما « إنما النساء شقائق الرجال » راجع كتاب : المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى رحمه الله والحجاب لأبى الأعلى المودودي والمرأة بين البيت والمجتمع للبهي الخولى .

(٢) راجع كتاب « الطريق إلى الله » للدكتور تقى الدين الهلالي وفصل « هذا هو الطريق » من كتاب معالم فى الطريق للشهيد سيد قطب .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

عبد العظيم عبد العزيز سبيع

تقدمة

أيها الأخ المسلم ، إنك مطالب بأن تدعو إلى الله بيقين ثابت وإيمان راسخ يذيب شكوك المرتابين ويبدد ترهات الجاحدين ، فيستطيع المسلم المؤمن أن يرد على أسئلة الماكرين أو الجاهلين من أين جئت ؟ ولماذا خلقت ؟ وإلى أين مصيرى ؟

وكما قال الأولون : إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر ﴿ **وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** .. ﴾[1]

وقال المُحَدثون :

جئت .. لاأعلم من أين ؟ .. ولكنى أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا .. فمشيت .

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقي

لست أدرى ..

وهذا المخبول هو الذى يقول بعد ذلك .

نسى الطين ساعة أنه طين

وسنلمح إلى ذلك فى ثنايا أحاديثنا في مباحث العقيدة ــ إن شاء الله ــ فاذا عرفت أخى المسلم [(١) أنك ترابي الأصل نفخ فيك ربك من روحه (٢)وأنك لم تخلق عبثا (٣) وأن إلى ربك الرجعى] أصبحت عقيدتك ربانية هي « الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى » .

---

(١) الجاثية ٢٤

وأصبحت ذا رسالة ــ لها تحيا وعليها تموت وعليها تبعث ــ إن شاء الله ــ هاتفا ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين .. لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ .

أخى المسلم : هذا ماأرجو أن أوفق إلى توضيحه وتعميقه مدعما بالأدلة النقلية والعقلية وواقع الحياة .. وعليك بالتطبيق العملي ــ بقدر الإمكان ــ لما درسناه نظريا ، متخلقين بأخلاق رسول الله ﷺ سالكين درب صحابته ــ رضوان الله عليهم؛ لتؤتى المحاضرات النظرية ثمارها وتحقق الهدف المنشود منها والذى رجاه المسؤولون من جعل الثقافة الإسلامية مادة أساسية فى الجامعات حتى شملت الكليات العلمية ..

وبهذا تكون هذه الحلقة مدخلا إلى الحلقات التالية : نظام المجتمع ــ ثم المنهج ــ مدخل القرآن والسنة ثم إسهام الفكر الإسلامى فى الحضارة الحديثة .. ثم العالم الإسلامى المعاصر .. الخ .

وبهذا يكون الطالب قد اكتملت صورة العقيدة الإسلامية فى ذهنه وخالطت شغاف قلبه ، وأصبح مطمئن القلب قوى الحجة يستطيع أن يرد كيد الملحدين ، ويفضح زيف المبطلين ويدعو إلى الله على بصيرة ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .

فكتابنا هو أول الحلقات وعسى الله أن يوفقنى إلى تغطية الحلقات الأخرى فى كتب مماثلة ليكتمل العقد وبالله التوفيق .

﴿ **ربنا هَيِّئ لنا من أمرنا رشداً** ﴾. ﴿ **ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾ .

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

الجزء الأول

أيها الأخ المسلم هذه رسالتك

الباب الأول

الثقافة والمدنية

الفصل الأول

الثقافة الإسلامية وعلوم التقنية

- ــ مفهوم الثقافة
- ــ الإسلام والثقافة
- ــ خطأ مشهور وصواب مهجور
- ــ علوم التقنية محراب للإيمان
- ــ الثقافة الإسلامية وطالب الجامعة
- ــ العقل المسلم فى مواجهة التيارات الفكرية
- ــ ثقافة الإسلام رائدة

مفهـوم الثقـــافة

تمهـيد :

أيها الإخوة الأحباب :

كان لابد أن تدركوا أهمية الثقافة ــ بعامة ــ والثقافة الإسلامية ــ بخاصة ــ وأهمية الأخيرة لطالب الجامعة ــ بصفة أخص ــ لتتيقنوا من أهمية رسالتكم فى هذه الحياة ، فتتحمسوا لها ، وتعملوا من أجلها بمقدار وعيكم لها ، فتتفننوا فى إنجاحها ؛ .. إذ أى سلوك وليد من الرغبة فى سدّ حاجة غريزة ما ، ثم الانفعال بهذه الرغبة فالاقتناع بضرورتها فالتفنن فى الوسيلة إليها ، فالسلوك ، فالوصول إلى الغاية ..

فحبذا لو اتخذ المسلم لدعوته طريق الاندفاع إلى تحقيق الهدف الأخروى الباقي بنفس الاندفاع لتحقيق أهدافه الدنيوية الفانية .. بنفس القوة بنفس الرغبة بنفس الاندفاع !!!

ولكنها النفس البشرية ﴿ **ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها .. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ...** ﴾ (١)

مفهوم الثقافة :

.. وكلمة « ثقافة » من ثقف:ذات معان متعددة ، إذ بالرجوع إلى قواميس اللغة (٢) نجدها بمعنى الحذق والمهارة وسرعة التعلم أو التهذيب والتشذيب والصقل والتعليم من ثقّف تثقيفا .

وفى المفهوم الاصطلاحى الحديث : خلاصة التجارب الشخصية ــ فردية

(١) الآيات من ٦ ــ ١٠ من سورة الشمس .
(٢) قديما وحديثا ودوائر المعارف .

أو جماعية ــ المكتسبة ــ قراءة أو مشاهدة أو استماعا أو ممارسة .. الخ .

أو هي ــ بعبارة أوضح ــ اكتساب خبرات وانعكاس حضارات ، تفاعل إنسانى وانفعال سلوكي يمنح الفرد أو المجموع طابعا مميزا ، ونمطا معينا من السلوك فى شتى مجالات الحياة .

وبذلك يظهر الفرق الدقيق بينها وبين العلم ؛ إذ هو اكتساب معلومات فقط في فرع أو فروع من العلم * وسوف يظهر الفرق واضحاً جلياً عند الحديث عن الإسلام والثقافة عند الحديث عن العقل المسلم فى مواجهة التيارات الفكرية .

ثم عند حديثنا عن المرأة والغزو العثمانى .

وخلاصة ذلك : أن العلوم ليس لها صبغة إقليمية فليست هناك كيمياء إنجليزية وأخرى أمريكية ... الخ .

وإنما هناك ثقافة إسلامية وثقافة ماركسية وثقافة صهيونية وثقافة صليبية .. الخ .

وهي ــ فى رأينا ــ تعنى ماقام به الإنسان في (الآداب والعلوم والفنون) والمستوى الفعلي الذى وصل إليه ــ على العموم ــ وحينما نتعرض للثقافة الإسلامية ــ بالذات ــ نقصد بها : أنواع المعرفة التي أنشأها المسلمون إنشاءَ ، أو أدخلوها من أو على الحضارات السابقة .

الإســلام والثقـافة

والإسلام حينما أراد الله ــ سبحانه ــ أن يهدى به البشرية إلى الخير ، ويخرجها من ظلام الجهل إلى نور المعرفة ، وينتشلها من وَهْدَة الفساد الاجتماعى ، والتردىّ العَقَدىّ فى مهاوي الرذيلة ، والنكوص السلوكي .. حينما أراد الله ذلك ، ثقف محمدا ــ ﷺ ــ فهذبه وعلمه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، حيث كان ولابدّ من صقله ــ كمعلم ــ وتثقيفه ــ كرائد ــ لأن فاقد الشي لايعطيه .. وكان لابد من تغيير مفاهيمه العربية عن الجاهلية الإقليمية ــ التى نشأ فى بيئتها [1] ــ إلى مفاهيم إنسانية عامة ، تتسامى فوق الفردية والعصبية وتسمو على عُبِّيَّة الجاهلية

---

(١) محوطاً بعناية الله حتى لايتدنس بدنسها .

والإلحادية والشرك بالله ، والتفرقة العنصرية .. الخ (١) ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. إن الله عليم خبير** ﴾ (٢) .

وصدق الرسول الكريم والمعلم العظيم « **الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمي إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب** — أو كما قال .

فابتدأ تثقيفه بالرعي « **وما من نبى إلا ورعى الغنم** » **ثم التجارة ، ثم التعبد فى غار حراء — على دين إمام التوحيد وأبى الانبياء إبراهيم الخليل حتى نزل عليه من أوائل التنزيل** ﴿ **يأأيها المزمل : قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أوزد عليه ، ورتل القرآن ترتيلا** ... ﴾ (٣) .

لماذا ؟ .. ﴿ **إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ (٣)

إعداد ربانى للرسالة . للقيادة ، للهداية ، للارشاد ...

فكان سلوكه — ﷺ — لافتا لأنظار مجتمعه حتى إذا جاءهم بالثقافة الجديدة اقتنع بها العقلاء — غير المتعصبين — وصدقوه — وهو الصادق الأمين ﴿ **سنةَ من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا** ﴾ (٤) .. وإلا فقد كان بإمكان الحق تبارك وتعالى — أن ينزل قرآنا على وسادة كل إنسان ليقرأه ويعمل بما فيه .. ولكن قد تقوم حجة الأغبياء أو المتغابين .. إنها القدوة الصالحة إنها الانفعال والتفاعل .. ﴿ **لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل** ... ﴾ (٥) ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .. وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (٦) .

---

(١) وبهذا نستطيع أن نقول بأن محمدا ﷺ كان مثقفا — وإن كان أميا —

هو الأمىّ لم يقرأ كتابا ... فعلّم قارئين وكاتبينا

فواعجبا لقوم كذبوه ... ألم يك بَينَهُمْ يدعى أمينا ؟!.

(٢) الحجرات ١٣ ويراجع تفسير الآيات فى ظلال القرآن .

(٣) المزمل .. يراجع سبب النزول .

(٤) الاسراء ٧٧ .

(٥) النساء ١٦٥ .

(٦) الجمعة ٢ .

دستور إلهي .. منهج حياة ... بتعبير العصر الحديث ــ إن صحت الاستعارة ــ « كتالوج » لتشغيل وصيانة الإنسان ــ صنعه الصانع المبدع الحكيم ــ جل جلاله ــ ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ نظام ربانى من خالق الخلق للخلق لتذويب الفوارق الطائفية واللونية الأرضية وسحق للسيادة العنصرية وردع الاستعلاء المادى المستبد ... الخ ماسيجيء تفصيله بعد ــ إن شاء الله ــ وإقامة ميزان واحد سماوى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فلما أصبح المعلم ــ ﷺ ــ أهلا لأن يعلم ويثقف ويصقل غيره أُمر بالتبليغ ــ سرا ثم جهرا ــ كما أمره الحق ــ تبارك وتعالى ــ وعندما يصدق المعلم ويحسن التلقى تؤتي الثقافة قطوفها الدانية .

وهذا ماحدث ... انتشرت ثقافة الإسلام وتفيأ المجتمع الدولى ظلالها ــ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ــ بعدما رأوا ذلك حقيقة واقعة في مجتمع المدينة المنورة ..

وكثر المعلمون وصاروا من رعاة الغنم إلى رعاة أمم ، وتجاوب المتعلمون ، وأصبح للإسلام حضارة ، وللمسلمين ثقافة ــ والحمد لله رب العالمين .

خطأ مشهور وصواب مهجور :

وَقَرَ فى أذهان كثير من العامة ــ بل من المتعلمين ــ أن العلم نوعان علوم دين وعلوم دنيا .. وهذا خطأ مشهور نشأ عندما انفصلت الكنيسة عن الدولة وأصبح فى المجتمعات غير الإسلامية رجال دين ورجال دولة وصكوك غفران ، وما إلى ذلك من خزعبلات وأباطيل وترهات ماأنزل الله بها من سلطان (١) ــ وتسرب ذلك إلى السواد الأعظم من المسلمين ــ فى فترة الركود العلمي ــ على حين أن الإسلام لايعترف بهذا التقسيم إلا من قبيل التقسيم المنهجي ؛ فالدين ليس وقفا على أحد والعلم ليس ملكا لاحد والإسلام كل متكامل ، وجسم متماسك ، فهو دين ودولة ، مصحف وسيف ، قيادة وعبادة ، عقيدة وعمل للدنيا والآخرة (٢) ــ كما سنوضح ذلك فى باب أيها المسلم : هذه رسالتك ــ إن شاء الله .

(١) راجع فى ذلك محاضرة روح الحضارة الغربية للأستاذ محمد أسد . وما كتبناه فى « حاضر العالم الإسلامى » .

(٢) راجع فى ذلك كتب الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ شلتوت ، نظام الإسلام ــ العقيدة والعبادة للشيخ محمد المبارك والإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى ، الإسلام وبناء المجتمع للدكتور أحمد العسال . وقد استمدوا ــ كلهم ــ هذه التعبيرات من إمام الدعوة فى العصر الحديث الشهيد حسن البنا ــ رحمه الله .

أما الصواب المهجور ــ أخي المسلم ــ فهو أن الإسلام يدعو إلى العلم أيا كان نوعه وصدق رسول الله ــ ﷺ ــ: « **لاطلعت عليّ شمس يوم لم أزدد فيه علما** »[١] ولم يحدد نوع العلم .. والدنيا معبر وممر إلى الآخرة ، فكل مايقيم شئون الحياة الطيبة الطاهرة فالإسلام يدعو إليه ــ على أنه دين ــ لأنك أمين على صيانة هذه النفس التى بين جنبيك ﴿ **... ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ...** ﴾[٢]

﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفسادَ فى الأرض إن الله لايحب المفسدين** [٣]

﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما** ﴾[٤] .

وبالمثال يتضح المقال :

حياة الإنسان تقوم على صحة بدنه ونفسه وعقله لبقاء نوعه فلا تكون حياته الدنيا سعيدة إلا إذا تمتع جسمه بمباهجها التي أحلها الله ؛ فالحياة المادية تسخر كل شيء لإشباع غرائز هذا الجسم والمحافظة على الجنس البشري ، فيزرع ويستنبت ويتفنن لصنع مايشرب ثم يعالج أمراضه فيستطب ويتعلم ويخترع ويبنى مسكنه ، ويصنع ملابسه ، ويعبّد طرقه .. الخ

ممايقيم الحياة ــ برّا وجوّا وبحرا .

ثم هو بغريزته ــ يحب أن يسيطر ويدفع الأذى عن نفسه ؛ فيتعلم علوم

---

(١) هكذا حفظت الحديث مشافهة من أساتذتي وفي كتاب الأحاديث الضعيفة للشيخ ناصر الدين الألباني م / ١ ج ٤ المجلد الأول الجزء الرابع (إذا أتى علي يوم لا أزدد فيه علما يقربنى إلى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) وقال بأنه موضوع مع إقرار السيوطي وابن الجوزي على وضعه فقد أورده أيضا فى الجامع الصغير من رواية الطبراني وابن عدي وأبى نعيم فى الحلية عن عائشة . ص ٦٦ ، ٦٧ من كتاب الأحاديث الضعيفة م ج ١ / ٤ وقال أبو نعيم غريب من حديث الزهري تفرد به الحكم بن عبد الله عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعا .

(٢) البقرة ١٩٥ .

(٣) القصص ٧٧ .

(٤)أخى المسلم : أنت مطالب بالنظر فى كتاب الله فاكتسب الأجر وابحث عن الآية وتفسيرها فى الظلال أو بن كثير أو غيرهما وجزاك الله خيرا ــ واتعب قليلا لتحس بلذة العلم والله يرعاك . ولا تنس « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

الحرب هجوما ودفاعا ، ويدفع عن نفسه غوائل الطبيعة ، فينقب ويكتشف ويخترع .. ويتاجر .. الخ . والإسلام أيها الإخوة يقف من كل هذا موقف المعلم المنظم الهادى إلى خير الطرق وأرشدها ــ فى ضوء منهاج النبى ﷺ ــ وفى حدود الفطرة السليمة « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » (١) .

﴿ وهو الذى سخر لكم البحر ، لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون ﴾ .

﴿ وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. ﴾ .

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

والقرآن الكريم زاخر بالآيات الداعية إلى تَسْيِيرِ الحياة وعمارة الأرض .

﴿ ... أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها .. ﴾ أى طلب إليكم عمارتها ويسر لكم سبلها .

كل مايقيم عمارة الأرض من زراعة وصناعة وفلك وطب وهندسة ومعاملات ، وما يقيم حياة النفس والروح من عبادات وتوحيد .. الخ . يدعو إليه الإسلام ويحث عليه سواء بسواء كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ... الخ .

« أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقي ذلك من درنه شيئا ؟ قالوا لا يارسول الله ــ قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » أو كما قال : أليست النظافة من علوم الصحة ؟ والصحة النفسية أليست من علوم الطب ؟ اقرءوا قولَ رسول الله ــ ﷺ ــ لبلال فى شأن الصلاة : « **أرحنا بها يابلال** » ففي الصلاة قرة للعين وراحة للنفس وطمأنينة للقلب : **﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾** .

« أرحنا بها » .. لا أرحنا منها ... » .

فما كان له صلة بالزراعة سمي علم الزراعة ، وبالطب علم الطب وكذا الهندسة والفلك .. الخ .. وما كان له صلة بالقرآن سمي تفسيراً أو تجويداً .. وما كان له صلة بالسنة سمي حديثاً أو سنة أو سيرة وما كان له صلة بالعبادات سمي فقها .. وهكذا .. فالدين يدعو إلى كل ذلك ويسميه علماً .

---

(١) أخى المسلم راجع : المعجم المفهرس .

ونحن نريد بذلك العرض السريع أن نمحو من الأذهان رجل الدين ورجل السياسة ورجل الشارع .. الخ . وعلوم دين وعلوم دنيا « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » العلم بكافة فروعه فلو كانت فى الوجود معلومة لم يعلمها المسلمون بكفاية تسد حاجتهم أثموا جميعا وان تعلمها البعض الكافي سقط الإثم عن الباقين . وأعيد على كل مسامعكم حديث رسول الله ــ ﷺ ــ « **لاطلعت علي شمس يوم لم أزد فيه علما** » أو كما قال وقد مرّ بنا تحقيقه سابقا فهو صحيح في معناه .

وكتاب الله الحكيم مليء بالإشارات العلمية .. أقول إشارات علميةوبعبارة أدق : إشارات غيبية لحقائق علمية ــ كما سنوضح ذلك فى إعجاز القرآن العلمي ــ إن شاء الله ــ حتى نقتلع من أذهان بعض البسطاء أو السطحيين من العلماء الذين يخطئون بقولهم : إن القرآن كتاب علوم .. فتقرأ فيه إشارات عن الطب والهندسة والفلك والأجنة والنفس والجو والبحار والأنهار والفيزياء والجيوفيزياء والجيولوجيا ؛ والاجتماع .. الخ ...

أقول : إشارات إعجازية متجددة لإثبات إعجاز القرآن إلى قيام الساعة حتى « علوم الشرّ » لو تعلمتها لتدفع بها الأذى عن نفسك أو عن دينك أو وطنك الإسلامى وأمتك الإسلامية كان ذلك علمَ دين ، « فالشرّ يعرف ليُتّقى والخير يعرف ليُؤتى » وصدق الفاروق عمر ــ رضى الله عنه ــ « يجب أن يعرف الشر كما يعرف الخير ، لأن الذى لايعرف الشر أحرى أن يقع فيه » (١) وقال فى هذا المعنى أيضا : « ماعرفَ الإسلامَ من لم يعرف الجاهلية » **وروي عن حذيفة ــ رضى الله عنه ــ قال : كان الناس يسألون عن الخيْر ، وكنت أسأل عن الشر ؛ مخافة أن أقع فيه قلت يارسول الله : لقد كنا فى جاهلية وشر .. وبعثك الله بالخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ « فقال نعم » ... فقلت هل بعد هذا الشر خير ؟ قال : نعم وفيه دَخَلٌ . فقلتُ : وما دَخَلُهُ ؟ قال : « أناس يهتدون بغير سنتي ؛ تعرف منهم وتنكر » !!! فقلت فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم » دعاة على أبواب جهنم .. من أجابهم إليها قذفوه فيها » .. ! فقلت : صفهم لنا .. فقال : « هم من جِلْدَتِناَ ، ويتكلمون**

---

(١) ص ٥٢ من كتاب عبقرية عمر للعقاد ــ وراجع أيضا ص ٢٥٠ من نفس الكتاب .

بألسنتنا » .. وقلت : ماتأمرني إن أدركتهم ؟ قال : « اعتزل هذه الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى تموت على ذلك خير لك » .

ألم يقل الرسول الكريم ــ ﷺ ــ : « **إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب**» ؟

وقد سأل رجلا ــ في بدر ــ عن عير قريش .. فقال : لا حتى تخبروني من أين أنتم ؟ فقال المصطفى ﷺ ﴿ **نحن من ماء** » فأخبره الرجل . ولما انصرف تعجب من غباء نفسه : من ماء ؟ أي ماء ؟

ألم يحك القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل ﴿ **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون** ﴾؟ ..

● ألم يقل علي ــ رضى الله عنه ــ لعمرو بن ود : « إنى لا أقاتل اثنين » ؟ في غزوة الخندق ؟!!!

والقصة ستذكر إن شاء الله ــ في باب « المجتمع المثالى في ظلال الإسلام » آ فصل « من أمجاد تاريخنا » تحت عنوان ولا أبا حسن لها وقصة الحُباب بن المنذر في بدر مع رسول الله - ﷺ - بلقاء مشهورة أهذا منزل أنزلكه الله ؟ أم هي الحرب والمكيدة ــ قال : هي الحرب والمكيدة فقال الحباب : ليس هذا بمنزل ... الخ القصة .

وقصة نعيم بن مسعود ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ لما قال له رسول الله ــ لله ــ في غزوة الأحزاب « **خذّل عنا بني يهود** » **فأوقع بينهم وبين قريش** » .. ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا** ... ﴾

والمقام يضيق عن الحصر وضرب الأمثلة .. فقس على ذلك كل شئون الحياة ، وما يقيمها من علوم ومعارف تجد الإسلام يحث عليها ويدعو إليها على أنها من صلب الدين ، والدين هو الحياة .. بل الحياة بدون الدين موات ﴿ .. **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون** ﴾ .

وطريق تلكم المعارف وهاته الثقافة : الكتاب والسنة ومصدر هذه الأوامر وتلكم النواهي ، وتنظيم كل أولئك هو منهج الله ، هو القرآن والسنة .

أيها الإخوة الأحباب :

مبلغ علمى أن الرؤية قد اتضحت تماما لكل ذى عينين ، وذى أذنين ، وذى قلب سليم ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ وأصبح جليا أن الخطأ المشهور هو فصل علوم الدنيا عن علوم الدين وجعلهما ضرتين متنافرتين ؛ حتى يطالبْ كثير من الجهلة والسفهاء بتنحية الدين من طريق العلم — كما سنوضحه فى باب « أزمة المثقفين » — إن شاء الله — وأن الصواب المهجور كل العلوم من الدين . والفرق فى الفروع لاغير ، وأنتم تعلمون أن العلم سلاح ذو حدين يستعمل فى الخير والشر ، ولا يدفعه إلى الخير إلا التوحيد .. وهنا مكمن أهمية الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعة — بعامة — والكليات العملية — بخاصة — كما سنوضحه بعد قليل — إن شاء الله — .

ورب قائل يقول : إذا كان ذلك كذلك فلماذا قال المصطفى — ﷺ — فى حادث تأبير النخل — أنتم أعلم بأمور دنياكم ؟ .. ألا يوحي ذلك بالتقسيم ؟ (١) .

شبهة واردة .. ولكنها تزول عندما يفهم مغزى مقالة النبى — عليه السلام — ؛ فهناك أمور تتوقف على الوحى وخبر السماء — كعدد ركعات الصلاة — مثلا ونصاب الزكاة ، ونواقض الوضو ، .. إلى غير ذلك من الأحكام .

وهناك أمور تحتاج إلى المحاولة والتجربة — كتأبير النخل ، كتنظيم المعارك الحربية وأمور الزراعة والصناعة والتجارة والطب .. إلخ — فالممارسة والخطأ والصواب فى هذه المجالات يؤدى إلى تحسين المستوى ويدعو إلى التأمل ويوصل إلى معرفة الله وتوحيده كما سنبين فى « علوم التقنية محراب للإيمان » . « وللمجتهد إن أصاب أجران ، وإن أخطأ له أجر » والدين يأمر بالاجتهاد ولذلك لم ينزل الوحي ليصحح خطأ رسول الله ﷺ في تأبير النخل كما نزل فى أمر أسرى بدر — وحادثة ابن أم مكتوم ، وتحريمه العسل أو مارية على نفسه .. الخ . والمتأمل — فى غير تعصب — بنور الله ينقدح فى عقله هذا الفهم ولا يزيغ قلبه ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا**

---

(١) راجع كتاب معالم فى الطريق للشهيد سيد قطب — فصل التصور الإسلامي والثقافة .

كأنما يَصَّعَّدُ فى السماء .. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون ﴾ .

فلنصحح ــ نحن المسلمين ــ مفاهيمنا ، ولست مع من يقول : الخطأ المشهور أولى من الصواب المهجور » ﴿ .. **أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع .. ﴾** « والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها » .

علوم التقنية محراب للإيمان :

أجل .. إن علوم التقنية محراب للإيمان ... وهكذا يجب أن تكون .. وهكذا فهمها علماؤنا الأبرار وأسلافنا الأطهار .. فقهوا أن علوم الطب والفلك والهندسة والجبر والمقابلة .. الخ . أنها هي الطريق إلى الله فابن سينا وابن رشد وابن الهيثم والفارابى والخوارزمي ــ وغيرهم كثير ــ وسيأتى طرف من سيرتهم عند الحديث عن شهادة الأجانب غير المسلمين لعلمائنا الأفذاذ بأنهم عمد الحضارة الغربية الحديثة والأوربية ؛ فقد نسجوا على منوالهم وأشعلوا شموعهم من قناديلهم ... وقليل من علماء الغرب فهموا أن علوم التقنية محراب للإيمان .. بل الإيمان يدعو إلى التقنية (١) فالدين الحق يدعو إلى العلم الحق والعلم الحق يدعو إلى الدين الحق .. «وصدق الله العظيم » ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾**؟؟!!! .

فالمخترعون والباحثون والمكتشفون من علماء الكون هم أقرب الناس إلى إدراك حقيقة وجود خالقهم وربوبية مَنْ علم الإنسان مالم يعلم ، أو هكذا يجب أن يكونوا ؛ لأنهم أشد الناس انفعالا بأسرار قدرة الله فى الكون المخلوق لله ــ وهم جزء من هذا الكون ــ فالأطباء ــ مثلا ــ وعلماء الأجنة تظهر أمام أعينهم قدرة الله الخلاقة فى تكوين الجنين وحياته داخل المشيمة .

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغةً ، فخلقنا المضغة

(١) اقرأ محاضرة معالى الدكتور بكر عبد الله بن بكر مدير جامعة البترول والمعادن التى ألقاها فى مقر رابطة العالم الإسلامي بعنوان « الطريق إلى التقنية » .

عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ... وأوصيك ــ أخى المسلم ــ أن تقرأ تفسير هذه الآيات فى ظلال القرآن حتى تستطيع أن ترد على المبهورين بنظرية الكافر يهودي الاتجاه (١) صهيونى الثقافة (داروين) والمغفلين ممن صدقوا نظرية التطور والنشوء والارتقاء(٢) .. ثم قف طويلا عند قوله تعالى : ﴿ **ثم خلقنا .. ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ ، إذن الخلق هو الإبداع على غير مثال سابق أو هو الإيجاد من العدم .

ورد سريع على هامش النظرية ــ إذ المجال ليس مجال مناقشتها ــ

لماذا لم يتطور القرد الموجود حاليا ؟ .. وماذا كان القرد قبل ذلك ! هل كان فأرا ؟ ثم لماذا لم يتطور الإنسان ؟ .. علامات استفهام ينبغى على كل مخدوع بكل نظرية جديدة ولو كانت خرافية ، أو خبراً عقلياً أو جهلاً علمياً يجب أن يقف الإنسان طويلاً . وهل رأى أحد منكم أن البطيخ تطور إلى تفاح ؟ أو الليمون إلى كمثرى ؟ ..

على كل حال من شاء أن يكون قردا أو خنزيرا أو حمارا فليكن كما يروق له من غير أن يتبع طريقة اليهود الذين يخلعون كل وصف دنىء يُوصَفون به على غيرهم من البشر ، ليتبرءوا من هذه الوصمة .. وهو مايسمونه فى علم النفس الحديث بـ «علة الاسقاط» فحينما ذكرهم الحق ــ تبارك وتعالى ــ فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ... ﴾ وقوله ﴿ .. **وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل** ﴾ خرج من ذريتهم من يقول (٣) بنظرية التطور وأن الإنسان أصله قرد ، ليخلع على البشرية صفة القردية التى وصموا بها . فى قرآن خالد يتلى إلى يوم القيامة

ولما وصفهم ــ سبحانه ــ بقوله ﴿ ... **ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله** ﴾ قالوا ماحكاه القرآن عنهم ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار**

---

(١) وإن كان إنجليزى المولد نصراني الديانة .

(٢) من أمثال مصطفى محمود فى شطحاته ــ وإن كان أخيراً بدأ يتخلص من هذه الأفكار .

(٣) منتهزين فرصة إعلان « داروين » نظريته ثم تبنوا إذاعتها وترويجها لأنها تخدم قضيتهم .

إلا أياما معدودة .. قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون ﴾ . ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه .. قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ .

وهكذا حينما وصفهم بالحَمِيريَّة فى قوله ﴿ **مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا** ... ﴾ قالوا فى تلمودهم : إن الأمميين [(١)] خلقهم الله حميرا ليركبهم اليهود ...

ويحكى التاريخ أن بختنصّر — لما استعمَرهم عذبهم ونكّل بهم ....

وزيادة فى تحقيرهم أمرهم بإطالة شعورهم وسوالفهم دليلا على أنهم رقيق وعبيد .. فخرج من أصلابهم من يروّج « للهيبية » والخنفسة وينشرها فى العالم الضائع المنحل فيقلدهم الشباب المائع دون وعي — تقليداً أعمى لكل جديد — تماماً كما فعل قوم فرعون ﴿ **فاستخفّ قومه فأطاعوه ؛ إنهم كانوا قوماً فاسقين** ﴾ .

أيها الإخوة : كان ذلك استطرادا دعته الضرورة والمناسبة .

عود على بدء :

ونعود إلى حديثنا عن العلماء فهم يدركون سر قدرة الله الخالق العظيم فى النجوم .. فى المجرات .. فى السحب .. فى البرق .. فى البحار .. فى الأنهار .. فى عالم النبات .. فى عالم الحشرات .. فى النفس البشرية .. فى الأجهزة العجيبة التي تدير حركة الجسم .. مصانع مختلفة فى هذا الجسم ...

عالم عجيب — كما سنفصله فى رسالة الشباب عند قولنا : « واعرف ربك » (٢) ... وهكذا فى كل علم من العلوم الكونية تظهر عجائب قدرة الله .

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

---

(١) الأمميون فى عرفهم كل من عدا اليهود .

(٢) راجع فى الظلال تفسير سورة عبس ومانقل فيه — رحمه الله — من شذرات عن الطب وإبداع الخالق بصدد تفسير قوله تعالى ﴿ **قتل الإنسان ماأكفره من أى شيء خلق** ﴾ ثم أقر كتاب « الطب محراب للإيمان » للدكتور خالص كنجو .

ولكن مع الأسف ﴿ **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم** ﴾ .

﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ .

فالعلماء هم أحق الناس بالإيمان بالله والدعوة إليه .. وصدق الله العظيم ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماءُ** ﴾ .

قال تلك الآية بعد الإشارات الغيبية للحقائق العلمية فى سورة فاطر إشارات إلى علوم البحار والأنهار والأجنة والجيولوجيا .. الخ .

فـ « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ... » .

الثقافة الإسلامية وطالب الجامعة :

أعتقد — أخى المسلم — أنك أدركت معي مدى أهمية الثقافة الإسلامية للمسلم — بعامة — [1] ولطالب الجامعة — بخاصة — وفى الكليات العملية — بصفة أخص ، لنمحو ماصبه الكفار فى أذهاننا من أن الدين شيء والعلم شيء آخر — وبخاصة علوم التقنية .

والمعلم المسلم ينبغى أن يلفت نظر طلابه إلى قدرة الله من خلال العلم الذى يعلمهم إياه ، وعبر المادة التي يدرسها لهم . فكما أن معلم التربية الإسلامية يعلمهم الوضوء ونظافة الإسلام وطهارة الجسم والروح ؛ لأن الصلاة صلة بين العبد وربه ، وأهمية الاتجاه إلى الكعبة ؛ حيث الانتماء إلى الجماعة المسلمة الواحدة الموحّدة ، وحكمة الله فى قراءة الفاتحة فى كل ركعة ﴿ .. **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ [2] بلفظ الجماعة لاالفردية — وفى التشهد — السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وكذلك للربط بين الروح والمادة وغذاء الاثنين معا ؛ فالإنسان مادة وروح — كما سنفصله بعد — إن شاء الله .

---

(١) عرفنا فيما سبق — الفرق الدقيق بين العلم والثقافة .

(٢) و(اهْدِنا) لا اهدني .

لذلك ينبغى على مدرس الكيماء — مثلا — أو الجيولوجيا أو الفيزياء أو الجيوفيزياء أو الحيوان والنبات أو الطب أو الزراعة .. الخ كل فى مجال تخصصه أن يجعل من دروسه مدخلا إلى العقيدة بإبراز قدرة الخالق فى الكون ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ..** ﴾ . ﴿ **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ..** ﴾ .﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ ولا يتأتى للمعلم ذلك إلا إذا كان مثقفا ثقافة إسلامية .. ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ عن طريق هذه الثقافة يفتح قلوب طلابه إلى الخير ويسد عليهم مداخل الشياطين — شياطين الإنس والجن .

وعلى سبيل المثال : لو أن معلم الرياضيات وهو يعلم الطفل عمليات الجمع والطرح وأن ١ + ٠ = ١ لا ٣ كما أن ١ + ١ + ١ = ٣ لا ١ .

فيظهر بطلان قول النصارى : « إن الله ثالث ثلاثة » الأب والابن والروح القدس إله واحد . كيف أن ٣ = ١ ؟ هذا مايرفضه العقل والمنطق ؛ ولهذا بدأ الشباب الآن فى أمريكا فى أيامنا هذه يوزعون كتيبات يقولون فيها للقساوسة والرهبان نحن فى قلق أعطونا أفكارا غير مشوهة عن الله . ٣ = ١ ؟ هذا مستحيل ..

كيف أن المسيح ابن الله ويكون هو الله .. وكيف يكون الأب ابنا ؟ ... إلخ هذه الخزعبلات والأباطيل .. لأن ذلك يصادم الفطرة السليمة .. والإسلام دين الفطرة . والعقل يقول : إن النقيضين لايجتمعان فى وقت واحد ...

ومدرس الجيولوجيا والجيوفيزياء وهو يعلم طلابه كيفية التنقيب عن البترول أو معرفة عمر الأرض أو كذا .. أو كذا .. إلخ وأن مكونات البترول مثلا معادن وحيوانات بحرية ونباتات .. إلخ .. مَنْ صَنَع هذا ؟ ومن علم الإنسان هذا ؟ إنه حينئذ يكون مدرس توحيد .

ولو أن مدرس الطب لفت النظر إلى قدره الله من خلال دراسة الأجهزة التنفسية والدموية والبولية والهضمية ، والغدد ، والشعيرات ، والمدركات الحسية .. إلخ والجهاز التنفسى والعقلى ، وتكوين الجنين و ... و ... و ... ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟** ﴾ .. يقول ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ يكون مدرس عقيدة .

لو بين لهم ــ كلٌ فى تخصصه ــ مَنْ عَلَّم الإنسان الإختراع ؟ هو الذى علم أدم الأسماء كلها .. هو الذى علم نوحا صنع السفينة ، هو الذى علم داود صنع الدروع وألان له الحديد ، وأسال لسليمان عين القِطر ، وسخر له الجن يعمل بين يديه بإذنه ﴿ **يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات** .. ﴾ ، من علم عيسى إبراء الأكْمَهِ والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله .. ﴿ **أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض** ﴾ .. إلى قوله سبحانه ﴿ **مالبثوا فى العذاب المهين** ﴾ (١) .

ولكن بتدبر وتفكر ؛ لترى صنع الله ، وعظمة الخالق ، وقدرة العليم الخبير ــ سبحانه ــ ثم قف طويلا ــ فى تأمل ــ عند قوله تعالى : ﴿ **مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنْسَأَته فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين** ﴾ (٢) .

وسوف نقف معك وقفات ــ إن شاء الله ــ عند تذكيرك برسالتك تحت عنوان « واعرف ربك » . .

العقل المسلم فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة :

لاشك ــ أخى المسلم ــ أنك أدركت مدى ضرورة الثقافة الإسلامية والعقيدة الإيمانية لتربية العقلية المسلمة الواعية المستنيرة ، لنقف فى وجه التحديات الفكرية وتياراتها المعاصرة ــ كما وقف أسلافك من قبل فى وجه الجاهلية الأولى ــ ولقد سبق القول بأن الشاب المسلم يقف موقف الناقد من أى فكرة ويعرضها على منهج الله من كتاب وسنة فإن وافق ماجاء به محمد ﷺ فعلى العين والرأس وما خالفه رفض .. يقول المسلم : أهذه الفكرة صادرة عن عقيدة دينية أو غير دينية ؟ فإن كانت دينية . أهي موثقة عن دين ثابت موثق أم محرف ؟

---

(١) اقرأ الآيات من ٨ ــ ١٤ من سورة سبأ .

(٢) ثم إسترسل ــ إن شئت ــ وهو الواجب ؛ حتى تعرف أن هلاك الأمم وليد النكوص عن منهج الله والأمثلة على ذلك فى القرآن الكريم كثيرة ووفيرة وهى حقائق تاريخية ثابتة لاينازع فيها منازع .

موثق .. أهلا وسهلا .. محرف فلا أهلا ولا سهلاً .. بخلاف النظريات العلمية ــ كتفتيت الذرة ــ مثلا ــ وصناعة الصواريخ .. إلخ .. فلا بأس .. بل يجب الانتفاع بها فعلوم التقنية ليست لها صبغة إقليمية فليست هناك كيمياء روسية [1] وأخرى أمريكية .. فَهُمْ نفس الشيء أخذوا عنا في الأندلس ولم يأخذوا ديننا ــ وإن تخلقوا بأخلاق الإسلام في كثير من الصفات ولكن لاعن تدين وإنما عن إعجاب بالأخلاق ــ كالصدق في الوعد ، وإتقان العمل و ... و ... و .... وأما نحن فلم نقلدهم في علومهم ، وإنما قلدناهم في صفاتهم الخبيثة « مع الأسف » .

فالفكر الاجتماعي شيء والنظريات العلمية شيء آخر .. فهناك فكر روسي وفكر إنجليزي وأدب أمريكي ، وفكر صهيوني .. إلخ ولنا فكر إسلامي .

وصدق المعلم والمربي ﷺ « **الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها** » وصدق حين قال : ﴿ **لايكن أحدكم إمعة . يقول : أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم أن تحسنوا إذا أحسنوا وإذا أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم** » أو كما قال : « **فإذا أعْدَدْنا العقلية المسلمة أمّنت الأمة أبناءها ضد الانحراف الفكرى والتميع والانبهار ببريق المادة والخطفة العلمية التي اختطفها منا الكفار ــ في غفلة من الزمن ــ أستغفر الله .. دائما نلقي اللوم على الزمن والقدر والدهر .. و ... و..**

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

إذن في غفلة منا نحن حين بعدنا عن منهج الله .

فَلْنُسَلِّحْ أبناءنا باليقين ، بالعقيدة الراسخة التي لايخالطها شك ولا يمازجها ريب ؛ يقف العقل المسلم ثابت الحجة قوى البرهان أمام العواصف الهوج من الأفكار الغربية والشرقية على حد سواء ــ وبخاصة إذا سافر شبابنا إلى بلادهم لتحصيل علوم مستحدثة ــ وهذا لاغبار عليه إذا لم نستطع استجلابهم لأبنائنا . أو نبتعث الكبار الناضجين المسلحين بالإيمان حتى

---

(١) راجع ــ في ذلك ــ كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ... للشيخ أبي الحسن الندوى وكتاب : الحلول المستوردة .. للدكتور يوسف القرضاوي ومسجلات فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ وكتيباته أخيرا وما ذكرناه سلفاً .

لايتميَّع أبناؤنا وينساحوا وينداحوا أمام التقدم الحضارى[1] .

بل قد يشار إليه — إذا كان مسلحا كما قلنا — ويقال هذا هو الإسلام ؛ فيدخل الناس فى دين الله أفواجا ؛ بسبب انطباعاتهم الخيرة عن الإسلام من قِبَل هذا الداعية . بعكس ماإذا تميع وانساح منصهرا فى مدنيتهم الزائفة فيقال : هذ هو الإسلام وخاب مسعاهم وعادوا إلى حيرتهم .. مادام هذا هو الإسلام فهو كغيره .. عندهم فراغ يريدون أن يملئوه فهل يملأ بفراغ مثله ؟ كلا ...

مادخل الناس فى دين الفاتحين المسلمين إلا حينما رأوا إسلاما يتحرك ؛ وصدقت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق — رضى الله عنهما — حينما سئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت : « **كانت خلقه القرآن** » قرآن يتحرك ..

وتقول : « كانت تنزل علينا الآية فكنا نحفظ حلالها وحرامها قبل أن نحفظ حروفها .. » ولكننا مع الأسف حق على كثير منا « رب **قارىء** للقرآن والقرآن يلعنه ، ورب مصل ليس له من صلاته إلا الركوع والسجود ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » أو كما قال رسول الله ﷺ .

ومن هنا كانت أهمية تربية العقلية المسلمة التى توازن وتقوّم ثم تؤثر ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله — على بصيرة — أنا ومن اتبعنى** ﴾ صدق الله العظيم .

أخي المسلم : هذه هى عقيدتك التى تعدك لأن تكون فردا فى أسرة هذا المجتمع البشرى المتناقض المنحرف لتكون سويا فى خلقك قويا فى شخصيتك ربانيا فى سلوكك . هذه هي عقيدتك التى تعدك لتكون معلما للبشرية وموجها للإنسانية تسلحك بسلاحَي العلم والإيمان .. تهذبك روحيا ، وتثقفك عقليا ، وتصنعك جسميا ؛ حتى تكون جديرا بالخيرية التى وصفك بها ربك ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس ..** ﴾

---

(١) راجع كتاب (الفكر الإسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية للأستاذ محمد المبارك) . و (روح الحضارة الغربية) للأستاز محمد أسد ، والإسلام فى وجه التحديات للأستاذ محمد مشهور الحداد ، والزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالى ، والغارة على العالم الإسلامي — ترجمة محب الدين الخطيب ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابى الحسن الندوى ، و (حاضر العالم الإسلامي — التحقيق لشكيب أرسلان — وتأليف لوثروب ستودارد الأمريكى — ترجمة عجاج نويهض) .

وسنمدك -إن شاء الله- بنماذج سلوكية من واقع حياة المسلمين خلال ربع قرن فقط بعد عهد رسول الله ﷺ عند حديثنا عن المجتمع المثالى فى ظلال الإسلام[1] لتدركوا عمق المد الإسلامي التحررى، والمستوى الرفيع الذى لم ترتفع الإنسانية إلى مثله قط فى أى عصر من عصور المدنية قديماً أو حديثاً، ولن ترتقى إليه، ولا حتى فى خيال من كانوا يحلمون بالمدينة الفاضلة [2]، حيث إن الإسلام حركة ثورية تحريرية شاملة تبدأ فى ضمير الفرد وتنتهى في محيط الجماعة.

وهذا هو الفرق بين نتيجة ثقافتين: ثقافة علوية بوحي من الرحمن خالق الخلق وثقافة أرضية يسيطر عليها الشيطان «إن جازت المقارنة».

إنه دين السماء، دين جميع الأنبياء والمرسلين، لأن كلمة دين معناها الانقياد والطاعة لأمر الله بلا اعتراض .. فكل من اتصف بهذه الصفة من غابر الناس وحاضرهم كان مسلماً، ويكون كذلك مسلما كل من يتحلى بها فى المستقبل [3].

وصدق الله العظيم ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾. ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾. ﴿ **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾.

﴿ **ومن يرغب من ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين؛ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين، ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يابَنِيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾. ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السموات والأرض أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقنى بالصالحين** ﴾.

---

(١) راجع محاضرة «تلاميذ رسول الله والمجتمع المثالى» للمؤلف.

(٢) راجع كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للأستاذ محمد الغزالى وكتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب.

(٣) راجع كتيب مبادىء الإسلام للأستاذ أبى الاعلى المودودى، وكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ (أبى الحسن الندوي).

وغير هذه الآيات فى كتاب الله كثير .. ورسول الله ﷺ يقول : « **أنا أولى الناس بعيسى بن مريم** » ويقول « **الأنبياء إخوة أولاد عَلّات (١) أمهاتهم شتى ودينهم واحد** »والسنة النبوية المطهرة مليئة بمثل هذه الأخبار .

والرسل — على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام — انتهت معجزاتهم بانتهاء زمانهم — والمعجزات دليل صدقهم — وهم مصدقون إلى يوم القيامة . وتوثيق صدقهم من القرآن الكريم ، حيث حُرقت كتبهم وغُيرت وبُدلت دياناتهم ؛ حيث كان لكل رسول معجزة ومنهج ، والمعجزة فعل ينتهى بانتهاء إلقائه . إلا محمدا ﷺ فقد كانت معجزته عين منهجه « القرآن الكريم » والقرآن صفة من صفات العلي القدير ووكل حفظه إلى نفسه ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون** ﴾ فبقي صادقا مصدَّقاً إلى يوم القيامة وبالتالي بقي الأنبياء صادقين مصدَّقين كذلك بتوثيق رسول الله ﷺ لهم بالقرآن (٢) .

أكرمنا الله بالإسلام ، وأعزنا بالقرآن .... فاللهم وفقنا إلى العمل بثقافة الإسلام وسنة النبى عليه الصلاة والسلام ..

آمـــين

* * *

(١) إخوة لأم .

(٢) أما كتب الأنبياء السابقين عليهم السلام — فقد وكل رب العالمين حفظها إلى البشر « ... بما استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » .

الفصل الثانى

الإســـلام والمدنيـــة

- ـــ مفهوم المدنية
- ـــ حيرة المسلم
- ـــ أزمة المثقفين
- ـــ الإسلام وغرائز البشر
- ـــ وتلك الأيام نداولها بين الناس

مفهوم المدنية

مأخوذة من المدنية والتمدن وهي عكس البداوة والحياة البدائية فهي التطور والترقي والأخذ بأسباب الحياة الحضرية واكتشاف وسائل المعيشة الإنسانية والارتفاع بها صُعُداً فى الفكر والعلوم والتقنية والاختراع لتيسير سبل العيش ــ أكلا وشربا ولباسا ونوما وصحة وتجارة وتعاملا وأمنا .... إلخ . باطراد مع التوسع وكثرة البشر واكتشاف الآفاق ــ برا وجوا وبحرا .. إلخ .. وإخضاع الطبيعة لنوازع البشر وحاجاتهم ..

كل ذلك فى ضوء قوله تعالى ﴿ **الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ وقوله ــ ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ .

﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون** ﴾ . ﴿ .. **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين** ﴾ ﴿ .. **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ﴾ . ﴿ **وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ...** ﴾ .

﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور.** ﴾ .

﴿ **... سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ .

﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم .. ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ..** ﴾ .

﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ..** ﴾ .

﴿ **.. إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ** ﴾...

فالمدنية : هي الانتقال من حياة البداوة إلى حياة المدنية ومن المدر إلى الحضر بكل أساليب التطور والازدهار .

وهكذا سارت المدنية من طور إلى طور ومن تقدم إلى أرقى حتى بلغت أوجها فى

عصرنا الحديث — عصر الفضاء والذرة — وهذا هو معناها الحقيقى . إلا أن زيف الإنسان وغروره زين له أنه غدا سيصنع نفسه — وهيهات — وصدق الله العظيم ﴿ .. **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

﴿ ... **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** .. ﴾ .

ولقد انحسر مفهوم المدنية فى عقول الكافرين والمكذبين بيوم الدين ، وبعض المغفلين من المثقفين إلى المظاهر البراقة وفهموها — تميعا وانحلالا وخنفسه وهيبيَّة — كما سنبين — إن شاء الله — فى أزمة المثقفين (١) .

حـيرة المسـلم :

فى الواقع — أيها الإخوة الأحبة — أن هذا الموضوع ليس إلا مدخلا لرسالة سامية عليها يتوقف مستقبل الإسلام .. ألا وهي رسالة الفتى المسلم والفتاة المسلمة ، ولقد عرفتم — سلفا — أنه لابد للبناء الإنساني الفاضل من شباب فتي ، وتجربة مشيخية !! والمتحـدث إلى الشباب يقف حائرا — يقدم رجلا ويؤخر أخرى — وبخاصة إذا تحدث عن العقيدة .. يقف حائرا يقلب وجوه الرأى من أين يبدأ الحديث ؟ وكيف يعالجه ؟ يقف حائرا حيرة الغريب فى عالم مضطرب مليء بالمتناقضات مشحون بالانحراف عن سبيل الإنسانية متمرد على تكريم ربه له ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ وهذا هو موقفى — وأنا أتحدث إلى الشباب .. الحيرة ، والاشفاق على هذا الشباب الغض ، والتضرع إلى الله — سبحانه — أن يحفظ عليه وعلى أمثاله من أبناء الأمة الإسلامية إيمانه وعقيدته ، وأن يأخذوا من العلم طريقا إلى الجنة ، وسيلة لغاية نبيلة ، ومقصدا شريفا إلى هدف كريم ...

لا ليحمل الشاب شهادة توصله إلى منصب مرموق أو مركز اجتماعى ممتاز ، ثم ... وإلى هنا تنتهي رسالته ؛ فيذوب ذوبان الجليد تحت حرارة الشمس كعامة شباب الإسلام — اليوم — الذى يعيش في تيه ، ويدور فى فراغ بالرغم من تفوقه العلمي والمادي !!!

(١) راجع موضوع « رأيي فى الحضارة الغربية » للرافعي فى كتابه : تحت راية القرآن ص ٣٦٢ . وكتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي .

ومصدر هذه الحيرة -لدى كل مسلم غيور ــ أنه يتلفت من حوله فى جنبات العالم فيرى الباطل يعلو ــ وإن كان إلى حين ــ وقد ذكرت سلفا قوله تعالى ﴿ ... **فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال** .. ﴾ ودائما البقاء للأصلح إلى حين يتسلم الشباب المسلم زمام العالم ؛ فيقوده إلى الخير كما فعل أسلافه الأطهار الأبرار من قبل بإيمانهم وعقيدتهم وعلومهم وثقافتهم الإسلامية ، وحين يرددون ــ فى عزة ــ ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .. ولكم الويل مما تصفون** ﴾. ﴿ .. **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ ﴿-**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

مصدر الحيرة ــ ياشباب الإسلام ــ أننا غرباء فى هذا العالم ؛ إذ القابض على دينه كالقابض على الجمر .. وصدق رسول الإنسانية « **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء .. قيل : ومن هم الغرباء يارسول الله ؟ قال . الذين يَصلُحون عند فساد الناس** » (١) . وفى رواية « **الذين يُصْلِحون فساد الناس** » أو كما قال .. وصدق الله ــ سبحانه ــ ﴿ ... **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** .. ﴾ ولم يقل : صالحون .. فقد يهلك الله القرى وفيها الصالحون .. ﴿ ... **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ... ﴾ .. ولهذا كان إبليس اللعين يفر وهو يسمع الأذان ثم يعود بعد الأذان والمسلمون يصلون .. فهو يفرّ من الدعوة إلى الصلاة ويعود عند الصلاة . ولقد فهم اليهود ذلك فى عصرنا الحاضر فيذيعون القرآن الكريم من إذاعتهم على المسلمين وهم فى الوقت ذاته يحاربون أهل الدعوة إلى القرآن .. ﴿ ... **فهل من مدكر** ؟ .. ﴾ وصدق الرسول الكريم حينما سُئِل ، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟ قال : (**نعم : إذا كثُر الخبث**) .

شبيبة الإسلام : عالمنا المعاصر مشحون بالمتفجرات ، نتيجة للمدنية الزائفة على الكفر والإلحاد والثقافة الغربية والأوربية الملحدة . عالم قائم على الدسائس والمؤامرات والحقد والكراهية بين المعسكرين الشرقى والغربى ــ بعامة ــ وحقد

(١) رواه مسلم .

المعسكرين على الإسلام ــ بخاصة (١) حرب هنا ودمار هناك فى كل ركن من أركان العالم .. ظلم واستبداد .

رق مقنع ، واستعباد مستور .. ريح كريهة منتنة تهب من الغرب ومن الشرق تجتاح العالم وتعصف به .. أفكار مسمومة .. شعارات زائفة باسم المدنية ــ تارة ــ والتقدمية ــ تارة أخرى ــ والحرية ــ حينا آخر ــ كل أولئك تنسجه أيد يهودية دنسة ملطخة بالدماء .. انحلال خلقي .. تكالب مادي .. فساد اجتماعى .. تفكك أسرى .. ضياع شبابي ... اضطراب فكري ... نكوص فى السلوك الإنساني القويم ... ثم هو فوق هذا حقد على الإسلام وأهله ــ بالدرجة الأولى ــ زيف وشبهات تثار من حوله (٢) طغيان من المرأة ... خنوع من الرجل ، نزق وفسوق من الشباب ــ اختلاط فى الرؤية ، واختلال فى المقاييس .. نرى المعروف منكرا والمنكر معروفا .. بل أمراً بالمنكر ونهياً عن المعروف .. ثم نرى إطباقاً على الإسلام والمسلمين من كل جانب تحت أستار من الكذب والتزييف والافتراء نسجت بإحكام وتدبير . !! يقابل ذلك استسلام من المسلمين وتفكك فى وحدتهم وانقسام فى صفوفهم وبعد عن عقيدتهم بل وانضمام بعضهم إلى كل من المعسكرين وانبهار بطفرتهم العلمية (٢) وبعد منهم عن منهج الله ...

وما كل ذلك إلا من سيطرة المادة وجفاف منابع الروح فى نفس الإنسان المعاصر حتى عند السواد الأعظم من المسلمين « إلا من عصم الله » (٣) .

وهذا ــ ياشباب ــ مانبه إليه نبي الرحمة ، وحذر المسلمين منه عبر أربعة عشر قرنا من الزمان ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ .

مم حذر نبى الهدى ؟ وإلام نبّه رسول البشرية ﷺ ؟ استمع إليه بإمعان وتدبر ــ على سبيل المثال لاالحصر .

---

(١) راجع كتب : جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب ، مفتريات على الإسلام لأحمد محمد جمال ــ الإسلام المفترى عليه ، وظلام من الغرب ، والزحف الأحمر لمحمد الغزالى ــ الغارة على الإسلامي لمحب الدين الخطيب .

(٢) راجع موضوع ــ أزمة المثقفين ــ من هذا الكتاب .

(٣) راجع كتب : هل نحن مسلمون لمحمد قطب ــ والزحف الأحمر ، ومعركة المصحف لمحمد الغزالى ــ وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابى الحسن الندوي .

١ — «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ..

قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟

قال : لا ... ؛ إنكم يومئذ كثير .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل ..

ولينزعن (١) الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ،ٍ وليقذفن فى قلوبكم الوهن ....

قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟

قال : « حب الدنيا ، وكراهية الموت » أو كما قال : مرضان خطيران يفشوان فى الأمة الإسلامية : عدم إخافة الأعداء ، والوهن .. وهما من شيم الكفار والملاحدة — لا من خصال المسلمين الصادقين .. وصدق رسول الإنسانية حين قال : « نصرت بالرعب من مسيرة شهر » .

ويوم قال : « .... بل الرفيقَ الأعلى ثم الجنة » حينما خيره ربه بين مفاتح كنوز الدنيا ثم الجنة وبين لقاء ربه ثم الجنة .

وصدق الحق — تبارك وتعالى — ﴿ **لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**...﴾ دراسات ميدانية يشير إليها القرآن الكريم — ليس هذا محلها — (٢)

٢ — عن أبى أمامه الباهلي —رضى الله عنه— قال : قال رسول الله —ﷺ— :

« كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟

قالوا : وان ذلك لكائن يارسول الله ؟

قال : نعم .. والذى نفسي بيده وأشد منه سيكون .. !

قالوا : وما أشد منه يارسول الله ؟

قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ؟

قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟

قال : نعم — والذى نفسي بيده وأشد منه سيكون .. !

قالوا : وما أشد منه ؟

---

(١) انظر محاضرة — على هامش العقيدة من هذا الكتاب .

(٢) يوفرالقرآن على المسلمين كثيراً من العناء والمشقة ورصد الأموال والجيوش للاستخبارات والدراسات النفسية و .. و .. و .. الخ كأن يقول مثلا ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم** ﴾..﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم** ... ﴾ .

قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟!
قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟
قال : نعم وأشد منه سيكون .
قالوا : وما أشد منه يارسول الله ؟
قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف .
قالوا : وكائن ذلك يارسول الله ؟
قال : نعم والذى نفسي بيده وأشد منه سيكون .
قال الله تعالى : ﴿ **بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانَ !!!** ﴾ .

روى ابن أبى الدنيا بعضه وأبو ليلى بعضه ..

ولا يصح ــ بحال ــ أن يمر المسلم بهذين الحديثين الشريفين مرورا عابرا دون أن يقف عند كل كلمة من كلماتهما يقف طويلا ويفكر فى مصير أمته ؛ لأن ذلك من صميم دعوته ، ولأنه من مبادىء رسالته وعقيدته ولولا طبيعة الدراسة لوقفنا نحن كذلك معهما طويلا ، ولو لم ندرس غيرهما ؛ لكفانا هذا القدر ؛ إذا فَقِهناه (١) .

ولكن الحيرة تزول ــ إن شاء الله ــ عندما يعرف الشباب المسلم ــ فتياناً وفتياتٍ ــ رسالته في هذه الحياة .. وهذا ماسنعرض له بالتفصيل فى فصل مستقل ــ إن شاء الله ــ .

أزمة المثقفين :

ياشباب الإسلام : أنتم فى هذه المرحلة من حياتكم على مفترق الطرق .. أنتم فى مرحلة تكوين الشخصية .. فقلدوا سلفكم الصالح وعلماءكم الأفذاذ وتجنبوا منزلق الشاب ومتردى الفتيان والفتيات ممن خدعوا بمظاهر التفوق العلمى والتسلط المادي لدى أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية وظنوا ــ خطأً بل افتراء وتضليلا أن الإسلام عقبة فى سبيل التقدم العلمى عند المسلمين ، وحجر عثرة فى سبيل رقى الحياة الدنيا ..

(١) ولن يفوتنا ذلك ــ إن شاء الله ــ فى حلقات الذكر ومجالس العلم والإيمان وكتابة رؤى إسلامية فى هذا المجال .

وقد خدع كثير من المسلمين بزيف قولهم ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا** ﴾ .

خدع بعض المثقفين بمظاهر التفوق الغربى ، ونسوا ، أو لم يقرءوا تاريخهم المجيد (١) وانساقوا — بحسن نية اليوم أو سوء فهم — وراء المثقفين من غير المسلمين ...

وكثير من المثقفين اليوم — فى العالم — يعانون أزمة عنيفة تجاه الدين — يتساءلون — فى حيرة — هل الدين بعامة — ضرورة إنسانية من ضرورات الحياة كالطعام والشراب ، والحركة والسكون ، والبيع والشراء ، والعلم والاختراع ؟

وإذا كان كذلك بالأمس البعيد .. أفلا يزال كذلك اليوم والغد ؟

وقد استبد العلم بالأرض — برا وبحرا ، وجواً ، وسيطر عليها — نوعا ما — ولم يترك العلم مجالا لشىء آخر ؟ ...

هل الدين ضرورة بشرية ، وحاجة آدمية ، تفرق بين الإنسان وحاجات البهائم والوحوش والطيور وسائر المخلوقات الحية ؟

هل الدين ميول فردية ، ومزاج شخصي ؟ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ؟

وهذا وذاك فى كفتي ميزان ؟

أسئلة كثيرة ، وعلامات استفهام حائرة تفغرفاها تلتمس الجواب ..

تقدم وارتقاء ، حضارة واكتشاف ، بحث واختراع ، تفوق علمي وتخمة مادية .. ثم ماذا ؟ فقر روحى ، اضطراب عصبى ، ضياع وتيه **فكرى، تفكك** أسرى ، إفلاس أخلاقي ، ظلام نفسي ، وظلم اجتماعى وتمييز عنصرى **!!!**.

كل ذلك لأن الإنسان المادي نسي — فى غمرة البحث العلمي والجشع المادي والفساد العقدى ، والتسلط الوحشي — أن الدين ضرورة إنسانية عامة ... نفسية وفكرية وعقلية وفطرية واجتماعية ولغوية وسياسية واقتصادية حيوية .. الخ (٢) .

---

(١) وهذا ماسنفصل القول فيه — إن شاء الله — عند حديثنا عن رسالة الشباب .

(٢) راجع الشرائط المسجلة للشيخ محمد متولى الشعراوى ومنها المحاضرة التى ألقاها بالجامعة . وكتيباته — فى هذا المجال — أخيرا ..

ثم هم فى أزمة أعنف بشأن الإسلام « بخاصة » .... لماذا ؟

لأن المنتمين إلى الإسلام المخلصين الفاقهين يقولون للبشرية : إن هذا الدين متين فى بنيانه ، فريد فى نوعه ، عميق فى جذوره ، وارف فى ظلاله ، سمح فى تعاليمه ، علوي فى سلوكه ، سهل فى تناوله ، متكامل فى تكوينه ، هادف فى تشريعه ، عالمي فى مبادئه ...

إن هذا الدين ليس مجرد نظام ، ليس مجرد عقيدة ، ليس مجرد تربية للنفس وترقيق للمشاعر ، وتدريب على الفضائل وحسب .. لا .. بل هو كل أولئك . وإلى جانب ذلك فهو نظام شامل للحياة الفانية وطريق سوي إلى الآخرة الباقية التي هي حياته الحقيقة.الدائمة .. إما إلى الجنة وإما إلى النار !!!.

إنه باعث مجتمع متكامل : عدالة اجتماعية (١) تشريعات مدنية ، تخطيط رباني عادل ، منهج بشرى نقي متكامل !!!

إنه توحيد للصف ، توحيد للهدف ، توحيد للوسيلة ، تربية للروح والجسد معا ... كل أولئك على أساس متين من العقيدة الربانية .. فى إزدواج من التدريب الخلقي والتهذيب الروحي والسلوك السوي الذى يتسامى عن الحيوانية ويترفع عن الترابية الأرضية ، فيمزج بين مطالب الروح وغرائز الجسد .. ثم إن بعض المثقفين — فى أزمتهم تلك — يتخبطون فى دياجير الشك وظلمات جاهلية القرن العشرين (٢) ... فقد ظنوا — خطأ — أن الإسلام قد استنفد أغراضه ، ومضى زمنه ، وأصبح فى خبر كان !!!

ثم هم أولاء اليوم يتلمسون النجاة من هذا الضياع ؛ حيث تستطيع أن تسمي هذا العصر . عصر التقدم والازدهار والعلم « التكنولوجيا » و ... و ... و ... الخ .

ولكن هل تستطيع أن تسميه عصر السعادة . عصر الرخاء . عصر العدل . عصر المساواة . عصر الطمأنينة ، عصر الهدوء النفسي والاستقرار ؟

---

(١) راجع كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للشهيد سيد قطب ، الإسلام وبنا المجتمع ٤ / أحمد العسال . ونحو مجتمع عالمى للشهيد سيد قطب — بل ومكتبته عامرة بذلك وحتمية الحل الإسلامى — د / يوسف القرضاوي .

(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين ، الإنسان بين المادية والإسلام للأستاذ محمد قطب ومعالم فى الطريق للشهيد سيد قطب .

كلا .. وألف مرة كلا !!

يتلمسون قارب النجاة ، فيفاجئهم دعاة الإسلام المؤمنون الفاقهون ليقولوا لهم — فى ثبات ويقين وإيمان عميق : إن هذا الدين ليس تراثا من الماضي السحيق .. مكانه اليوم « مُتحف الأنظمة والقوانين والمعتقدات .. كلا .. وألف ألف مرة .. كلا .. إن هذا الدين كائن حي ... يسعى على قدمين إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

بل إن هذا الدين يملك من مقومات الحياة ماملكه منذ وجد مالم يملكه أى نظام عرفته البشرية منذ وجدت على هذه البسيطة حتى اليوم وغدا وبعد غد ...

ياشباب : أنا أعلم علم اليقين أن الذعر يصيب بعض المشتغلين بالعلم — ولا أقول كل المشتغلين به — حين يذكر اسم الدين ... وأن المنحرفين من المثقفين تصيبهم « الهستريا » .

بل ويصيبهم كل ماذكر فى قاموس الأمراض النفسية ، فتنتكس نفوسهم وتتشنج عضلاتهم ، ويشيرون بأيديهم إشارات عصبية يطلبون تنحية هذا الكلام التافه — فى نظرهم — عن مجالات البحوث العلمية ...

والتقليد الأعمى وحده — لاحرية الفكر — ولا قداسة العلم — هو الذي يصيب هؤلاء الأدعياء — أدعياء التحرر — بالذعر حين يذكر اسم الدين ...

﴿ ... فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ .

والمثقفون المنحرفون هم خلاصة السياسة الاستعمارية المرسومة بإحكام وعصارة الفكر الإلحادى والصهيوني والصليبي العالمي ، إذ يريدون ذبح الإسلام ، ولكن بيد المسلمين ضعفاء العقيدة والشخصية الذين لايعرفون عن الإسلام إلا الشبهات التى يثيرها هؤلاء الأعداء الذين ملأ الحقد على الإسلام نفوسهم .. ولا يعرفون عن دينهم إلا مالقنوه لهم [1]؛ لذلك فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة والعلم عن الدين ، وقد جهلوا أو تجاهلوا — عن عمد وسبق إصرار — أن

---

(١) راجع شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ، والإسلام المفترى عليه للغزالى ، مفتريات على الإسلام لأحمد محمد جمال .

الإسلام لايدع الناس — كل الناس — وحدهم فى صراعهم الشاق مع الحياة وشهواتهم وغرائزهم .

الإسلام وغرائز البشر :

إن الإسلام يقدم للبشر العون العملي والنفسي والعلمي ، ليساعدهم على الوصول إلى الهدف المنشود من سعادة الدنيا والآخرة معا ، ويرسم لهم منهجا يسيّر حياتهم وفق الغاية المثلى (١) فقد بعث الله محمداً — ﷺ — معلما للبشرية ورسولا للإنسانية ..

بعثه والناس فوضى لاتمر بهم إلا على صنم قد هام فى صنم !!!

استبدت بهم غرائزهم ، وحكمتهم نزواتهم ، فعم الظلم والاستبداد ، وشاعت العنصرية ، وتحكمت الطائفية ، واستشرت الفوضى والهمجية ، وسيطرت الكهنوتية والرهبانية ، فجاء للناس بدين عام من خالق الخلق مكملاً ماجاء به إخوته الأنبياء من قبل ومجددا العهد الذى أخذه رب العالمين على بنى آدم **﴿ ... وإذْ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ؛ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون .. واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتَّبع هواه ؛ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفركون ... ﴾** .

جاء ﷺ بدين عام لكل زمان ومكان ، لكل لون وجنس لكل لسان ولغة دين ودنيا معا — كما أسلفنا .

وفرق بين المطالبة بأدب على أنه خلق عام ، وبين التكليف به على أنه دين كسائر العبادات المفروضة .

---

(١) راجع منهاج المسلم لأبى بكر الجزائرى . ونحو عالم أفضل للشهيد سيد قطب وحتمية الحل الإسلامي ليوسف القرضاوى .

وقد درسنا ــ فى مراحل ثقافتنا ــ فلسفة الأخلاق ، ومناهج الفلسفة ومقاييس الفلاسفة لضبط سلوك البشر وأعجبنا بما فيها من فكر عميق ، وتلمس للحقيقة ، واستشراف للمثل العليا ــ ولسنا نغمط فضل أحد ينشر الخير للناس ــ واجتهد فى إنارة السبيل أمامهم .. بيْد أننا نلفت الأنظار ــ أنظار المنصفين ــ إلى أساليب التربية الناجعة ، والأخلاق الرائعة التى جاء بها صاحب الرسالة العظمى ؛ فأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور ــ بإذن ربه ــ ونقل بها العالم من الضلالة العمياء إل الهداية الرشيدة المبصرة ... (١) .

ففى الإسلام كنوز حافلة بالنفائس ــ دونها ماورث الناس من فلسفة اليونان ، وحكمة الرومان ، قيل لعالم مسلم : هل قرأت أدب النفس لأرسطو ؟ فقال بل قرأت أدب النسف لمحمد ﷺ .

هو الأمي لم يقرأ كتاباً * فعلم قارئين وكاتبينا
فواعجبا لقوم كذبوه * ألم يك بينهم يُدعَى أمينا ؟.!

لقد قرأنا أدب النفس لأرسطوا ولأمثاله من الفلاسفة ، وقرأنا أدب النفس لمحمد ﷺ فوجدنا ماتخيله الأولون واصطنعوا له ــ بعد العناء ــ صورا بعضها كامل وبعضها منقوص ... فوجدنا أنّ أدب المصطفى ﷺ قد تحول إلى حقائق حية تجسد فيها الكمال ، فأضحى سيرة رجل ، وبات أدب أمة ، وظل شعاردين إلى يوم القيامة ، ذلكم هو أدب النفس لمحمد ﷺ لأنه ﴿ **ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾ فقد كان قرآناً يمشي على الأرض ، وصدقت الصديقة بنت الصديق ــ رضي الله عنهما ــ حينما سئلت عن أخلاقه فقالت : « **كان خلقه القرآن** » (٢) .

جاء بدين كامل لإسعاد البشرية الضالة الحائرة ، فلم يقف جامدا إزاء الحضارة والمدنية التى يتيحها رب البشرية لها عبر الأجيال السابقة واللاحقة إلى يوم الدين ــ سبحانه ــ ﴿ **علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ .

﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ...** ﴾ .

﴿ **وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ .

---

(١) راجع كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين فصل « فرق بين نظام الجباية ونظام الهداية » .
(٢) راجع موضوع « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » من هذا الكتاب .

بل دعا إلى المدنية فى كثير من الآيات القرآنية ، وحث عليها فى كثير من أحاديثه النبوية الشريفة « **لاطلعت عليّ شمس يوم لم أزدد فيه علما** » صدق رسول الله .

فالإسلام يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة المتجددة ، وضرورات المجتمع المتطور ، ونوازع الفرد الجامحة دون أن يطغى هدف على هدف ولا تجور مصلحة على مصلحة ، وإنما يسير الكل فى توافق واتساق يحقق — حين يتم — أقصى مايمكن من السعادة على الأرض من الانسجام التام بين مطالب الجسد ونوازع الروح ؛ فالإسلام أدرى بطبيعة البشر ، وأحكم فى معالجتها ، لأنه منهج الحق — تبارك وتعالى — للخلق ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا** (١) **تزكوا أنفسكم ؛ هو أعلم بمن اتقى** ﴾ فأتاح الإسلام للناس نشاطهم الحيوى المشروع ...

أباح شهوة الطعام ، وشهوة الجنس ، وشهوة التملك ، وشهوة الاستمتاع بطيبات الحياة .. أباحها — فى صراحة دون غموض أو مواربة .. بل دعاهم دعوة قوية صريحة إلى هذا الاستمتاع ، فقال الحق — تبارك وتعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي لذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ ..

﴿ **إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ..** ﴾ .

﴿ **كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ .

﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ ﴿ **يأيها الذين آمنوا : لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم .. ولا تعتدوا إنَّ الله لايحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** ﴾ ﴿ **قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا.. قل آلله أذن ذلك لكم ؟ أم على الله تفترون ؟** ﴾ .

﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا .. والله يحب المحسنين** ﴾ ..

---

(١) استمع إلى شريط منهج الله للشيخ محمد الشعراوى ثم كتّبه أخيرا .

﴿ ... ولا تنس نصيبك من الدنيا .. ﴾ . .

﴿ .. فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم .. ﴾ فانكحوا — بالأمر من المولى — سبحانه — ويقول رسوله الكريم : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج فإنه أغض للبصر للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء [2] .

وقد « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته .. فلما أخبروا كأنهم تقالّوها [3] قالوا : أين نحن من رسول الله ؟ وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر — قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا .. وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .. وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا .. فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له .. ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس مني « [4] .

وهو ﷺ الذى يقول : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق .. أو كما قال ﷺ : وما حرم رب العالمين شيئا إلا وأحل فى مقابله أشياء — والأصل فى الأشياء الإباحة إلا ماجاء نص بتحريمه — وهنا أصل من أصول الفقه الإسلامى — وما حرم الحق — تبارك وتعالى — على عباده شيئا إلا إذا كان له صلة بفساد « البدن والنفس أو العقل أو المال أو العرض أو الدين » .

ولو تتبعنا — باستقصاء — كل المحرمات لوجدناها تتصل اتصالا مباشرا بهذه القواعد الخمس — وسواء أعلمنا — بعقولنا القاصرة — علة هذا التحريم أم لم نعلمها ، فهو — سبحانه — يعلم من خلق ﴿ هو أعلم بكم ؛ إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ ﴾ ... ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ... ﴾

---

(١) الباءة : مئونة النكاح من قدرة بدنية ومالية .. الخ .

(٢) وجاء : حفظ وصيانة .

(٣) أى عدوها قليلة .

(٤) رواه الشيخان والنسائى . راجع كتاب اللؤلؤ والمرجان (فيما اتفق عليه الشيخان) .

ألم تدرك البشرية أضرار كثير من المحرمات بعد أن أثبتت الاكتشافات العلمية الطبية الحديثة ماتجره من وبال على الفرد والمجتمع ؟!!!

وحسبنا — فى هذا المقام — أن نلمح إلماحات سريعة إلى ماأثبته الطب الحديث من وجود الفيروس الضّار فى لعاب الكلب والذى لايموت فى درجة حرارة فوق المائة ويقضي عليه التراب فى لمح البصر ؟ — وقد كانوا من قبل يسخرون من قول الذى لاينطق عن الهوى حديثه : « **إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهنَّ بالتراب** » أو كما قال .. ثم الدودة الشريطية أو الوحيدة كما يقولون فى الخنزير ؟ ألم يثبتوا أخيرا جدا أن فى أحد جناحي الذبابة من الدواء مايطهر مائتى لتر من اللبن ويعقمه [١] ؟.. وكانوا يستخفون بحديث : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فامقلوه [٢] ثم انقلوه ؛ فإن في أحد جناحيه داء وفي الأخر دواء » أو كما قال من علمه هذا ؟ ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾

ألم تحرم ألمانيا ، وأمريكا الخمر وجيشت الجيوش [٣] لذلك ؟ لما علموه من أضرار تصيب الفرد والمجتمع .. ولكنهم أخفقوا .. وهذا سر من أسرار التدين . آيات من كتاب الله الكريم تقضي على شرب الخمر عند المسلمين قضاء مبرما فما أن تليت الآيات — من سورة المائدة — حتى بلغ القارىء ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ حتى قال صحابي جليل ممن كانوا فى مجلس شراب بالمدينة المنورة وفي يده كأس شرب بعضها .. إلا وقذفها ولم يتمها قائلا : انتهينا ربنا .. انتهيا ربنا ثم

---

(١) نقلا عن مجلة الفيصل التى تصدر بالرياض ولقد قرأته بعينى رأسي ولكني نسيت رقم العدد ومن أراد المزيد فليراجع كتاب « سلسلة الأحاديث » الضعيفة والموضوعة للشيخ ناصر الدين الألبانى وقد نقل خلاصة محاضرة ألقاها أحد الأطباء فى جمعية الهداية الإسلامية فى مصر حول هذا الحديث . قال فيها :

« يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها الأمراض المختلفة فينقل بعضها بأطرافه ، ويأكل بعضها ، فيتكون فى جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بـ « مبعد البكتريا » وهى تنقل كثيرا من جراثيم الأمراض ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثيرفى جسم الإنسان فى حال وجود « مبعد البكتريا » وأن هناك خاصية فى أحد جناحى الذباب : وهي أن يحول البكتريا إلى ناحيته .. وعلى هذا فإذا سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واقٍ منها هو : « مبعد البكتريا » الذى يحمله الذباب فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه ، وغمس الذباب كله كافٍ لقتل الجراثيم التي كانت عالقة وكاف فى إبطال عملها ..» ا.ه بتصرف .

(٢) اغمسوه .

(٣) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى . ومحاضرات الشيخ الدكتور (صيدلى) عبد المجيد الزندانى (أشرطة تسجيل) .

صارت طرقات المدينة أنهارا من الخمر التى سكبت وأريقت فورا ...

هل كان ﷺ متخرجا في « أكاديمية » علمية ؟ هل تلقى علم النفس فى مدرسة ؟ هل درس علم الاجتماع أو الطب أو ... الخ ؟ لا .. ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى .. علمه شديد القوى** ... ﴾ .

إنه الدين الذى أنزل عليه .. وإنها العقيدة .. إنها المنهج الإلهي دين الفطرة ﴿ ... **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾ .

ثم لماذا تنصاع هذه البشرية الضالة لتعاليم الأطباء المعالجين .. ؟ أو المهندسين المخترعين الذين يضعون مع كل آلة يصنعونهـا « كتالوجا » ينظم سيرها ويصون (١) أجهزتها ؟ .. ثم لايذهب صاحب سيارة المرسيدس لإصلاحها عند وكالة « البيجو » مثلا ولا صاحب النظارة المعطوبة إلى النجار ؟ ؛ .. إلخ .. لماذا يؤمنون بالتخصص حتى فى الطب : طب بشرى .. وطب بيطرى ، ثم الطب تخصصات : عيون وأنف وأذن وحنجرة ومسالك . إلخ .. لماذا ؟ ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ ثم ينكصون على أعقابهم خاسرين عندما يحرم الخالق ــ سبحانه ــ حراما لصيانة هذا المخلوق ــ صنعته ــ ولتسيير حياة مصنوعه ومخلوقه ؟ أليس هذا من الغباء والحمق والجهالة ؟ ...! إنه البعد عن منهج الله ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب .. أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾!!!

ويطول بنا السرد ويشق علينا التعداد .. فالطلاق ، وتعدد الزوجات وإقامة الحدود .. إلخ ، كل أولئك كان محل رجوع إلى الإسلام وأحكامه وإشادة به من العلماء المنصفين ، والباحثين المعتدلين ، ومكان تقدير واعتراف بفضل أحكام العقيدة الإسلامية .

شبيبة الإسلام : تجدون فى دينكم دائرة الحلال واسعة جدا جدا على طرفي نقيض من دائرة الحرام ، فهي ضيقة جدا جدا .. فعلى سبيل المثال ــ لا الحصر ــ أحل الله البيع ــ فى جميع مجالاته ــ وحرم الربا ــ بكل ميادينه ــ مما يطلب في مظانّه من كتب الفقه ــ وأحل النكاح بل دعا إليه ــ كما أسلفنا ــ لدرجة الجمع بين أربع ــ حتى الكتابيات ــ بشرط العدل بينهن

---

(١) راجع كتاب « ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين » وكتابنا : حاضر العالم الإسلامى .

﴿ **وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ...** ﴾ أباح جميع المطعومات والمشروبات — كما قدمنا — وما أكثرها — حتى طعام أهل الكتاب ، .. ثم حرم الخمر ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب** ﴾ ... الخ . ﴿ **...الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ .

وهكذا ... وفى قانون المجتمع جعل القوامة للرجل على المرأة — تبعا للتكوين الخِلْقِي والاستعداد الفطرى لكل منهما (١) ولكنه حدّ لكل حدودا ، وجعل لكلٍّ حقوقا وعلى كلٍّ واجبات ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ...** ﴾ .

وإلا فلماذا لايلد الرجل ويرضع ويفطم ؟ ...! إنها الفطرة . « **وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » .

وللحفاظ على ناموس الفطرة يقول معلم البشرية « **لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال** » .

واسمحوا لي أن أدلف إلى لمحة من الواقع الأليم وأكشف اللثام عن الحقيقة المرة فأهمس فى أذن المتشبهين والمتشبهات من أبناء الإسلام ... هل يحب الجنس الخشن فتاة خشنة ؟ هل يحب الجنس الناعم فتى ناعما يخدش الهواء خديه ويدمي العمل بنانه ؟!!!

ستكون الاجابة قطعا — ولو بحديث النفس أو الهمس — ماأقبح المرأة المسترجلة والرجل المتخنث المتكسر ..! فما بالكم (بالمُتَنَسْوِن) ؟!!!

﴿ **ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض ... للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن .. واسألوا الله من فضله ...** ﴾ .

---

(١) راجع كتاب الإسلام وبناء المجتمع للدكتور أحمد العسال وشبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب .

فتية الإسلام : كونوا صرحاء مع أنفسكم .. ما النتيجة ـــ وأنتم فى كليات علمية عملية ـــ إذا اجتمع سالبان ؟ فلا شيء.. أو التقى موجبان ؟ فالتدمير (١) ... أليس هذا قانون الكهرباء (سالب وموجب ؟) إنها الفطرة .. إنها طبائع الأشياء .. تختل النتيجة باختلال موازينها .. إن جميع الأشياء ... ـــ بما فيها الإنسان ـــ تتصرف وفق منهج الله تصرفا لا إراديا ﴿ **لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار .. وكل فى فلك يسبحون** ﴾ حتى الملائكة إلا الثقلين (الإنس والجن) فلهما تصرف إرادى نتيجة للنفخة الآلهية من روح الله ، ووفقا للحرية التى وهبها لهما . هما فقط اللذان يستطيعان اختيار البديلات ، ومنهج الله ينحصر فى « افعل ولا تفعل » وقد جعل الله ـــ سبحانه ـــ للنوعين « الإنس والجن » مشيئة خاصة داخل مشيئته ـــ سبحانه ـــ ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ مما ليس هذا محله وللتفصيل فى قضية الجبر والاختيار (٢) . نرجع الحديث .

﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ ... ﴿ **إنا هديناه السبيل : إما شاكرا وإما كفورا** ﴾ ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ﴿ **يأيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم...** ﴾ ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ فلنعبر الطريق إلى محل الشاهد . فلهذا الموضوع « القضاء والقدر » محل آخر ـــ إن شاء الله ـــ ولنأخذ الإنسان مجالا لذلك ... أعضاء هذا المخلوق تتصرف تصرفين .. تصرفا لا إراديا ـــ ولا حساب عليه ، لأنه جبرى ـــ ككل المخلوقات .. مثل تفتح العين ، وضربات القلب ، وغمض العين وانطباق الجفنين عند النوم .. الخ .

وهكذا جميع الأعضاء .. ولابد من أن يكون التصرفان لأى عضو من الأعضاء ـــ اللا إرادى ، والإرادى ـــ وفق منهج الله ، ليحدث الانسجام للنفس

---

(١) إذن : فلابد للانتاج الصحيح من اجتماع السالب والموجب الحلال ...

(٢) راجع : عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى ، والإيمان والحياة للدكتور القرضاوى . ونظام الإسلام : العقيدة والعبادة للمبارك .

الإنسانية .. ولنأخذ مثلا واحد لعضو واحد ، لنقيس عليه بقية الأعضاء (العين مثلا .. تنفتح فى الطريق لترى العدو والصديق والطريق السوي من بؤرة يقع فيها أو سيارة تدهمة أو عمود نور يصدم به ... الخ .

فإذا وقعت العين على فتاة مثلا — عفوا — فلا حساب عليه .. ، إذ له الأولى وعليه الثانية .. وأقصد بالأولى غير الطويلة .. فإن طالت كانت الثانية فهي عليه لأنها إرادية وليست وفق منهج الله .. لأن رسول الله ﷺ حكى عن رب العزة قال .. « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها من مخافتي أبدلته بها إيمانا يجد حلاوته فى قلبه** » أو كما قال . فإذا ترك الثانية من مخافة الله أحسّ الانسجام لتصرف العضو التصرفين وفق منهج الله .. أما إذا لم يتركها أحدثت نكتة سوداء فى نفسه فحدث الشد والجذب بين العضو ونفسه .. ثم التكرار ، ثم عضو وعضو وآخر وآخر .. الخ ، ثم يحدث التدمير النفسي ؛ فيكون القلق النفسي والاضطراب العصبى ثم .. ثم .. الجنون .. أو الضياع والخنفسة والهيبية .. إلخ .

هكذا تماما كما تضع (فيشة) جهاز كهربى قال صانعه فى الكتالوج « تيار ١١٠ — فلو وضعت فى ١١٠ حدث الانسجام والإرسال والنور و .. و .. الخ . وإذا وضعت فى تيار ٢٢٠ دمّر الجهاز ولو كان الجهاز صمم على ٢٢٠ ووضع فى ١١٠ فلن يعمل ، أو يعمل عملا ناقصا غير مجدٍ وهذا هو سر أزمة المثقفين التي تحدثنا عنها سلفا .. بل وسر أزمة الأفراد والجماعات من أسر ومجتمعات إقليمية ومجتمعات دولية .. فلن ترى البشرية أمنا ولا رخاء ولا طمأنينة ولا عدالة ولا مساواة و .. ولا .. الخ .. إلا بالعودة إلى منهج الله ..وبالمناسبة أنقل إليكم بعض أبيات لشاعر عربى مسلم يعتب على أبناء العروبة والإسلام ... فيقول (١) :

شباب العرب يازين الشباب ويا أشبال آساد غضاب
معي عتب أوجهه إليكم وقد تصفو المودة بالعتاب
أرى منكم فريقا حين يمشي يحك بأنفه ظهر السحاب
كليث الغاب — فى صلف وتيه وليس لدى القراع بليث غاب
لزهر النرد قد خلقت يداه وليست لليراع ولا الكتاب

(١) قالها عن شباب ١٩٢٥ م تقريبا فتخيلوا ماذا كان يقوله اليوم ؟

لزهر النرد قد خلقت يداه ... وليست لليراع ولا الكتاب

تفنن فى محاكاة العذارى ... وخالفهن فى وضع النقاب

وليس بمحكم عملا شريفا ... ويحكم وضع أربطة الرقاب

وأرسل شعره المضغوط يحكي ... وميض البرق أو لمع السراب (١)

بأثواب تحاكي الطيف لونا ... بأزرار من الذهب اللباب

وكم من لمة شابت وهانت ... ولم تنفك عن دعوى التصابى

وإن يحلل فتاهم قلب أنثى ... أحل هناك بالركن الخراب

ليوم كريهة كان الشباب ... فمن يكفيهما غدر الذئاب ؟..!

عجبت من الفتى يبدو ، فتبدو ... عليه نعومة البيض الكعاب !!!

أيها الإخوة الأحباب : أليس على حق فى عتابه ؟

ولهذا يؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ الاجتماعى العظيم ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ مع المساواة فى التكاليف وفى الثواب وفى العقاب — كما سنفصله — إن شاء الله — فى الباب الثالث « **وأنت أيتها الأخت المسلمة** » هذه رسالتك

﴿ **إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات . والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ .

وصدق الله العظيم ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

ويقول الشاعر المسلم مثنيا على كرائم المسلمات السابقات :

فلو أن النساء كمثل هَذِى (٢) ... لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال ..!

أرأيتم كيف يضرب الإسلام بسهم وافر فى وضع المدنية والحضارة- موضع التقدير ، والأخذ بأسبابها موضع الاعتبار ؟ — فى حدود الدائرة التي رسمها الحق — تبارك وتعالى — وفي إطار الشريعة السماوية ؟ ..

---

(١) وماذا كان يقول اليوم ؟ شعره المنكوش يحكي رأس العبد أو فرشة البلاط مثلا ؟ ... من يدرى .

(٢) يقصد أم المؤمنين خديجة — رضى الله عنها — ومثيلاتها كعائشة وسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ونسيبه والخنساء ... الخ .

ومن ثم فقد دعا إلى البحث العلمي — دونما حدود [1] — وحث على الاكتشاف والاختراع دونما قيود ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾ ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ﴾ .. ﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** . ﴾ ﴿ **وَأَلَنَّا له الحديد أن اعمل سابغات** .. ﴾ ﴿ .. **آتونى زُبَرَ الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قِطرا فما اسْطَاعُوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربى** ... ﴾ ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ... أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد** ﴾ [2] .

﴿ **هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾

وصدق الرسول العظيم « **لاطلعت عليّ شمس يوم لم أزدد فيه علما** » وقد سبق تحقيق الحديث « .. **ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك** » ثم أعقب ذلك .. ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ « سورة فاطر » ويضيق بنا المقام عن سوق الآيات والأحاديث التي تحث على العلم والإنتاج حتى ولو عند قيام الساعة ﴿ **إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر** ﴾ [3] .

وسنوضح — إن شاء الله — عند الحديث عن « اعرف تاريخ أمتك » مقدار استجابة المسلمين الأوائل لداعي العلم في القرآن والسنة حتى برّزوا في كل فن وسبقوا فى كل علم وسادوا فى كل مجال ؛ فعزوا وسادوا وملئوا العالم علما وعدلا ورحمة وأمنا وسلاما وطمأنينة ورخاء وسعادة .. لم تكن عندهم جامعات ولا « أكاديميات » علمية .. ولكنها العقيدة الإسلامية : ثورة إنسانية تحريرية شاملة تبدأ فى ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة — كما أسلفنا — كانوا رعاة

---

(١) فى دائرة الحلال التى رسمها — سبحانه —

(٢) راجع ماقلناه سلفا فى هذا المجال وأعدناه للتأكيد فالقرآن لايَخْلَق على كثرة الرد .

(٣) ذكره على بن عبد العزيز فى المنتخب باسناد حسن عن أنس — رضى الله عنه — « عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى » « لبدر العينى — باب الحرث والزراعة وراجع فى مثله كتيب : قبسات من الرسول للأستاذ محمد قطب .

إبل وشاة فصاروا ــ بهذه العقيدة ــ رعاة دول ومجتمعات ــ بحثوا واكتشفوا وترجموا وطوروا ، تفننوا ؛ فكانوا أساتذة العالم ورواد الحضارة ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ .. إنها الثقافة الرائدة كما علمتم ، وما علماء العالم ــ اليوم ــ إلا عيال على مخترعاتهم وابتكاراتهم ــ كما ستعلمون بعد ــ إن شاء الله ــ فلست ألقي الكلام على عواهنه ، وإنما حوادث التاريخ خير شاهد .. والأعداء أنفسهم يشهدون بذلك ولكن مركب النقص غالباً مايعترى المهزومين داخلياً ــ نتيجة الثقافة الحمقاء ، والتقليد الأعمى ، وذكاء العدو ــ فى إخفاء الحقائق وطمس المعالم ــ ولكن لابد للشمس من شروق ، وللكبوة من نهوض ، وللحق أن يسود .. ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ :

ما أجمل الإسلام وأعْظِمْ بمبادئه ، وما أحكم نظامه ، وأسلوبه فى الحياة . ! قولوا ــ أيها الإخوة ــ للملاحدة والعلمانيين الماديين ، والإمعات المقلدين جربوا هذا الدين ــ ولو كنظام ــ كما سنعرض له بشيء من التفصيل فيما بعد ــ حتى تحسوا حلاوة مذاقه ، انه الدواء المجرب ــ وأنتم تعلمون ذلك ــ فلماذا تخشونه ؟ ألأنه يضرب على أيدى المفسدين العابثين الهدامين أعداء البشرية ولماذا تحاربونه ؟ أمن أجل أن يقضي على ظلمكم واستبدادكم ؟ أم لأنه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه ؟ أم لأنه مصدر الأضواء الكاشفة ، وأنتم لا تعيشون إلا فى الظلام ؟! ولا تصطادون إلا فى الماء العكر ؟ .. !

إنه طبق فى بلادكم حقبة من الزمن وصلت إلى ثمانية قرون [٢] إلا قليلا ، فكان النور ، وكان العلم ، وكانت المعرفة ، وكان الأمن والسلام ، وكانت المدنية والحضارة ــ لأن الذى صدّ قلبه عن الإيمان عاش آمنا تحت ظلال الإسلام الوارفة لقاء خنوعه وتسليمه ودفع دراهم قليلة مقابل الدفاع عنه وحمايته فكان حرا فى عقيدته آمنا فى سربه متفرغا ليشعل فتيله من قناديل المسلمين الفاتحين فى جامعات طليطلة وقرطبة أليس كذلك ؟ ..

---

(١) راجع فى ذلك تطور الفكر عند المسلمين للدكتور محمد الصادق عفيفي ، ونوابغ علماء العرب والمسلمين للدكتور على الدفاع .

(٢) بالاندلس .

إذن فما لكم تتظاهرون سافرين على قتله ، وتتكتلون ظالمين ضده — على اختلافكم فيما بينكم وصدق الله العظيم ﴿ .. **بأســهم بينهم شديد .. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون** ﴾ .. ألأنه أحسن اليكم فى محنتكم والظلام الذى كنتم تعيشون فيه ، وأنقذكم من الظلم ، وخلصكم من الرق والعبودية والإقطاع والكهنوتية ، وصكوك الغفران ؟ ولكن الحقد يملأ قلوبكم على الإسلام وأهله ، فتنكرتم للمعروف وأسأتم للمحسنين — وصدق الأثر الكريم : اتق شر من أحسنت إليه [1] .

وصدق الشاعر :

أعلمـه الرمايـة كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكـم علمته نظم القوافى فلما قال قافيـة هجـاني

بئسما أنتم عليه من خُلق ..! أهذه هي المدنية ؟ ..! إن أبسط قواعد الإنسانية أن تعترف بالجميل لمن أحسن إليك ، وألا تعض اليد التى امتدت لإنقاذك ... ولكنه التعصب [2] الأعمى ، . والحقد البغيض ، وصدق أحكم الحاكمين ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ...** ﴾ ﴿ ... **قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر ..** ﴾ ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ...** ﴾ [3]

شبية الإسلام . بقايا جند الحق ، وكتائب الرحمن — وهذا أمل كل مسلم غيور : لاتخدعنكم الوثبة العلمية الخاطفة التي اختطفها منكم أعداؤكم — فى غفلة منكم — حين انصرافكم عن دينكم .. لاتأخذنكم المظاهر البراقة ، فالدور لكم والتاريخ يعيد نفسه ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ .

ولكن الحرية لاتمنح ، وإنما تؤخذ — إن أحسنتم الاقتداء ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ إن غيرتم مابأنفسكم ونبذتم التقليد الأعمى ﴿ **إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا**

---

(١) ، (٢) راجع كتاب : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالى .

(٣) وذلك من الدراسات الميدانية القرآنية — كما أسلفت — وهي إشارات غيبية لحقائق علمية (فهل من مدكر ؟) والله أسأل أن يوفقني لاخراجها فى كتاب .

مابأنفسهم ﴾ إن تمسكتم بمبادئكم « **تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى** » أو كما قال ﷺ .

عاصرنا الذرة والفضاء .. فأى مسلم صنع لنا قمرا صناعيا ؟ اللهم إلا على مستوى الأفراد ـــ مثل فاروق الباز عالم الفضاء وأمثاله ـــ وتستقطبهم الدول التى تخرجوا فى جامعاتها وتتيح لهم المناخ العلمي المناسب وتمنحهم المركز الأدبى المناسب وتغدق لهم العطاء وتعمى بصائرهم بالمداة فلا يخدمون دينهم بل يخدمون دنياهم فأصبحوا علمانيين متجنسين بجنسيات الدول التى استقطبتهم فكانوا غرباء عن دينهم وأوطانهم .. فنحن نستورد كل شيء ولم نحاول أن ندخل عصر الصناعة وأموالنا تضيع هباء فى القمصان المزركشة و .. الخ .. وليتنا نحن نصنع الأشياء وإنما نستوردها !!!

أما أعداؤنا أعداء الإسلام فستعرف عما قليل أن أمريكا لديها قاعات علمية باسم المخترعين المسلمين العرب القدامى ؛ اعترافا بفضلهم . بل لو ذهب مسلم إلى بلادهم ليتعلم ثم تفوق فى علمه أغروه بالبقاء ـــ كما أسلفت ليحتكروه .. فلا يشذ ويعود إلينا إلا كل متمسك بدينه معتز بوطنه ـــ وقليل ماهم .. !

لا ياشباب محمد ﷺ دينكم لايحرم الأخذ عنهم ـــ فى حدود ماينفعكم ولا يصادم عقيدتكم ، ولن يضيركم بعد ذلك متربص ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾ ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ (٢)

يأتباع رسول الله .. ياسلالة الأمجاد ... ياورثة الأنبياء .. الدور لكم فخذوا بالأسباب ، وعودوا إلى بارئكم فالله معكم ولن يتركم أعمالكم فسيروا على بركة الله ، ودعوا الكلاب تنبح والقافلة تسير .

ياشبابنا المثقف ﴿ .. **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه ، والذى خبث لايخرج** (٢) **إلا نكدا** ﴾ ... ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ... ﴾ . أكمل الآية وتأملها جيداً فى سورة الأعراف .

---

(١) من باب التغليب لأن الخطاب للذكر والأنثى على حد سواء .

(٢) وذلك من الدراسات الميدانية القرآنية كذلك .

وقد وعدكم الله ولن يخلف الله وعده ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات** (١) **ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنّن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدوننى لايشركون بى شيئا** .. ﴾ أجل .. ﴿ **يعبدوننى لايشركون بي شيئا** ﴾ ... فى ضوء قوله ــ سبحانه ــ ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .. ولله عاقبة الأمور** ﴾ .

إليكم ياشبابنا المثقف أسوق هذه الكلمة وأرسل هذه الزفرة الحارة وسوف أكشف اللثـام عن هـذه الحـيرة فيما بعد ــ إن شاء الله ــ ونضع أيدينا معا ــ فى ضوء كتاب الله ، وسنة رسول الله ــ على المخرج من هذه الظلمة فأنتم أشبال الدعوة ، وعليكم يقع العبء الأكبر فى هذا الدور .. فكونوا عند حسن الظن والله يهدينا وإياكم سبيل الرشاد .. آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) وذلك من الدراسات الميدانية القرآنية كذلك .

الباب الثاني

أيها الشباب المسلم ... هذه رسالتك

الفصل الأول : العقيدة الإسلامية

على هامش العقيدة ــ يقظة على أذان الفجر ــ من أنت ؟ ومن خالقك ؟ رسالة المخلوقات ــ حقيقة بدهية ــ أصناف الناس ــ من أى صنف أنت ؟ وعرفت ربك ــ ثم اعرف عدوك ــ واعرف تاريخ أمتك ولكن لماذا تكون العقيدة هي الإسلام ؟ .

الفصل الثاني : مع الملاحدة والعلمانيين

مع الملاحدة والعلمانيين ــ القبر سؤاله ونعيمه وعذابه ــ الحشر ــ الحساب : القنطرة والصراط والشفاعة والجنة ونعيمها والنار وعذابها أشراط الساعة وعلاماتها ــ إجمال واجب لتعميق العقيدة ــ نقاط على الحروف ــ تنقية الشفاعة ــ منكرو البعث وسخف مزاعمهم ــ عود على بدء : ولكن لماذا تكون العقيدة هي الإسلام ؟ - ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتى هي أقوم** ﴾. الدين بدأ مع خلق الإنسان. ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ فتح باب التوبة أمام البشر .

الفصل الثالث : المعجزات

حقيقة المعجزة ــ الكرامة ــ معجزة القرآن وكيف تختلف ؟ معجزة القرآن العالمية ــ تمزيق القرآن حواجز الغيب ــ القرآن وأحداث المستقبل ــ القرآن والعلم ــ القرآن وحقائق الكون ــ التصادم بين العلم والقرآن ــ دوران الأرض فى القرآن ــ القرآن والإعجاز التشريعى ــ تعليق لابد منه .

﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله** ﴾ .

على هامش العقيـدة

سنحاول فى هذا الباب ــ إن شاء الله ــ إلقاء الضوء على العقيدة الإسلامية أى بيان وتوضيح مدى أهمية الإيمان الإسلامي فى حياة البشر .. فهل هو على هامش الحياة ؟ أم هو ضرورة إنسانية .. لغوية عقلية فكرية ثقافية اجتماعية سياسية .. الخ ؟

وإذا كان ضرورة إنسانية .. فلماذا ؟ وكيف ؟ وما سر وجودنا فمن أين جئنا ؟ ولماذا أتينا ؟ وإلى أين نسير ؟ وما رسالتي فى الحياة ــ كإنسان مسلم ــ ؟ وما الطريق إذن ؟

أى .. لماذا أكون مسلما ؟ وما محتويات هذا الإسلام ؟ وكيف أكون مسلما ؟ تفصيل إجمالى للعقيدة ــ من الوحي والنبوات وأسماء الله الحسنى وصفاته الأزلية وحياة القبر ــ نعيمه وعذابه ــ والآخرة ، وما فيها من البعث والنشور ، والموقف ، والحساب ، والشفاعة والقنطرة والجنة والنار .. الخ (الإلهيات ــ النبوات ــ السمعيات) ثم لمحات سريعة عن نظام المجتمع المسلم ، وأصول التشريع ومنابعه ، والفكر الإسلامى وتطوره لدى المسلمين .. ؛ إذ ليس من موضوعات بحثنا ..

كل همنا فى هذا البحث أن نرد الأفكار الشاردة إلى الصواب ، والعقول الجامحة إلى التفكر والتدبر ، والقلوب الخاوية الحائرة إلى الأمن والطمأنينة ؛ إذ الأمن هو هدف كل إنسان ، حتى قال بعضهم (١) :ــ

لو لم يكن هناك إله لخلقنا إلها وعبدناه ، لئلا يسرق اللص متاعي ، ولئلا تخونني زوجتى .. ألم يقل رب العالمين ﴿ .. **الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ؟ ﴾ .

---

(١) من علماء القرن العشرين فى الغرب وغير المسلمين . راجع كتاب الإيمان والحياة د . يوسف القرضاوى (المقدمة) .

وقال عز من قائل لأب البشر آدم عليه السلام :

﴿ **إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى .!!!** ﴾ ــ كما أسلفنا ــ فمنذ خلق الله الأرض ومن عليها والإنسان يبحث عن الأمن فى كنف الخالق وهذه غريزة فطرية يتساوى فيها الإنس مع الجن . وجميع الكائنات الحية .

﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم** ﴾ .. ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات . كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون** ﴾ .. ويحكى القرآن الكريم مقالة الهدهد لسليمان عليه السلام ﴿ ... **وجدتُها وقَومَها يسجدون للشمس من دون الله** ﴾ فاعتبر السجود للشمس شركاً وإلحادا .. ثم هو يصحح العقيدة فيقول : ﴿ **ألاَّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء فى السموات والأرض** ﴾ فالفطرة ثم الحواس الظاهرة والباطنة ثم العقل .. كل ذلك يهدى إلى الخالق ويقود إلى العقيدة . ولكن العقل يخطىء ويصيب .. ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ..** ﴾ فإذا سئلوا . لماذا تعبدون الأصنام ؟ قالوا .. ﴿**إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ..** ﴾ ﴿ **فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ .

وهذه طبيعة البشر فى كل حين إلى يوم القيامة .. وهكذا قال « يورى جاجارين رائد الفضاء السوفيتى الأول » ــ كما سنفصله بعد ــ إن شاء الله ــ ولكن الوحي السماوي يصحح خطأ العقل فيرده إلى الأمن الحقيقى فى ظلال التوحيد .

فلما كان الإيمان بالله قضية الإنسان المصيرية . بل هو الحياة كما قال رب العالمين ــ سبحانه ــ ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون** ﴾ لماَّ كان كذلك كان لابد من التفكير فيه للوصول إلى الأمن . فهذا أبو التوحيد إبراهيم الخليل ــ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ يحكي عنه القرآن ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟ إنى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض**

وليكونَ من الموقنين .. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لاأحب الآفلين .. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ــ فلما أفل .. قال لئن لم يهدنى ربى لأكونَنَّ من القوم الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون .. إنى وجهت وجهىَ للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجّه قومه .. قال : أتحاجُّونِّي فى الله وقد هدانِ ؟ ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون ؟ ... وكيف أخاف ماأشركتم ؟!!! ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعملون ؟!!! ﴾

فأى الفريقين أحق بالأمن ؟ الأمن الذى ينشده كل البشر .. الأمن على النفس ، الأمن على المال ، الأمن على العِرض ... إلخ .. فينشده عند الذى يظن فيه القوة والقدرة على إخضاع الأقوياء من البشر ، فلا يظلمون غيرهم ، أو يجلب لهم المنفعة .. فمنهم من رأى ذلك عند البقرة ؛ لأنها تأتيهم باللبن فعبدوها ، وكذا المعز ومنهم من رأى ذلك فى الشمس فعبدوها ، ومنهم من عبد القمر ، ومن عبد البحر ومن عبد النار .. الخ .. وكل ذلك من خطأ العقل .. ولذلك يقول إبراهيم لقومه ــ وهم كثرة ، ومعهم قوة الأرض التى عبدوها ــ ولكنهم خائفون من إبراهيم وإبراهيم وحده ، وقلة مؤمنة ــ ولهذا يتحداهم ويقول القرآن الكريم ﴿ **فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ ...** ﴾

قذفوه فى النار ــ وهم خائفون ــ وهو غير خائف ؛ لأن معه خالق النار فيظل فيها وهى تتأجج ومن طبيعتها الإحراق ولكنها ليست إلّهاً فخيبت ظنهم ولم تجلب لهم الأمن .. أما رب إبراهيم فهو الإلّه الحق ، أمرها فانصاعت .. ﴿ **يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم** ﴾ بردا .. وسلاما .. إذ لو كانت بردا وثلجا فلم تكن سلاما .. فتحرق الحبال ولا تستطيع إحراق الثياب والبدن وإبراهيم فى غاية الأمن والطمأنينية حتى يأتيه الأمين جبريل فيقول له « ألك حاجة ؟ » فيقول إبراهيم : « أمّا لك فلا » .. فيقول : « ألربك ؟ » فيقول : « علمه بحالى يغنيه عن سؤالى » ثم يخرج من النار بعد ذلك وكان عند ربه يطعمه ويسقيه .. فبهت الذين كفروا !!! ولهذا يعقب القرآن الكريم عقب السؤال « فأي الفريقين ... الآية » فيقول جوابا على ذلك ﴿ **الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا**

إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴾ .

وهذا موسى عليه السلام ... يقول أصحابه ﴿ **إنا لمدركون .. قال كلا ؛ إنى معي ربي سيهدين** ﴾ إن معي ربي .. فهو آمن ، وفرعون الذى يقول : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ .. لايستطيع هذا الإلآه المزعوم المزيف أن يقول للماء انتظر حتى أمر وألحق بموسى ومن معه ، ولم يستطع أن يجعله ينطبق على موسى .. لماذا ؟ لأنه ليس بإلّه ، أما الله ـــ سبحانه ـــ فينجى موسى ومن معه أجمعين . ثم يغرق فرعون وقومه ويجعله مثلا للآخرين ، وهكذا كل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حتى يقول فرعون آخر الأمر ﴿ **آمنت أنه لاإلّه إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ (١) فلا أمن ، ولا سلام ، ولا طمأنينية ، ولا عدل ، ولا مساواة ولا رخاء ولا سعادة ، إلا تحت ظلال (لا إلّه إلا الله محمد رسول الله) ...

فهذه العقيدة ـــ عقيدة التوحيد ـــ هى الإيمان الحق .. أما الإيمان بالوطنية أو القومية أو الأرض أو الجنس أو .. أو .. الخ .. فلا تسمى عقيدة ولا تسمي إيمانا .. قل هى فكرة أو نظرية أو رأى .. أما العقيدة الحقة فهى عقيدة التوحيد ؛ لأنها تحل لغز الوجود وتفسر سر الحياة والموت ، وتجيب على الأسئلة التقليدية الحائرة (من أين جئت ؟ ولماذا أتيت ؟ وإلى أين أسير ؟ ومَن ربى ؟ وما رسالتى ؟ .. الخ) فلن تجد إجابة شافية إلا فى هذه العقيدة الإسلامية الخالدة التى هى رسالة جميع الأنبياء .. ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾.. ﴿ **وَوصَّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يابَنيَّ : إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ فإذا ماألقينا الضوء على هذه العقيدة وأجبنا على هذه الأسئلة الحائرة نكون قد بلغنا الهدف ، ودلفنا إلى الإيمان بمعرفتنا هذا المدخل للعقيدة ، ونكون قد حددنا موقفنا ، وعرّفنا البشرية أنه لابد للإنسان من عقيدة .. ولكن لماذا تكون العقيدة هى الإسلام ؟ فـ (الحمد لله الذى هدانا لهذا . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

---

(١) أقر القصة فى كتاب الله الكريم وما أكثر ماذكرت بأساليب المعجزة ـــ والآية فى سورة يونس رقم ٩٠ ﴿ **وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إلّه إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾

واليكم ياشباب الأمة الإسلامية تساق هذه الكلمات المتهادية وسط التيارات الفكرية المعاصرة الجارفة التى تغزونا من الشرق والغرب على حد سواء كالسيل العرم — فى حملات متتابعة — مركزة ونشيطة ، منتظمة ومدروسة ، مسددة بإحكام إلى صميم قلوبنا ، حيث هى معاقل توحيدنا، والقضاء عليها هو الغاية المقنعة والهدف المستتر وراء الغزو العسكرى تارة ، ونشر المدنية تارة أخرى ، وحماية الأقليات أحيـاناً كثيرة ، والمحافظة على الأمن والسلام الدوليين أحيانا أكثر .. ثم إنهاض الدول النامية أخيرا — وليس آخراً — يتخلل كل ذلك تبشير (١) من جانب ونشر الإلحاد من جانب آخر .. ولهذا الهدف المشترك اجتمع الأعداء .. وعلى هذه الغاية تحالف اللصوص — رغم اختلافهم فى المبادئ والعقيدة .. ولكنه الكيد للإسلام وإلا فكيف يضيع دم المسيح هدرا ؟ (٢) دم ربهم يضيع هباءً ويبرئ النصارى بنى يهود من دمه ؟ فليكن ولا تقوم للمسلمين قائمة ﴿ **بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** .. ﴾ أجل ... اختلاف فى كل شيء .. ثم اتفاق على شيء واحد .. ألا وهو قتل هذا الدين ومحو هذه العقيدة .. هدف ماهم ببالغيه ، وغاية لن تتحقق .. ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ .

إن هذه العقيدة نسيج وحدها .. إنها جيش من نوع فذّ يغزو بسرعة ، ويسيطر فى هدوء ، ويدمر مايقف فى طريق زحفه ومده .. إنها شبح يرهب الأفاكين .. إنها نار تحرق الظالمين ، ونور يضيء الطريق للمهتدين .. إنها سلاح من نوع غريب لايغلب مهما تكسر فهو لايفنى ولا يبيد . بل سرعان مايلم شتاته من جديد يهرم حامله ويشيخ — وهو شاب صنديد — يظل حيا ينبض حتى يأتى من يحمله من جديد ... إنها كائن حي وخلية متجددة ... إنها نووية ذرية ... (٣) إنها عقيدة ربانية ؛ أخفقت كل الأسلحة الكافرة فى القضاء عليها ..

---

(١) راجع كتب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للشيخ ابى الحسن الندوى . الغارة على العالم الإسلامى للأستاذ محب الدين الخطيب ، وحضارة العالم الإسلامى .

(٢) وهذه عقيدة النصارى ولكن القرآن يقول ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه** .. ﴾ .

(٣) ان جاز لنا ان نستعير هذه الأساليب .

فليجربوا أسلحة أخرى . فقد تقتل الفكرة [1] بالفكرة ، فهبت الريح الكريهة بالأفكار المسمومة والنداءات المحمومة ، فاستقطبت بعض العناصر الضعيفة والبراعم ذات الجذور الهشة فانجذب إليها السذج والبسطاء — ونسوا أن العقيدة غير الفكرة والنظرية والرأى — فوقفت العقيدة شامخة سامقة لاتزعزعها العواصف الهوج وظلت فى العقول السليمة والقلوب المؤمنة كُريات دم بيضاء تبتلع كل جرثومة غريبة .. صحيح قد تصاب بالوعكة– أستغفر الله –قد يصاب بعض أصحاب هذه العقيدة — أما هى فتظل حية باقية إلى أن يكتب الشفاء لحامليها فيبدأ الصراع من جديد — وأمام هذا التحصين الإلٓهى — تتفتق بأساليبه المختلفة — عن سلاح جديد يصيب هذا الكائن الحي — العقيدة الإسلامية — بالشلل تارة ، والتشوية تارة أخرى أو بالتخدير والجمود أحيانا .. المهم هو تعجيز هذا الكائن عن الحركة والانتشار والمد الذى لايتوقف !!

وقد نجحوا فعلا — إلى حد بعيد — ككل سلاح جديد استعملوه من قبل — ولكن إلى حين !!!

فإلى متى ياشباب ؟ إلى أن يحمل هذا الكائنَ شبابٌ فتي قوي .. قوي فى كل شيء ﴿ **وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة** ﴾ قوة نكرة — والنكرة شائعة فى كل أفراد الجنس أي قوة ، كل قوة !!!

أيها الإخوة : إن هذا الكائن حي فى أعماقكم يناديكم ويستصرخكم من داخلكم .. أنا باق .. أنا حبيس .. حلوا وثاقى ، فكوا إسارى .. إن الخدر بدأ يزول عنى ... انطلقوا بى أحقق لكم المعجزات .. أسترد لكم مأأخذ منكم ... أطهر مادنسه الصليبيون بأرضكم ، والملاحدة والحانقون بساحتكم انطلقوا بى فى الآفاق أرفرف بالسلام ، وأحقق العدل والأمن والطمأنينة والرخاء والمساواة والهدوء والعلم المؤمن ، وأعيد للعالم الوئام ، وأسبح بخالق الأنام ، ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء** ﴾ [2] .

---

(١) لأنهم يحسبون الإسلام فكرة — لاعقيدة — فهو من باب المشاكلة اللفظية، وقد عرفت الفرق بين الرأى أو النظرية ، أو الفكرة ، وبين العقيدة — وراجع ذلك فى كتاب : الإيمان والحياة .

(٢) راجع المعجم المفهرس لآيات القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي .

ياشباب : إنها عقيدتكم [١] .. إنها لا إلّه إلا الله محمد رسول الله .

أخى المسلم :ــهذه هى عقيدتك السليمة ، إنها العهد والميثاق بينك وبين خالقك ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ؛ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** [٢] **أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم .. أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟** ﴾ صدق الله العظيم .

أخى المسلم :ــ هذه العقيدة وهذا الميثاق هو رسالتك فى هذه الحياة ﴿ **وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون** ﴾ ومعرفة حقيقة هذه الرسالة ومبادئها هو ماسنعالجه معا ــ إن شاء الله ــ ولكن على هيئة أضواء كاشفة فقط وعلامات على الطريق فحسب ، لترتاده أنت بنفسك فى أمان واطمئنان فلعلنا نصحو على أذان فجر جديد ــ إن شاء الله ــ .

يقظة على أذان الفجر :

فى الفترة ــ من تاريخ أمتنا ــ التى غفوناها ، وطال فيها رقادنا واستسلامنا ، نشطت الجراثيم ــ كما عرفنا سلفا ــ فتغيرت الأحوال وانعكست الأوضاع ، واختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل ، وشوهت الحقائق ، وشاهت الرؤية ، فتنكب به كثير من شبابنا الطريق ؛ بغية البحث عن شيء يملأ فراغ قلوبهم ويصحح ماامتلأت به عقولهم من أوهام ، فخلب أنظارهم بريق الشعارات وطفرة العلم الخاطفة التى سبقنا بها الأعداء أيام إيقاظنا لهم من رقادهم ؛ فنهلوا من علومنا ومعارفنا وترجموا وطوروا ، ثم شغلتنا أموالنا وأهلونا وأخذتنا نشوة النصر فَرُحْنَا فى سبات عميق ، وانحسر المد الإسلامى فانحسر ظله وتقلصت أطرافه ، وتفرقت أمته شيعا وأحزابا ودويلات ــ سهل التهامها ــ وتخلفنا عن ركب الحضارة وواكبوها ، [٣] فانبهر السذج والبسطاء من المسلمين بالتفوق « التكنولوجى » حتى ظنوا ــ خطأ ــ أو قل : إنهم انساقوا وراء الدعوة الفاجرة التى تقول بأن

---

(١) راجع كتاب معركة المصحف للشيخ محمد الغزالى .

(٢) أول الانحراف عن المنهج غفله ثم تقليد أعمى (راجع شريط منهج الله) للشيخ محمد الشعراوى وكل ذلك من الدراسات القرآنية التى يقدمها القرآن للمسلمين ــ وهم عنها غافلون ــ

(٣) راجع ماقلناه فى هذا الصدد بكتاب » حاضر العالم الإسلامى » .

الدين معطل لركب الحضارة ومثبط لهمم الباحثين ، ومخدر للشعوب . وكذبوا ، فإن ديننا ينبذ الجمود ويثور على الركود الجسمي والفكري والقلبي ، وصدق رسول الله ﷺ « **لاطلعت عليَّ شمس يوم لم أزدد فيه علما** » « **من سلك طريقا فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة** » أو كما قال ﷺ أقول : سحر بهذه الطفرة المراهقون فكريا حتى أصيبت أفكارهم بالشلل وعقولهم بالخدر ، وقلوبهم بالوهن ، وأجسادهم بالترهل والتكرش — ولكن إلى حين ... ؛ فقد أذن فجر جديد يشي يصبح جديد .. فقد نشطت الدعوة الإسلامية — رغم كل ماقوبلت — وتقابل به — من محاولات آثمة — لافى جنبات العالم الإسلامى فحسب .. بل فى أرجاء المعمورة ، فهنا رابطة العالم الإسلامى ، وهناك المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومنظمات عالمية ، ومراكز إسلامية ومؤتمرات دولية — وإن كانت لاتشكل مدًّا إسلاميا مشابها للمد الأول ، وإنما هى مؤشرات لظاهرة صحية — والأهم من كل هذا صحوة دينية فى معظم البلاد الإسلامية تجتاح الشاب – لظاهرة صحية – فتيانا وفتيات – بالرغم من كل المعوقات الإعلامية المختلفة — مما يبشر بميلاد فجر جديد .. فهي على أى حال — معالم فى الطريق .. (١) .

وكأنى بكل هذه المؤشرات الدولية والفردية تصرخ فينا وتقول : ﴿ **ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .. ؟ ولا يكونوا كالذين أوتو الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾

﴿ **.... إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله .. وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين** ﴾ (٢) .

أقرأ الآيات بإمعان وتدبرها فى سورة النساء من ١٣٢ إلى آخر السورة وأنت ترى العجب العجاب ....

---

(١) راجع كتاب الدكتور يوسف القرضاوي الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .
(٢) وهذا أيضا من الدراسات الميدانية .

مـــن أنـــت ؟ :ـــ

أيها المسلم : (١) إذا أردت أن تعرف رسالتك فى هذه الحياة فاعرف نفسك أولا ......

وجه لنفسك هذا السؤال .. من أنا ؟ فسوف تسمع داخلك .. من أعماق نفسك تلك الإجابة الفطرية .. أنت خلق من خلق الله ـــ سبحانه ـــ خالق السموات والأرض وما بينهما ... أنت الآدمى ترابي الأصل ، طيني المنشأ .. ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار** .. ﴾ .. ﴿ **إنّ مَثَل عيسى عند الله كَمَثَل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون** .... ﴾

أنت الذى حباك ربك فخلقك فى أحسن تقويم ، أنت الذى آثرك خالقك فسواك فعدلك فى أي صورة ماشاء ركبك ؟!!!

برغم أنه جعل من الماء كل شيء حي إلا أنه خصك من دون الأحياء فأنشأك خلقا آخر ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين** .. ﴾

ويفاجأ الملاحدة ـــ بعد عشرات القرون ـــ بأن علوم التشريح والتحاليل الطبية والحفريات تثبت أن الإنسان من طين .. مكونات جسمه هى مكونات الأرض .. وإذا مات الإنسان .. خرج منه آخر شيء نفخ فيه من روح الله ـــ وهو روحه ـــ ثم يجف دمه وماؤه فيتصلب ويكون ذا رائحة كريهة ، ثم يتفتت ويعود إلى أصله الترابى .. وصدق الله العظيم ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار .. وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ .. وهكذا يقول إبليس : « أأسجد لمن خلقت طينا ؟ .. » « .. خلقتنى من نار وخلقته من طين » .. واقرأ بتدبر قوله تعالى ﴿ .. **الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى .. كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النُّهى** (٢) .. **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ .

---

(١) وياأيتها المسلمة .

(٢) أى لأدلة وبراهين لأصحاب العقول .

قف طويلا ــ متأملا عند قوله تعالى ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** .. ﴾ ثم اربط بين هذه الحقيقة والتى قبلها .. ﴿ **كلوا وارعوا أنعامكم** ﴾ .. فالطين لايتغذى إلا على الطين والروح لاتتغذى إلا على الروح .. فهل إذا جعت ثم صليت وسبحت وأتيت من الروحيانيات الشيء الكثير فهل يذهب عنك الجوع ؟ كلا : أما إذا أكلت تفاحة مما يخرج من الأرض أو عنبا أو موزا .. إلخ ، فذهاب الجوع مؤكد لامحالة ، وإذا أصابك همٌّ أو غمٌّ أو كآبة أو حزن أو أرق .. إلخ ، ــ مما هو نفسى ــ .. فهل إذا أكلت قنطاراً من الموز أو طنا من التفاح . أيذهب عنك ماألَمَّ بنفسك آآ لا . قم فصل ركعتين أو استعذ بالله من الشيطان الرجيم أو استغفر الله يذهب عنك فورا .. وصدق رسول الله العظيم الذى كان يقول لصاحبه بلال ــ رضى الله عنه ــ عن الصلاة : « **أرحنا بها يابلال** » وكان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر فزع إلى الصلاة ..وصدق الله العظيم ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ... ﴾

أعتقد أنك الآن على بينة من أمرك ــ والحمد لله رب العالمين ــ ولكن كيف ترد على من ارتكست فطرته وتنكر لأصله وألغى عقله وقال : بأن الإنسان أصله قرد ؟!!!

لاشك أن نظريته التى هى أو هى من بيت العنكبوت لن تثبت أمام عقيدتك وأمام الحقائق العلمية الحديثة الدامغة من حفريات وتشريح .. ؛ حيث إن الكفار مثله ــ وهم علماء تقنيون ــ عثروا على حفريات لِقَدَمِ إنسان ثبت وجوده قبل وجود القرد بملايين السنين .. والتشريح أثبت أن جمجمة القرد مستطيلة والإنسان شبه مستديرة .. وهرمونات كل فصيلة تختلف اختلافا بينا . ثم وجه إليه السؤال الآتى : إن نظرية الارتقاء والتطور تكون فى جنس واحد مثلا تصير النطفة علقه ثم مضغة ثم المضغة عظاما ثم .. ثم الخ ماجاء وصفه فى كتاب الله الحكيم .. أو نطور الذُّرة أو القطن مثلا ونهجنه فنحسن سلالته ، أو البهائم كذلك بالتهجين العلمي ، فالعجل البقرى هو هو لايصير كبشا ولا الذرة تصير قمحا .. ولا النخل يصير بطيخا ..

ثم اسأله سؤالا بدهيا ــ كان يجب أن يسأله لنفسه لو كان يعقل ــ لماذا لم يتطور القرد الحالى ؟ وماذا كان أصله ؟ ولماذا لم يتطور الإنسان ؟ .. فليكن

هو إن شاء قردا وإن شاء خنزيرا أو حمارا . ولكن أتدرى ـــ أخي المسلم ـــ مامنشأ النظرية ؟ ... إن داروين يهودى صهيوني النزعة والفكر (١) ككل اليهود ـــ مصاب بعلة الإسقاط التى يقول عنها علماء النفس ـــ وهى الانسلاخ من الصفة غير المرغوبة وخلعها على الغير ـــ فلما وصفهم الله فى قرآنه بأنهم حمير .. ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثَل الحمار يحمل أسفاراً** ... ﴾ خرج من أصلابهم من يقول فى سفر التكوين محرفاً للتوراة : « إن الأميين (٢) خلقهم الله حميراً ليركبهم اليهود » ولما قال رب العالمين ﴿ .. **جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت** .. ﴾ خرج من يقول بأن الإنسان قرد .. (٣) ولما وصفهم ـــ سبحانه ـــ بقوله ﴿ **ضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله** .. ﴾ قالوا والنصارى .. « نحن أبناء الله وأحباؤه .. » فقال رب العالمين لرسوله ﷺ ﴿ **قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق** .. (٤) ﴾

أتدرى : لماستعمرهم « بختنصر » . حكم عليهم بماذا ؟ بتطويل شعورهم وسوالفهم فخرج من صلبهم من يصنع الهبية والخنفسة ليقلدهم الأغبياء وقد كان !!!

أعرفت الآن من أنت ؟

أنت الذى كرمك الله وفضلك على كثير من خلقه ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ... ﴾ .

أنت الذى جعلك الله خليفة فى أرضه ، وَبَاهَى بك ملائكته ﴿ .. **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة .. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إنى أعلم**

---

(١) وإن كان إنجليزى المولد نصراني الديانة .

(٢) الأميون فى عرفهم كل من عداهم .

(٣) فاستغلوا نظريته أسوأ استغلال ـــ كعادتهم ليخدم مخططاتهم .

(٤) راجع ماقلته مجملا فى أول الكتاب .. ففى التكرار فائدة عظيمة . كما قيل : « فى الاعادة إفادة » ثم كتاب : الإسلام ونظرية داروين.

مالا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .. قالوا : سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم .. قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم . قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ﴾ .

أنت الذى سخر لك الخالق كل مافى الكون .. ﴿ **سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه** .. ﴾ حتى ملائكته الأطهار سخرهم لخدمتك — أنت أيها الآدمي الترابي — حتى جعل منهم حفظتك .. ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** .. ﴾ ﴿ **وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين .. يعلمون ماتفعلون** ... ﴾

وجعل منهم من يستغفر لك . ومن هم ؟ إنهم حملة العرش ... ﴿ .. **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ... ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما .. فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم .. ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .. إنك أنت العزيز الحكيم .. وقهم السيئات ومن تق السيئات يؤمئذ فقد رحمته .. وذلك هو الفوز العظيم** .. ﴾

ولكن .... مأأظلمك أيها الإنسان ! .. تلغى عقلك وتصم أذنيك وتغمض عينيك وتغلق قلبك وتعطل أحاسيسك .. وكل مافى الوجود يناديك .. أنا خلق من خلق الله سخرنى ربى لخدمتك .. ثم يقـول الجاحدون .. لست أدرى كيف جئت ولا من أين أتيت (١) ويقول آخرون إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع

---

(١) راجع ماقلته سلفا على لسان إيليا« أبو ماضى » واقرأ ماروى عن عمر الخيام فى الرباعيات .. وهو يقول بعد انتهاز فرصة العمر وقضاء الشهوات :

لبست ثوب العيش لم أستشر — وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف انضو الثوب عنى ولم أدرك — لماذا جئت أين المفر ؟ ...

ثم هو فى النهاية — ككل الشاكين — من أمثال طه حسين ومصطفى محمود و .. الخ يقول :

ان تفصل القطرة من بحرها — ففـى مداه منتهى أمرهـا
تقـاربت يارب مابيننـــا — مســافة البـعد علـى قــدرها
ياعالم الأسرار علم اليقين — ياكاشـف الضر عـن البائسين
ياقابل الاعذار عدنا إلـى — ظلك فاقبل توبة التائبـين

وما يهلكنا إلا الدهر .. وصدق الله العظيم ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .. لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل .. أولئك هم الغافلون ..** ﴾

وستعرف الكثير عن صفات هؤلاء عندما نتحدث عن أصناف الناس ﴿ **قتل الإنسان .. ماأكفره ؟!!! من أى شيء خلقه ؟ من نطفة خلقه فقدره .. ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره .. ثم إذا شاء أنشره .. كلا لما يقض ماأمره .. فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا . ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا ... متاعا لكم ولأنعامكم** ﴾ صدق الله العظيم . وبلغ رسوله الكريم .

هل عرفت أيها الإنسان من أنت ؟ أنت ذرة — من خلق الله — فى هذا الكون ﴿ **هل**(١) **أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا .. إنا هديناه السبيل إمّاشاكرا وإما كفورا** ﴾ .

أخى المسلم : أعتقد أنك عرفت من أين جئت ؟ وما حقيقتك ؟ وهذه الحقيقة تسلمك إلى حقيقة أخرى هى « لماذا جئت » وستعرف ذلك تفصيلا — إن شاء الله — عند الحديث عن رسالة الإنسان فى الحياة . أنت قبضة من تراب لكنها قبضة تختلف عن القبضة التى ثبتت فى أذهان الماديين من الحيوانية والمادية التى يتكون منها جسم الإنسان فى نظرهم (مادة بدون روح) ولا نفخة من السماء يتميز بها هذا الكائن الفريد !! إنهم فى نظر أنفسهم — حيوان متطور —

أما الإنسان فى نظر العقيدة الإسلامية فهو قبضة من طين نفخ فيها رب العالمين من روحه — كماأسلفنا — فأنت أيها الإنسان مخلوق كريم على الله ، خلقه فى أحسن تقويم وصوره فأحسن صورته ، خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وميزه بالعلم والإرادة — كماقدمت — (٢) وقد عمدت إلى

---

(١) الاستفهام هنا تقريرى — والمعنى قد أتى .

(٢) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى فصل : الإيمان وكرامة الإنسان . وكتاب الشهيد سيد قطب خصائص التصور الإسلامى ومقوماته .

التكرار لتثبت هذه الحقيقة — التي تخفى على الكافرين — فى الذهن البشرى حتى يدلف القارىء إلى الحقيقة العظمى وهى معرفة الله .

ومـن خالقـك ؟

أيها الإنسان : إذا عرفت نفسك عرفت خالقك .. وقديما قال العربى البدوي — وهى مقالة كل إنسان سوي الفطرة — « البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير .. أفلا يدل الخلق على أن الله هو اللطيف الخبير ؟ » ﴿ .. **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** .﴾ إلا إن كل شىء فى الوجود يناديك .. أنا خلق من خلق الله .

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

سبحانه سبحانه !!! ﴿ **خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا .. وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ، وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون** ﴾ .

سبحانه سبحانه ..! ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو** .. ﴾ (١)

ثم انظر إلى أبيك إبراهيم الخليل إمام التوحيد .. ﴿ **وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ الآيات (٢) لتعرف كيف استعمل عقله واستغل هذه الجوهرة العظيمة — العقل — الذى كرمه الله به على كثير من خلقه حتى توصل إلى معرفة الله .

سبحانه سبحانه !!! ﴿ **فالق الحب والنوى يُخرج الحيَّ من الميتِ ومُخْرِجُ الميتِ من الحى** ﴾ ... الآيات (٣) .

سبحانه سبحانه !!! ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يُخرج الحيَّ من الميتِ ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون** ... ﴾ (٤)

---

(١) اقرأ إلى آخر الآيات من ٥٩ إلى ٦٧ من سورة الانعام .

(٢) اقرأ إلى آخر الآيات من ٧٤ إلى ٨١ من سورة الانعام .

(٣) اقرأ إلى آخر الآيات من ٩٣ إلى ١٠٤ من سورة الانعام .

(٤) اقرأ إلى آخر الآيات من ١١ إلى ٢٨ من سورة الروم .

وغيرها وغيرها كثير فى كتاب الله ولا تكاد تخلو سورة منه إلا وفيها إشارة إلى وجوده ووحدانيته وكما له ولو لم يكن فيه إلا سورة الإخلاص لكفت العاقل العادي من البشر فى الوصول إلى معرفة خالقه ــ سبحانه ــ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ صدق الله العظيم .

وأنت أيها المسلم ــ ولله الحمد والمنة ــ لست فى حاجة إلى مزيد من الأدلة ؛ فقد آمنت بوحدانيته ، وصدقت برسالة رسله وأنبيائه ، وخاتمهم ــ ﷺ . وآمنت بالبعث والنشور .. كلها علامات على الطريق ، وأسلحة تدفع عنك أذى الملحدين ، ومكر الجاحدين ، ولؤم المبشرين .. بل وتخرس ألسنة المتنطعين والشاكين بالبيان الساطع والحجة الدامغة ، وتعشي أبصارهم وينقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير وتقول لهم ــ فى عزة الموحدين ومنطق المؤمنين : ﴿ **هذا خلق الله ... فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ .. ! بل الظالمون فى ضلال مبين** ﴾ .

﴿ **ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له .. إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ــ ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب** [1] **شيئا لايستنقذوه منه .. ضعف الطالب والمطلوب ... ماقدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز !!!** ﴾ .

وبعد هذه الجولة التفكرية القصيرة جدا جدا تستطيع أن تقول ــ فى ثقة ــ الآن عرفت لماذا أتيت إلى هذا الوجود ؟ ولماذا خلقت ؟ .. أو تؤخر الجواب قليلا إلى حين ... حتى تعرف رسالة المخلوقات ثم أصناف الناس ، ثم من أى صنف أنت ؟ .. فسأوافيك بشيء من التأملات الكونية ــ وما أكثرها لا من باب الترف العلمي بل من باب الصفاء الروحي والاطمئنان النفسى والدواء

---

(١) وتجب هنا وقفة تأمل .. لماذا ضرب الله ــ عز وجل ــ بالذباب مثلا ؟ كان الجواب خافيا على كثيرحتى اكتشف الطب أن أى مخلوق آكل يمكن استخلاص المأكول منه من المعدة أو الحوصلة .. الخ إلا الذباب فان مايتناوله يتحلل فى الفم مباشرة ولا يمكن استخلاصه منه واستنقاذه ــ « ضعف الطالب والمطلوب » وصدق الله العظيم ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شهيد .. ؟ ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم .. ألا إنه بكل شيء محيط** ﴾ .

الفكري والتسلح العَقَدِي لتدفع بالحق — الذين تدين به — باطل السفهاء والحمقى بمعرفتك لخالقك .

رســـالة المخلوقات :

إن كل مخلوق — فى هذا الوجود — من غير بنى آدم — يؤدى رسالته التى خلقه الله لها على الوجه الأكمل . وهى تسبيحه وتحميده وتقديسه — جل شأنه — ﴿ **ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته** .... ﴾

﴿ ... **والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه** ... ﴾ ﴿ **وإن من شيء إلايسبح بحمده ... ولكن لاتفقهون تسبيحهم** ﴾ ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ...وكثير** [1] **من الناس وكثير حق عليه العذاب ..! ومن يهن الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل مايشاء** ﴾ ويجب هنا الوقوف طويلا وقفة تعجب ، ثم تأسف وتحزن على ابن آدم — الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه .. بل وسخر له كل ماخلق ﴿ .. **سخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ — كما أسلفنا منذ قليل فارجع إليه لعلك تدرك قيمة تكرار هذه الآيات ﴿ **قتل الإنسان .. ماأكفره** ﴾ ! وخاب ظنه فى الإفلات من عذابه ، اعتمادا على رحمته أو سفها وحمقا ، فسبحانه ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب** ﴾ ﴿ **وكثير حق عليه العذاب** ﴾ ﴿ **ومن يهن الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل مايشاء** ﴾ ﴿ **فمهل الكافرين أمهلهم رويدا** ﴾ .

أعود — بعد هذا الاستطراد الذى دعته الضرورة — فأقول : الكائنات كل الكائنات تؤدى رسالتها كاملة حتى إبليس اللعين ﴿ **قال : أنظرنى إلى يوم يبعثون قال : إنك من المنظرين .. قال : فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين .. قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾ وما قصر الرجيم اللعين فى رسالته — وسيظل

---

(١) جميع الخلائق بلا استثناء . وفى جانب الإنسان .. « وكثير من الناس » لا كل الناس .

هكذا إلى يوم البعث ـــ يوم يسخر من متبعيه : ﴿ **وقال الشيطانُ لمال قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم .. ماأنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخِيّ إنى كفرت بما أشركتمون من قبل .. إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾

ليت الإنسان المغرور الكفور قلد الهدهد فى مقالته لسليمان ـــ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم [1] ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله .. وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ .. ﴿ **خاشعا متصدعا من خشية الله** . !!! ﴾ أما الناس ... فقد قُدَّتْ قلوب أكثرهم من صخر ... ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة .. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله .. وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ . وأسفاه .. أنت ياابن آدم والجن فقط الصنفان اللذان امتازا من المخلوقات .. أنتما فقط ﴿ **فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير** ﴾ وياويل الكافرين من عذاب الله ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ .. اللهم اجعلنا من الذين يرجون رحمتك ويخافون عذابك .

ولو استباح بعض الجن لنفسه أن يكفر بنعمة الله فهو من ذرية إبليس ﴿ .. **كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ فما كان للإنسان أن يجحد نعمة خالقه ـــ وقد حذره ـــ ﴿ .. **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ـــ وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا** ﴾ ..! مع أن الصالحين من الجن قالوا : ﴿ **إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا مااتخذ صاحبة ولا ولدا** ﴾ والآيات من سورة الجن . بل ودعا بعضهم إلى توحيد الله .. ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي وَلَّوْا إلى قومهم مُنذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لايجب داعي**

---

(١) راجع ماقلناه سلفا فى هذا المجال لتعميق الفكرة فى قلبك .

الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين ﴾ الآيات إلى آخر سورة الأحقاف .

حتى الدعوة إلى الله فقهها الجن .. ويقول الشذاذ من بنى آدم : المسيح ابن الله ــ عزير ابن الله .. إن الله ثالث ثلاثة .. الخ هذا الهراء بل وكثير منهم فاسقون ينكرون وجود الله ــ وهم من خلقه ــ ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾

﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً** .. ﴾ ويقول المسيح عليه السلام ــ كما يحكى القرآن الكريم .

﴿ **... سبحانك مايكون لى أن أقولَ ماليس لي بحق ... إن كنتُ قلتُه فقد علمتَهُ .. تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب .. ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن أعبدوا الله ربِّى وربَّكم وكنتُ عليهم شهيدا مادمتُ فيهم فلما توَّفيْتَنِى كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كل شيء شهيدٌ** .... ﴾ الخ سورة المائدة .

وصدق الرسول الكريم فيما يحكيه عن رب العزة قال مامعناه : « **إنى والإنسَ والجنَّ فى نبأٍ عظيم ... أخلُق ويُعبَدُ غيرى ، وأرزُق ويُشكَر سواي .. خيريِ إلى العباد نازل وشرهم إلي صاعد ... أتقرب إليهم بالطاعات ــ وأنا الغنيِ عنهم ، ويتبغّضون إلى بالمعاصى ــ وهم أحوج شيء لدىّ ــ من أقبل علىّ منهم من بعيد تلقيتُه من قريب ، ومن أعرض عنى منهم من قريب ناديته من بعيد ... أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل شكريِ أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل محبتى ، وأهل معصيتى لاأقنطهم من رحمتى .. إن تابوا إليّ فأنا حبيبهم فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين وإن لم يتوبوا إليّ فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من الذنوب والمعايب . الحسنة عندى بعشر أو أزيد ، والسيئة عندى بواحدة أو أعفو ..! حلمى سبق مؤاخذتى وعفوى سبق عقوبتى ورضاى سبق غضبي .. وأنا أرحم من الوالدة بولدها** .. » .

أخى المسلم : ألست معي في أن الإنسان ظلوم كفار ؟ ..!! وأنه قد انحط بنفسه ــ المكرمة ــ عن الحشرات والحيوانات ، حيث بلغ به جهله وعدواته

لنفسه أن كل مخلوق يؤدى رسالته على الوجه الأكمل ــ كما أسلفت ــ وهو لم يكتف بضلاله بل أضل غيره ولم يبلغ لأخيه الإنسان مبلغ النملة الحشرة لأخواتها ﴿ **قالت نملة يأيها النمل ادخُلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون** ﴾ ولا فقه الهدهد ولا الجن الصالح .. وجدير بعلماء الحيوان والنبات والبحار والأنهار والأفلاك والتربة .. الخ أن يوضحوا للآدميين ــ مثلهم ــ كيف تقوم هذه المخلوقات بوظائفها وكم هي تؤدى رسالاتها فى ممالكها .. ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم البُكْمُ الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهمْ . ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون !!!** ﴾ ولكني أعود فأقول : ﴿ **قتل الإنسان .. ماأكْفَرَه ؟!!!** ﴾ .

حقيقة فطـــرية :ــ

بعد هذا الاستعراض لرسالة جميع المخلوقات فى هذا الوجود نصل إلى حقيقة حتمية : وهى أن الإنسان مخلوق ، بل مخلوق مكرم ... إذن فلابد له من عقيدة يدين بها .. وهو منذ وجوده على ظهر هذا الكوكب يبحث عن الله .. لماذا ؟ . لأن قضية الإيمان ليست هامشية على حافة وجوده . أوْ نافلة بل هى حيوية بالنسبة له ... بل هى قضية مصيرية ؛ فكل إنسان فى الوجود ينشد السعادة المنبثقة عن الأمن والاستقرار والطمأنينة .. وصدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول لآدم : ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ .. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ .. بعد قوله فى سورة الفيل ﴿ .... **فجعلهم كعصف مأكول** ... ﴾ ﴿ **لإيلاف قريش** ... ﴾

فالعقيدة قضية مصيرية بالنسبة له .. ولذا يقول كثير من الفلاسفة والحكماء من غير المسلمين « لو لم يكن هناك إلّه لخلقنا إلّها وعبدناه لأنه لو لم يكن فيه إلّه لسرق اللص متاعى ، وخانتنى زوجتى فهو يبحث دائما عن الأقوى الذى يؤمّنه .. فبدأ يبحث عن هذه القوة .. عن الإلّه الذى يؤمنه .. ولكنه كثيرا ماكان يخطىء .. وجد هذه القوة أحيانا فى الشمس أو القمر أو النجوم أو البحر أو النهر أو البقرة ــ كما أسلفنا .. إلخ . ماظنه مصدر قوة أومنفعة فعبده ، وكثيرا

ماصنع أصناما بيديه وعبدها لتقربه إلى الله زلفى .. ومن ثَم كانت رسالة الأنبياء .. لهداية البشرية الضالة إلى نور الحق والهدى والإيمان بالله خالق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم .. إلخ . وكلها مسخرات بأمره ـــ سبحانه .

وهاكم الخليل إبراهيم أبو التوحيد .. ﴿ **وإذ قال إبراهيم** (١) **لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟!!! .. إنى آراك وقومك فى ضلال مبين .. وكذلك نُرى ابراهيم ملكوتَ السموات والأرض وليكون من الموقنين .. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى .. فلما أفل قال لاأحب الآفلين .. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى . فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين .. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى .. هذا أكبر .. فلما أفلت .. قال ياقوم إني برىء مما تشركون** .. ﴾ من سورة الأنعام .

* * *

رســـالة الإنســـان :

ولقد عرفنا فيما سبق .. أن وجود الله سبحانه .. من البَدَهِيّات التى تدركها الفطرة ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ؛ لما اختلف على وجوده مؤمن ولا ملحد .. ﴿ **أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟** ﴾ ... ﴿ **لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ والبيئة الأنانية شديدة الخطورة على الفطرة ، فهى تشوهها ، وتورثها من العلل مايجعلها تعافُ العذب وتسيغ الفج ، ولئن كنا فى عصر عكف الإنسان فيه على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر لربه فإن ذلك يقع على أم ناصيته ولن يضر الله شيئا ... ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله بغير**

---

(١) وهنا يحسن التكرار ... كما أسلفت ، لتعميق المفاهيم الإسلامية والتصورات المنهجية ..

وللحرية الحمراء باب * بكل يد مضرّجه يدق

أولى بذى الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواي أن يلجا

علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله .. له فى الدنيا خزى .. ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ .. ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن إصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجْهه.. خسر الدنيا والآخرة .. ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله مالا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير .. ﴾ .

وقد اقترنت حضارة الغرب التى تسود العالم اليوم بنزوع حاد إلى المماراة فى وجود الله ، والنظر إلى الأديان ــ جملة ــ نظرة تنقص أو قبولها كمسكنات اجتماعية لأنصارها وقد عرفت طرفا من أزمة المثقفين ، وعرفت أن المحنة التى يعانيها العالم اليوم هى أزمة روحية منشؤها الكفر بالمثل العليا التى جاء بها الدين من الحق والإنصاف والتسامح والإخاء ــ فلا نجاة له مما ارتكس فيه إلا بالعودة إلى هذه المُثل الربانية يهتدى إليها بفطرته ــ كما يهتدى الجنين إلى سبيله الفرخ من بيضته وإن كان علماء اليوم بَدَءُوا يعترفون بوجود الله عن طريق علومهم أمثال « هنري لنك » طبيب النفس وعالم النفس التجريبي وقد ألف كتابا أسماه « العودة إلى الإيمان » طبع فى أمريكا ٤٧ مرة ، والعلماء الثلاثون في علوم الكون المختلفة الذين عادوا إلى الإيمان وألفوا كتابا أسموه « الله يتجلى فى عصر العلم » (١) وإن كان إيمانا بالله ولكن ليس على طريقة رسول الله .. والإيمان الصحيح : لاإله إلا الله محمد رسول الله – على طريقة رسول الله – ﷺ

ومتى هدي العالم إلى الفطرة هدي إلى الإسلام ، فإن الإسلام دين الفطرة ــ كما علمت ــ وقد عرفت أيضا رسالة المخلوقات فى هذا الوجود ، وعرفت من أين أتيت ..؟ ولا شك أنك تحب أن تعرف ــ على الأقل ؛ لترد على الملحدين وتدعو الجاحدين ــ لماذا جئت .. ؟ وإن كنت بحكم إسلامك الفطري والتقليدي لأبويك .. ونشأتك فى مجتمع مسلم تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر تردد على الفور قول الله عز وجل ... ﴿**لايُسأَل عما يفعلون وهم يُسألون** ﴾ . ولكن لابد حين ترشد .. أن تعتقد ذلك عن عمق وقناعة قلبية وعقلية ، حتى تستطيع دفع زيغ المبطلين وشبه الملحدين فتقول فى

(١) راجع كتاب الدكتور يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة « باب بين العلم والإيمان » .

وثوق المؤمن ، ومنطق العاقل « منشأ حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة ؛ يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا ... جزافا ومصادفة ..

فوضع الأرض أمام الشمس مثلا .. ثم على مسافة معينة لو نقصت قِيدَ شعرة ، لاحترق كل الأحياء .. ولو بعدت قدر فتيل لعم الجليد وجه الأرض وهلك الزرع والضرع .. أفتظن إقامتها فى مكانها ذلك ؛ لتنعم بحرارة مناسبة قد جاء خبط عشواء ؟ ... وهكذا حركة المد والجزر واتصال البحر بالنهر .. هذا ملح أجاج وذلك عذب فرات دون أن يبغى أحدهما على الآخر ﴿ **بينهما برزخ لايبغيان** ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان .. الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسماء رفعها ووضع الميزان** ... ﴾ . أكمل إلى آخر السورة .. واختلاف النبات ألوانا وطعوما وروائح فى تربة واحدة يسقى بماء واحد ﴿ **وفى الأرض قطع متجاورات . وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد .. ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ .

وحياة الأسماك وأشكالها وألوانها وحياة الحشرات .. ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون .. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ .

وخلق الإنسان الرائع البنيان الهائل الكيان ﴿ .. **فى أى صورة ماشاء ركبك** .. ؟ .. ﴾ ثم خلق هذا العالم الفسيح الرحيب . أكُلُّ ذلك وجد صدفه .. ؟ .. لماذا لم يطلب منى إذا رأيت طائرة أو صاروخا أن أتصور حديدا صهر نفسه وتشكل على هيئة قلب وجناحين ومحركات وذيل .. إلخ . ووضع فيها الوقود بعد تركيب نفسها أو نفسه . ثم انطلقت أو انطلق تلقائيا دون قائد .. إلخ .

إن إحالة هذه الأمور على المصادفات ضرب من الوهم والخيال والدجل العلمي أو الخبل العقلى يرفضه أولو الألباب والأفهام .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى .. الذى خلق فسوى .. والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ..** ﴾ سبحانه سبحانه .. ﴿ **علم الإنسان مالم يعلم** ﴾ لنفرض أن العقل الألكترونى وجدت فى ساحته ورقة مكتوب عليها اسم عمر — مثلا — فماذا يعنى هذا ؟ يعني أحد أمرين .. أقربهما إلى البداهة أن خبيراً به أعطاه هذه المعلومات فطبعها وقذفها .

الأمر الثانى .. أن حروف الاسم تجمعت وترتبت وتلاقت هكذا جزافا .. فإن الفرض الأخير من الناحية العلمية مايأتى (١) .

الابتداء بكتابة العين أو سقوط حرفها — وحده — على الورقة دون وعي يجوز بنسبة ١ إلى ٢٨ وهو عدد حروف الهجاء العربية .

وسقوط حرف الميم والراء معا يجوز بنسبة ١ إلى ٢٨ × ٢٨ ونزول الحروف الثلاثة هكذا بعوامل الصدفة المحضة — يجوز بنسبة ١ – ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ × ٢٨ أي بنسبة ١ – ٢١٩٥٢ .

وليس أغبى — فكرا — ممن ترك الفرض الوحيد المعقول — ويؤثر عليه فرضا آخر — لايتصور وقوعه إلا مرة واحِدة من بين اثنتين وعشرين ألف مرة تقريبا .

والصدف حين تخط على القرطاس كلمة عمر — أقرب إلى الذهن من تصور الصدف هذه تخلق قطرة فى المحيطات الغامرة أو حبة رمل فى الصحاري الشاسعة .. أ.هـ — بتصرف .

إن العلم بريء من مزاعم الإلحاد وَمُضَادٌ لما يرسل من أحكام بلهاء ... ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

وعرفت أيضاً أن الله — سبحانه وتعالى — قال ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ وهذه رسالته فى الحياة — ثم قوله — سبحانه — ﴿ **سخر لكم مافى**

---

(١) من كتاب عقيدة المسلم للغزالى — بتصرف .

وراجع فى هذا المجال بتوسع بعض الكتب التى ألفت للاستدلال على وجود الله من خلال علوم التقنية ومنها على سبيل المثال ١ — تربيع الدائرة لابى جعفر الطوسى . ٢ — الأنوار لعبد الله بن مسلم الدينورى . ٣ — مدرسة بغداد الفلكية . ٤ — فانفذوا لاتنفذون إل بسلطان . ٥ — المسلمون وعلم الفلك للشيخ الصواف . ٦ — مؤلفات جمال الفندى . ٧ — ماكتبه توماس أرنولد . ٨ — ماكتبه نظمي لوقا بعد إسلامه و .. مع الله فى السماء لأحمد زكى . — ومع الله فى الأرض .

السموات وما فى الأرض **جميعا منه .. ﴾** ــ ثم قوله سبحانه ﴿ **أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ إذن فلابد لوجودك من حكمة ولخلقك من سبب ثم تفتح قلبك على قوله سبحانه ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون** ﴾ ثم تظهر أمامك الحقيقة التى لا مراء فيها والرسالة العظمى التى خلقت من أجلها ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .. ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون .. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ..** ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **آلم .. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .. أم حسب الذين يعلمون السيئات أن يسبقونا ؟ .. ساء مايحكمون !! من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت .. وهو السميع العليم** ﴾ .

وهنا نعقل الأثر الكريم .. « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنزوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .. فوالله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون . ولتحاسبن على ماتعلمون . ولتُجزَونَّ بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا .. وإنها لجنة أبدا . أو لنار أبدا .. » . وحياة البرزخ جزء من الدنيا وحلقة فى السلسلة إلى الآخرة فهو إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ــ كما سنفصله بعد ــ ولا يعلم حقيقة الحياة فى القبر إلا الله ــ سبحانه ــ ولا نعلم عنه إلا ماعرفنا عن رسول الله ﷺ ــ فالأموات لهم عالمهم الخاص .. وقد سئل الإمام السيوطي ــ رحمه الله ــ هل يعلم الأموات بزيارة الأحياء وبماهم فيه ؟ فأجاب : نعم يعلمون بذلك .. روى ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور من حديث عائشة رضى الله عنها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ « **مامن رجل يزور قبر أخيه ويجلس عليه إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم**» وروى ابن عبد البر فى الاستذكار والمهيد من حديث ابن عباس ــ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام** » (١) .

---

(١) صححه أبو محمد عبد الحق .

وحينئذ تفقه آن الدنيامعبرإلى الآخرة، وممر إلى جنة أو نار ومزرعة للباقية الخالدة .

وأدركت إدراكا جازما أن العالم — كل العالم — محتاج إلى الله — .. قد يشرف المهندسون والبناءون على تشييد عمارة ضخمة ثم ينفضون أيديهم منها أو يموتون عنها وتبقى العمارة بعدهم أمدا بعيدا ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ إن هذه العمارة لم تخلق من عدم ، والفعلة فيها لم يزيدوا على آن ضموا حجرا إلى حجر ثم انتهى عملهم إلى هذا الحد .

أما بناء الكون الفسيح الرحيب وتشييد سقفه المحفوظ — بلا عمد — وتمهيد أرضه وتقدير أقواتها وتهيئتها للعمران ، فهو عمل آخر — أساسه الإبداع المطلق .

وكما أن العالم فى وجوده — احتاج إلى ربه — فهو فى بقائه يحتاج إليه لحظة لحظة .

ولا توجد ذرة فى الأرض ولا فى السماء تستمد وجودها من ذاتها حتى يتصوَّر استغناؤها بنفسها .. ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ؟ .. ولو شاء لجعلهُ ساكنا .. ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ، ثم قبضناه إلينا .. قبضا يسيرا ..** ﴾ .

إن هذا الإمداد الإلهي وحده هو الذى قام ويقوم بما ترى .. قياما لاتتوهم معه غفلة ولا تفريط ولا فتور ، وإلا لهلكنا واختل كل شيء ... ؟؟ ... الفارق بين وجودنا ووجود الله .. أن الله تبارك وتعالى .. وجوده واجب له من ذاته ..

وأما نحن .. فليس لنا من ذواتنا من شيء قط .. إن منحنا نعمة الوجود بقينا مابقيت معارة لنا .. وإلا اختفينا فلم يمسكنا شيء ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرضَ أن تزولا .. ولئن زالتا (٢) إن أمسكهما من احد من بعده ...** ﴾ .

ومن هنا .. نعرف أن لله صفاتٍ كثيرةً — توضح معالم كماله ووحدانيته وجلاله .. نذكر منها مايلى — على سبيل المثال — لاالحصر .

﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ فمخالفته للحوادث ظاهرة وَبَدَهِيَّة تقضى بأن بين المخلوق وخالقه أمداً بعيداً ، وأن الخالق لايشبه شيئاً من خلقه —

---

(١) أى ماأمسكهما وما يمسكهما من أحد من بعده .

لا فى ذاته ولا فى صفاته ـــ وقد وصف الله ـــ سبحانه ـــ نفسه بصفات كثيرة من الصعب علينا إدراك حقيقتها على النحو الذى ندرك به أمورنا المعتادة .. بل هذا مستحيل ..

فمن أين للمخلوق التافه ـــ الذى لايعرف كنه نفسه ـــ أن يعرف كنه خالقه العظيم .. بل إن الإنسان عاجز عن إدراك حقيقة الوجود المادي الذى نعيش فيه فكيف يعرف ماوراءه من غيب ؟ ..

فإن قيل إن الله سميع وبصير ، فليس بأداة كأداتنا ، فشأن الألوهية أسمى مما تتصور الأذهان الكليلة والعقول القاصرة .. نعوذ بالله من زيغ القلوب ﴿ **.. هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .. وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون فى العلم يقولون آمنا به .. كل من عند ربنا . وما يَذَّكَّر إلا أولو الألباب** ﴾ ﴿ **.. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها .. وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون ..** ﴾ ..

وأنا شخصيا أوثر مذهب السلف وأرفض أن يشتغل العقل الإسلامى بالبحث المضني فيما وراء المادة ، وأرتضى قبول الآيات والأحاديث التى تضمنت أوصافا لله جل شأنه ـــ دون تأويل أو تكييف أو تمثيل أو تعطيل ..

وعلى هذا فقس جميع ماورد فى كتاب الله وسنة رسوله من أسماء وصفات لله عز وجل الخالق البارىء المصور الملك ـــ القدوس السلام المؤمن ـــ المهيمن ـــ العزيز ـــ الجبار ـــ الوهاب ـــ الرزاق ـــ الغفور الودود .. الخ .

كل المخلوقات ـــ جليلهاودقيقها ـــ يقوم بالله عز وجل ـــ الرحمن الرحيم [(١)]
أما الله فقائم بنفسه ، مستغن بذاته عما سواه ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾
والمستقرىءلحوادث التاريخ لايجد دعوى يؤبه لها من أحد يزعم أنه إلَهٌ مع الله ..
والذين فُهِمَ ذلك عنهم ، إما متهمون أبرياء كبعض الرسل والأنبياء والملائكة وإما

---

(١) راجع كتابَىْ .. عقيدة المسلم ، وركائز الإيمان ... للشيخ الغزالى وكتاب الإيمان للإمام ابن القيم ـــ رحمه الله .

مخلوقات لاتحس ولا تعقل — كالأحجار والأبقار والكواكب — وإما حكام سفلة كَفَرَاعِنة مصر وأشباههم .

وقد قام العلماء ببحوث جدلية ، ليثبتوا أنه ليس هناك مع الله إلّه آخر وإن كان الواقع العلمي ينطق بذلك — فنحن فى عالمنا المادى لم نجد هذا الآخر المزعوم ، وفيما وراء المادة لم يحاول هذا الآخر أن يتصل بنا .

والمرسلون قاطبة أكدوا — راحداً بعد الآخر — أنهم جاءوا بوحي من الله رب العالمين ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ...** ﴾ فما أخرس هذا الإلّه الآخر عن ذلك التحدى ، ليشكو ما وقع به من ظلم ؟!! الحق — الذى لا مراء فيه — أن الملك كله لله .. وأن الالهة الأخرى الموهومة ليست إلا خيالات عقول مريضة وأسماء لامدلول لها أبدا .. ﴿ **ألا إن لله مَنْ فى السموات ومن في الأرض ، وما يتبع الذي يدعون من دون الله شركاء ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون** ﴾ ..

﴿ **مااتخذ الله من ولد وما كان معه من إلّه .. إذن لذهب كل إلّه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ ..

﴿ **لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا .. فسبحان الله رب العرش عما يصفون** ﴾ .

على أن نظام العالم لم يطرأ عليه فساد فى سمائه أو أرضه .. وسنن الكون ماضية ماضية قاطعة بصدورها عن إلّه واحد فرد صمد ... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ... واحد لانظير له ولا شبيه ولا مثيل .. أحد .. لاأبعاد له ولا أجزاء ﴿ **قل هو الله أحد ... الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ...** ﴾ .. ولكن .. ﴿ **قتل الإنسان .. ماأكفره ..** ﴾ .. مقالة واحدة يقولها الأقدمون .. فى جاهليتهم الأولى — وهى نفسها يرددها الجاهلون فى جاهلية القرن العشرين — ﴿ **.. فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين .. فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ..** ﴾ .

(يورى جاجارين رائد الفضاء الأول السوفيتى) يركب قمره الصناعى فيبهر .. فيعترف قائلا .. عرفت الله .. ثم يضرب ويضغط عليه من أسياده رجال الحزب

الشيوعي .. فيتراجع ويقول .. لقد طفت بالأرض ، تسعين مرة فلم أر الذى يقال عنه إنه الله !!! آ.. وصدق الله العظيم ... ﴿ **فلما نجاهم إلى البر .. إذا هم يشركون ..** ﴾ ثم يرد عليه صحفى : لو أن ذبابة طافت حول الكرملين ، ثم قالت : أين الذى يقال عنه إنه خروتشوف ؟ أكنا مصدقيها ؟!!

لقد كثر فى القرآن ضرب الأمثال وسوق الأدلة العقلية المنطقية الواقعية ..

﴿ **... هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ .. أو ينفعونكم أو يضرون ؟ ..** ﴾ .. ﴿ **إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ، ولا سمعوا مااستجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم .. ولا ينبئك مثل خبير ..** ﴾ .

وأفاض القرآن فى استقصائه للمعانى التى تصون الوجه من دنس الشرك وفى مخاطبة العاطفة الإنسانية بأسلوب رائع فى رقته واضح فى غايته ﴿ **أأرباب متفرقون خير ؟ .. أم الله الواحد القهار ..؟؟!!!** ﴾ .

﴿ **وضرب الله مثلا .. رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً سلما لرجل ... هل يستويان مثلا ؟ .. الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون ..** ﴾ .

والحق أن التوحيد روح الإسلام ، وجوهر عقيدته ، ومحور عبادته المنوعة ومبدأ يسري في تعاليمه كافة سريان الماء فى النبات أو الأعصاب فى البدن (١) .

فإذا اعتقدت أن الله واحد كامل وموجود حى باق – أول بلا بداية آخر بلا نهاية – ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم** ﴾ ..

لابد أن تدرك أنه إذا وجد خالق ومخلوق ، ومعبود وعابد .. فلابد أن تكون عبادة (افعل .. ولا تفعل) .. تكاليف ـــ يثبت بها العابد انصياعه وطاعته لمعبوده .. فهل تتصور جامعة بمدير وموظفين ـــ دون دراسة ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ وهل تتصور دراسة بدون مدرسين ؟ وهل تتصور جامعة ـــ بمدير وموظفين مصرفين لأمور المدير .. ومدرسين لدارسين بدون مادة تدرس وتكاليف وتمارين ومعامل ؟ .. الخ .. وهل تتصور دراسة وتكاليف بدون امتحان وتمييز بين المحسن والمسىء ؟ . للانتقال من صف إلى صف ومن شهادة إلى شهادة ؟ الخ ثم (ماجستير) ثم (دكتوراه) .. الخ . فكيف يتصور العاقل خلقا بلا خالق ؟ .. وعباداً بدون عباده ، ومكلفين بلا .. تكليف .. ؟ .. وتكليفاً

---

(١) اقرأ كتاب العبادة فى الإسلام .. د . يوسف القرضاوى .

بلا مبلغين عن الخالق المعبود وتكاليف بلا كتاب وكتاباً بلا مفسر ومفصل ومعلم يترجم الأقوال إلى أعمال ليكون قدوة . وكيف نتصور جامعة بكل هذه المقومات ثم لايكون امتحان واختبار ثم نجاح ورسوب وتقديرات .. إلخ ؟!!!

إذا كنت لاتتصور هذا العبث .. فكيف تتصور معبودا بلا عبادة ، ولا كتباً ولا ملائكة ولا رسلاً ـــ مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ـــ بلا وعد ولا وعيد ولا حساب ولا نشور ولا جنة ولا نار بعد البرزخ من حساب القبر ونعيمه وعذابه ـــ إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ... الخ .

فكيف نصدق قول المخبولين .. إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر .. ؟!!! ..

﴿ ماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ... ﴾ .

إذن ـــ فلابد من وجود هذه الحقيقة البدهية ﴿ **الله** ﴾ ولابد للإنسان من عقيدة وهى : « الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ، ومره ـــ من الله تعالى .. » على ماسنفصله ـــ إن شاء الله ـــ

أصنـاف النـاس :

إذن ـــ فبعد هذا العرض السريع عرفت من أين جئت .. ؟ ولماذا أتيت .. ؟ وإلى أين تسير ... ؟!!!

وماقدمناه لك هو ركائز رسالتك .. هو مبادىء عقيدتك ـــ أيها المسلم ـــ وعليك أن تعرف أصناف البشر وخصائص هذا الإنسان المعقد شديد التعقيد لتحدد مسيرتك وتكون مؤمناً ، والناس فى هذه الحياة أصناف ثلاثة : (١)

الصنف الأول :

صنف ألغى عقله ، ونسي فطرته ، وأهمل آدميته ؛ فتنكب الطريق إذ الحياة ـــ فى نظره ـــ لعب ولهو وزينة وتفاخر ، وتكاثر فى الأموال والأولاد

---

(١) أصناف الآدميين منذ خلق الله الأرض ومن عليها إلى يوم يرثها ومن عليها ـــ ان لم يكن فى علم الله شىء وراء ذلك ـــ وأقرأ فى تصنيفهم أوائل سورة البقرة .

﴿ **كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج ، فتراه مصفرا ثم يكون حطاما .. وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان .. وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ..** ﴾ .. الحياة فى عرفهم ، ظلم وسطو ، وسيطرة ، واستعباد .. وتحالف مع الشيطان .. كل هم الواحد منهم أن يعيش الحياة طولا وعرضا ، ليتخم نفسه ولو بامتصاص دماء إخوانه فى الإنسانية ليشبع غريزته الحيوانية ولو على حساب الأبرياء من بنى جلدته ، لولا أنك ترى أن الحيوان قد ترفع عن هذه البهيمية فترى القطعان المتجانسة من الوحوش تسير فى هدوء بل تتعاون فيما بينها على دفع عادية قطيع من جنس آخر أو تجتمع على إيقاع فريسة للجميع ...

حتى إن الأسد لايأكل ولا يفترس إلا ذا جاع ، فإذا شبع ترك بقية الفريسة للضعاف من سباع الطير والوحوش الأخرى ، ولكن ماأظلم الإنسان لأخيه الإنسان !!! .. يفترسه ويستولي على طعامه وشرابه ومسكنه وأرضه بل ويطرده منها .. ولا يبقى لمن دونه شيئا — ولا حتى الاستقرار الآمن — بل إن هذا الظلوم الكفار لايفترس إلا إذا شبع .. السبع لايفترس إلا إذا جاع .. أما الآدمي فلا يفترس إلا إذا شبع واستغنى ﴿ **إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ . ﴿ **إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى** ﴾ .

هذا الصنف من البشر المتوحشين استبدت به المطامع والشهوات واستعبده هواه فدار فى فلكه ، وسجد فى محرابه ، يفعل مايوافقه وينفذ كل مايرضيه ثم لايهمه — بعد ذلك — ماقتل من فضائل أ حْيَى من رذائل واقترف من آثام ﴿ **أفرأيتَ من اتَّخذَ إلَهَهُ هواه ، وأضله الله — على علم — وختم عل سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .. فمن يهديه من بعد الله .. ؟!!!** ﴾ .

﴿ **واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعهُ الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب .. إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فَاقْصُصِ القصصَ لعلهم يتفكرون !!!** ﴾ (١) .

---

(١) وهذه أيضا من الإفادة فى الإعادة فليس التكرار فيها مملا .. فإن القرآن لايَخْلَقُ من كثرة الرد .

﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون .. ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لَتَوَلَّوْا وهم معرضون ﴾ (١) .

أولئك شرارُ الخلق ... وهؤلاء يقال لهم يوم القيامة : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طيباتِكم فى حياتِكُمُ الدنيا واستمعتم بها .. فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ ..

﴿ من كان يريدُ حرثَ الآخرةِ نَزِدْ لَهُ فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نُؤتِه منها ، وما له فى الآخرة من نصيب .. ﴾ ..﴿ ولقد مَكّنّاهُم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة .. فما أغنى عنهم سمعُهم ولا أبصارُهم ولا أفئدتُهم من شىء ؛ إذا كانوا يجحدون بآيات الله .. وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون .. ﴾ .

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون .. ﴾ الخ الآيات من أوائل سورة البقرة إلى الآية ٣٩ ..

الصنف الثانى :

وهو الذى لايحس من وجوده إلا أنه موجود .. كائن يدب على الأرض يسعى على قدمين .. فهو موجودكمفقود.. حي كميب .. لم تشعر الدنيا بوجوده — حين وجد فيها — كما لم تشعر بخروجه حين يخرج منها .. فهو صرخة فى واد .. وذرة فى فلاة .. وريشة فى مهب الريح .. إنه الإِمَّعة — الذى عرفت طرفا من أخلاقه سلفا — وهؤلاء يوم القيامة يقولون .. ﴿ ربنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضلَّاناَ .. من الجن والإنس ... نجعلْهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ ..﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورَأَوُا العذابَ وتقطَّعَتْ بِهِمُ الاسبابُ وقال الذين اتَّبعُوا لو أن لنا كرةً ، فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا .. كذلك يُرِيهِمُ الله أعمالَهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ (٢) .

ثم هؤلاء وهؤلاء يتبرأ منهم الشيطان الذى أغواهم وأضلهم وأعماهم .. ﴿ .. وقال الشيطانُ لّما قضى الامرُ إن الله وعدكم وَعْدَ الحق ، ووعدتُكُم

---

(١) راجع سورة الانفال والنداءات المتكررة فيها بعد هذه الآية .

(٢) راجع كتاب مشاهد القيامة للشهيد سيد قطب .

فأخْلَفْتُكُم ، وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتُكُم فاستجبتمْ لِى .. فلا تلومونى ولوموا أنفسكم .. ماأنا بمُصْرِخِكُم وما أنتم بِمُصْرِخِيَّ .. إنى كفرتُ بما أشركتمونِ من قبل ... إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ ﴿ كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر .. فلما كفر .. قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين ﴾ .

الشيطان يخاف الله رب العالمين . و ﴿ **قتل الإنسان ... ماأكفره !!!** ﴾ .

فبئس الأنَاسِيُّ هم .. ببغاوات حمقى .. يقلدون كل جديد ـــ دون هدف إلا التقليد الأعمى .. وقد عرفت دعواهم فى ذلك كما أسلفنا [1]

... هم أشباه رجال ، وأشباه نساء ، بل أشباه حيوانات..

وإذا أشار محدثاً فكأنما ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

تكسر وانثناء ، واستخذاء ، ميوعة وانحلال .. عالة على المجتمع .. عوالق ، طحالب .. متسلقات .. ﴿ **صم بكم عمى فهم لايعقلون** ﴾ لاإرادة لهم ولا عزيمة لديهم ، ولا هدف ولا غاية ، فبطن الأرض خير لهم من ظهرها .. ياويحهم .. لو كانوا يعقلون .. ﴿ **ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ..** ﴾ .. ﴿ **قل بئسما يأمركم به إيمانكم ، إن كنتم مؤمنين ..** ﴾ .

﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا .. إن يدعون من دونه إلا إناثا ، وإن يدعون إلا شيطانا مريداً لعنه الله ، وقال لأتَّخِذَنَّ من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأُضلَّنَّهم وَلأُمَنِّيَنَّهم ولآمرنّهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام ولآمُرَنّهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خلقَ الله ومن يَتَّخِذِ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا .. يَعِدُهم ويمنيهم وما يَعِدُهُم الشيطانُ إلا غرورا .. أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ..** ﴾ .

الصنف الثالث :

أما هذا الصنف فهو الذى عرف طريقه واحترم آدميته ، وكرم نفسه وقدر خلافته ، فاستغل الجوهرة الكريمة التى فضله الله بهاالعقلالذى هو مناط

(١) راجع فصل الإسلام والمدنية ...

تكليفه ــ وهو مدار حسابه ومحيط اختياره ــ فإذا سُلِبَهُ ــ بوجه من الوجوه ــ سقط عنه التكليف ــ كما سنبين فى القضاء والقدر ــ أقول : حكَّم عقله وزكى نفسه ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقاها .. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ . كما سنوضح ذلك فى أقسام النفس عند الحديث عن .. (اعرف عدوك) ــ هذا الصنف من الناس قد لبى النداء واستجاب للفطرة ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ سارع إلى الهدف ﴿ **وسارِعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين ــ الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .. ومن يغفرُ الذنوب إلا الله ــ ولم يصروا على مافعلوا وهم سعلمون** ﴾ .

﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾وفى القرآن الكريم صور مشرقة جليلة.أعدت للمؤمنين على النقيض مما أعد للكافرين . والجاحدين . والمنافقين (١) .

وهذا الصنف من البشر عرفوا أن الحياة الدنيا متاع الغرور فأخذوا منها بقدر مايُعِيشُهم ويقيتهم ؛ ليتزودوا للآخرة ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونِ ياأولِى الالباب** ﴾ . وأيقنوا أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة هى دار القرار فسابَقوا إلى مغفرةٍ من ربهم وجنة أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، وخاتمهم المبلغ عن ربه .... الذى قال : « **بادروا بالأعمل سبعا ، فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا ؟ .. أوغنى مطغيا ؟ .. أو مرضا مفسداً ؟ ..أو هرما مُفَنِّدا ؟ .. أو موتا مجهزا ؟ .. أوالدجال؟ . ــ فالدجال شر غائب يُنْتظَر ، أو الساعة ؟ .. والساعة أدهى وأمَرّ !!!** » أو كما قال .

هذا الصنف عرف أن رَحَى الإسلام دائرة فدار مع كتاب الله حيث دار وتتبع سيرة سيد الخلق وسار حيث سار ، واقتدى بالسلف الصالح الأبرار .. «ألَا إن رحَى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ... ألاَ إن الكتابَ والسلطانَ سيفترقان .. فلا تفارقوا الكتابَ .. ألا إنه سيكون عليكم أمراء

---

(١) استمتع بذلك فى كتاب مشاهد القيامة وأنت ترى وتحس هذه المشاهد للشهيد سيد قطب .

مُضلون .. يرضون لأنفسهم مالا يرضون لكم ، إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قاتلوكم .. قالوا فماذا نفعل يارسول الله ؟ .. قال كما فُعل بأصحاب عيسى بن مريم — نُشروا بالمناشير ، وحملوا على الخُشُب .. فوالذى نفسى بيده لموت فى طاعة الله خيرٌ من حياة فى معصية الله) أو كما قال .. ﷺ ففقهوا ذلك ، فوضعوا الآخرة نصب أعينهم ، ووضعوا الدنيا دَبْر آدانهم وتحت أقدامهم ، واستعدوا لجمع المهر الغالى « **ألاَ إن سلعة الله غالية .. إلا إن سلعة الله الجنة** ... »أو كما قال ﷺ .

قرأوا بقلوبهم — ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا .. أينما تكونوا يُدْرِكْكُمُ الموتِ .. ولو كنتم فى بروج مشيدة** ﴾ (١) استَلْهَموا قولَ المصطفى الكريم « **مَنْ كانَتِ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمه** » — ولم يقل كل همه (٢) **جعل الله فقره بن عينيه وفَرّق شمله ولم يأتهمن الدنيا إلا ماقُدر له ، فلا يمسى إلا فقيرا ، ولا يصبح إلا فقيرا .. ومن كانت الآخرة أكبر همه ، جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ، وجعل الله قلوب المؤمنين تهفو إليه بالود والرحمة وكان الله إليه بكل خير أسرع** » أو كما قال ﷺ . علموا أن عباد الرحمن — هم ﴿ .. **الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون .. قالوا سلاماً** ﴾ .. و ... و ... إلى اخر ماوصفهم به ربهم فى قرآنه فى سورة الفرقان .. (٣) وما سنعرض له — بشيء من التفصيل — عند حديثنا عن المجتمع المثالي فى ظلال الإسلام — إن شاء الله — فهموا رسالتهم فى دنياهم — وعرفوا كنه أنفسهم ، وسر وجودهم ، ووظيفة حياتهم وغاية وجودهم ونظرة الله إليهم وعرفوا مآلهم ومصيرهم فتصرفوا وفق منهج الله (٤) فسعدوا فى دنياهم ، ويوم القيامةيقال لهم .. ﴿ **ادخلوا الجَنَة ، أنتم وأزواجُكم تُحبرون** .. ﴾ .. ﴿ **أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات نعيم على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة**

---

(١) راجع (ص ٢٦٣) من كتاب عقيدة المسلم للغزالى ..

(٢) لأن الله تعالى قال (ولا تنس نصيبك من الدنيا) ..

(٣) إلى آخر سورة الفرقان ، وأواخر سورة الفتح ..

(٤) كما سنوضح ذلك باسهاب عند بيان منهج الله ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم** ﴾ ﴿ **وما أرسالناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

للشاربين .. لافيها غول ، ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون ﴾ (١) .. وقد أعد لهم في هذه الجنات مالا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر .. اللهم اجعلنا من أهلها مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . واجعلنا من الذين تمتعهم بالنظر إلى وجهك الكريم من الذين تجرى تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها .. سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام .. وآخر دعواهم أنِ الحمد لله رب العالمين .. « آمين » فإذا كان الإنسان بذلك من التفكير والتدبير والمال والوقت والتخطيط والإعداد والجهد والأسفار .. إلخ .. لتحقيق عَرَضٍ زائل من الدنيا قليل لقضاء شهوة أو التجاوب مع نزوة عارضة أو نزغة شيطان منتهية قد تعقبها ندامة أو يكون فيها حتفه .. أفلا يبذل قصارى جهده لتحقيق سرور دائم ونعيم خالد ؟ .

﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. ؟!! ﴾
﴿ ... ولمثل هذا فليعمل العاملون !!! ﴾ .

والمقام يضيق عن وصف هذا الصنف الثالث من البشر بكل مافى الآدمية من بِشْر .. وهذا الصنف من الناس بكل مافى هذه الكلمة من أنس ، وسنا ، واستئناس وسمو وتكريم وكل مافى الإسلامية من سلام ، والإيمانية من أمان **﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾** .

و — من أى صنف أنت . ؟ ..

والآن — أخى المسلم — أعرفت نفسك .. ؟ ثم من أى صنف أنت ؟ ... بالقطع لست من الصنف الأول — ولكن من أى الصنفين الآخرين تحب أن تكون ؟ .. أعتقد أن عقلك الواعى المستنير وفطرتك السليمة وتاريخك المجيد وطبيعتك النقية الطاهرة تنحاز بك إلى الصنف الثالث بلا شك — إذا لم تكن منه حقيقة — ﴿ ... ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان .. أولئك هم الراشدون .. فضلا من الله ونعمة .. والله عليم حكيم .. ﴾ .

---

(١) راجع مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب — رحمه الله .

(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

وعرفت ربك ...

أخى المسلم : إنك — بحق — لو عرفت نفسك من أين جئت ؟ .. ولماذا خلقت ؟ وإلى أين تسير .. ؟ . لعرفت الله — عز وجل — استفتِ قلبك استوح فطرتك ، استعمل عقلك .. حواسك .. خلجات نفسك التى بين جنبيك ، حينئذ تجد الله تجاهك ، تجد آثار قدرته وعظمته فى الرياح اللواقح فى الجبال الرواسي فى الجوار المنشآت ، فى البحر كالأعلام .. فى النبات ، فى الزهر ، فى الكواكب ، فى السحاب المسخر بين السماء والأرض فى الزلازل فى البراكين .. فى الذّرة .. فى الأقمار الصناعية .. فى الصواريخ .. ماكان ، وما هو كائن وما سوف يكون ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق .. أو لم يكف بربك أنه على كل شهيد ؟** ﴾ .. بلى ... ﴿ .. **أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ .. بلى وهو الخلاق العليم .. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .. فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون** ﴾ .. فى الغواصات فى الأسماك وحيوانات ونباتات البر والنهر .. فى الدبابات وحاملات الطائرات ، فى المدرعات والطوربيدات والقاذفات والشفرة والرادار .. والتلسكوب و .. و .. إلخ ﴿ **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ...** ﴾ ﴿ **يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان ..** ﴾ (١) فى نفسك .. فى أجهزة جسمك الجهاز الهضمي والدموى والدورى والبولى والتناسلي والعظمى والنفسى .. والبصري والسمعى والدفاعى ..و .. و .. ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ (٢) إنك إذن ستقول : ... أنت أنت الله .. ﴿ **ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك .. فقنا عذاب النار ..** ﴾ .

أخى المسلم .. معرفة الله سبحانه وتعالى .. مركوزة فى كل طبع واسمها الكريم

---

(١) راجع معنى السلطان فى ظلال القرآن — وكتيب الشيخ محمد الصواف .

(٢) راجع كتب الطب محراب الإيمان للدكتور خالص كنجو وآيات الله في كتب جمال الفندى ، وأحمد زكى أحمد الغمري والمترجمات .. الخ .

معروف فى كل لغة . واختلاف الأجناس والألسن والألوان لم يصرف الأفئدة والأنظار عن هذه الحقيقة الواحدة .. بيد أن هذه المعرفة المتصلة برب العالمين لم تأخذ امتدادها الكامل وسماتها الراشدة ولم تبرأ من الأوهام وتبعد عن الأهواء إلا عندما تلقاها الناس مصفاة من ينابيع الوحى وسمعوا آياتها تتلى من أفواه الأنبياء ولكن ذلك لم يمنع الكثير ممن لم يدخلوا فى نطاق الرسالات الأولى أو لم تبلغهم على وجه صحيح هدايات القرآن الكريم أن يفكروا فى الله من تلقاء أنفسهم وأن يطلقوا لعقولهم أعنة البحث والفلسفات الإلّهية بالكثير من هذه الأفكار كما أن علماء الكون فى العصر الأخير قد تكلموا عن الله — فى حدود ماهداهم إليه البحث المجرد فى آفاق الطبيعة وأسرارها وقوانينها — كما أسلفت — (١) .

والفلاسفة القدامى والمحدثون قدسموا الله الصانع والعقل الأول وواجب الوجود وسبب الأسباب وغير ذلك من الأسماء التى اصطلحوا عليها .. وكما أن للعلماء والمحدثين تصورات فى الألوهية إلتبس عليهم فيها الحق بالباطل — كما سنرى — وعلة هذا اللبس .. أن هداية السماء لم تصحب العقل فى سيره ... ومن ثم أقر العقل بالمبدأ الواجب وأخطأ فى التفاصيل المتعلقة به .

المهم أن العقل الذكى والبحث النزيه ، والفكرة المبرأة عن الغرض ، المستقيمة على الفطرة تتأدى بأصحابها — حتما — إلى الله وتقفهم خاشعين أمام الشعور الغامر بعظمة الله وجلاله ..

... وإن من الغباوة والبلادة أن يظنَّ السفهاء من الناس أن الإيمان وليد استغلاق الذهن . أو أن استبحار العلوم واتساع المعارف الإنسانية يخدش قاعدة الإيمان ويوهي الصلة بالإلّه الديان — سبحانه — ويجدر بى أن أنقل لك هنا بعض ماساقه فضيلة الشيخ محمد الغزالي فى كتابه عقيدة المسلم نقلا عن كتاب (الدين والعلم) للمشير أحمد عزت باشا مع تعليقات يجب الرجوع إليها ..

وقد شرح « لابلاس » دليل الحركة الكونية وأبان قوة هذا الدليل فى حسم الشبهات التى يُثيرها الجاحدون فقال :

(أما القدرة الفاطرة فقد عينت جسامة الأجرام الموجودة فى المجموعة الشمسية

(١) وهذا من فوائد الإعادة المختلفة الأسلوب والتصوير .

وكثافتها ، وثبتت أقطار مداراتها ، ونظمت حركاتها بقوانين بسيطة [1] ولكنها حكيمة ، وعينت مدة دوران السيارات [2] حول الشمس ، والتوابع حول السيارات بأدق حساب ، بحيث إن هذا النظام المستمر إلى ماشاء اللهلايعروه خلل ... !!

هذا النظام المستند إلى حساب يقصر عقل البشر عن إدراكه والذى يضمن استمرار المجموعة إزاء مالا يعد ولا يحصى من المخاطر المحتملة ، لايمكن أن يحمل على المصادفات فى نظر « لابلاس » إلا باحتمال واحد فى أربعة « تريوليونات » وما أدراك ماأربعة « تريوليونات » ؟ .. إنه عدد من كلمتين ولكن لايمكن أن يحصيه المحصون إلا إذا لبثوا خمسين ألف عام يعدون الأرقام ليل نهار على أن يعدوا فى كل دقيقة (١٥٠) عددا .

هذا واحد من الأمثلة التى سيقت وانظر الصفحات من ٢٦ إلى ٤٤ من كتاب عقيدة المسلم لتعرف ماقاله .. (هرشل ، وسبنسر ، وأينشتين ، وكليفن ..) أما بوخنز وبروسيه فيجيب عليهما « كميل فلامريون » متهكما بالمادية التى ينزعان إليها وينتزع اعترافهما من ثنايا أدلتهما المادية (والحق أن الإلحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لايستند ـــ ألبته ـــ إلى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم .

فإذا كانت حركة المرور فى الحج ـــ مثلا ـــ تتطلب فرقة من الجنود ، وفرقا من الكشافة وطائرات الهليوكبتر ـــ وإلا لسرت الفوضى وتضخمت الحوادث ـــ فهل يستغرب القول بقدرة منظمة مشرفة على الألوف من الكواكب السيارة فى الفضاء ... بل الملايين . وإن شئت فقل البلايين ـــ وهل يعتبر القول بأن المصادفات المحضة هى التى تتولى هذا التنظيم . هل يعتبر إلا لغوا ومجونا وسخافة ؟؟ ..

﴿ وهو القاهر فوق عباده .. ﴾ ﴿ هو الذى يسيركم فى البر والبحر ﴾

وكثير من الباحثين وعلماء الكون اعترفوا بوجود الله عن طريق الدراسة والبحث وأفكار أولئك الباحثين لو أنها حظيت بتعاليم الوحى ومشت فى هدى الشريعة

(١) المراد اليسيرة لأن البسط : الاتساع ومنه سميت الأرض البسيطة .
(٢) الكواكب والنجوم السيارة فى الفضاء .

الإسلامية لاستقامت مع ماذكر القرآن الكريم عن الله — عز وجل — من صفات وما نسب إلى ذاته العظمى من نعوت الجلال والجمال والقدرة ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا** ... ﴾ .

وحسب أولئك — وإن لم يعرفوا الحق كاملا — أن لاح منه بريق ، فأقروا ولم ينكروا ولئن صدقوا ماعرفوا إنهم لأهل الإيمان الصحيح الكامل لو أتيحت لهم آياته ، ويسرت لهم رسالاته .. أى لو أتيحت لهم معرفةالإسلام الصحيح من خلال الكتاب والسنة ... إلى الإيمان بالله على طريقة رسول الله — فهل بعد هذه الجولات أيكون فى الله شك ؟ .. حاشا لله !! ثم فى ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقضائه وقدره .. ؟ ..

فالملائكة لايحصى عددهم إلا خالقهم وهم نورانيون أبرار ﴿ **يسبحون الليل والنهار لايفترون** ﴾ .. ﴿ **لايَعْصُونَ الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون** ﴾ وما نعلمهم — ولو أراد الله لأعلمنا غيرهم — جبريل الأمين ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين** ﴾ فهو ملك الوحي من الله إلى رسله . ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار وميكائيل المتنزل بالأرزاق من عند الله ، وإسرافيل نافخ الصّور وعزرائيل * قابض الأرواح ، ورقيب وعتيد الموكلان بكل واحد من البشر ومنكر ونكير محاسبا القبر .. ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو .. وما هى إلا ذكرى للبشر** ﴾ حين قال سبحانه عن النار :

﴿ **عليها تسعة عشر** (١) . **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ليستيقن الذين أوتو الكتاب** .. ﴾

﴿ **عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا .. ليستيقن الذين أوتو الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتو الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ .. كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو — وما هى إلا ذكرى**

---

* وقد سماه القرآن ملك الموت بصفته لاباسمه .

(١) تسعة عشر ملكا ؟ أو فريقا من الملائكة ؟ ..

للبشر .. ﴾ حتى قال أبو جهل اللعين – من حمقه وجهالته – أكفيكم تسعة وعليكم عشرة !!! إنَّه الغباء وعمى البصيرة وما ألصق كنيته به !!!

حملة العرش .. ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** .. ﴾ (١) ولا يقوى البشر على لقاء الملائكة ؛ إذن فلابد من بشر مختارين مصطفين لهم قدرات خاصة معدون لنقل الرسالة وتبليغهم إلى إخوانهم من البشر .. ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** .. ﴾ .

وكان كل رسول يبعث ليعدل من سلوك البشر الذين انحرفوا بعد انتقال الرسول السابق إلى الرفيق الأعلى ويذكرهم بالمنهج الإلّهى والميثاق الذى أخذه رب العالمين على بنى آدم من ظهور آبائهم – كما أسلفت ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم .. ألست بربكم ؟ .. قالوا بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم .. أفتهلكنا بما فعل المبطلون** .. ﴾ وكانت الاتصالات البشرية فى جنبات الأرض رهينة المواصلات البدائية فكان كل قوم لهم عاداتهم وتقاليدهم وانحرافاتهم واختلاف مشاربهم ونزعاتهم فكان كل نبى أو رسول يرسل لقومه خاصة حتى ختم الله الرسالات بمحمد ﷺ – لعلمه – سبحانه – أن البشرية ستكون فى جهالة عامة وعدوى الانحراف تنتقل بسرعة على مانفصله في رسالة سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ – عند حديثنا فى فصل ﴿ **وما أرسالنك إلا رحمة للعالمين** ﴾ – إن شاء الله – وكان كل نبي يبعث فى قومه يؤيد بمعجزة خارقة للعادة مما برع فيه قومه ، ليصدقوه وهو بشر يوحى إليه .. بشر مثل كل البشر .. ولكنه بشر يوحى إليه معصوم من المعصية – كما سنوفيه حقه عند حديثنا عن إعجاز القرآن الكريم – إن شاء الله – وكل رسول معه منهج ليسير ويصون حركة حياتهم ويؤهلهم للحياة الآخرة الباقية يبشرهم وينذرهم ويصف لهم الآخرة يوم البعث والحساب ويذكرهم بيوم النشور ويصف لهم العذاب والنعيم المقيم ﴿ **أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون** ؟ .. ﴾ ﴿ **يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب**

---

(١) ثمانية فرق أو ثمانية كتائب .... إلخ .

سليم ﴾ ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين .. ﴾ الخ ..

وهذه هى رسالة البشر أجميعين ومنهج الأنبياء قاطبة : إنها رسالة العلم والإيمان .. ولقد صدق « أينتشتين » فيما قال : إن العلم بلا إيمان يمشى مشية الأعرج .. والإيمان بلا علم يتلمس تَلَمُّسَ الأعمى فهل تريدون أحسن من هذا التلاق بين عقول العلماء وبين القرآن الكريم الذى يقول لنا ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ .

ولا يسعنا فى هذا المقام ــ إلا أن نقول ــ خاشعين ؛ .. أنت أنت الله (١) من قوله .. (إذا مااتجه الفكر فى السموات حيث انتشرت النجوم فى الليل وإذا ماكَلَّ البصر فيما لانهاية له من الآفاق المظلمة وإذا ماخشعت النفس خشعتها من رهبة السكون الشامل فإنك تشرق بوجهك الكريم من خلال الآفاق ، ويسمع صوتك فى ذلك السكون الشامل وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة .. حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمة مشرقة ويتحول السكون إلى نبرات مطربة .. تبعث من كل صوب وحينئذ تتغنى النفس الخاشعة لتقول : .. أنت أنت الله .. إلى أن يقول .. وإذا مابابن الدنيا إنسان وباينته ، إذ ينظر إلى المال فيلقاه فانيا .. وإلى الجاه فيلقاه ذاويا .. وإلى الأمانى فيلقاهازائلة وإلى الآمال فيجدها باطلة ، وإلى الشهوات فيراها خادعة كاذبة ، وإلى المسرات فيجدها آفلة غاربة .. إذ ذاك يستغنى عن المال والجاه ، وتشل في نفسه حركة الآمال وبين جاه يدول ، وأمل يزول لايملأ النفس إلا ذكرك ، أنت أنت الله ... !» الخ تسبيحاته الخاشعة ..

ثم اعـرف عـدوك :

لاشك أنك ــ أخي المسلم ــ بعد هذه الجولة التفكرية القصيرة جدا جدا فى ملكوت السموات والأرض وقد عرفت نفسك من أين أتيت ؟ ولماذا جئت ؟ ثم إلى ربك المرجع والمصير .. ﴿ .. **منها خلقناكم وفيها نعيدكم .. ومنها نخرجكم تارة أخرى ..** ﴾ .

فعرفت خالقك وعرفت الطريق إلى الله !!!

---

(١) راجع ماكتبه منصور فهمى فى كتاب خواطر نفس .

ومن مبادىء رسالتك أن تعرف عدوك ﴿ **يأيها الذين آمنوا خذوا خذركم** .. ﴾ وعدو الإنسان الأول هو إبليس اللعين ﴿ .. **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** .. ﴾ قد عرفت ذلك فى رسالة المخلوقات — فالعداء بين إبليس والبشر عداء قديم وهو مستمر إلى يوم القيامة ، وهو عدو لئيم يجيّش جيوشه ويجند أولياءه وقبيله من الجن والإنس (١) لإغواء البشر — وهذه رسالته — وهو يجيدها ويتفانى فى سبيلها — ومن أجلها عصى ربه وهو شديد العداوة وخطره عظيم لأنه ينفذ مخططه فى الستر والخفاء ولهذا حذرنا الله منه فقال .. ﴿ **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ وقال ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون** .. ﴾ ولكن من رحمته — سبحانه — أن جعل سلطانه على الذين يتولونه ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ .

ثم هو فى منتهى الذلة والمهانة أمام المؤمنين الصادقين ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا** .. ﴾ ..

بل هو نفسه يقول : ﴿ .. **وما كان لِىَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** .. ﴾ .

ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر — يقول عنه رسول الله المصطفى الكريم .. « **لو سلك ابن الخطاب شِعبا لسلك الشيطان شِعبا آخر** » .

فطريق هزيمته سهل ميسور ﴿ **وإما ينزغنّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنه سميع عليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون .. وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون** ﴾ وأنت أيها المسلم — بصفة خاصة محارب من الشيطان — كادمى — ومن شياطين الإنس كمسلم — وقد عرفت طرفا من هذه العداوة فيما سبق فأعداؤك من شياطين الإنس — على اختلاف مذاهبهم ومبادئهم وألسنتهم وألوانهم — قد اتفقوا جميعا على محاربة الإسلام فى شخصك والقضاء عليه بشتى الطرق — وماهم ببالغيه — ..

---

(١) ﴿ .. **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ .

وهؤلاء إذ يئسوا من تكفيرك دسوا لك السم فى الدسم ، وفتنوك عن دينك ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق ..** ﴾ فانت أيها المسلم بين شِقى الرحى ـــ عدوك يعاشرك ، ويرافقك إذا رضيت مرافقته ومعاشرته ـــ وهو أبعد مايكون منك إذا تسلحت ضده بسلاح الإيمان ، وصدق الرسول المصدقى الكريم ﷺ « **إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق ، فضيقوا مسالكه بالصوم** » وصدق الله العظيم ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** ﴾ .. والحصانة منه ميسورة .. ﴿ **قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجِنة والناس** ﴾ .. وأما أعوان إبليس فهم إما من ضعاف الإيمان من الذين يخالطونك ويعاشرونك فهم لايحسون عداوة بينك وبينهم لأنهم إخوانك .. هم مرضى فموقفك منهم ذو شقين :

(١) أن تبتعد عن العدوى حتى لاتنتقل منهم إليك .

(٢) أن تبذل كل مافى وسعك لتخليصهم من مرضهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن تكون لهم عونا على الشيطان ـــ وتردد دائما : نحن نكره الشر ولا نكره الشرير .

وفى هذا المجال يقول القرآن الكريم ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ .. ﴿ **وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره .. وإما يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ..** ﴾ ..

وأما أعداء عقيدتك فكن منهم على حذر ، فهم يتربصون بك الدوائر يحيكون لك المؤامرات فلا تنس عداوتهم مهما اختلفوا فى مراتبها ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .** ﴾ .. وقد عرفت يأسهم من تكفيرك ثم لجوءهم إلى تخريب عقيدتك فى قلبك بأفكارهم المسمومة ليجعلوك مخدر الإيمان والعقيدة فلا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا ، فتفتر همة الدعوة إلى الإسلام فى نفسك وهى من صميم رسالتك ودعوتك ـــ وتميت فى قلبك جذوة الشهادة فى سبيل الله وهى التى كانت تقض مضاجعهم كانت ولا تزال مبعث قلقهم ومصدر

شقاوتهم .. وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد .. أضف إلى ذلك أننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

واعـــرف تـــاريـــخ أمتـــك : .. (١)

ومن الواجب عليك أن تعرف تاريخ أمتك — لامن أجل أن تتباهى — فقد عرفت أن الفتى من يقول هأنذا .. لامن يقول كان أبى ، ولا من قبيل اجترار الماضى أو التحسر على مافات .. ﴿ **لكيلا تأسوا على مافاتكم .. ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ .. بل من باب الاعتبار والاتعاظ واليقين بأن الإسلام دين الدنيا والآخرة — دين المدنية والحضارة والكشف والاختراع لادين التأخر والرجعية (٢)

وإليك الأدلة الساطعة والبراهين الدامغة باعتراف الأعداء أنفسهم — والفضل ماشهدت به الأعداء —

(١) يقول المؤرخ « روزى » والأستاذ « نكلس » فى كتابهما : أنشأ العرب فى إسبانيا جامعات متعددة منها جامعة قرطبة وغرناطة وطليطلة وأشبيليه — وفى الأخير ترجم أحد الرهبان التوارة إلى اللغة العربية ، وانكب القساوسة وأتباعهم المسيحيون — الذين تركهم الإسلام وما يدينون — على دراسة اللغة العربية وهجروا اللاتينية .. فما أجمل سماحة الإسلام والمسلمين (٣)

(٢) وقال جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) قال حرفيا : يرجع الفضل — كل الفضل — فى حضارة أوربا إلى العرب ..

وحين ازدهرت الحضارة الإسلامية فى بلاد الأندلس — فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد كانت المراكز العلمية عبارة عن أبراج يسكنها سادة أنصاف متوحشين .. وكانت الطبقة المستنيرة فى النصرانية رهبان جهلة .

وفى القرن الحادى عشر شعرت بعض دول أوربا بالحاجة إلى نفض غبار

---

(١) راجع كتاب معالم فى الطريق للشهيد سيد قطب ، فصل التصور الإسلامى والثقافة .

(٢) راجع ماقيل فى الإسلام والمدنية .

(٣) راجع كتاب (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) للشيخ الغزالى . وكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للشيخ الندوي . و (حضارة الإسلام) تعليق شكيب ارسلان .

الجهل ، فطرقوا أبواب العرب ، حيث كانوا وحدهم سادة العلم ، ودخل العلم أوربا بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا وفى سنة ١١٣٠م أنشأ « ريموند » رئيس الأساقفة فى طليطلة مدرسة للترجمة قامت فى ثلاثة قرون متوالية بنقل أشهر مؤلفات العرب إلى اللاتينية ومنها مؤلفات الفخر الرازى ، وابن سينا وابن القاسم وابن رشد .. بل إنها نقلت كتب اليونان التى كان المسلمون قد ترجموها إلى لسانهم العربى(١) .

٣ - ويقول الأستاذ « سيديو » إن بيت الإبرة - البوصلة - ليست من اختراع الصينيين .. بل ه من صنع العرب .. وإن الأرقام الهندية عليها أرقام العرب ، العمليات الحسابية وكانت تسمى بالخوارزميات - نسبة إلى الخوارزمى .. والعرب أول من استعمل الكسور العشرية .

والخوارزمى منشئ علم الجبر ، وأول كتاب له فيه « الجبر والمقابلة » ووجدت نسخة مخطوطة أخيراً فى « اكسفورد » وكان قد ترجمها إلى اللاتينية من قبل « روبرت شسير » ونشرها أخيراً وعلق عليها الدكتور مصطفى مشرفة والدكتور محمد موسى أحمد .. وكذلك نشأ علم حساب المثلثات علماً عربياً وأول من ألف فيه جابر بن الأفلح سنة ١١٥٤م .

٤ - وأما الأستاذ « دريرا » بجامعة نيويورك فيقول فى كتابه « المنازعة بين الدين والعلم » إن اشتغال المسلمين بالعلوم يرجع إلى فتحهم الإسكندرية سنة ٦٣٨م - سنة ١٦هـ ، ولم يمض عليهم قرن حتى استأنسوا لجميع الكتب العلمية اليونانية ، فلما آلت الخلافة إلى المأمون صارت بغداد عاصمة العلم العظمى فى الأرض ، والمأمون نقل دفعة واحدة من المخطوطات اليونانية حمل مائة بعير واشترط فى الصلح أن يتسلم مكتبة من مكتبات القسطنطينية إلى أن قال : إن جابر بن حيان جعل الكيمياء علماً مستقلا ذا أصول وقواعد .. والعرب أول من اكتشفوا تركيب الأدوية واكتشفوا القلويات والنوشادر ونترات الفضة والراسب الأحمر وعمليات التذويب والتقطير والترشيح والترسيب والتكلس وكثيراً من المواد النباتية والصيدلية التى لا تزال تحمل الأسماء العربية ، والعرب أول من أدخل صناعة الورق إلى أوربا .

---

(١) راجع كتاب الدكتور على الدفاع : نبغاء علماء المسلمين .. والموجز وتطور الفكر عند المسلمين للدكتور محمد الصادق عفيفى .

٥ – أما السير « وليم اوسكر » فيقرر فى كتابه « تطور الطب » إن العرب قد اشعلوا سراجهم من قناديل اليونان ثم بلغت مهنة الطب عندهم من القرن الثامن إلى الحادى عشر بمكانة لا تكاد تجد لها مثيلا فى التاريخ وكان المرجع الأول للطب فى أوربا .

ولقد خرجت الأندلس المرجع الأكبر فى الجراحة وتجبير العظام وهو « أبو القاسم الزهراوى » وكتابه فى الجراحة « التعريف لمن عجز عن التصريف » وترجم إلى اللاتينية فى القرن الخامس عشر ، وله كتاب آخر فى الآلات الجراحية ومنها جهاز استخدم فى فتح المثانة لإخراج الحصا .

٦ – وإليكم يا شبيبة الإسلام ما يقوله « شارلتون » إن ابن سينا والخيام ابتدعا طرقاً لاستخدام الوزن النوعى ، وإن الخازن اخترع آلة لمعرفة الوزن النوعى للسوائل ، وإن البيرونى عرف الكثافة والوزن النوعى لسبعة عشر معدناً وفى الميكانيكا كتب موسى بن شاكر كتاب الحيل ويحوى مائة تركيب ميكانيكى ويذكر نظرية الجاذبية فيقول عنها : إن ثابت بن قرة تكلم عنها قبل « نيوتن » بمئات السنين حيث قال : « إن المدرة تعود إلى أسفل لأن بينها و بين الأرض مشابهة فى كل الأغراض والشيء ينجذب إلى ما هو أعظم منه ، وشبيه الشيء منجذب إليه » .

٧ – تقدير أمريكا للطب العربى الإسلامى : وقد خصصت جامعة « برنستون » جناحاً باسم الرازى وأنشأت معهداً لتدريس العلوم العربية وللبحث عن المخطوطات العربية فى الطب وغيرها لنشرها .

ابن سينا : وقد اكتشف ابن سينا أمراضاً كثيرة منها على سبيل المثال – الانكلستوما – ولقد سبق فرويد فى العلاج بطريقة التحليل النفسى ، وله فى ذلك قصة طريفة جداً .. فقد دعى إلى عيادة فتى مريض حار الأطباء والنطاسيون فى معرفة علته .. وبعد أن فحصه العلامة ابن سينا وتحقق من سلامة جميع أعضائه الجسمية استدعى عريفاً من عرفاء المدينة وتناول يد الفتى يجس نبضه ويرقب وجهه وطلب إلى العريف أن يسرد أسماء الأحياء فى المدينة ففعل حتى إذا ذكر اسم حى معين اضطرب نبض الفتى فطلب إليه أن يذكر أسماء العائلات فى ذلك الحى ، وعندما ذكر واحدة منها إزداد نبض الفتى اضطراباً واصفر وجهه .. فطلب ابن سينا من العريف أن يذكر أسماء بنات هذه العائلة ففعل – وعندما نطق باسم فتاة بعينها منهن أغمى على الفتى ،

فعرف ابن سينا العلة فالتفت إلى أهل المريض وقال : زوجوه هذه الفتاة فهى الدواء .

٨ - وقد كانت الأندلس قلعة طالبى العلم من أوربا وكانت جامعاتها نماذج أنشئت على نسقها جامعات أوربا - فجامعة باريس أنشأها « أوهيلارب » إول مستشرق انجليزى بعد أن تعلم فى جامعات الأندلس من سنة ١١١٠ إلى ١١٢٠م ، حيث ترجم من العربية إلى الإنجليزية مبادىء إقليدس وكتاب الخوارزمى فى الحساب . وجامعة نابولى أنشأها « فريدريك الثانى » على نسق جامعة قرطبة سنة ١٢٢٤م .

٩ - وأما سيديو المؤرخ الفرنسى : فيؤكد أن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهى فى مذهب الإمام مالك - رحمه الله -(هو شرح الدردير على متن خليل) .

ثم يستورد المسلمون القانون على أنه فرنسى الأصل .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

١٠ - وقال : « أرنست رينان » معدداً فضائل العرب فى الرحلات والجغرافيا يذكر أنهم أول من قاس محيط الأرض - رغم وجود الآلات العصرية الحديثة - ويقرر أن الفرق بين مقياسهم والمقياس العصرى هو ١٦ كيلو فقط .. (ستة عشر كيلو متراً فقط) يا للروعة !! .

وأشار إلى الإدريسى ومؤلفه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وأول من رسم الأرض على شكل كرة من الفضة - كما أشار إلى ابن ماجه الملقب بأسد البحار - ومؤلفاته وذكر بأنه ربان « فاسكودى جاما » وطاف معه حول الأرض فى رحلة بحرية - كما أشار إلى أن العرب اكتشفوا أمريكا قبل « كريستوفر كولومبس » بثلاثة قرون ...

وممن أكد ذلك : الدكتور « هوى لين » أستاذ النبات بجامعة « بنسلفانيا » بأمريكا و« نارفيت » فى كتابه « مجموعة الأسفار » مستدلا برسالة من كولومبس نفسه أرسلها من هايتى سنة ١٤٩٨م ، مشيراً فيها إلى كتب ابن رشد .. وهكذا أيها الإخوة .. أنتم سادة العالم وأساتذته فى كل علم

وفن .. فلا تنبهروا بما حولكم فهو منكم وإليكم ، ولكن ثوبوا إلى رشدكم وعودوا إلى ربكم تستعيدوا مجد آبائكم فلن تصلوا إلى ذلك إلا بما وصل به أجدادكم فيما وصلوا فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾وليس معنى هذا أن العلم سينزل عليكم من السماء .. لا .. فقد انقطع الوحى ، ولكن بقيت رسالة الموحى إليه ﷺ فعضوا عليها بالنواجذ فلقد قامت الحضارة على الدين الإسلامى .. والدين الإسلامى منذ القدم ضرورة اجتماعية وسياسية ونفسية ولغوية .. وبغيره تصبح المجتمعات البشرية أقرب إلى الحيوانية منها إلى الإنسانية .. وقد يقول قائل : وهل تقدم غير المسلمين عائد إلى تقواهم ؟ فأقول لا .. إنما هو من باب الأخذ بأسباب العلم .. كما أن بُعدهم عن الدين ليس سبيلا إلى العلم كما يدعى العلمانيون ، وإنما هو ابتلاء من الله لنا .. وسنة الحياة – مقدمات تسلم إلى نتائج .

إذن بعد كل هذه المقدمات لابد للإنسان من عقيدة وتلك نتيجة حتمية ولما كان لابد للإنسان من عقيدة – كما أسلفنا – .. كان السؤال الذى يطرح نفسه هو : ولكن – لماذا تكون العقيدة هى الإسلام ..؟..

* * *

الفصل الثانى

مع الملاحدة والعلمانيين

ولماذا تكون العقيدة هى : الإسلام ؟ .

ولعل فيما أسلفنا خير مدخل لما نريد التحدث فيه من كمال ماشرع الله الخالق ــ وخصوصا بعد هذا الاستطراد فى التحدث عن نبوغ العلماء المسلمين وإسهامهم فى الحضارة بمبتكراتهم العلمية(*) فى شتى مجالات الحياة لطرد الشبهات التى يثيرها الملاحدة والعلمانيون ضد الدين ــ بعامة ــ والدين الإسلامى بخاصة ــ زاعمين ــ وهما وخيالا ــ أن الدين يعطل الإنتاج ورقى المجتمع ويكسبون منْ وراء الإلحاد والعلمانية الحرية الشخصية ، والصحة النفسية ، والعقلية ، والعمل لرفاهية الحياة الدنيا والتقدم المطرد والملاحدة والعلمانيون يدعون إمكان الاستغناء بالعلم المادي والنفسي عن الدين ؛ لأن الدين :

(١) يحد من الحرية الشخصية بما فيه من قيود الحلال والحرام (افعل ولا تفعل) وأن الدين والدنيا ضرتان ــ إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى .

والدين الإسلامى يقول لهم : نحن نختلف معكم فى مفهوم الحرية الشخصية وفى نتائجها .. فإن كنتم تريدونها بهيمية همجية شهوانية بلا حدود ولا قيود فهذا مالا يقوله عاقل ، لأن الحرية الحقيقة هى التى لايكون فيها عدوان على حريات الآخرين .. فالإسلام لايحرم الحرية الشخصية ــ فى حدود شرع الله ــ وهو ألا يكون الإنسان أسير شهواته ، ونزعاته تصرفه كالبهائم والوحوش يعب من الشهوات ويعتدى على الأعراض والنفس والمال والفرد والجماعة والمشاعر لدى الآخرين فذلك بعيد كل البعد عن معنى الإنسانية فالإسلام يريدها حرية مقيدة

(*) والتعبير الدقيق باكتشافاتهم العلمية لأن كل مُكْتَشَف أساسه موجود فى الكون منذ بداية الخلق والإنسان يكتشف ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق** ﴾ .

بحريات الآخرين حتى يتم الانسجام الأسري والاجتماعي والدولي ، ولنتصور طريقا عاما أخذ فيه كل فرد حريته المزعومة من سكر وعربدة وتهور فماذا تكون النتيجة فى جزئية واحدة مثلا فلنتخيل حرية السير دون تقيد بإشارات المرور كل يسير حسب هواه من غير احترام للإشارات ماذا تكون النتيجة ؟ دماء تنهمر وحوادث تحطم ونفوس تزهق وأرواح بريئة تنفق ومصالح تتعطل .. الخ .. هب أنك تسكن مع زميل فى غرفة واحدة لك حريتك وله حريته — وهو يفتح الراديو أو التلفاز ويدخن النرجيلة ويأتى بزملائه المنحرفين مثله يلعبون الشطرنج أو النرد .. إلخ .. وأنت تريد النوم فقد جعل الله الليل لباسا والنهار معاشا .. وأنت ترجوه ياأخى .. عندى امتحان غدا .. وأحب أن أنام فهل تسمح بالخروج أنت وزمرتك ؟ !! فيقول ياأخى هذه حريتى وأنا لى نصف الغرفة .. فماذا تكون النتيجة ؟ لو أنك استعملت كذلك أنت حريتك وقمت من فورك وأحضرت بنزينا وأشعلت النيران فى الحجرة ؟ .. حرية .. حرية شخصية !!!! فيها الهلاك والدمار والخراب .. ولكن الإسلام يريدها حرية منظمة لاعدوان فيها على حرية الآخرين .. وعلى هذا فقس جميع الأمور..وماينطبق على الأفراد ينطبق على الأسر والمجتمعات الإقليمية والدولية .. لو انفلتت الحرية لأكل القوي الضعيف والغنى الفقير والخبيث الطيب .. صار المجتمع غابة .. البقاء فيها للأقوى لا للأصلح .. كما هو واقع الآن فى جنبات العالم .. هبيه — خنفسه — دعارة — ظلم — استبداد — رق مقنع — استعمار — فجور — دمار — دماء .. كل قوي مسلح يريد أن يخضع الآخرين لفكره .. لمبادئه .. لهواه . لسلطانه . فتكون المصادمات .. ضياع .. لا أخلاق لادين لاقيود لاحدود — لاأمل .. حتى قال بعض المعتدلين فكريا من الغربيين أنفسهم : « إن هذا الجيل بلا حدودو بلا قيود بلا أمل » .. نعم بلا أمل .. خرج عليهم فرويد اللعين ، وداروين المشئوم — اليهودي — وكارل ماركس ولينين — الملحدان (١) — الأول بنظريته الجنسية البحتة ، والثانى بقرديته الخسيسة . والأخيران بإلحادهما وماديتهما — فكانت الطامة العالمية بالأزمة الأخلاقية (٢) .

---

(١) وهما أيضا يهوديان .

(٢) راجع كتاب : مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

« حيوانية قردية مادية » فماذا بقى للروح .. حيوان ذو نزوة بهيمية لاينظمها بالصوم ولا بالعفة ولا بالزواج لأن التنظيم يولد الكبت والكبت يخرب النفس .. افتحوا باب الغريزة لتحل مشكلة الشباب .. افتحوا الباب على مصراعيه .. حتى كان السفاح على قارعة الطريق فى الدول الغربية الرجل والمرأة يتسافحان على قارعة الطريق فلو رمقتهما بنظرة إزدراء ، قيل لك كن مؤدبا اتركهما يقضيان شهوتيهما ، لاتقطع عليهما انسجامهما ولا تكن فضوليا ولا تجرح حريتهما .. إذن لماذا تطلقون لهما العنان ؟ آ وتحجرون عليّ لأنى انظر إليهما .. ارفعوا المنظر من الطريق فلا يكون فضول .. منطقك سليم والحق معك .. ولكن عند من .. ؟ المهم .. هل حلت الأزمة ؟ هل استقام الشباب ؟ .. هل أُعطي الصحة النفسية والعقلية ؟ . المؤشر يشير الى الانحدار الأخلاقى والتفكك الأسرى والاجتماعى والاضطراب النفسي والعصبى والقلق والحيرة فى اجتياح الشباب .. ما الحل ؟ .. الجنس — الحيوانية — اللادينية .. افتحوا لهما بابا آخر لعل الجنسين لايأتلفان من طول الممارسة .. افتحوا لهما باب اللواط .. حتى أحل مجلس العموم البريطانى زواج الفتى من الفتى بقرار ثم سرت هذه النزعة سريان النار فى الهشيم .. فقد تَنَسْوَنَ الرجل فى كل شىء « ملبسا وحديثا » وسلوكا إلخ .. واسترجلت المرأة حتى سئم كل جنس من جنسيته وكل نوع من نوعيته .. هل حلت الأزمة ؟ .. بلادة .. وخمول وفجور وبطالة .. هل حلت الأزمة ؟ ..

افتحوا بابا اخر من المشهيات والمغريات « المسارح لممارسة الجنس والأفلام السينمائية و(الفيديو) لونابارك ، نادى العراة .. إلخ » هل حلت الأزمة ؟ . لا .. وألف مرة لن تحل .. إلا .. بالرجوع إلى منهج الله (١) كل المخلوقات الكونية تتصرف تصرفا واحدا غرزيا .. فطريا .. الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض وأجهزة جسم الإنسان .. تصرفا واحدا — فقط — إجباريا إلا الإنس والجن فلهما تصرفان : واحد إجبارى — ككل المخلوقات — والثانى إرادي وكل ذلك وفق منهج الله .. فإن كان التصرف الإجبارى والتصرف الاختيارى وفق منهج الله حصل الانسجام النفسي .. مثلا (فتح العين إجبارى والنظربهما إلى

---

(١) راجع ماقلناه سلفا من تصرف الجوارح لأن فى الاعادة إفادة .. ولقد أعدت المثال نفسه لتعيش أنت بنفسك وتطلق لخيالك الإسلامى العنان .

المحرمات اختيارى . فإن غض البصر عن رؤية الحرام حدث الانسجام فى العضو .. أما لو كان الاختيارى على هواه ولم يغمض العين عند المحرمات حدث التضاد والشد والجذب ووقع عدم الإنسجام النفسي « **النظرة سهم من سهام إبليس .. فمن تركها من مخافتى أبدلته بها إيمانا يجد حلاوته فى قلبه** » .. أو كما رواه ﷺ عن رب العزة .. وهكذا كل الأعضاء .. الشم والبطن ــ اللسان ــ والفرج و .. و .. فى منهج الله فقط الدواء الشافى ــ وهذا هو كمال شرع الله أخطأتم فى مفهوم الحرية الشخصية وفى نتائجها ومردودها فى المجتمع والفرد .. فالشرع عملية تنظيم ليسير دولاب الحياة منتظما ــ بحرية شخصية عاقلة متزنة ــ ثم تعالوا بنا أيها المخادعون .. ألم تكن لديكم فى حياتكم العادية قيود وقوانين يصنعها الحاكم للمحكوم ؟ .. الظالم للمظلوم ؟ .. القوى للضعيف ؟ .. الغني للفقير ؟ .. قوانين المرور ــ التعليم ــ التجارة ــ المخدرات ــ الجوازات ــ الحرب ــ التملك ــ الضرائب ــ الجمارك ــ المحاكم ــ الخ ...

ثم لماذا أنشأتم المحاكم والقضاء والدفاع ؟ .. مادامت الحرية ــ الشخصية ــ مفتوحة فلماذا التقاضى ؟ .. والتحاكم ؟ .. لماذا ؟ .. لماذا تحدون من حرية الحرية ؟ .. أم إنه إذا كانت القيود من الظالم للمظلوم ومن القوى للضعيف كان حرية .. وإن كانت من الحق ــ سبحانه ــ للخلق ــ كانت مصادمة للحرية الشخصية .. القضية العقلية تقول « ردوا الأشياء إلى أصلها .. وردوا الصنعة إلى صانعها .. وردوا النفس إلى بارئها » .. اعطوا القوس باريها (والله المثل الأعلى ..) . فى حياتكم العادية تخصصات .. لايتكلم فى الاقتصاد طبيب العيون ، ولا يتكلم فى الطب رجل الأعمال وطبيب الأنف والأذن والحنجرة لايجبر العظام ومدرس الميكانيكا لايدرس الهندسة المدنية .. الخ . فلماذا الدين كل من هب ودب يتكلم فيه .. ؟ . إنها مهزلة إنسانية ثم من قال إن الدين والدنيا ضرتان ؟ إنهما صنوان .. فالدين هو الحياة .. ﴿ .. **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها .. ؟ كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون** ﴾ .

(٢) الصحة النفسية والعقلية .. يفقدها المرء بكبت الحرية الشخصية ــ كما تقدم ــ وقد عرفنا انه خسرها ببعده عن الدين .. بل خسر الدنيا والآخرة .

ويفقدها كما يزعمون — بالجرى وراء اللامعقول .. وراء الغيبيات .. الله .. صفاته .. السمعيات .. حساب القبر .. اليوم الآخر .. المحشر .. الجنة .. النار .. الملائكة .. ونحن لانؤمن إلا بالمعقول المحسوس ، والعلم طريقه ماوراء المادة (الغيبيات) .

ونحن نقول هل حللتم (فوجدتم فى مختبركم ان الله غير موجود ؟) حاش لله ليس الله مادة .. أنتم مجانين ، فإن قلتم نحن عاقلون .. فأرونى عقولكم .. (لاكهرباء مثلا) فإن قلتم لابل فيه كهرباء بدليل هذه الأنوار وهذه الأصوات تنبعث من الراديو والأجهزة .. الخ .. إذن فأرونى حقيقة . الكهرباء ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ ياأصحاب العقول القاصرة لاتدرك الصنعة صانعها .. ؟ هل الباب يدرك النجار والحداد ؟ إذا كنتم لاتعرفون أنفسكم فهل تستطيعون إدراك ذات خالقكم ؟ .. (موسى — عليه السلام — أراد أن يريح قومه فطلب رؤية ربه فقال له الله ﴿ **لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** ﴾ .. إبراهيم عليه السلام قال ﴿ **رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن .. ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبى — قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا .. واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾ .

وهل نتائج العلم حقيقية ؟. أنتم تؤمنون أنها ظنية — نسبية — تقريبية ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .. وهل تعرفون بواطن الأمور ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** ﴾ .. هل تعرفون الميكروب وكيف يسير فى الدم ؟ .. تعرفون ظواهر المرض وأعراضه فقط ؟ .. ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ..** ﴾ .

ومن قال لكم إن العلم والإيمان لايجتمعان .. كل ذلك حزازات كنسية والإسلام منها برىء .. أول آية نزلت على رسولنا ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ..** ﴾ .. اغتررتم وقلتم : إن العلم المادى يسيّر طريق حياة الجسد ويخدمها .. والنفسى يحل مشكلات النفس .. فلا حاجة إلى الدين .. فهل حللتم الأزمة النفسية والأخلاق عندكم ؟ .. تكالبت الأمراض من كل

جانب ـــ رغم تفوق علوم الطب وأصبحت لديكم العيادات النفسية أكثر من العيادات البدنية .. فلماذا هذا الانحدار ؟ هل حللتم الأزمة ؟ .. أم يتفاقم خطبها يوماً بعد يوم ؟ .. اسألوا هنرى لنك عالمكم الأمريكى الطبيب النفسي .. ماذا قال ـــ بعد تجارب سنوات .. ؟ .. أكثر من ٧٠ ٪ من أسباب الأمراض النفسية والعقلية مرده إلى الخواء الدينى .. اسألوا ديل كارينجى ـــ العالم النفسانى الدكتور العظيم ـــ صاحب كتاب (دع القلق وأبدأ الحياة) ماذا قال ؟ .. صدَّر كتابه ببيتين من الشعر :

كاد القلق يجعلنى هباء   لأن قـدميَّ افتقدتـا حذاء
إلى أن قابلت من يومين   رجـــلا بـــلا ســـاقـــين

يعنى (كل من شاف بلاوى الناس هانت عليه بلوته) كما يقول المثل الشعبى .. عالم نفسانى .. دكتور .. الخ .

سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ـــ بدينه الفطري وعقيدته الإلٓهية ومنهجه الرباني يقول « ماأصبت بمصيبة إلا وكان لى فيها ثلاث منح .. »

الأولى : « أنها ليست فى دينى » .. ولم ولن يعرفها ديل كارينجى ولا أضرابه . إن لم تكن المصيبة فى الدين ـــ خمر ـــ زنا ـــ فجور ـــ إلحاد ـــ الخ . فهى تهون .

الثانية : « أنها ليست أكبر منها » .. وهاتيك هى التي فهمها العلامة النفسانى د . ديل كارنيجي لأنها مادية .

الثالثة : والتى لم يعرفها ولن يعرفها إلا المؤمنون المسلمون « أنى أرجو عليها ثواب الله » .. يرجو على المصيبة ثواب الله .. ﴿ **ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون مؤطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح .. إن الله لايضيع أجر المحسنين** ﴾ .. وصدق رسول الله ﷺ «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل .. يبتلى الرجل على قدر دينه .. فإن كان فى دينه قوة اشتد بلاؤه .. وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدرها** ... أو كما قال رسول الله ﷺ **حتى الشوكة يشاكها فهي فى سبيل الله** » هذه هى تربية الإسلام : الدنيا فى نظر المسلم الحق معبر وممر ـــ كما قلنا سلفا ـــ فمن أحسن المقدمات سعد

بالنتائج — فالمسلم ذو أمل ينتظره ﴿ **جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** .. ﴾ أما الكافر — ماآمالة ؟ دنيا فقط .. فليغترف ماشاء فليظلم ماأتيح له من الظلم فليعب من الشهوات — قدر طاقته .. إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر ﴿ **وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين** ﴾ لكن المسلم عنده ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .. ولا تظلمون فتيلا** ﴾ ﴿ **ماعندكم ينفذ وما عند الله باق** ﴾ وصدق الله العظيم فى حديثه القدسى « **إنى لاأجمع على عبدى خوفين وأمنين إن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة .. وإن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة** » فماذا يحتاج من الدنيا .. خمر .. خمر الآخرة أشهى وأشفى ﴿ **لذة للشاربين لافيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ .. ﴿ **وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ ﴿ **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبن ولم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم** ﴾ سورة محمد .

والدنيا مامقدارها . ؟ . يقدر عمر الإنسان فيها ٦٠ سنة.؟ ٧٠ سنة ؟ .. ﴿ **وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ .. والنعيم فيها دائم والعذاب فيها دائم فليتحمل العاقل الأريب .. عشرات السنين لينعم الاف السنين .. إلى الأبد .. إلى أن يشاء الله رب العالمين .. هذه هى نظرة المسلم .. أما الكافر .. ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم** ﴾ .. ولذا يقول الرسول الكريم « **المسلم يأكل فى مِعى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء** (١) ..

حياة البرزخ :

﴿ **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ .. **عذاب القبر ينتظرهم وحساب الملكين شديد** (والقبر إما روضة من رياض الجنة وإما

---

(١) أي لابركة فى طعامه .

حفرة من حفر النار) [١] والسؤال الخطير مَنْ ربُّك ؟ .. ومَنْ نبيُّك ؟ .. وما دينك ؟ .. وما اعتقادك ؟ .. وما الذى عشت ومت عليه .. ؟ .

فيقول المؤمن : الله ربى والإسلام دينى ومحمد نبيي والكعبة قبلتى والصلوات فريضتى والمسلمون إخوانى وإبراهيم الخليل أبى وأنا عشت ومت على قول لا إله إلا الله محمد رسول .. أما الكافر فيقول .. هاها كان الناس يقولون كذا وكذا .. فتعيش روحه معذبة ويعذب جسده بعذابها .. ومدة القبر علمها عند ربنا ينتظره الحشر ونفخ إسرافيل فى الصور النفخة الأولى ليموت جميع الخلائق وتنتهى الدنيا وتبدل الأرض غير الأرض والسموات .. ﴿ **إذا الشمس كورت .. وإذا النجوم انكدرت .. وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت . وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت .. وإذا الصحف نشرت .. وإذا السماء كشطت .. وإذا الجحيم سعرت .. وإذا الجنة أزلفت .. علمت نفس ماأحضرت ..** ﴾ إلى آخر سورة التكوير ثم الانفطار .. والمطففين .. والغاشية .. وكل السور المكية ... الحاقة .. والقارعة .. والواقعة .. والزلزلة .. الخ من مشاهد القيامة الرعيبة وفى المقابل لأهل الإيمان ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين** ﴾ .. [٢]

الحشـــــر :

وهول الموقف يوم القيامة .. ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه .. وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة .. ووجوه يومئذ علها غبرة .. ترهقها قترة .. أولئك هم الكفرة الفجرة ..** ﴾ .

تبعث الخلائق حفاةً عراة غرلا [٣] يوم القيامة (كما ولدتهم أمهاتهم) . وتقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن أبيها — أو تكشف الحرة عن عورتها ؟ .. فيقول ياعائشة مامعناه كل مشغول بنفسه . ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم**

---

(١) راجع كتاب الروح لابن القيم الجوزية وما كتبه الشيخ حسن أيوب وما سجل فى الاشرطة .

(٢) راجع فى ظلال القرآن ومشاهد يوم القيامة للشهيد سيد قطب .

(٣) من غير ختان .

بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ تكون الشمس دانية من الرءوس والعرق يغطى جسم من فى الموقف كل حسب عمله .. منهم من يكون إلى عقبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم إلى سرته ومنهم إلى صدره ومنهم إلى رقبته ومنهم من يغطيه ويكتم أنفاسه فلا هو يموت ولا هو يحيا — كأهل النار — والعياذ بالله —

﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولا هم يحزنون .. ﴾

« سبعة يظلهم الله ، في ظله يوم لاظل إلا ظله ، إمام عادل .. وشاب نشأ فى عبادة ربه (١) .. ورجل قلبه معلق بالمساجد .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه .. ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه .. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين .. ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه بالدموع » أو كما قال رسول الله ﷺ .

الحســـاب :

القنطرة — الصراط — الشفاعة

موقف صعب رهيب يتمنى كل واحد الانصراف ولو إلى النار ثم على القنطرة يقتص لكل ذى حق من ظالمه حتى ليقتص من الشاة القرناء لأختها العضباء .. الخ .. وهناك الصراط وهو أدق من شعرة الرأس وأحدّ من السيف فمن الناس من يجتازه كالبرق ومنهم كالحصان ومنهم كالريح ومنهم كالسلحفاة ومنهم من تتخطفه كلاليب من جهنم فيهوي فيها — والعياذ بالله — والميزان يوم لايبخس الناس شيئاً « ... وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ .

﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ماهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً ﴾ .. ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه .. إنى ظننت أنى ملاق حسابِيَهْ . فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية وأما من أوتى كتابه

---

(١) أى وشابه (إنما النساء شقائق الرجال) فالنساء كالرجال فى كل هذا .

بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه .. ياليتها كانت القاضية .. ماأغنى عنى مالِيهْ هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه .. ؛ إنه كان لايؤمن بالله العظيم ﴾ إلى آخر الحاقة (١) .

الشـــفاعة :

ثم الشفاعة وتعرض على سائر اللأنبياء فيقول كل نبي : لست لها لست لها حتى تعرض على محمد ﷺ فيقول أنا لها ثم يسجد تحت العرش فيناديه ربه يامحمد ارفع رأسك واشفع تشفَّعْ وسل تعط فيقول : يارب أمتى .. فيكون هو أول الداخلين إلى الجنة وأمته أوّل الأمم (٢) .

الجنـة ونعيمها والنـار وعذابها :

وهناك فى الجنة درجات وفى النار دركات هناك الرؤية العظمى لرب العالمين يوم يتجلى لعباده الصالحين المصلحين المتقين ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة** ﴾ وهناك المنافقون فى الدرك الأسفل من النار ومكان يقال له الأعراف ﴿ **... وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كل بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين** ﴾ الآية ٥٣ من سورة الأعراف . وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار إنا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقًّا ؟ فيقولون نعم . ولكن لايعنيهم ذلك شيئا .. وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة ﴿ **ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله .. قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ..** ﴾ .

﴿ **وهم يصطرخون فيها .. ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل**

---

(١) راجع تفسير ابن كثير العظيم ، وظلال القرآن ومشاهد القيامة وأرجو أن أوفق لوضع كتاب فى البرزخ ويوم القيامة لأن الناس فى حياتهم غافلون فإذا ماتوا انتبهوا .

(٢) وسأوافيك فى آخر الحديث بتفصيل يوضح حقيقة الشفاعة وينفى عن مدلولها بعض مااحتواه من غموض وسوء فهم .

أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير .. فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ﴿ .. وماهم منها بمخرجين .. ﴾ ﴿ .. كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ، ليذوقوا العذاب .. ﴾ .

فى كل من الجنة والنار من النعيم والعذاب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ وعندما يصرح للسان بالكلام يقول لبقية الجوارح : بُعداً لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل !! ويكفى أن نعلم أن أقل أنواع العذاب للكافرين فيها عذاب أبي طالب عم الرسول ﷺ وهو خفان من قطران يلبسهما فيفور دماغه غليانا من شدة النار فى الخفين وأن أقل أنواع النعيم نعيم أبناء الكفار الذين ماتوا صغارا وأهل الفترة وهو الأعراف بين الجنة والنار أو الطواف بالأباريق والكئوس على المنعمين فى الجنة . اللهم اجعلنا من أهلها — وكتاب مستقل لايكفي فى هذا المجال وأحيل القارىء على كتاب الله وسنة رسول الله ففيهما الغناء ثم كتاب مشاهد القيـامة للشهيد سيد قطب ففيه بعض الغناء .. وكذلك فى ظلال القرآن وكتب التفسير المعتمدة ..

أشراط الساعة وعلاماتها :

كل ذلك يسبقه علامات للساعة التى تأتى بغتة ، حتى يعد كل امرىء عدته لها يعد الأعمال للجزاء بالإيمان والطاعة ومداومتها والتوبة والإكثار من العمل الصالح .. وصدق رسول الله المصطفى الكريم ﷺ : « **ياأبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق وأكثر من الزاد فإن السفر بعيد ، وخفف الحمل فإن العقبة كئود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير** » .. أو كما قال ﷺ ومن علاماتها .. أن تلد الأمة ربتها — أى تختل موازين الأمور — وأن يستطيل رعاة الشاة البهم فى البنيان ، وأن تنقض عرى الإسلام عروة عروة فأولها نقضا الأمانة وآخرها نقضا الصلاة ...

مابالكم ؟ إذا كانت رسالة محمد ﷺ من علامات الساعة « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » وأشار بإصبعيه — الوسطى والسبابة — فماذا بعد ذلك !!! ومنها المسيخ الدجال ، والدابة التى تكلم الناس ، ثم قتل المسيح — عليه السلام — للمسيخ الدجال وهو معروف لذوى البصائر مكتوب على جبهته بين

عينيه كذاب ثم يحكم عيسى عليه السلام بمنهج محمد ﷺ ٤٠ سنة حتى **لايكون** على وجه الأرض مشرك .. كمتبع لمحمد — ﷺ — **لا كرسول فلا رسول بعد** محمد — ﷺ — .

و (.. لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود .. **فيختبئ اليهودي خلف** الحجر والشجر (إلا شجر الغرقد) فينادى ويقول يامسلم: هذا يهودى خلفى **فتعال** فاقتله ..) أو كما قال رسول الله ﷺ ومنها خروج الشمس من المغرب **وغروبها** من المشرق وهذه من العلامات الكبرى .. وتكوير الشمس وانفطار السماء .. ورج الجبال .. الخ ماجاء فى القرآن الكريم مفرقاً ومركزاً فى أواخره من **المفصل** وقصاره وخاصة القرآن المكي [١] وبخاصة الجزء ٢٩ ، ٣٠ الملك والنبأ ﴿ **يسألونك عن الساعة أيّان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ .

﴿ **قل إنما علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى ...** ﴾ .

والآن .. هل أدركت كمال شريعة الله ونقص ماشرع المخلوق الناقص **وأدركت** أن الشريعة الإسلامية السماوية كان حقا على رب العزة أن يجعلها **صالحة لكل** زمان ومكان ، وأنها تحمل أسمى وأكمل الحلول لمشكلات البشر [٢] **لأنها من عند** أحكم الحاكمين الذى خلق الإنسان ويعلم ماتوسوس به نفسه **وهو أقرب إليه** من حبل الوريد .. وهو — سبحانه — أدرى بما يصلح تلك الأنفس البشرية من رفق ولين أو زجر أو شدة . ﴿ **والله يعلم المفسد مِنَ المُصْلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ . ؟

إجمال واجب ، لتعميق مفهوم العقيدة : ؟

وهل تستطيع معى الآن أن تلخص عقيدتك ؟ .. فلنحاول معا .. بالرد على : من أين ؟ ولماذا ؟ وإلى أين .... الخ .

---

(١) راجع كتاب مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان وأشرطة الشيخ حسن أيوب وكتابه أخيرا وعقيدة المسلم للغزالى والعقائد للشيخ سيد سابق .

(٢) راجع سلسلة « حتمية الحل الإسلامى » د . يوسف القرضاوى .

خلقت من الأرض وفيها أعود ومنها أخرج للعرض والحساب والثواب والعقاب ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وخلقت لعبادة الخالق ــ سبحانه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .. ﴾ وإلى البرزخ أسير إلى القبر ــ بعد حياة تقصر أو تطول ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا .. أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ ﴿ .. وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ أو من بأن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار وأن سؤال منكر ونكير فيه حق ، وأن للساعة علامات .. ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون ﴾ علامات صغرى وعلامات كبرى ذكرنا طرفا منها ــ ويطلب الكثير فى مظانه (١) والمسيخ الدجال وذهاب الأمانة ونقصان العلم « أى عدم الانتفاع به فى الخير واستعماله فى الشر » ، والنفخ في الصور للموت ، والبعث ، ثم النشور ثم الحساب ، ثم ورود النار ، ثم القنطرة ، ثم الشفاعة ، ثم الجنة أو النار .. وصدق الله العظيم .

﴿الله خالق كل شيء ــ وهو على كل شيء وكيل .. له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون .. قل أفغير الله تأمونى أعبد أيها الجاهلون ؟ .. ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين .. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .. وما قدروا الله حق قدره ــ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ــ سبحانه وتعالى عما يشركون .. ونُفخَ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون .. وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون .. ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون .. وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً

---

(١) فى ظلال القرآن ومشاهد القيامة ، وعقيدة المسلم والعقائد للشيخ سيد سابق وإحياء علوم الدين للغزالى ــ بتحفظ ــ والروح لابن القيم عن حياة القبر . وعقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى السقا .

حتى إذا جاءوها فُتِحَت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى .. ولكن حقت كلمةالعذاب على الكافرين .. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين .. وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد الله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين .. وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .. ﴾ صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم .

نقـاط على الحـروف :

سننتهى من هذه الدنيا ، وستنتهى الدنيا بعدنا — لامحالة — ثم ماذا ؟ نحب أن نقول أولا أو نؤكد ماقلناه قبلا : إن الله — سبحانه وتعالى — مجيد عظيم ، وإن كماله الأسنى لاترق إلى كنهه العقول . وأنه أوجد البشر تفضلا وأعطاهم — على ظهر هذا الكوكب أعظم فرصة خطيرة لو أحسنوا استغلالها — وإنه سبحانه وتعالى لم يمنح الخلود فى جواره الكريم إلا لمن ينتهزون هذه الفرصة ؛ فترشحهم أعمالهم وأحوالهم للعود إلى الرفيق الأعلى .

إن الله المجيد لايقبل إلى جواره الأوغاد (١) .

إن الله العليم لايقبل إلى جواره الجهلة ...

إن الله طيب لايقبل إلا طيبا ..

إن الله نظيف يحب النظافة ...

إن السفلة الذين التصقوا بالتراب ، وعاشوا له ، لن يرتفعوا عنه ﴿ **إن الذين كذبوا بآياتنا وكذلك نجزى المجرمين .. لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ، وكذلك نجزى الظالمين** ﴾ .

فمن الخير للإنسان أن يعلم علم اليقين ، أن عمره المحدود فى هذه الدنيا ان لم يكن وسيلة للتكمل والترق فلن يشرق غده ولن يخرج منه بطائل .

---

(١) من كتاب عقيدة المسلم — بتصرف — للشيخ الغزالى .

فالجنة التى وعد الله بهاالمتقين لاتتسع لخسيس ولا مهين ، وإذا لم يكن الإنسان على حظ من الكمال والفضيلة فلن يجد بها منزلا .

ولما استكبر بها إبليس طرد منها وقال له ربه ﴿ **فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ .

ولما غفل آدم عن حق ربه ، ووهنت فى الخير عزيمته أخرج منها وزوجه ، وعرفهما الله — عز وجل — وعرف ذريتهما من بعدهما أن الجنة مستوى الكمال ، من فقده لم يبق لها أهلا فمن بقيت فى نفسه أثارة من شر وأدركه الموت ولم يتطهر منها حبس على شواطئ الآخرة ، ولم يدخل جنة ربه على تلك الحال !!! .

قال الرسول المصطفى الكريم — ﷺ — « **يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم فى دخول الجنة** » .

ويحسن أن أسرد لكم هذه القصة الطريفة التى يحكيها على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — فيقول :— مامعناه — ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت ثناياه .. فقلت بأبى أنت وأمى يارسول الله مايضحكك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « **اثنان من أمتى جثيا بين يدى** (١) **الرحمن فقال أحدهما : يارب خذ لى مظلمتى من هذا ..فقال الرب — سبحانه — اردد على أخيك مظلمته .. فقال : يارب كيف .. ؟** (٢) **فقال الرب — سبحانه — ماذا تفعل بأخيك ؟ فقال صاحب الحق : فليعطني من حسناته .. فقال الرب — سبحانه —** (لمن عنده الحق) **فلتعطه من حسناتك .. فقال يارب : قد نَفِدَتْ حسناتى .. فقال الرب — سبحانه —** (لصاحب الحق) **: ماذا تفعل بأخيك وقد نفِدَت حسناته ؟ فقال : فليحمل عنى من أوزارى .. !!** « **وهنا بكى رسول الله ﷺ حتى اخضلت لحيته بالدموع !!** » فسأله علي — رضى الله عنه — بأبى أنت وأمي يارسول الله — **مايبكيك ؟ قال** : « **إنه ليوم عصيب .. يوم يحتاج الناس فيه أن يحمل عنهم من أوزارهم** » (٣)!!! ثم قال : « **فأشار**

---

(١) يعنى يوم القيامة من باب الاخبار بالمغيبات ....

(٢) لأن الدنيا دار عمل أما الآخرة دار مقر وجزاء فمن أين له برد الحق ؟

(٣) وحديث المفلس مشهور .

الرب ــ سبحانه ــ إلى قصور فى الجنة .. فقال صاحب الحق : **يارب .. لأي مَلَكِ هذا ؟ أو لأي نبى هذا ؟ قال الرب ــ سبحانه ــ هى ياعبدى لمن أعطى الثمن .. فقال : ومن يقدر عليه يارب العالمين ؟ قال الرب ــ سبحانه ــ أنت ياعبدى .. فتعجب** صاحب الحق **قائلا : أنا ؟ وكيف ؟ قال الرب ــ سبحانه ــ بعفوك عن أخيك .. فقال : أشهدك يارب أنى قد عفوت عنه .. فقال الرب ــ سبحانه ــ خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة »!!!**

ولكن كلاً من الصالحين فى منزلته المناسبة فى الجنة « وقد قلنا إن الجنة درجات ، وهذا يدلنا دلالة صريحة على أن حقوق العباد لايكفرها صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة إلا بردها إلى أصحابها أو عفوهم ...

ولذا يجدر بى أن أسوق هذا الدعاء المأثور : « اللهم إن لى ذنوبا فيما بينى وبينك ، وذنوباً فيما بينى وبين عبادك .. فما كان لك منها فاغفره ، وما كان لعبادك فتحلمه عنى » .. وما لعبـادك فتحمله عنى .. كيف ؟ بإرضاء صاحب الحق ليعفو عن أخيه وهذا ــ فى اعتقادى ــ إذا كان المدين على درجة تؤهله لتحمل هذا لحق عنه ومجازاة صاحبة ..فليفهم... (١) .

أرأيت ؟ لابد من تهذيب وتنقيه ، فمن لم يستوِوينضجويطلبْ فى الدنيا انتظرته جهنم ، لتكمل له مانقص ، وتعوضه مافاته .

﴿ أيطمع كل امرىء منهم أن يُدخَل جنة نعيم ؟ .. كلا .. إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾ لقد خلق الإنسان من أصول ، فيها كدر وكثافة وهون . **﴿ من حمأ مسنون ﴾ ــ ﴿ من نطفة أمشاج ﴾** (٢) وأمامه فى الدنيا فسحة من الأجل ينبغى أن يستغلها فى ترشيح نفسه للملأ الأعلى ، فيزكي نفسه ويصفي قلبه ليوافق ذلك مانفخ فيه من روح الله **﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها .. ﴾** (٣) .

فيقهر أهواءه ، ويمسح أكداره ، ويرقق من طويته ، ويسمو بطبيعته ، حتى

---

(١) بأن كان له عند الله عمل جليل يعلمه هو ــ سبحانه .

(٢) راجع شرح المفردات فى التفسير .

(٣) كماسنوضح بعد عن خصائص النفس الإنسانية ومداخل الشيطان إليه ــ إن شاء الله .

يطيب ويطهر فإذا جاءته رسل ربه لتنقله إلى الآخرة ، صدق قول الله ــ عز وجل ــ ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ إن هناك أقواما تَشَمُّ فى أعمالهم نتن الطين الذي خلقوا منه ، وتَلْمَحُ فى أخلاقهم كدره وسواده !! هؤلاء ليسوا أصحاب الجنة مهما زعموا وأملوا .. !!

يعقد الإسلام صلة وثيقة بين فعل الخير فى الدنيا وما يعقبه من سعادة فى الآخرة ــ كما يعقد الصلة نفسها بين اقتراف الشرور واستحقاق العذاب الأليم وقد يحاول بعض الناس بأساليب ملتوية وعلل مكذوبة ــ أن يشكك فى هذه الصلات القائمة ، ولكن هيهات !! فالمجرم لابد أن يلقى عقوبته ، وأن يواجه الجزاء من جنس العمل .

﴿ **إن الله لايصلح عمل المفسدين ، ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون** ﴾ .

وعندما يتلاوم العصاة يوم القيامة ، ويحاول كل فريق منهم إلقاء التبعة على الآخر ، ليتنصل من الذنب ويفر من العقاب ، عندئذ يقرع آذانهم صوت الحق ﴿ **قال لاتختصموا لديّ وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يُبدّل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ !!! .

والمحسن لايخلف عنه الوعد الحق ، ولا ينقص مكافأته على صالح عمله ذرة ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا ، وهو العزيز الحكيم** ﴾ ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ .

ويجدر بنا أن نلفت الانتباه إلى طائفة من أدعياء العلم بالنصوص الواردة ، وخبثهم فى فصل العلاقة بين العمل وجزائه ، والاحتيال بذلك على تحقير مظهر الخير فى العمل الطيب أو مظهر الشر فى العمل الفاسد ...

وإن الفسقة قد ينالهم العفو مهما ارتكبوا ، وينشد شاعرهم :

وإنى ــ وإن أوعدته (١) أو وعدته * لمخلف إيعادى ومنجز موعدى .. !!

---

(١) أوعد : فى الشر ... ووعد فى الخير .

وعميت بصائرها عن ذكر الحق ـــ تبارك وتعالى ـــ ﴿ ... **ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد** ﴾ ...﴿ **غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ..** ﴾ ﴿ **نَبِّىء عبادي أني الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم** ﴾ !!!! .

وهذه الفئة الحقيرة أدت عملها فى إفساد الأمة وتلويث المجتمع وإهانة الدين وتعاليمه ...

والله ـــ سبحانه وتعالى ـــ يكذب ذلك بأسلوب صريح .

﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم .. ساء مايحكمون** ﴾ .

﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار .. كتاب أنزلناه اليك مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ إن المؤمنين يوقنون بأن عموم المشيئة لايعنى التسوية بين خائن وأمين وأن جواز العفو لايعنى إبطال الشرائع وإهمال القوانين ..

تنقية الشفاعة :

يلفظ عوام المسلمين بأحاديث واردة فى شفاعة النبى ﷺ لبعض العصاة . وتعلق أولئك العوام ، والدجالين بأحاديث الشفاعة ، يخيل إليك أن قوانين الجزاء بطلت ، وأن نيران الجحيم توشك أن تتحول بردا وسلاما على عصاة المؤمنين .

وكثيراً مايفرط هؤلاء الجهال فى الفروض ويقعون فى أوخم الذنوب ثم يقولون : أمة محمد بخير .. !! وهذا مسلك ساقط وهمة هابطة .

ومحمد ﷺ أول من يستنكره ويحاربه ويحارب أصحابه وينذرهم بأنهم أصحاب الجحيم .

فأما أن الجزاء حق ، وأنه يتناول الذرة من الخير والشر وأنه يعم الناس أجمعين فذلك صريح القرآن الكريم .

﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ والقول بأن قوانين الجزاء توقف بالنسبة لأتباع نبى ماسخف فارغ (١) وقد كذب القرآن

(١) وسوف نناقش ذلك عند الحديث عن تربية الفرد المسلم ـــ إن شاء الله ـــ

الكريم فى مواضع شتى مزاعم الأولين والآخرين لما جمحت بهم أمانيهم إلى هذا الوهم الباطل .

ولسنا نرد ماصح من أحاديث الشفاعة .. بل نثبتها فى مواضعها التى لاتعدوها حتى لانحرف الكلم عن مواضعه .

روى الشيخان : قال رسول الله ﷺ ﴿ **إن لكل نبى دعوة مستجابة ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، فهى نائلة منكم إن شاء الله ، من مات لايشرك بالله شيئا** » هل معنى هذا الحديث أن الشفاعة التى يرجوها الرسول الكريم تنقذ مرتكبى الفواحش والمناكر ممن ماتوا لايشركون بالله دون أن يستوفوا جزاءهم ؟؟؟!!

إن الرسول الكريم نفسه يرد هذا الزعم ويبطله .

وقد روى البخارى حديثا يصف فيه أهوال الحشر وأحوال أهل النار قال النبى ﷺ فيه« **يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ــ هل رأيتم شوك السعدان ؟ ــ قالوا نعم ! فإنه مثل شوك السعدان غير انه لايعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا** (١) **فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كماتنبت الحبة فى حميل السيل ..** (٢) .

وهذا الحديث يفيد أن المسلمين الذين يعبدون الله وحده قوم سيدخلون النار وأن لهيبها سينال ملامحهم فلا يعرفون إلا بآثار السجود .

---

(١) قشرت جلودهم عن لحمهم .

(٢) وصدق رسول الله ﷺ « **لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قالوا حتى ولا أنت يارسول الله ؟ .. قال : حتى ولا أنا .. إلا أن يتغمدنى الله برحمته** » أو كما قال .

وأن رحمة الله فحسب هى التى تدركهم فتنقذهم مما يعانون من بلاء ثم تغسل أوضارهم الأولى بماء الحياة لينبتوا ــ بعد ــ خلقا جديدا يصلح للنعيم ، والرضوان ... فليس للشفاعة هذا النطاق الواسع الذى يبرز به الخطاءون إصرارهم . وما تفيدهم أمانيهم فيها شيئا ﴿ **وإنْ منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم نُنَجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ (١) .

وقد بين الله ــ سبحانه ــ أن الشفاعة لاتجدى على كافر ولا على فاسق مثقل بالخطايا ــ قال الله تعالى ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون** ﴾ ﴿ **واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** ﴾ ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى** ﴾ . والنفس المثقلة بالخطايا ــ ولو كانت لرجل من المصلين ــ لايفوتها جزاؤها كما رأيت فى حديث الرسول وهو يصف أمته عند اجتيــازها الصراط ، فهل من مدكر ؟ .

﴿ **يوم يُكْشَفُ عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون** ﴾ .

والظاهر أن الشفاعة التى يرجوها النبى الكريم إنما تدرك صنفا من الناس تأرجحت موازين الحق والباطل فى أعماله فهو بين السقوط والنجاح .

ونحن فى حياتنا ننظر إلى التلامذة الذين يقتربون من النهاية الصغرى للنجاح نظرة رأفة ونميل إلى منحهم درجة أو درجتين جبرا لنقصهم (١) .

أما الذين يبتعدون عن المستوى الأدنى للنجاح مسافة بعيدة فإننا نحكم بسقوطهم فورا فلعل الشفاعة المنسوبة للرسول الكريم تنقذ أمثال هؤلاء المقاربين للنجاة وبهذا التفسير يتم الجمع بين النصوص .

وقد يكون المقصود من هذه الشفاعة التنويه بمكانة النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ والإشادة بمنزلته الكبرى عند الله ...

---

(١) من كتاب عقيدة المسلم بتصرف .

ومثال ذلك فى مجتمعنا انه فى مناسبات خاصة ـ كعيد ميلاد الملك (١) أو جلوسه يفرج عن طوائف المسجونين قضوا أغلب المدد المحكوم عليهم بها ، ويراد إشعارهم بفضل المناسبة التى تستحق العفو والحرية .. ﴿ **ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم** ﴾ .

وهذه الحرية الممنوحة بالعفو العام ، لاتخدش أصل العقوبة المقررة . ولا يفهم منها أنه لاضرورة لسن القوانين . وبناء المحاكم وتعيين القضاء ، كما يريد أن يفهم ذلك عوام المسلمين وأصحاب البدع والخرافات ـ من مرتزقى التصوف والدجل الدينى ـ ومن أحاديث الشفاعة المنسوبة لنبيهم ﷺ والتى تشير إلى أن الله قد يجيب دعاء نبيه ـ وهو جاث بين يدى ربه ـ يسأله الصفح عن الأمم الفقيرة من الأولين والآخرين التى أدركها حر الموقف المعنت وألهب عصاتها شواظ من النار المستعرة فهى تضرع إلى الله أن يرفع غضبه وتتردد على أنبيائه جميعا كيما يشاركونهم الرجاء والدعاء . على أنه مهما بلغت منزلته عند الله فلن يتجاوز فى الله حد التقرب والتجنب لمولاه وما كان لنبى أن يفرض رأيا أو يقرر حكما .. ثم مافائدة رسالته ووعده ووعيده ؟.!! وما الفرق بين من أطاع ومن عصى ؟ ..

﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ .. قالوا : الحق وهو العلى الكبير** ﴾ ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا** ﴾ ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ ـ فلا كلام إلا بإذن ولا كلام إلا بصواب ، ومرد الأمر لله الواحد القهار له وحده .. وحده فقط ..

فإذا كان من الناس من يقترف الموبقات المهلكة اعتمادا على شفاعة موهومة فليذكر قول الحق فى أهل النار ﴿ **ماسلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين .. ولم نك نطعم المسكين .. وكنا نخوض مع الخائضين .. وكنا نكذب بيوم الدين .. حتى أتانا اليقين .. فما تنفعهم شفاعة الشافعين ..!!!** ﴾ .

﴿ **يوم يُكشَفُ عن ساق ويُدعِون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة**

---

(١) وهذه أعياد ماأنزل الله بها من سلطان وهي من البدع المذمومة .

أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدعَون إلى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون . وأملي لهم ؛ إن كيدى متين ﴾ .

ويجدر بنا بعد سوق هذا العرض الواجب نروى حديث الشفاعة العظمى معتقدين أن قارئه لن يتجاوز به حدوده ــ إن شاء الله ــ .

عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ قال : يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك ــ وفى رواية ــ فيلهمون لذلك ــ فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو البشر ، خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هُناكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى رَبَّه منها ، ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون فيقول لست هُناكم ، فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى رَبَّه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليلا . فيأتون إبراهيم ، فيقول لست هُناكم ، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى رَبَّه منها ولكن ائتوا موسى ــ كلمه الله وأعطاه التوارة ــ قال : فيأتون موسى فيقول لست هُناكم . ويذكر خطيئته (١) التى أصاب فيستحي رَبَّه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هُناكم ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال : قال رسول الله ﷺ فيأتون فأستأذن على ربى تعالى ــ فيؤذن لى فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله .فيقول : يامحمد : ارفع رأسك . قُل تُسمع ، سل تعطه واشفع تشفع .. فأرفع رأسى ، فأحمد ربى بتحميد يُعلمنيه ربى ، ثم أشفع فيحد لى فأُخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود ساجدا فيدعنى ماشاء ان يدعنى ثم يقال لى : ارفع يامحمد رأسك ، قل تسمع ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يُعَلِّمُنيه ربى .ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم

---

(١) علماً بأن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله وفى أمور الدين فإذا أخطأوا سددوا عن طريق الوحى بخلاف البشر ولأن رسول الله قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . فهي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

الجنة .. قال : فلا أدرى فى الثالثة او فى الرابعة — قال فأقول : يارب مابقى فى النار إلا من حبسه القرآن (أى من وجب عليه الخلود) (٢) ...

إن أتباع الدين يجب أن يعرفوا أن الحساب الإلٓهى لايغفل الذرة من الخير أو الشر . وأن هذه الدقة تنفى كل تصرف ينطوى على الفوضى ، وكل الجزاء جزافا . وقد ندد القرآن الكريم باليهود — لما سرت بينهم هذه الآراء الغريبة حتى ظن عامتهم أن الجنة حكر لهم ولذريتهم — لأمر ما — فأقبلوا على الملذات (العيش الأدنى) ينهبونها ويقولون — فى يقين . سيغفر لنا ؟؟!

﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون : سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ؟؟ — ودرسوا مافيه — والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾

لعمل والجزاء ،

، عوج سلوك

، ورفع الثقة

الله ﴿ **ليس**

. له من دون

د النذير لأن

خروا منه غير

الذى يجب

ا تمهيدا له ،

د الله عواقبه

نواها كتاب

ها — صفرا

إلا ماتزودنا به منها . ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .. واتقون ياأولي الألباب** ﴾ .

ولو كان أكثر الناس وطيد الرجاء فى حياة مقبلة ماأرخص عمره وما احتسب وقته أهون مالديه من متاع .

ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ـــ من أبناء الدار المقبلة ـــ لامن أبناء الدار المدبرة فإن اليوم عمل ولا حساب .. وغدا حساب ولا عمل ... (١)

منكـــرو البعث وسخف مزاعمهم :

من العصور الخالية وأقطار الأرض منكوبة بصنف من الناس يظنون أنهم مربوطون بأعباء الحياة كما تربط الحمير بعربات القمامة تظل تدور بها حتى يغلبها الإعياء وتدركها الشيخوخة فتموت حتف أنفها أو يطلق عليها الرصاص ثم لاشيء ... أو كالكلب يظل يدور حول نفسه ليمسك ذنبه فتجده دائما لاهثا حتى ينفق (٢) ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ... ولو شئنا لرفعناه بها . ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص لعلهم يتفكرون ....** ﴾ .

روى أن أحد (٣) أولئك المنكرين للبعث جاء بعظم بالٍ قد فته بعدما أرمّ وعرضه على رسول الله ﷺ يحسب المغفل أنه سيفحمه بسؤاله « **كيف يتحول هذا بعد ذلك إلى بشر سوي ؟** » ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه** ﴾ **وهذا الاعتراض صفعة للسائل الجهول ترده إلى مكانته التى يتطاول فوقها** .. ﴿ **قال من يُحيي العظام وهى رميم ؟ قل يُحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليمٌ . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السمٰوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ .. بلى .. وهو الخلاقُ العليم .. إنما أمره إذا أراد شيئا يقول له كُن فيكون .. فسبحان الذى بيده ملكوت كلِّ شيء وإليه تُرجعون** ﴾ .

---

(١) راجع كتاب الروح لابن القيم .

(٢) يموت حتف أنفه .

(٣) هو العاص بن وائل فنزلت أواخر يس بعد أن قال له المصطفى ﷺ « **بلى ويبعثك ويدخلك النار** » .

نعـم : يحييها المبدع المتفرد فى شئون الخلق والإبداع والإيجاد والتصوير .. ودلائل البعث كما قدمنا ـــ ترجع ـــ فى جملتها ـــ إلى لفت أنظار الناس نحو حقائق بدهية مسلمة .

﴿ ويقول الإنسان أإذا مامِت لسوف أخرج حيا ؟ .... أولا يذكر الإنسان .. أنا خلقناه ـــ من قبل .. ولم يك شيئا ؟!! ﴾ وهذا المخلوق المعاد تتكرر صُوَرُه تحت أعيننا بصور شتى كل يوم بل كل لحظة ـــ فالرجل ـــ والمرأة ـــ من حيث لايشعر أحد ـــ تصنع غدده الجنسية ألوف الألوف من الحيوانات المنوية فى واحد منها فقط أساس كامل لبشر كامل .

ولعل لهذه الكثرة فى إيجاد أصول الحياة يقصد بها إلى الدلالة على أن الموجد على درجة من الغنى فى خلق أسباب الحياة تجعل إنشاء الناس أمرا يسيرا بالنسبة إلى قدرته .. **﴿ أفرأيتم ماتمنون؟ .. أأنتم تخلقونه ؟ أم نحن الخالقون ؟.. نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين .. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون ﴾** ؟ (١) **﴿ ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ... ﴾** .

وعن أبى رزين العقلى : قلت يارسول الله : كيف يُعيدُ الله الخلق ؟ وما آية ذلك قال : أما مررت بوادى قومك جدبا ، ثم مررت به يهتز خضرا ؟ قال نعم ؟ قال : فتلك آية الله فى خلقه .. **﴿ كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون .. ﴾ ﴿ ... والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا .. كذلك الخروج .. ﴾** (٢) **﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾** .

والمادة الميتة تتحول ـــ فى كل غذاء نتناوله ـــ إلى خلايا حية من جسومنا يسري فيها الشعور ، وتنتفض بالحركة .. فما معنى استنكار مايقع شبيهه بيننا

---

(١) اقرأ آخر سورة « الواقعة » .

(٢) اقرأ سورة ق من أولها إلى آخرها وتدبرها ، فقد حفظها صحابة رسول الله ﷺ من فيه على المنبر من كثرة ماكان يخطب بها .

أبدا؟ هل النشور إلا هذا ؟ ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى .. ﴾ .

﴿ لَخَلْقُ السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ [1] .

فكيف يستكثر على من بينى قصرا منيف الشرفات سامق العمد أن يبنى كوخا تافها بعد هدمه ؟ ﴿ ولله المثل الأعلى ... ﴾ ان البعث عقيدة فوق الشبهات ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .

ولنتهيأ له بالزاد الطيب من الهدى والتقى والعفاف ﴿ قل ان تخفوا مافى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السموات وما فى الأرض والله على كل شيء قدير .. يوم تجد كل نفس ماعملت من خير ا محضرا وما عملت من سوء ـــ تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ـــ.. ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد .. ﴾

فإذا طلعت عليك شمس يوم من أيام الدنيا بعد نوم مستغرق فاذكر أن هناك يقظة ، سوف تعقب الهجعة المؤقتة فى القبر .. يساق بعدها أهل الشر إلى سقر .. ويساق أهل الخير إلى ﴿ .. مقعد صدق عند مليك مقتدر .. ﴾

اللهم اجعلنا من أهل الجنة .. والمزحزحين عن النار ياعزيز ياغفار .

* * *

---

(١) وصدق الأثر الكريم « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم فوالله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن على ماتعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا والسوء سوءا وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا » أو كما قال .

عـود على بـدء :
ولكن لماذا تكون العقيدة هي الإسلام ؟!!

... وبعد هذه الجولة فى باطن الأرض وغياهب القبور وسكرة النشور وأهوال السعير ، ورحمة العلي القدير ، وامتنانه على الصالحين من عباده بالتقريب والسرور : ..!! كان لابد لكل ذى لب أو بصيرة أن يدرك ويوقن أنه لابد لهذا الإنسان من عقيدة ـــ وهذا مما لا يختلف عليه اثنان من ذوى الألباب ـــ ولكن علامة استفهام تقفز إلى الأذهان حائرة ، (ولكن لماذا تكون العقيدة هى الإسلام ؟ ..) وهذا يدعونا إلى لفت النظر إلى ماسبق أن سقناه من أدلة على كمال شريعة الله ، حيث لاتجد جوابا شافيا على الأسئلة الأزلية التقليدية الحائرة ـــ (من أين ؟ ولماذا ؟ وإلى أين ؟) . والأسئلة المنبثقة من الإجابة عليها ـــ إلا فى هذه الدعوة الإنسانية .. إلا فى هذه الرسالة الخاتمة .. (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؛ إذ فيها من المميزات الفذة التى لاتوجد فى غيرها من أنها : (١)

(١) فطرية (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، أو كما قال ـــ ﷺ ـــ .

(٢) واضحة ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله** ﴾ .

(٣) مبرهنة ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ .

(٤) ثابته ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

(٥) وسط فى :

١ ـــ صفات الإلَه ـــ سبحانه ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ .

---

(١) راجع كتاب : الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوى . عقيدة المسلم للغزالي . والإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت رحمه الله .

٢ ــ أمر النبوة ﴿ **إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى** ﴾ [١] .

٣ ــ علاقتها بالعقائد [٢] .

٤ ــ التسليم والنظر والقيادة من الشك إلى اليقين .

٥ ــ قضية الإرادة الإنسانية (قضية الجبر والاختيار) (القضاء والقدر) .

٦ ــ القرآن فيها منهج موجه إلى البشرية كلها ، البشرية المتطورة نحو الكمال فى الفكرة والنظرة الموحدة . ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

إذ ليس فيها مافى غيرها من العقائد الأخرى من الغموض والتواكل والإبهام والدجل .. إلخ ... ليس فيها مثل مايقال : اتبعنى ــ وأنت أعمى .. الجهالة أم التقوى .. أغمض عينيك ثم اتبعنى إلى الداخل ، لأمنحك صك الغفران .. وليس فيها من التخريف الدينى مثل الأب والابن والروح القدس إلّه واحد ٣ = ١ ؟!!! الأب هو الابن ؟!!! ياسبحان الله شيء لايصدقه عقل .

إنما هى واضحة جلية ، براهينها عقلية ، مقنعة ، ليست « بيزنطية » ولا « سفسطائية » ثابتة لا تغيير فيها ولا تبديل . ﴿ **من أحدث من أمر ديننا هذا ماليس منه فهو رد** ﴾ أى باطل .. أو كما قال رسول الله ﷺ ــ كما سنفصله ــ بمشيئة الله ــ بعد قليل ... لاإفراط فيها ولا تفريط . لامغالاة ولا تنطع ، ﴿ **فاتقوا الله ماستطعتم** ﴾ .. ﴿ **كلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ وصدق رسول الله ﷺ « **الدين يسر لا عسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه** » ... وسط فى كل الأمور وصدق الله العظيم ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ .

وسط فى أنها تقود من الشك إلى اليقين فلا هى بالتسليم المطلق ولا بالشك الذى يُهلك ويُردى ، وإنما تأخذ بيد متبعيها إلى اليقين الذى لايخالطه شك ولا يمازجه ريب ... فلا تحرم السؤال ــ كما أسلفنا ــ ليس فيها (اتبعنى وأنت

---

(١) وقوله ﷺ « **ان الله اصطفى من كنانه قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار** » .

(٢) راجع كتاب : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ الغزالى ونحو مجتمع إسلامى للشهيد سيد قطب وفصل : نحن ندعو إلى عالم أفضل من كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب .

أعمى) ولا (الجهالة أم التقوى) وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ ... وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى ؟ .. قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى .. ولكن ليطمئن قلبى قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا . واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ .. ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال : رب أرنى انظر إليك .. قال لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى .. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكّا وخر موسى صعقاً . فلما أفاق . قال : سبحانك !!! تُبتُ إليك وأنا أول المؤمنين ... ﴾ فلم ينكر رب العزة على إبراهيم وموسى عليهما سؤالهما بل أخذ بيديهما إلى اليقين والتسليم المبصر .. ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ... ﴾ .

﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ... ﴾ ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم .. أفلا تبصرون ؟ .. ﴾ ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ... ﴾ .

﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله .. والراسخون فى العلم يقولون آمنا به .. كل من عند ربنا .. وما يذكر إلا أولو الألباب .. ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة .. إنك أنت الوهاب ﴾ .

وسط فى قضية الجبر والاختيار ؛ فمن الناس من قال إن الإنسان مسير — فى كل أموره — فمرتكب الكبيرة يدخل الجنة وإن لم يتب ، ومنهم من يقول بأنه مخير فى كل شيء ويخلق أفعاله بنفسه ، ومرتكب الكبيرة مخلد فى النار . ومنهم من يقول بأنه فى منزلة بين المنزلين إلخ .. (١) من آراء المعتزلة والجبرية ، والأشاعرة والماتريدية .. إلخ .. فى كتب علم الكلام .

---

(١) ومن أراد المزيد فليطلب ذلك فى مظانه من المراجع التخصصية — قديمة وحديثة — مثل نشأة الفرق د / على سامى النشار أو الفرق الكلامية د / يحيى فرغل .

والحقيقة أن الجواب يكمن فى السؤال : هل الإنسان مسير أم مخير ؟ ... إذ لو كان مخيرا — قولا واحدا — لما جاز السؤال .. ولو كان مسيرا لما جاز السؤال وإنما واقعة يَشِي بأن فيه تسييرا وتخييرا .. لونه وطوله وتنفسه ونبضات قلبه ورزقه وأجله ،ونوع والديه .. الخ كل ذلك ليس له فيه اختيار وإلا لقضى نحبه ونفق أثناء نومه ، أما أكله وشرابه ومنامه وزواجه وإيمانه وكفره وكل ماتحويه دائرة (افعل ولا تفعل من حركة حياته) هو فى كل ذلك مخير — هو والجن — الثقلان فقط هما اللذان يستطيعان اختيار البديلات وهما اللذان يستطيعان أن يقولا لا .. ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين** ﴾ والاستثناء هنا منقطع فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه .. بدليل قول إبليس نفسه — كما حكى عنه القرآن — ﴿ **خلقتنى من نار وخلقته من طين ..** ﴾ فالجن مخلوق من نار والملائكة أجسام نورانية ... وقد ورد فى لسان العرب ... (قام القوم إلا حصانا) ويؤيد ذلك قول الحق — تبارك وتعالى ﴿ .. **إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ..** ﴾ والقرآن يفسر بعضه بعضا فالثقلان فقط هما المكلفون ، وصدق الله العظيم ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ إن لم يكن فى علم الله خلق آخر .

ودوائر الأعمال ثلاث : (شيء يقع فينا وشيء يقع علينا [1] وشيء يقع منا) فالأولان فيهما التسيير كالتنفس والصحة والمرض والرزق .. إلخ .. أما مايقع منا فهو دائرة التخيير وعليها مدار الحساب — ثوابا وعقابا — بشروط سبعة : ست منها مردها إلى العقل وواحد إلى الوحي السماوى ، ثلاثة منها فى حديث رفع القلم عن ثلاثة :« **عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق** » وثلاثة أخرى فى حديث « **رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » وكلها يرفع عنها العقاب عند غيبة العقل أو نقصانه أو الحجر عليه .. الخ .. أما السابعة ففي قوله — عز وجل — ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ ... أفبعد هذا يشك فى عدل الله ؟ . بل ماعدا ذلك فهو الظلم بعينه ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ ﴿ **وما ظلمناهم ولكن**

---

(١) راجع أشرطة الشيخ الشعراوى أو اقرأ ماكتب عنه أخيرا فى كتيبات — وسماع الشيخ ألذ من قراءة ماكتب عنه .

كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .. ﴿ **ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ السيارة أو الدابة لو ركبتها ثم قتلتَ بها نفسا .. أيُوقفون السيارة أو الدابة ويحبسونهما ويقتصون منهما ؟ أم منك أنت ؟ ... لماذا ؟ لأنها لاتعقل ولا خيار لها وصدق الشاعر حين يصف الجمل فيقول :

وتضربه الوليدة بالهراوى فلا أف لديه ولا نكير !!!

فإن قال قائل : هل يقع فى ملكه ــ تعالى ــ مالا يريده ؟ نقول له : لقد عرفت شيئا وغابت عنك أشياء .. لقد أردات إرداته ــ سبحانه ــ أن تكون لك إرادة ، وشاءت قدرته أن تكون لك قدرة واختيار تستطيع أن تفعل أو لاتفعل .. فإن قيل ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ نقول : شاءت مشيئة ــ عز وجل ــ أن تكون لك مشيئة .. فان سلبت المشيئة والإرادة أو الاختيار بأي سبب من الأسباب سقط عنك الحساب ، فإن قيل : كتب على أزلا أننى سأكون شقيا فَلِمَ يحاسبني ؟ نقول : لقد أحلت وغالطت .. القضية العقلية ان تطرح الجانب الثانى للسؤال : ولماذا كتب على فلان السعادة ولماذا يدخله الجنة ..

هو سبحانه ــ جعل لك عينين صالحتين لرؤية الحلال والغض عن رؤية الحرام ، والفتح والغض بمشيئتك وإرادتك .. فلو وقع بصرك على محرم لأول وهله كانت الأولى فهى لك (١) وإن حملقت وأطلت النظر فعدم الغض بإرادتك فكانت الثانية ــ وهى عليك ــ وجعل لك لسانا وشفتين وهداك النجدين ... وقد علم أزلا أن الملعونين أبا جهل وأبا لهب ، وأم جميل باستطاعتهم أن يقولوا كلمة الإسلام كما قالها غيرهم ، وكلمة النفاق ــ كما فعل عبد الله بن أبي ومن معه ــ ولو من قبيل تكذيب محمد ﷺ ولكن علم الله أزلا أنهم لن ينطقوها ــ رغم قدرتهم عليها ــ لأنهم اختاروها .. هل أجبرهم أحد على النطق بكلمة الكذب ؟ ألم يتحمل رسول الله ﷺ الكثير فى سبيل أن يقولوا ؟ .. ألم يتحايل على عمه .. وهو فى فراش الموت . ويقول ياأبا طالب قلها أشهد لك يوم القيامة . فكلما همّ بها قال له الملاعين أبو جهل ومن كان معه : دين آبائك ..

---

(١) راجع ماقلناه سلفا فى هذا المقام .

فيتقاعس .. وهو الذى قال :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحا بذلك مبينا

فشياطين الإنس هم الذين منعوه وأثروا عليه ولكنهم لم يمسكوا بلسانه .. بل هو بمحض إرادته واختياره كفرعون قال بمحض الاختيار حينما قال : ﴿ .. **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ . لولا أن التوبة كانت حين بلوغ الروح الحلقوم فأغلق بابُها دونه . فعلم الله الأزلى علم إحاطة وانكشاف ، لاتأثيرى فمثلا — علم الله أن أبا جهل لن يختار كلمة الخير — رغم أن لسانه — ككل البشر — يستطيع أن يقول الخير والشر ولكنه سيؤثر الكفر . فقال سبحانه — اكتبوا ياملائكتى أنه شقى .. وهو هو معنى كتب عليَّ الشقاء ؟ .. كما أنه — سبحانه علم أزلا أن عمر — رضي الله عنه — سيختار الخير — مع أنه يستطيع أن يقول كلمة الكفر — ولقد قالها من قبل — بل كان يريد قتل محمد وصحبه .. ولكنه اختار الخير والله علمه منه فقال — سبحانه — اكتبوا ياملائكتى أنه سعيد .. وهذا معنى كتب علي السعادة ؟ ... ثم تعالوا بنا لندرك الحقيقة .. هل أعلمنا الله وأطلعنا على الغيب أننا سنختار كذا ؟؟ .. نحن لانعرف إلا بعد الوقوع فى المعصية أو عمل الخير .. وهذا معنى « اللى انكتب على الجبين لازم تشوفه العين » فى المثل الدارج .. فهل علم الله الأزلى أثر فى سلوك الفرد ؟ لا ... (علم الله فأراد فقدر فأمر الملائكة أن يكتبوا وفق علمه الانكشافي لماسيكسبه العبد والقدرة يسرت له الطريقن على السواء ... تماما كما لو حدث مثلا أن رئيس القسم قال لى اختبر طلابك تحريريا وضع لكلٍّ درجته المناسبة تبعا لما يكتب كل منهم فى الامتحان فقلت له مثلا ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ — أنا — بخبرتى لطلابى أعرفهم واحدا واحدا ففلان سيأخذ مثلا (ممتاز) وفلان (جيد جدا) وفلان (جيد) وفلان (مقبول) وفلان (ضعيف) فلم يقتنع . فقلت اعمل لهم أنت الاختبار وضع لهم الدرجات المناسبة وبعد ظهور النتيجة عنده — التحريرية — وجدها مطابقة تماما لما أخبرته به — ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ فهل علمي بنتائج طلابي أثر فى سلوكهم ؟ ... لا . وهذا مثل تقريبى لتفسير الكتابة الأزلية فإن مدار الحساب

على القدرة والاختيار اللذين وهبهما الله للإنس والجن .. وهذا هو تفسير القرآن الكريم لمسألة القضاء والقدر ﴿ .. **وأما ثمود فهديناهم .. فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ .

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** .. ﴾ ﴿ **إنا هديناه السبيل .. إما شاكرا، وإما كفورا** ﴾ ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ ﴿ **ياأيها النبى : قل : لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم** ﴾ ﴿ **وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ... واتبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وإن كنت لمن السخارين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين .. بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين .. ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟ .. وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم .. لايمسهم السوء ولا هم يحزنون !!** ﴾

وعن الكتابة الأزلية ورد فى كتاب الإيمان باب الإيمان بالقدر ـــ المجلد الأول ص ٣١ مشكاه المصابيح ٨٢ عن ابن سعود ـــ قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق ـــ « **إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم مضغة مثل ذلك**[1] **ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات ـــ فيكتب (عمله ، وأجله ، ورزقه ، وشقي أو سعيد) ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** » متفق عليه .

---

(١)وقد أثبت الطب الحديث أن الجنين يتحرك فى بطن أمه بعد أربعة أشهر !! فمن علمه هذا؟ (علمه شديد القوى) .

وهذا هو ماقررناه سلفا من أن علم الله المحيط الكاشف الأزلي الذى لايطلع عليه العباد هو الذي يحدد الكتابة الأزلية الواردة فى الحديث .. ياملائكتى سبق علمى أنه سيختار الخير فاكتبوا أنه سعيد ... أو أنه سيختار الشر فاكتبوا أنه شقى وهكذا فى الرزق والأجل وقمة الإيمان الإيمان بالغيب والتسليم بالقضاء والقدر .

﴿ ... **والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به .. كل من عند ربنا .. وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ وأول صفات المتقين ﴿ ... **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ (١) .

ولذا يجب على المسلم أن يكون من الراسخين وينزل على حكم رسول الله ﷺ (إذا ذكر القدر فأمسكوا) .. ويتفل المسلم عن يساره ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم « **لاتفكروا فى ذات الله فتهلكوا ولكن تفكروا فى مخلوقاته** » أو كما قال رسول الله ﷺ .

ومن مميزات هذه العقيدة أن القرآن فيها منهج موجه إلى البشرية كلها .. البشرية المتطورة نحو الكمال فى الفكر نحو النظرة الموحدة (وحدة الكون والإنسان والحياة) ـــ المنبثقة من وحدة الخالق ـــ سبحانه ـــ ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا** ﴾ ﴿ ... **إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ..** ﴾ ﴿ **قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ... سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** ﴾ .

وحـــدة الكـــون :

هذه الوحدة الكونية المخلوقة ذات وحدات متجانسة ودورات متشابهة (كدورة المياه ، ودورة الرياح ، ودورة النبات ، والكواكب والنجوم السيارة .. الخ . كلها وحدات تتباين لتتحد وتفترق لتلتقى ؛ وتتمايز لتكون وحدة الكون المخلوقة للخالق الواحد الأحد المبدع المصور (٢) وما أصغر شأن موطننا فى

---

(١) راجع صفات المتقين فى أول سورة البقرة .

(٢) راجع كتاب العدالة الاجتماعية للشهيد سيد قطب فصل : طبيعة العدالة الاجتماعية فى الإسلام وكتابه : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته . وتفسير القرآن .

الفضاء بالنسبة إلى سائر مافى الكون من مواد والذى يستحق التسجيل أن القرآن والعلم يتركان أثرا واحدا — ولا أقول أثرا متشابها — من عظمة الله وتنزيهه وتمجيده .

إن صورة الألوهية فى بعض الأديان (١) دون ماينبغى بكثير للذى ﴿ **خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى** ﴾ ..

وإنه لشيء ممجوج مكروه أن يتصور مبدع السموات والأرض قد تحدد فى جسد الإنسان أو حيوان . كما يزعم بعض المغفلين فى معتقداتهم البدائية التائهة البليدة كالحلاج وأشباهه ممن يقولون : « مافى الجبة إلا الله » فهذا خبل عقلي ودجل دينى وشعوذة ممقوتة .. ومن يؤلهون البقر ويعبدون الكواكب .. الخ .

إن القرآن الكريم يحدثك الله العلي الكبير فيشعرك بأن قدرته وراء النواة التى تتكون منها نخلة وهى فى الوقت نفسه وراء الفجر الذى يشق الظلمة ليتحول نهارا وظهرا.. ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحيَّ من الميت ومُخرج الميتِ من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون .. فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقرم حسبانا .. ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

وهي هي من وراء كل حبة تنبت شجرة وكل شجرة تترعرع فيها براعم تصير فروعا ذات أوراق ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ وهى هى من وراء آلاف الملايين من البشر لكل فرد قلب يجيش بالرضا أو القلق أو الفرح أو بالحزن ، أو بالرجاء أو باليأس.. إلخ ماترى مما يشغل كل قلب من هذه القلوب ؟ .

من وراء ثلاثة آلاف مليون جسد — الآن فى العالم — تغلي الحياة فى أعضائهم ويجرى الدم فى عروقهم ، وتنقبض وتنبسط بالزفير والشهيق رئاتهم .. ماأكثر هؤلاء .. ومع ذلك فالله من ورائهم محيط ، ولأمورهم مدبر ، وفوقهم قاهر ، وعليهم قيوم ، هم وحدهم ؟ كلا — هم والأصول التى انحدروا منها والفروع التى تنشأ عنهم إلى ماشاء الله — جل جلاله — .

---

(١) لأنها حرفت وبدلت وتناولتها يد البشر بالتغيير والتبديل .. ولقد قررنا سلفا أن الأديان السماوية كلها اصلها واحد « الإسلام » ان الدين عند الله الإسلام . وكما سنوضح بإسهاب — إن شاء الله .

هم وحدهم ؟ — كلا .. وعوالم الأحياء الأخرى التى تزحم البر والبحر وتنتشر فى ملكوت نجهل منه أكثر مما نعرف ﴿ **وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم** ﴾ مأوضح شيء فى عالمنا هذا ؟ الشمس فى حجمها الضخم وما يضطرم فى كيانها من نار ونور ؟ إن الحرائق المستعرة فى جوفها وسطحها ترمى باللهب على مسافات هائلة ... وهى بعض مظاهر الجبروت الإلٓهى فى التكوين .

فهل بعد ذلك يضعف الإحساس بالخالق ويقوى الإحساس بالمخلوق ؟!!!

إن الشعور بالوجود الإلٓهى يجب أن يكون عامرا لدى أولى الألباب . لكن الكون شيء غير صاحبه ، والعالم شيء غير الله ، ومعرفتنا بالله فيما أوجد لاتعنى أن الموجد هو الموجود .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فمن السخف أن يرتكس الفكر الإنسانى فى هذه الحمأة .. ثم الآلة شيء غير من اخترعها ، والقصر شيء غير من بناه .. وقد خلقنا الله وكلفنا ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات ، وأنزل بذلك كتبا وبعث بها رسلا .. فكيف نجرؤ على وصفه بالهزل والتزوير كله ؟ .

﴿ **.... إنه لقول فصل وما هو بالهزل .. إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا ... فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ..** ﴾ .

ومن العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق إلى هاوية الفلسفة بوحدة الوجود — من غير تفرقة بين وحدة المخلوق ووحدة الخالق — وينسب إلى الحلاج قوله :

سبحان من أظهر ناسوته ... سِرّسَنَا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا ... فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع هذا الحلاج دمه ثمن هذا الحمق ...

ولست أدرى كيف يقول مسلم — بل كيف يقول عاقل — بوحدة الوجود إن كان حقا يؤمن بالله ويصدق بالمرسلين ؟!!!

لو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا ماصح أن تكون ذاتا لله .. فكيف وهى إلى جانب ذلك حصى وبعرا؟ ولو كانت زهرا فهناك الشـوك ولو كانت وفاء وأمانة

فهناك الغدر والخيانة (١) .

وأظننى قد أوضحت بُعْدَ البون بين الإحاطة الإلٓهية التى يحسها المؤمنون ووحدة الخالق والمخلوق التى يتوهمها الخراصون ...

ومن هنا فسيرة المجاذيب من المتصوفين الذاهلين عن الوجود المادي نعدها نحن حالات مرضية لاأمارات صحية ...

فإذا انضم إلى هذا الذهول مايقال من فناء عن النفس أو فناء فى الله ، وما يضيفه الخيال الهزيل المعتل ــ فى مثل هذه الحالات ــ من صور حلول أو اتحاد .. إلخ كل ذلك لايمكن وصفه إلا بأنه اختلال فى القوى العقلية والمعنوية .. أو ضرب من الخيال ، أو الخبل ..

إن المتفانى فى عشق امرأة لايحوله الهيام إلى ضلع منها أو جهاز بولى أو تناسلى في بدنها ... ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا** ﴾ والإيمان صراط مستقيم لايتحمل ذرة من الاعوجاج .. !!

ولنا فى رسول الله أسوة حسنة؛ فهو المثال الأكمل للمعرفة التامة والإقبال العظيم على الله يؤخذ من سيرته ﷺ .. فإن انتباهه المشدود إلى الله ــ تبارك وتعالى ــ مأوهى حسه بالحياة ولا علائقه بالخلائق ..

إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم : (١)

نزل القرآن الكريم فى ليلة مباركة هى ليلة القدر التى هي خير من ألف شهر وهى فى رمضان المبارك شهر القرآن شهر الرحمة والتوبة والغفران .. شهر الرسالة التى نزلت على محمد ــ عليه السلام ــ التى هى رحمة للعالمين .. مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وما أرسالنك إلا رحمة للعالمين** ﴾

مــواكب الرسـل والأنبيــاء :

ولتوضيح هذه الرحمة العامة يلاحظ أن مواكب الرسل بعثها الله للوجود رحمة منه ــ سبحانه . لعباده .. كل رسول يأتى برحمة .. كيف ذلك ؟ .. إذا نظرنا

(١) راجع فى ذلك ــ باطناب ــ كتاب : ركائز الإيمان لفضيلة الشيخ محمد الغزالى (فصل) وحدة الوجود خرافة .

(٢) ولنا لقاء مع إعجازه بعد قليل .

إلى الإنسان الأول ونظرنا إلى العالم الآن نخرج بحقيقة هامة هى أن الذى يزيد فى المستقبل إذا رجعت اليه فى الماضى فإنه يكون أقل .. فإذا نظرنا إلى السكان مثلا وتكاثرهم نجد أنهم فى السبعينيات قد زادوا عن الستينيات ، وفى الستينيات قد زادوا عن الخمسينيات والأربعينيات وبذلك يزداد التكاثر مع مرور السنين .. فإذا مشينا بخط عكسى .. عكس الزمن فإن هذا الخط يجب أن يقل ويستمر فى النقصان حتى نصل إلى نقطة البداية .. نقطة لابد أنه قد بدأ منها التكاثر البشرى الذى نشهده (١) ... وهذه النقطة هى بداية الخلق الآدمي ذلك أن الرسم البيانى التنازلى الذى سنعدده عن زيادة السكان لابد أن يصل بنا إلى نقطة البداية .. ولكن يتكاثر هؤلاء ويزدادون فى العدد .... ولابد أن يكون هناك ذكر وأنثى ، فلو كانت البداية ذكراً بمفرده أو أنثى بمفردها لما حدث هذا التكاثر .. وهذا هو ماأخبرنا به القرآن الكريم عن بداية الخلق .. ﴿ **خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها .. وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ بث من الذكر والأنثى ومن ذريتهما كان هناك رجال ونساء قاموا بعملية البث أيضاً (٢) وهكذا كل رجل وامرأة تَمَّ بواسطتهما إضافة خلق جديد للبشرية حتى حدث هذا التكاثر .. وعلى ألوف السنين ومئات الألوف وصلت البشرية إلى هذا العدد الهائل من الخلق الذى يعيش فى الأرض الآن . نأتى بعدئذ إلى نقطة هامة جدا .. إن هذا الإنسان الذى خلقه الله الذى عمر الأرض وأقام كل مانشاهده الآن من مدنية وحضارة وكان يجب أن تكون هناك وسيلة ماللتفاهم بين هؤلاء البشر ، فبدون وسيلة للتفاهم لايمكن أن تقوم حضارة .. ولا أن يتم تعايش .. فكانت هذه الوسيلة هى اللغة أو الكلمة .. واللغة كما يقول العلماء هى بنت المحاكاة . ماتسمعه الأذن يتكلم به اللسان .... فإذا ولد الإنسان أصم لايسمع فإنه لاينطق .. إذن ليست اللغة فصيلة دم ولا هى بيئة ولا هي جنس ولا هى وراثة .. بل ــ كما قلنا ــ ماتسمعه الأذن يتكلم به اللسان فهو أننى إذا أتيت بطفل فرنسي أو أمريكى أو هولندي أو أفريقي أو من أى جنس فى العالم .. ثم وضعته في بيئة تتكلم العربية وتركته دون أن يسمع غير اللغة العربية نطق هذه اللغة بالرغم

---

(١) من شرائط تسجيل الشيخ العظيم محمد متولى الشعراوى ــ بتصرف ــ

(٢) « وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين »

من أن أصله وجنسه ودمه ووراثته ليست عربية .. ولو كان الطفل من بلد عربي ومن أصل عربي ولا يسمع العربية فسيتكلم اللغة العامية التى تسمعها أذنه ..

إذن فلا جدوى مطلقا من النطق بألفاظ لها مدلول ومعنى إلا إذا كانت قد سمعت أولا فلو أنك أتيت بشخص أجنبى لم يسمع العربية ونطقت أمامه بألفاظ عربية فإنه لايفهم شيئا وذلك بالنسبة للعربى الذى تنطق أمامه ألفاظا غير عربية فانه لايفهم ايضا .

نعود بعد ذلك إلى بداية العالم .. إذا كان قد ابتدأ العالم من ذكر وأنثى — كما دللنا على ذلك — فكيف تكلما ؟ كيف تفاهما ؟ لابد أنهما سمعا شيئا اعتادت عليه آذانهما فنطق لساناهما ، وتكلما به .. ولكن كيف سمعاً وهما الأول والبداية ؟ وممن سمعا ؟ إذن لابد ان يكون هناك سمع ليس من جنسيهما ... لأنهما الأصل — فى الجنس البشرى — ومن لايسمع لاينطق — كما عرفنا — إذن لابد أن الله — سبحانه — قد كلم آدم فسمع ... وكلم آدم حواء فسمعت وبدأت اللغة ، لغة التخاطب والتفاهم نقلا عما علمه الله — هذا واقع مادامت الإنسانية كلها قد بدأت من ذكر وأنثى ، وكان بين الذكر والأنثى تفاهم ، فلابد أنهما سمعا الكلام .. وهنا يأتى قول الحق — سبحانه وتعالى — ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .. قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم** .... ﴾ ليشرح لنا ماحدث ، فالله — سبحانه — علم آدم الأسماء أى اللغة التى يتحدث ويتفاهم بها ...

ومن معجزات القرآن الخالدة أن ذلك لايزال هو المتبع حتى الآن — رغم مرور هذا الوقت الطويل ، وهذا التقدم العلمى الضخم فى العالم .. فلا وسيلة لتعليم طفل أن يتكلم إلا بأن نبدأ معه بتعليمه الأسماء ، ولا نبدأ بأن نعلمه الأحداث أو أى شيء آخر ... إنما نعلمه الأسماء أولا ... أول شيء نقول هذا قلم .. وهذه كراسة ، وهذا أسد ، وذاك رغيف ، وهذا طعام وهذا شراب وهذا نور وذا ظلام ... إلخ . وبعد أن يتكلم الأسماء تصبح الاشتقاقات من الأسماء أو أخذ الأحداث منها عملية سهلة .. إذن عندما يقول الحق — تبارك وتعالى — ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ يجب أن نعرف أن الله قد علم آدم لغة الكلام

أولا .. وأن لغة الكلام حتى عصرنا هذا تبدأ بتعليم الأسماء ــ كما أخبرنا الله ــ سبحانه ــ فى القرآن الكريم .

● الدين بدأ مع خلق الإنسان :

ثم نمضى بعد ذلك .. بعد أن أخبرنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ بقصة تعليم الأسماء لنعرف كيف نتكلم ونتفاهم فى الأرض ... قال .. ﴿ **اهبطوا منها جميعا** ﴾ وهى المهمة الأولى للإنسان والتى حددها ــ سبحانه ــ بقوله ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ وأكمل الله ــ سبحانه وتعالى ــ حديثه لآدم فقال ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا يحزنون** ﴾ وفى آية أخرى ﴿ **فمن اتَّبع هُدَاىَ فلا يضل ولا يشقى** ﴾ إذن بعد خلق الله للإنسان وتعليمه وسيلة التعبير عما فى نفسه لغيره جاء الدين (تعليم الدين أو المنهج) .. وهذا الدين لتنظيم حركة خلافة الإنسان فى الأرض .. والمفروض أن ينقل آدم الدين لأولاده بما علمه الله من لغة الكلام ، وأن يقوم الأبناء ــ بدورهم ــ بنقل الدين إلى أبنائهم .. وهكذا .. إلا أن علم الدين يختلف عن كل العلوم الأخرى ــ التى هى فروع [1] عنه ــ ذلك أن التعليم فى النواحى الأخرى كالكيمياء والطبيعة والهندسة .. الخ لايقتضى الإنسان أن يغير سلوكه فى الحياة ــ على مقتضى ماعلم ــ بمعنى أنه يكفى أن يستوعب النظرية ويفهمها ويطبقها ــ ولو كان كافرا ــ فإذا كان مسلما كان لزاما عليه أن يتعلم هذه النظرية ليستغلها لخدمة البشرية للبناء لا للهدم وللدفاع لا للإغارة . لإعلاء كلمة الله ــ لا لكسب مغنم زائل ــ كما قلنا سلفا فى علوم التقنية والخطأ المشهور والصواب المهجور ــ فارجع إليه .

نقول يكفى أن يستوعب النظرية ويفهمها ويطبقها .. أما حياته فهو حر فيها .. يفعل مايريد ولا يفعل مالا يريد . أى أنه لايطلب منه شيء يقيد حركته في الحياة ، ولكن عندما يعلم فروع الدين فيتعلم شيئا يؤثر فى سلوكه وحياته نقول له . افعل هذا ولا تفعل هذا وتأتى كلمة لاتفعل لتتصادم مع هوى النفس وشهواتها .. إذن فمهمة العلوم الأخرى هى نقل المعلوم إلى المتعلم ولكن فى علوم

---

(١) راجع فصل خطأ مشهور وصواب مهجور فى أول الكتاب .

الدين — كما تعورف عليها هكذا للتصنيف — فإننى أنقل المعلوم إلى المتعلم وأطالبه بأن يصوغ حركته فى الحياة وفق ماقدره الله من (افعل ولا تفعل) ولذلك عندما يقال أن علم الدين قد فشل فليس معنى ذلك أن الناس لاتعرف أحكام الدين .. ولكن معناه أنها لاتطبق هذه الأحكام .

ونظرا لأن الدين يتدخل فى حركة الحياة لينظمها ب« افعل ولا تفعل » والنفس دائما لاتتقبل مايقيد هواها وشهواتها ، فيبدأ الأبناء الذين سمعوا من آدم ومن بعدهم من ذريتهم يبدأون يتناسون شيئا مما أمر به الله ، ومع مرور الزمن يزداد هذا التناسي والتراخي فيما طلبه الله من خلقه ، فيرسل الله — سبحانه وتعالى — رسولا إليهم ليذكرهم بالمنهج الذى بدأ مع الخلق كما تقدم — ولو ظلوا محافظين عليه — كما أنزله — لما احتاج البشر إلى الرسل ولكن يأتى رسوله ليذكر ، ثم ينسى الناس ، وتمر فترة يتركون فيها دين الله فيأتى رسوله الآخر ليذكر — وهكذا .. بل إنه فى بعض الأزمان بعث الله أكثر من رسول واحد فى نفس الوقت مثلما حدث مع إبراهيم ولوط ، وموسى وهارون ، وقد يأتى رسول إلى بيئة محتاجة للتذكير بمنهج الله ، ولا يأتى إلى قوم آخرين يعيشون فى نفس الوقت ولكن فى بقعة أخرى ويتبعون منهج الله اتباعا سليما ...

إذن فالديانات كلها تهدف إلى بقاء المنهج الإلهى الذى صاحب الإنسان الأول حتى ينظم حركة حياته فى الأرض وتأتى الرسل لتذكر من نسي أو انحرف أو خالف هذا المنهج من ذرية آدم ...

ذلك لأن المنهج يتطلب سلوكاً يتعارض مع شهوات النفس ثم تحدث الغفلة والنسيان والانحراف ..

ولقد عبر المصطفى — ﷺ — بالنَّوْمَة — وهى الغفلة عن المنهج أو تعاليم الدين — فقال : « **ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوَكْت** » « **وهو الحرق الخفيف** » ومعنى ذلك أن الرجل — أو المرأة — يغفل عن دينه فتقبض الأمانة من قلبه أى إشعاع الإيمان فيظل أثرها مثل أثر الوكت .. (ثم ينام النومة) أى يغفل مرة أخرى (فيظل أثرها مثل أثر المَجْل) وهو مايحدث عندما تضع جمرة مشتعلة على يدك — (كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس به شىء) ...

هذه كيفية دخول الغفلة إلى النفس البشرية ينام عن هذا قليلا .. وفى حديث آخر عن حذيفه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « **تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا** أى بطريقة نسج الحصير (١) **فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء .. فأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تكون على قلبين .. على أبيض مثل الصفا ولا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسود مُرْبادّ لايعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، وذلك هو الرّان الذى قال الله فيه ﴿ كلا بل . ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ﴾** (٢) أى انتهت صلتهم بالله بغفلتهم الكاملة عن أحكام الدين .

• إن مواكب الرسل كلها جاءت لكى تذكر بالمنهج والعهد الأول الذى أخذ على آدم والذى عبر عنه الله ـ سبحانه ـ بقوله ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى** ﴾ لكن الغفلة تطرأ على القلب ، ومن رحمة الله يرسل رسولا يذكر الناس بالمنهج (٣) .

● ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾

وسيدنا محمد ﷺ جاء على فترة من الرسل ، ونلاحظ أن رسالته لم تكن لقوم معينين ، ولا لجنس بشرى معين ، خلافا للرسل السابقين .. فيقول الله ـ سبحانه ـ لنبيه ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ثم يقول ﴿ **للناس كافة** ﴾ فأخذت رسالته ﴿ هنا عمومية المكان . ثم يقول الله تعالى : ﴿ **خاتم النبيين** ﴾ فأخذت هنا عمومية الزمان أيضا فلزم أن يكون التشريع لكل زمان ولكل مكان ولكن لماذا جاءت رسالته ﷺ عامة لها عمومية الزمان وعمومية المكان وهذا أيضا من إعجاز القرآن ، ذلك أن الله ـ سبحانه ـ فى علمه أن آفات البشر كلها ستصبح موحدة ذلك أن العالم كلما تقدم وتحضر ازداد اتصالا ـ كما أسلفنا ـ ومن هنا كان لكل مجتمع آفاته الخاصة وأمراضه وانحرافاته وغفلته عن الدين وكانت الرسل تأتى إلى هذه المجتمعات لتذكر بمنهج الله ولكنها

---

(١) أو عَوْداً عَوْاً من المعاودة .

(٢) رواه مسلم .

(٣) راجع ماقلنا سلفا ، ففي الاعادة إفادة ـ لأنها بثوب آخر وإستيعاب أشمل .

كانت ترسل إلى مجتمع بعينه ـــ كعاد وثمود وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع ... إلخ . بل كما قلت .. فى بعض الأحيان كان يرسل ربنا ـــ سبحانه ـــ أكثر من رسول فى نفس الزمان ، هذا ليعالج آفات مجتمع ، وذلك ليعالج آفات مجتمع آخر .

كان هناك انعزال. وكان الانعزال يجعل الداءات مختلفة ، ثم يتم إرسال الرسل إلى كل مجتمع ليذكر أهله .. ,لكن الآن وبعد أن التقى العالم وارتقى توحدت الداءات أو أصبحت كلها دائرة واحدة ـــ فيحدث الحادث فى جانب من الأرض فتعرفه جنبات الأرض كلها بعد دقائق ، فتوحدت الآفات وتوحد الآفات يقتضى توحيد الرسالة وما دام رسول الله ﷺ خاتم النبيين فمعنى ذلك أن الدين الذي سيأتى لابد أن سيعالج آفات العالم ، وأنه سيكون رحمة للعالمين فى كل زمان ومكان حتى تقوم الساعة .

فمعنى هذه الآية ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ أنه لاتوجد قضية فى العالم تمس حياة البشر إلا وهو موجود فى منهج الله مايعالجها ، نحن نقول يعالج ، لأن التشريعات عندما تأتى تعالج واقعا موجودا فى المجتمع وفسادا انتشر واستشرى . ولذلك فهى تعالجه لتَشْفِيَ الناس منه وبعد ذلك عندما نتبع تعاليم الله لايأتى لنا الفساد ، ولا الآفات . ولا أمراض المجتمع وفي هذه الحالة يكون الدين وقاية لنا من آفات المجتمع وانحرافاته ،ولذلك يقول الله ـــ سبحانه ـــ فى القرآن ﴿ **وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ شفاء يعالج الانحرافات والفساد فى المجتمع ، ورحمة أى أن يمنع أن تأتى الداءات إلى المجتمع وذلك عين الرحمة فهو وقاية وعلاج .

رسول الله ﷺ جاء للعالمين عموما ـــ زمانا ومكانا ـــ بمبادىء .. هذه المبادىء ـــ رحمة للعالمين ومعنى الرحمة أننا لو اتبعناها لن يقع فساد فى المجتمع يضطرنا إلى أن نعـالج .. وعندما نغفل عن هذه المبادىء يوجد لهذه الغفلة آثار ضارة فى المجتمع .

فنبدأ بالتفكير فى العلاج فنكتشف أننا تركنا مبدأ كذا ومبدأ كذا مما أمر الله به فيبدأ العلاج بمنهج الله . وحينئذ نسجد لله شكرا ونقول صدق الله العظيم ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ومعنى هذا كأن الله ـــ تعالى ـــ قال :

إنَّك أرسلت بمنهج من عندنا لتبينه للناس لو أنهم اتبعوه لعمتهم الرحمة بحيث لايوجد شقاء إنسانى فى المجتمع ولا فساد ...

والدين ليس موضوعه الآخرة فحسب بل هو ينظم حركة الحياة للإنسان فى الدنيا لأنها مزرعة الآخرة .. إنها وسيلة لغاية .. إنها ممر إلى مقر تعاليم الدين مقصود بها الأحياء الموجودون بالدنيا مصداقا لقوله تعالى ﴿ **لينذر من كان حيا ..** ﴾ والجزاء على الشيء هو عين موضوعه ، ولذلك فإن الدين لايقتصر على الغيبيات فقط فالغيبيات يصدقها من آمن بالله لأنها جاءت من الله .. أما غير المؤمن فليس له إلا واقع الحياة ولابد أن يبين لنا واقع الحياة .. ولذلك نجد القرآن الكريم يفسر ذلك تفسيرا دقيقا فيقول ﴿ **فمن اتَّبعَ هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإنه له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها .. وكذلك اليوم تنسى .. وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه .. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى** ﴾ فقول الله — عز وجل — ﴿ **معيشة ضنكا** ﴾ هذا فى الدنيا وذلك يدل على أن تعاليم الله نزلت لتحمى الإنسان من ضنك وشقاء المعيشة فيها ، والشقاء البشرى ليس اقتصاديا فحسب .. لايتعلق بالمال وحده ومعنى ضنك المعيشة ضيقها ، والضيق فى المعيشة له أسباب متعددة ... فقد يملك الإنسان أموالا طائلة ومع ذلك يضيق ذرعا بحياته ، ذلك أن جوانب النفس البشرية شتى قد يُشبع المال جانبا منها وتبقى الجوانب الأخرى فى ضيق وشقاء .. ولذلك قد نرى إنسانا غنيا ثريا ثراء فاحشا وقد يرغمه ظرف من ظروف الحياة أن ينتحر .. لماذا ؟ ونضرب مثلا لذلك بالسويد (١) وهى أعلى دول العالم فى نصيب الفرد من ترف الحياة ومع ذلك فان الإحصاءات تقول إنها من أعلى دول العالم نسبة فى الانتحار والأمراض العصبية والعقلية والنفسية .. فالمسألة ليست مسألة مادة فحسب ، وشقاء الحياة لايجب أن يؤخذ على أنه فقط جانب المال .. بل هناك جوانب أخرى متعددة تسبب لصاحبها شقاء إنسانيا أكثر من قلة المال ..

---

(١) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى باب أثر الإيمان فى حياة الفرد (الإيمان والسعادة) .

فإذا خالفنا المنهج انكشفت العورة ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما** .. ﴾ ونكون الآن قد وصلنا إلى أن رسول الله ﷺ جاء عاما لجميع الأزمنة والأمكنة بمبادىء هي الرحمة .. لو اتبعت لنجونا من الشقاء فى الدنيا وأخذنا الجزاء فى الآخرة .. وهذه هى الرحمة ..

وكل هذا يفسر لنا ماحدث لأبينا آدم وهو أن الله — سبحانه — كلفه فى الجنة ليدربه على حياته فى الدنيا فنهاه وزوجته أن يقربا الشجرة وكان قد كلف إبليس بالسجود له فأبى فطرده من رحمته وأنظره إلى يوم الدين ...

ولكن آدم وزوجه رسبا فى الامتحان ثم تابا وأنابا إلى ربهما فغفر لهما ﴿ **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ ثم أهبطهما إلى الأرض ومعهما إبليس وهو عدو لهما ولذريتهما إلى يوم القيامة .. إلخ .. والقصة معروفة ...

الشاهد أن الدرس الذى تلقاه آدم .. ﴿ **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما** .. ﴾ يعنى أن العورة قد ظهرت عند المخالفة .. فأى عورة فى مجتمع من المجتمعات إذا بحثت عن أسباب انكشافها وجدت أنها حدثت بسبب مبدأ من مبادىء الله عطل فى الأرض ، ولو لم يحصل ذلك لما وجد الجمال فى الكون فإذا كان المستقيم وغير المستقيم أمرهما سواء فى الدنيا لايكون هذا جمالا ؛ فبضدها تتميز الأشياء ..!! ولو أن الطالب المجتهد والطالب غير المجتهد نجحا لايكون ذلك جمالا فى الحياة بل إنه يكون جمالا يورث قبحا ، لأنه قد تساوى المحسن والمسيء وبذلك لن يجتهد أحد ولن يحسن أحد ، فلو لم يوجد الشقاء والفساد فى البيئات التى تبتعد عن منهج الله لما كان ذلك جمالا ولا شهادة للدين . إن الشهادة للدين أن الجماعة التى تبتعد عن منهج الله يحدث لها شقاء وداءات وفساد وانحراف ، وبذلك يدلل الله — سبحانه — فى الحياة ومن واقع تجربتها — على صدق منهجه وتعاليمه ، وصدق رسول الله ﷺ — حين قال لأصحابه « **خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن** :

* **ماظهرت الفاحشة فى قوم يعمل بها فيهم علانية إلا ظهرت فيهم الأسقام والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم** .
* **وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا** .
* **وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخِذُوا بالسنين وشدة المؤونة**

وجور السلطان .

* وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم .

* وما حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض مافى أيديهم » أو كما قال ﷺ .

● فتح باب التوبة أمام البشر :

إلا أن هناك معنى أوسع أود إضافته .. ذلك أن السماء قبل الرسالة المحمدية كانت لاتطلب من الرسل إلا مجرد البلاغ وهى التى تتولى تأديب المخالفين — فى الدنيا وقد ذكر ذلك ربنا — سبحانه — فى القرآن ﴿ **ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا** ﴾ الخ . لكن محمداً — ﷺ — حينما جاء بالرسالة جعل الإسلام هو الذى يقوم بتأديب المخالف فى الدنيا — بإذن الله — فمن يعصى تعاليم الله فإن له معيشة ضنكا فى الدنيا — غير عذاب الآخرة .. ولا إهلاك ولا صيحة .. الخ .. لذلك كانت رسالة محمد رحمة للعالمين لأن الله أخر عقوبة الكافر إلى يوم الدين ..

كانت رسالة محمد ﷺ رحمة للعالمين للكافر وللمسلم ذلك أن السماء لم تعجل بعذابهم فى الدنيا كما كانت تفعل من قبل وتركت لهم فرصة التوبة ﴿ **... وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ...** ﴾ ﴿ **... إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .. فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما ..وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن .. ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ...** ﴾ .

فقد أرسل الله — سبحانه — نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالم كله دون تمييز بين مؤمن وغير مؤمن رحمة من عذاب السماء فى الدنيا وليفتح أمامهم أبواب التوبة فيغفر لهم فى الآخرة .. ولا يسعنا إلا أن نردد فى خشوع .. ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

* * *

الفصل الثالث

المعجـــــزات

المعجزة (○) معناها وضرورتها :

من حق الناس أن يسألوا كل رجل يزعم أنه مرسل لهم من عند الله : مادليلك على صدق قولك ؟

فإذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبلوه واستمعوا له ، وإلا كذبوه وتركوه ، كما حدث من نوح لقومه وصالح إلى ثمود وموسى إلى فرعون وعيسى إلى بنى إسرائيل ... (١) .

وقد لوحظ أن أكثر الأمم ــ برغم ماسيق إليها من آيات باهرة ــ لم تستجب للحق ولم تسلم بدعوى المرسلين ، لاعن قصور فى الأدلة التى تسندهم بل عن عنادٍ وتبجح . ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار !!! قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ؟!!** ﴾ والدليل على صدق ايّة دعوى قد يكون بأمور خارجة أو يكون بحقيقتها فى نفسها فقد يزعم أحد الناس أنه مهندس ويقول دليلى أنى أستطيع أن أمشى بقدمىّ على الماء أو أطير بجناحىّ فإذا فعل سلمنا له ..!

وقد يقول : دليلى أن أبنى فعلا ــ عمارة مدعمة الأركان أو أصل بين شاطئين ــ مثلا ــ بجسر متين فإذا فعل فقد دلل بقدرته الهندسية على أنه

○ حاشية . باختصار شديد ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب التوحيد ليعرف بالتفصيل .
المعجزة : الكرامة ــ الإرهاص ــ الاستدراج .. إلى آخـر مافى هذا الباب من الحقائق وسنكتفى هنا بالعرض السريع .

(١) تفسير ابن كثير ، وفى ظلال القرآن ، كتاب تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور محمد الطيب النجار ــ ط ١ دار الطباعة المحمدية .

مهندس يقينا .. بل قد تستريح النفس إلى هذا الاستدلال أكثر من راحتها إلى البراهين الخارقة .

قال ابن رشد : « إن دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ ليست كدلالة انقلاب العصا حية ولا إحياء الموتى وإبراء المرضى » .

قال تلك ــ وإن كانت فعلا لاتظهر إلا على أيدى الأنبياء وفيها ماينفع الجماهير من العامة إلا أنها مقطوعة الصلة بين النبوة وأهداف الوحي ومعنى الشريعة ..

أما القرآن فدلالته على صفوة النبوة وحقيقة الدين مثل دلالة الإبراء على الطب .. ومثال ذلك ، لو أن شخصين ادعيا الطب فقال أحدهما : الدليل على أنى طبيب أنى أطير فى الجو ... وقال آخر : دليلى أنى أشْفِي الأمراض وأُذهب الأسقام .. لكان تصديقنا بوجود الطب عند من شفى من المرض قاطعا ، وعند الآخر مقنعا فقط .. أ . هـ من عقيدة المسلم ــ بتصرف .

فالمعجزات إذن قد تكون ذاتية فى الرسالة وقد تكون خارجة عن جوهرها والتفاوت بينها واسع النطاق باختلاف البيئات التى ظهرت فيها والرسالات التى اقترنت بها وقد كان التعويل فى العصور الأولى على الخوارق المادية فحسب .. أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية .

حتى جاء الإسلام فغض من شأن الإعجاز المادى .. ونوه بالإعجاز العقلى العقلى والقيم المعنوية للرسالات .

وقرر إلى جانب ذلك أن الخوارق التى دعمت الديانات القديمة لم تمنع التكذيب بها ــ أولا ــ فلا معنى لطلب التصديق بها أخيرا .

﴿ **ومامَنَعَنَا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها . وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً** ﴾ الآيات .. إلى .. ﴿ **ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً** ﴾ .. الاسراء .

ومن ثَمّ اتجه تأييد الأنبياء وجهة أخرى . أ . هـ من كتاب عقيدة المسلم (١)

---

(١) للشيخ محمد الغزالى .

* حقيقة المعجزة :

والفرق شاسع بين المعجزة والكرامة .. فالمعجزة أمر خارق للعادة يسوقه الله على يد رسول أو نبى لإثبات صدقه وأن تكون مما لايستطيع البشر الإتيان به وأن تكون مما نبغ فيه القوم وبرعوا فيه .. لماذا ؟ حتى لايقال بأن الرسول قد تحدى قومه بأمر لايعرفونه ولا موهبة لهم فيه .. فالتحدي يجب أن يكون فيما نبغ فيه القوم ، حتى يكون للتحدى قيمته .. ولذلك نلاحظ فى معجزة كل رسول أنها جاءت فيما نبغ فيه قومه وأنها جاءت لتهدم مايتخذونه إلهاً من دون الله .

* **أما الكرامة** فهى أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه تكريماورحمة به وتقديرا لاتباعه لأمر الله والسير على نهج الرسل وعدم انحرافه عن دعوتهم ليكون قدوة لغيره فى العمل والجهاد والطاعة ...

والوليُّ شرعاً: هو ماذكرت أوصافه فى القرآن الكريم ﴿**ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون .. الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ .

كعمر رضى الله عنه مثلا — حين قطع كلامه فى خطبته ونادى : ياساريةُ : الجبلَ الجبلَ ... وبينه وبين القائد سارية مئات الأميال .. وسمعه سارية فانحاز إلى الجبل كما أمره بلزومه فنجا بجيشه .. فرأى عمر بنور الله وسمع سارية بأذن الله .. وصدق الرسول الكريم فيما يبلغ عن رب العزة « **من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه .. وما يزال عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه .. وما ترددت عن شىء أنافاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته** » أو كما قال ﷺ فى الحديث القدسي .

أما الدجل الدينى وخرافات أدعياء التصوف فالإسلام منه برىء وقد رأت عائشة رضى الله عنها (١) أحد هؤلاء الأدعياء يسير متلكئا يهمهم ويتمتم ،

---

(١) وقيل غيرها . راجع كتب : بين يدى عمر — لخالد محمد خالد .. وعبقرية عمر للعقاد — والإصابة فى معرفة أحوال الصحابة .

ويحوقل ، ويتعوذ ، ويبسمل ، ويطلبق ، ويجعفل .. الخ .. مما يردده المهاويس من أدعياء التصوف حول المساجد والأضرحة ، وأصحاب عجل السيد البدوي ، وتيس « أبو مسلم » و « الفول النابت للسيدة سكينة » .. الخ : رأته وقد وضع مسبحة ألفية فى رقبته ولبس عمامة ملونه مثل القفة فوق رأسه تماما كما يصنع الدراويش حول أضرحة الحسين والشافعي والرفاعي — رحمهم الله فسألَتْ عنه : فقيل لها : إنه ولى من أولياء الله الصالحين ..

فقالت: والله إنه لمنافق وكذاب .. كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع وإذا تكلم أسمع وإذا أطعم أشبع وإذا ضرب أوجع .. وإذا دخل الصلاة بكى !!! هكذا قال عمر — رضى الله عنه — حينما رأى واحداً مثل هؤلاء يطاطىء رأسه ويتكلم فى همسٍ ومسكنة وذلةٍ — مصطنعة : علاه بدرته ثم قال له : لاتُمِتْ علينا ديننا أماتك الله ... (١) .

ثم نعود إلى المعجزة فنقول : إنها كانت فيما برع فيه القوم .. فإبراهيم عليه السلام — مثلا — جاء فى قوم ألفوا عبادة النار والسجود لها والتقديس وعبادة الأوثان ، وأبوه كان يصنع الأصنام ويبيعها ويؤجج النار ويقوم على خدمتها — والنار طبيعتها الإحراق — ﴿ **ماتذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** ﴾ . يلقى فيها إبراهيم فتحرق الحبال ولا تؤثر فى ملابسه ولا جسده ... (٢) .

وكانوا يريدون من هذا — الإله المزعوم — أن يؤدب المتطاول عليها والذى كان يسخر منهم ؛ لأنهم يعبدونها .

وكانت المعجزة لافى أن ينجو إبراهيم ؛ إذ لو أراد أن ينجيه من النار لأخمدها ، أو مامكنهم من القبض عليه ، ولكن مشيئته — سبحانه أن تظل النار نارا متأججة .. محرقة .. مدمرة — وأن يؤخذ إبراهيم عيانا أمام كل الناس .. ويقذف فى النار ...

وهنا يعطل ناموس الكون ، وقانون الطبيعة ﴿ **قلنا .. يانار كونى برداً وسلاما على إبراهيم .. وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين !!!** ﴾ .

---

(١) وفى هذا القدر كفاية فالحديث عن هذا يطول .

(٢) راجع ماقلناه سلفا ففى التذكرة ذكرى وفى المراجعة عبرة وفى الإعادة إفادة .

لو أن إبراهيم نُجِّي بأنه هرب — مثلا — لقالوا لو أمسكناه لأحرقناه ولكن إبراهيم لم يهرب ، والأمطار لم تنزل والنار متأججة وإبراهيم لم يحرق فكأن إلّهم قد تخلى عنهم جميعا قائلا لهم : « لست إلّهاً كما زعمتم إنما أنا خلق من خلق الله خاضع لمشيئة الله وإرادة الله .. فعندما يقول الإلّه الحق للمخلوق ﴿ **يانار كونى بردا وسلاما** ... ﴾ تتعطل خاصية الإحراق .. وتقف قوانين الكون ونواميس الطبيعة عاجزة أمام قدرة الله خاشعة مسبحة بحمد ربها قائلة سبحانك فأنت أنت الله !!!

وموسى — عليه السلام — جاء وقومه قد برعوا فى السحر فجمعهم لميقات يوم معلوم وقال السحرة بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون .. اعتمدوا على عزة ذليل مخلوق دعىّ يقول : أنا ربكم الأعلى ﴿ ... **فاستخف قومه فأطاعوه** ... ﴾ وكان بإمكان القادر — سبحانه — أن يأمر موسى بضرب الحيّات بعصاه فيقتلها أو يمسكها بيديه ويطوعها ويستأنسها بالصفير أو الزفير — كما يفعل السحرة — ولكن تتعطل نواميس الكون ويتحرك الجماد وتنقلب العصا حية وتلقف مايأفكون . ﴿ **فألقي السحرة سجدا قالوا آمنـا برب العالمين رب موسى وهارون** ﴾ .

والبحر الذى كان يعبده أقوام آخرون واتخذوه إلّها — كما قدمنا فى مستهل الكتاب ... (١) فعبدوه — من دون الله — فضربه موسى بعصاه العادية التى يهش بها كل الرعاة على أغنامهم ، ويتوكأون على مثلها .. ضربه ﴿ **فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ وهنا تتعطل قوانين الطبيعة وطبيعة الماء السيولة فتتوقف ولا يستطيع فرعون — الإلّه المزعوم — أن يعيد قانون الكون فيعيد للماء سيولته فيطبق البحر على موسى ومن معه .. أو يعطل قانون طبيعة الماء فيقول له توقف عن السيولة ولا تنطبق عليّ . ولكن هيهات فهو مخلوق ضعيف لايسعه إلا أن يثوب إلى رشده ويتوب إلى ربه ليسبح بحمده خاشعا يقول : أنت أنت الله ﴿ ... **آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ... ﴾ إلا أن باب التوبة قد أغلق فى وجهه ؛ لأنها كانت عند بلوغ الروح الحلقوم ... ﴿ **آلآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين ؟!! فاليوم**

---

(١) عند حديثنا عن البحث عن الله ضرورة إنسانية .

ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ ولو كان القصد نجاة موسى وقومه لكان ذلك بإهلاك فرعون وقومه على دوابهم أو كان سير موسى والمؤمنين معه على الماء وعجز فرعون عن خوض البحر .. ولكان قال هو وقومه: آه لولا البحر لقتلناهم .. ولكن الحكيم الخبير العليم بخلقه يريد أن يتعظ من يجيء بعد فرعون ﴿ .. **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين** .. ﴾ يدخلون البحر وراء موسى ومن معه وينطبق الجزء الذي فيه فرعون وقومه ويظل جزء موسى مفتوحا حتى يَنْجُوَ وَيَنْجُوا جميعا — بعد خوفهم وهلعهم لعدم علمهم بحقيقة المعجزة قائلين لموسى : ﴿ ... **إنا لمدركون !!!** ﴾ .. لأن هذا قانون البشر فالبحر أمامهم وهم فى وسطه والعدو وراءهم فلا مناص .

﴿ **قال كلا .. إن معي ربى سيهدين !!!** ﴾ كلا .. بالقطع .. لن يصلوا إلينا .. لن يستطيعوا .. لماذا ؟ لـ ﴿ **إن معي ربي سيهدين !!!** ﴾ والمعجزة فى المعية هنا لم ينج بقانون البشر ولم يقل سنصعـد جبل [1] كذا أو كذا وإنما قال بملء فيه كلا .. ﴿ **إن معي ربي سيهدين** ﴾ بقانون آخر !!!

وهكذا عيسى — عليه السلام — جاء والقوم وقد برعوا فى الطب .. فجاءهم بمعجزة من جنس مابرعوا فيه فأبرأ الأكمه والأبرص ، ثم تسامى إلى شيء آخر لم يصلوا إليه .. فأحيا الموتى — بإذن الله وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، ومن قبل قد جاءهم على غير مثال سابق جاءهم من غير أب ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب** .. ﴾ وَخَلَقَ من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيها فكان طيرا بإذن الله .

وهكذا . فالمعجزة انتقال المسألة من قانون الطبيعة والإنسان إلى قدرة الله ... ﴿ **اضرب بعصاك البحر فانفلق** ... ﴾ بالفاء بترتيب وتعقيب بلا مهلة — تغيير مفاجيء لأنها قدرة ﴿ **كن فيكون !!!** ﴾ ﴿ **فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم** ... ﴾ ﴿ ...وألق

---

(١) وقد فعل ذلك ابن سيدنا نوح : ﴿ **يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين .. قال : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء .. قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .. وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾ وعند الإرادة العليا ﴿ **وقيل يأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعي .. وغيض الماء وقضي الأمر .. واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين** .. ﴾ الله أكبر !!!

مافى يمينك تلقفْ ماصنعوا ﴾ ﴿ .... أدخل يدخل فى جيبك تخرجْ بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾ .

* **معجزة القرآن .. وكيف تختلف ؟ ..**

على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين ـــ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ـــ معجزات الرسل خرقت نواميس الكون ... وتحدت قوانين الطبيعة .. وأثبتت أن الذى جاءت على يديه صارت عنده خبراً إن شاء صدقه وإن شاء لم يصدقه ـــ ولو لم يرد فى القرآن لكان من الممكن أن يقال إنها لم تحدث ...

إذن فالمعجزة الكونية المحسة تقع مرة واحدة . ومن رآها آمن بها ومن لم يرها تصبح خبرا بعد عين .. ولكن معجزة النبي محمد ﷺ عقلية باقية خالدة يستطيع كل واحد أن يقول : محمد رسول الله ـــ وهذه معجزته وهي القرآن (○) .

فقـد جرت سنة الله فى أنبيائه جميعا أن يؤيدهم بالمعجزات الواضحة المحسة وأن يسوق على أيديهم من خوارق العادات مايَلْفِتُ الأنظار ويستهوى الأفئدة ثم مايبني معالم اليقين وعناصر الاستقرار ودواعي الطمأنينة فى النفوس . وكانت معجزات الأنبياء شيئاً آخـر غير الرسالات التى يبشرون بها ويدعون إليها فطب عيسى غير إنجيله وعصا موسى غير توراته ..

إلا أن الله شاء أن يجعل معجزة محمد ﷺ معجزة الرسالة الأخيرة الخاتمة ـــ شيئا لاينفصل عن جوهرها .. فجعل حقائق الرسالة ودلائل صحتها كتابا واحدا ﴿ **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ عدا مازوده به ربه من معجزات كونية كثيرة كانشقاق القمر ، وتصدع إيوان كسرى وإخماد نار فارس ونبع الماء من بين أصابعه وتظليل الغمام له وحنين الجذع إليه ، والإسراء والمعراج ..الخ (١) .

وجعل من أصول الدعوة وأساليب عرضها البرهان الأكبر لدعوى الرسالة

○ من أشرطة الأستاذ العظيم الشيخ الشعراوي بتصرف

(١) راجع كتيب (شذرات من معجزات الرسول ﷺ) للشيخ حسنين محمد مخلوف . وكتب السيرة .

والسناد الأعظم لصدق صاحبها ﷺ .

فآي القرآن الكريم ــ بما تضمن من دساتير العدالة الخلقية والاجتماعية والسياسية ، وبما تغرس فى الطبائع من آثار الأدب والتربية والاستقامة ــ هي رسالة الإسلام ومعجزته .

أعظم مافى هذه الآيات أن الفطرة الإنسانية تجد فيها مجالها الحيوي الفذ وتجد فى جوهرها المتنفس الطلق الحر .

ومن ثم كان القرآن كتابا إنسانيا ، وكان نبي القرآن إنسانا كاملا ، وكانت رسالة الإسلام فى موضوعها وأهدافها إنسانية بحتة .

ولذلك توجه القرآن ــ مباشرة ــ إلى العقل البشرى يخاطبه ويفك عنه آصـــاره ويرد إليه اعتباره .

وأكد القرآن أن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يستطيعون فهمه وتبين معانيه ..

﴿ **أفمن يعلم أنّما أنزل إليك من ربك الحق كم هو أعمى ؟ إنما يتذكر أولى الألباب** ﴾ بل إن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يفهمون رسالة الوجود ويفقهون أسرار الكون ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ .

فلتكن إذن معجزة نبي الإسلام الخالدة عقلية ..

وما دام البشر يحترمون عقولهم ، فستبقى لهذه المعجزة قيمتها .. أجل .. ستبقى لهذه المعجزة قيمتها مابقي العقل أنْفَسَ شيء فى الحياة ، وما استلهم الناس عقولهم فى الحكم على الأمور وفى قيادة الإنسانية إلى آفاق الترقي والكمال !!!

غير أن هذا المنطق لم يكن ليلقى القبول الواجب له ــ عند أعراب الجزيرة ، وبقايا القرون الأولى ، وصرعى الأوهام والخيالات .

إذن كان أقصى مايفكر فيه هؤلاء هو أن يشاهدوا خارقا يقلب البرّ بحراً ، والجُدَد البيض من الجبال فى مكة مروجا خضراء تتفجر الأنهار من تحتها ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت**

كسفا (١) **أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ــ ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ــ قل سبحان ربي !! هل كنت إلا بشرا رسولا ؟!!!** ﴾ .

ولم يكن شيء من هذا الذى اقترحوه بعزيز على الله وقدرته ﴿ **فقد سألوا موسى أكبر من ذلك** ﴾ لكن حكمة الله أبت إلا أن تغالي بقيمة العقل الإنساني الذى أرخصوه وإنه لعزيز على هذه القدرة العليا أن تعطى العقل قدره يصنع شبه المعجزات ــ إذا مااعتُني به والتُفِتَ إليه ــ ثم تترك هذا الذى أعطى يضيع هباء ، وتستجيب لرغبات الجاهلين الذين سفهوا أنفسهم وأحلامهم وأبوا تحكيم مشاعرهم وعقولهم وطالبوا بمعجزات مادية قليلة أو كثيرة لتصديق نبيهم .

وكان لابد فى معاملة هؤلاء القوم من سلوك منهج يرغم آنافهم على احترام العقل الإنساني لمصلحتهم ولمصلحة الأجيال من بعدهم !!!

فبه كان التحدي ، وعليه كان الرسول الكريم يعتمد فى سيرته ــ مع خصومه وأصحابه طوال حياته .

ومن بعده ــ إلى يوم الدين ــ كان ــ وسيظل ــ القرآن كتاب الإسلام الناطق بدعوته وحجته معا !!!

إلا أن الحكمة الإلٓهية اقتضت أن تثبت فى طريق الرسول العظيم أنواعا من الخوارق التى أُيِّد بها النبيون الأولون كما أسلفنا فجاءت هذه الخوارق تحمل طابعا خاصا ينبغى أن نعرفه حتى لانتجاوز به حدوده الصحيحة .. هذه الخوارق ثانوية الدلالة فى تصديق النبوة والشهادة لها .

والطريقة التى أرسلت بها من عند الله تشير إلى أن الحكمة الإلٓهية لم تعلق عليها كبير أهمية ، ولم تنقص بها من قيمة المعجزة العقلية التى انفرد بها الرسول الأعظم ؛ فقد حدثت جملة من هذه الخوارق بين المؤمنين الذين استقر الإيمان فى قلوبهم فعلا ، والذين سبق لهم تصديق النبى ﷺ فى دعوته لأنهم أعملوا عقولهم

---

(١) ﴿ **وإذ قالوا : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ هلا قالوا : فاهدنا إليه مادام هو الحق ؟!!!! ياسبحان الله .

واحترموا إنسانيتهم (١) .

وحدث بعض آخر أمام أعين الكافرين بيد أن الصورة التى تم بها تثيرالدهشة إذ كانوا يقترحون معجزة فتأتيهم أخرى ، أو يأتى مايقترحون بعد سنين طويلة وعلى وجه يبدو منه أن إجابتهم إلى ماطلبوا لم تقصد أصلا . وربما تهمل مقترحاتهم كلها ، فلا ينظر إليها قط .. فما معنى ذلك (٢) ؟ وما السر فيه ؟

إنها التربية ؛ فمن حق الوالد على ولده أن يضربه على يديه إذا شب عن الطوق ليعتمد على نفسه ويترك الاعتماد على أبيه فى الأمور التى تحتاج إلى سعيه وأجهزته التي أمده الله بها .. كتفجير الأنهار وبعض المطالب التى أملاها العناد والسخف من سلسلة هذه المقترحات الطويلة فدعك منها ثم تأمل صنع الله مع عباده ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ تماما كما يفعل الأب مع وليده إذا كبر .. هذا صنع المولى ــ سبحانه ــ لقد أرضى الإنسانية فى طفولتها ــ بألوانٍ صارخة من الخوارق ، حتى إذا اشتد عودها واستوى فكرها تركها لتستخدم مواهبها الفكرية ، ولتتبين الصواب والخطأ ــ فإما هلكت عن بينة أو نجت عن بينة ويوم أن تعرف البشرية « العقل » فى قبول دين أو رفضه فستعرف من تلقاء نفسها كيف تستغل هذا العقل فى تفجير الينابيع وتحويل رمال الصحراء إلى حدائق غناء واستخراج النفط من بين الصخور وأعماق المحيطات والخلجان وتكون هذه المخترعات أدلة متجددة على قدرة الخلاق العليم ــ سبحانه وتعالى ــ ولذلك يهتف القرآن عقب مقترحات الكفار ﴿ **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** ﴾ ؟! وهنا نقف وقفة تأمل فى اختلاف معجزة القرآن عن سائر معجزات إخوانه الأنبياء : فالمعجزات المادية فعل من أفعال الله بعد أن يأذن به الله : البحر انشق لموسى ثم عاد إلى طبيعته بعد ذلك ، ولم تتكرر لأحد بعده .. والنار لم تحرق إبراهيم ثم عادت إلى خاصيتها بعد ذلك ، ولم تتكرر لأحد من بعده ، وهكذا تسخير الريح والجن والطير .. إلخ .. لسليمان ، وهكذا كل المعجزات .. ولكن

---

(١)راجع كتيب : شذرات من معجزات وخصائص الرسول ﷺ لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء ــ ونور اليقين ــ وزاد المعاد ــ وسيرة ابن هشام وفقه السيرة للشيخ الغزالى ود / محمد سعيد البوطي .

(٢) راجع فى ذلك كتاب : عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي .

معجزة النبى محمد ﷺ صفة من صفات الله ـــ وهي كلامه ـــ فالقرآن هو كلام الله المعجز الذى بين دفتى المصحف المتحدى به لفظا وعلما وتشريعا .. المتعبد به تلاوة .

﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ والفعل باق بإبقاء الفاعل له .. أما الصفة فهي باقية ببقاء الفاعل نفسه ..

ويلاحظ ـــ كذلك ـــ أن معجزة القرآن اختلفت عن معجزات الرسل اختلافا آخر ... فكل رسول كانت له معجزة ومنهج ـــ كتاب ـــ فمعجزة موسى ـــ عليه السلام ـــ العصا واليد ، وتكليم الله إياه والجراد والقمل والضفادع والدم...إلخ آيات مفصلات[1] ومنهجه وكتابه ـــ التوارة ـــ وعيسى ـــ عليه السلام ـــ خلقه من غير أب ، وكلامه فى المهد وإبراء الأكمه والأبرص وإحياؤه الموتى بإذن الله وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وإنباؤهم بما يأكلوا وما يدخرون فى بيوتهم وإنزال المائدة له من السماء .. اخ .. منهجه الإنجيل ولكن خاتم الأنبياء ﷺ معجزته عين منهجه .. معجزته الخالدة القرآن الكريم وكتابه ومنهجه القرآن الكريم ، ليظل المنهج محروسا بالمعجزة وتظل المعجزة باقية بالمنهج ليظل محمد مصدقا إلى يوم القيامة .. ومن هنا كانت الكتب السابقة داخلة فى نطاق التكليف .. بمعنى أن الله ـــ سبحانه ـــ كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتب ﴿ .. **بما استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** ... ﴾ أما القرآن فقد خرج عن نطاق التكليف وصار حفظه إليه هو ﴿ **إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .... لماذا ؟ أولا : لأن القرآن معجزة ، وكونه معجزة لابد أن يبقى ـــ بقاء الرسالة ـــ بهذا النص ـــ وإلا ضاع الإعجاز !!!. ثانيا : لأن الله قد استحفظ عباده مناهجه ﴿ .. **فنسوا حظا مما ذكروا به** ... ﴾ والذى لم ينسوه كتموا بعضه ، والذي لم يكتموه لَوَّوْا به ألسنتهم وحرفوه عن مواضعه .. وهكذا رأينا أنه كان هناك أكثر من نوع من المسخ والنسيان والتحريف ، ثم جاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا بها ثمنا قليلا .... حتى سموا الكتب بأسماء كاتبيها : إنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل برنابا وإنجيل يوحنا وإنجيل بولس وليشع و .. و .. إلخ .

---

(١) انظر سورة الأعراف .

ومن هنا فإن الله — سبحانه — قرر أن يحافظ على القرآن ...

ولو أخذنا خطين .. خط تطبيق المنهج — القرآن ، والعمل بتعاليمه — وخط المحافظة على القرآن .. لرأينا أن خط التطبيق كلما مرّ الزمن ضعف ، وخط المحافظة عليه كلما مر الزمن ازداد .. فلو كنا نطبق المنهج تطبيقا سليما لكان هذا أمرا طبيعيا .. لكن غفلتنا عن تعاليمه — كسلوك فى الحياة — لاتتمشى مع ازدياد الحفاظ على القرآن .. نجد القرآن فى كل مكان ، فى كل منزل ، ومكتب وسيارة وجيب وعلى (١) صدر طفل وآية الكرسي فى عنق امرأة (٢) !! حتى غير المسلمين كانوا وسائل لحفظه فنجد شخصا ألمانيا (٣) — مثلا — يفكر فى كتابة القرآن كله فى صفحة واحدة بشكل جميل بماء الذهب يزين « الصالونات » فلماذا يفعل ذلك مع القرآن الكريم دون أن يفعل ذلك مع الكتب المحرفة السماوية الأخرى وما الذى يجعل دولة كاليابان وإيطاليا تتفننان فى طباعة المصحف بشكل جميل أنيق .. وإن ذلك يحدث . لأن الله — سبحانه — يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن (٤) .

وكلما ابتعدنا عن المنهج ازددنا فى حفظ القرآن والعناية به ليدلل على أن الذى يحفظه هو الله وليس القائمون على المنهج .. وكل ذلك تسخير من الله — سبحانه — لكل الطاقات البشرية مسلمة وغير مسلمة لتحافظ عليه وتتفنن فى وسائل حفظه — دون فقه أو فهم — فنرى المسلم الحق يحفظه فى صدره ويتخلق به ويأمر به أهله بل لاترى في سيارته مصحفا محفوظا فى علبة من المخمل ولا فى مكتبه . وقد يحمل فى جيبه نسخة للقراءة أو فى مكتبه نسخة عادية للقراءة كما كان السلف يحفظونه فى الصدور والسطور .. أما البعيد عن المنهج يسخره الله لحفظه بوسيلة ما — سيحاسب عليها يوم القيامة حسابا عسيرا — لأنه لم يقف عند حدود الله .... فنرى صاحب سيارة لايصلى ولكنه يكتب عليها بخط جميل

---

(١) بصرف النظر عن كون ذلك بدعة يحرمها الإسلام « من علَق تميمة لاأتم الله له » .

(٢) أو شاب أو كهل متخنفس مُتَنَسْوُن .

(٣) وهو مسيحي — مثلا — أو يهودى .

(٤) ومن صنع أجهزة التسجيل الحديثة و « الجراميفون » إلا المسيحيون واليهود وهي من وسائل حفظه (الله أكبر .. !) .

﴿ **باسم الله مجريها ومرساها** ﴾ والحلاق يكتب على واجهة محله ﴿ **وزيناها للناظرين** ﴾ وصاحب محل العصير يزين محلة بلوحة مذهبة ﴿ **...وسقاهم ربهم شرابا طهورا ..** ﴾ وصاحب المطعم يكتب لوحة مموهة بماء الذهب والفضة ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا ...** ﴾ وخنفس مايع مخنث يعلق فى رقبته سلسلة ذهبية معلق بها مصحف أو آية الكرسي ... إلخ وإنْ سئل قال فى تَثَنٍّ وتكسر : هذه هدية « مامي » مع الأسف .

تفنن فى محاكاة العذارى * وخالفهن فى وضع النقاب

وهكذا تجلت قدرته ــ سبحانه ــ ولا يسعنا إلا أن نهتف بهتاف القرآن الكريم ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

معجزة القرآن عالمية :

فإذا حددنا هذه العناصر الثلاثة التى تمتاز بها معجزة القرآن الكريم ننتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى ...

القرآن ــ كما أسلفنا ــ كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته جاء من جنس مانبغ فيه العرب ــ القوم الذين نزل فيهم ــ قوم محمد ــ ﷺ ــ عرفوا بالبلاغة والفصاحة والبيان وحسن الأداء ، وجمال المذاق ، وحلاوة التعبير ، فيتحداهم القرآن فى هذا المجال فلما سمعوه انبهروا (١) ولكن العناد أعمى بصائرهم فقالوا ــ عمن سموه الصادق الأمين ــ ساحر ، وكاهن ، ومعلم ، ومجنون ، وكذاب . وشاعر ... الخ .

فهل يملك المسحور اختيارا مع الساحر ؟ إذا كان محمد ساحرا ــ كما زعمتم ــ وقد سحر الناس الذين آمنوا به ــ فلماذا لم يسحركم أنتم ، لتتبعوه ؟ ...

إن المسحور لايخضع للساحر بإرادته .. لايأتى ليقول له سأصدق هذا السحر أو أكذب بهذا السحر .. إنما المسحور مسلوب الإرادة أما الساحر فكونكم تقولون إنه ساحر وأنتم لاتؤمنون به دليل على أنكم كاذبون ..

---

(١) انظر كتاب التصوير الفني في القرآن الكريم للشهيد سيد قطب ــ وإعجاز القرآن للرافعي ودستور الأخلاق فى القرآن للدكتور محمد محمد عبد الله دراز .

قالوا مجنون .. هل المجنون يكون على خلق ؟ إنك لاتعرف إذا كان المجنون سيشتمك أو يقذفك بحجر !!! لاتعرف ماذا سيفعل معك فى الدقيقة التالية فهل يكون المجنون على خلق عظيم كالنبي محمد ﷺ ؟ ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ قالوا شاعر .. محمد لم يقل الشعر فى حياته وأنتم تعرفونه والشاعر يختال عجبا ويتيه دلالا على قومه وله راوية أو أكثر وتتناقل شعرَه القبائلُ ويطبق خبره الآفاق .. فهل محمد النبي الأمى كذلك ؟ وهل أصابه الشعر فجأة ؟ .. أم أنه دليل الكذب ؟ ...

هو الأمى لم يقرأ كتاب   فعلم قارئين وكاتبينا !!!
فواعجبا لقوم كــذبــوه   ألم يك بينهم يدعى أمينا ؟!!

فما جربوا عليه شعرا ولا سحرا ولا كهانة ولا جنونا ولا نقصانا يقدح فى شخصيته ولكنه الكفر .. الذي حدث أنهم انبهروا .. ذهلوا — وهم ملوك البلاغة والفصاحة وأساطين البيان فجاءهم بكلام أعجزهم ... وجدوا أنفسهم عاجزين فتخبطوا .. قالوا : ساحر .. مجنون ... قالوا أوصافا لاتخضع لأى منطق لأنهم من هول المفـاجأة وقوتها فقدوا الحجة والمنطق ... والقرآن يواصل التحدى أن يأتوا بمثله .. ثم يمعن في التحدى ليقول بعشر سور .. ثم يمعن أكثر فأكثر في التحدي ليقول : سورة من مثله .. كان هذا أول إعجاز للقرآن .. معجزة تَحَدَّت القوم الذين نزل فيهم بما نبغوا فيه .. ولكن التحدي فى القرآن ومعجزته ليس للعرب وحدهم بل للعالم أجمع .. ومن هنا كان إعجاز القرآن اللغوى هو تحديه للعرب فيما نبغوا فيه .. ولكن القرآن لم يأت للعرب وحدهم والقرآن جاء لكل الأجناس وكل الألسن .. فأين التحدي لغير العرب ؟ ثم هذا الكتاب سيبقى إلى قيام الساعة فلابد أن يحمل معجزة للعالم فى كل زمان ومكان .. ومن هنا كانت معجزات القرآن .. وقت نزوله .. وخلال فترة نزوله .. وبعد نزوله — وهي مستمرة حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها — لتظهر لنا آيات الله فى الأرض .

* **تمزيق القرآن حواجز الغيب :**

حينما نزل القرآن الكريم تحدى أشياء كثيرة .. أولها أنه مزق حواجز الغيب .. مزق حواجز الزمان والمكان . كيف ذلك ؟ حواجز الغيب ثلاثة أولها حاجز

المكان أى أن أشياء تحدث فى نفس اللحظة ولكن لانعرف عنها شيئا لأنها تحدث فى مكان ونحن فى مكان آخر ثم هناك حاجز الزمن الماضي وهو شيء حجبه عنا زمن مضى ، فأنا لم أشهده ، وحاجز المستقبل وهو ماسيحدث غدا ، وأنا لاأعرف ماذا سيحدث غدا ، لأن حاجز الزمان المستقبل قد حجبه عنى فلم أشهده .. إذا فحواجز الغيب ثلاثة : حاجز المكان وحاجز الزمن الماضي وحاجز الزمن المستقبل ..

فإذ قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضى فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة ويروي لنا قصص الرسل السابقين مع أممهم ويحكي لنا اشياء لم يكن أحد يعرفها ، وعلى لسان من ؟ على لسان نبي أمي لم يتعلم فى جامعة ولا مؤسسة علمية .. لايقرأ ولا يكتب .. يحكي إذن أسرار الماضى ، ويتحدى الذين يكذبونه .. مزق الله له حجاب وحاجز الزمن الماضى وطوى له المسافات ويكفى أن تقرأ فى القرآن (وما كنتَ ، وما كنتَ ، وما كنتَ) لتعرف كم أخبر الله رسوله بأنباء من غيب الماضى ... ﴿ **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين** ... ﴾ ﴿ **وما كنت لديهم ؛ إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ ﴿ **وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا** .. ﴾ أى ماكنت هناك يامحمد ولكن الله هو الذي أخبرك ومزق لك حجاب الزمن الماضى ..

﴿ **وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون .. وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا .. وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** ﴾ ثم مزق الله ـــ سبحانه ـــ حجاب المكان لمحمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ وجاء في أمر من أشق الأمور وهو حديث النفس .

وقبل أن نبدأ نحب أن نضع فى أذهاننا جيدا أن القرآن هو كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته ، وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ، ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرفه ، ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد ﷺ مأخوذة عليه .. فإذا أخبر القرآن بشيء ، واتضح أنه غير صحيح كان ذلك هدما للدين كله ﴿ **ولو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين**

فما منكم من أحد عنه حاجزين .. وإنه لتذكرة للمتقين ــ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين ، وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم ﴾ يقول القرآن ويقول ــ وقد بينت خطورة مايقول ــ ﴿ **ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول** ... ﴾ مامعنى هذا الكلام ؟ معناه إمعان في التحدي .. فالقرآن هنا لايقول لهم لقد هتكت حاجز الماضي وأخبرتكم بأنباء الأولين ، ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور فى بقعة قريبة لاترونها بل يقول سأهتك حاجز النفس ، وأخبركم بما فى نفوسكم .. بما فى داخل صدوركم بما لم تهمس به شفاهكم ... (١)

وكان يكفى لكى يكذبوا محمدا ﷺ أن يقولوا لم تحدثنا نفوسنا بشيء مثل هذا ... لو لم يقولوها ــ بالفعل ــ داخل نفوسهم ــ لكان ذلك أكبر دليل لتكذيب محمد ﷺ وإعلانهم أنه يقول كلاما غير صحيح ..

إذن فالقرآن فى هتكه لحجاب المكان دخل إلى داخل النفس الإنسانية وإلى داخل نفوس من ؟ إلى داخل نفوس غير المؤمنين الذين يهمهم هدم الإسلام وقال فى كلام متعبد بتلاوته لن يتغير ولن يتبدل .. قال ﴿ **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يُحيك به الله ، ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول .. حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** ﴾ (٢) صدق الله العظيم .. فضح نفوس غير المسلمين فهل هنالك أكثر من ذلك تحديا ؟... إنه تحدٍّ فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التى وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان والذي علمهم الله إياه ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل .

كان لابد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل .

المرحلة المعاصرة لنزول الوحي ، لكي يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون لاغير

---

(١) وهذا من الدراسات الميدانية التى يقدمها القرآن الكريم ــ وقد عزمت بمشيئة الله على إخراجها فى كتاب ــ وأسأله العون والتوفيق . آمين .

(٢) والقرآن زاخر بحوادث كثيرة من هذا القبيل ﴿ **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم** .. ﴾ . ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ... ﴾ الآيات إلى آخر سورة « المنافقون » تفضح أستار نفوسهم .. و .. و .. وهو كثير .

المؤمنين أنه الحق ، ومرحلة المستقبل البعيد ، لكي يعرف كل عصر من العصور التى ستأتي بعد نزول الوحي أن هذا هو كتاب الله الحق .. ومن هنا كان التحدي ...

بالنسبة للمعاصرين عن أحداث قريبة ، وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله .. وهنا أحب أن أنبه إلى شيء هام جدًّا ألا وهو استخدام حرف السين فى القرآن فحرف السين كما نعرف فى العربية لايستخدم إلا بالنسبة لأحداث مستقبلية ، والقرآن محفوظ ومتعبد بتلاوته ـــ وسيظل محفوظا حتى تقوم الساعة .. ومعنى ذلك انه لايمكن تغييره أو تبديله أو إنكاره من أحد من المتعبدين به ، بل إنه سيظل يتلى هكذا ـــ كما أنزل ـــ إذن فإنباء القرآن بأحداث مستقبلية يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها ، ويطعن الدين فى صميمه ، خصوصا إذا تبين أن ماتنبأ به القرآن غير صحيح ، ومن هنا فلابد أن يكون قائل القرآن متأكدا من أن هذا سيحدث له بعد ساعة واحدة فما بالك بعد أيام أو سنوات .. ؟ الجواب ... لأحد ؛ ذلك أن قدرة البشر فى صنع الأحداث محدودة .. فقد حجب عنهم الزمن وحجب عنهم المكان .. فلو قلت إنني سأبني عمارة ـــ مثلا ـــ فى هذه البقعة بعد عام ، فأنا لاأضمن أنني سأعيش حتى الساعة القادمة ، أو حتى الدقيقة التالية لحديثي .. بل قد لاأتم العمارة ... وبذلك لاأستطيع الحكم إذا كنت سأوجد هناك أم لا ؟..

هذه واحدة .. والثانية : قد تأتي الحكومة ـــ مثلا ـــ وتبنى مستشفى على هذه الأرض أو تقام فى هذا المكان سوق أو يقام شارع ..

إذن فلا أستطيع الجزم بشيء مادي سيحدث بعد فترة زمنية محددة .. ولكن الذى يستطيع أن يقول هذا ـــ يقينا ـــ هو الذى يملك القدرة على الزمن والتحكم فيه ... ومن هنا فإنه يستطيع أن يقول ـــ يقينا ـــ إن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن ـــ طالت أو قصرت ـــ والذى يملك ذلك هو الله ـــ ذو الجلال والقدرة !!!

فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد ألوف السنين فإن ذلك فوق طاقة البشر جميعا ...

ولقد أنبأ القرآن الكريم بما سيحدث بعد أعوام قليلة ، وبما سيحدث بعد آلاف السنين فالذى قال ذلك هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقينا وهو الله ــ سبحانه وتعالى ــ انظر إلى قوله ــ عز من قائل ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر .. بل الساعة موعدهم ــ والساعة أدهى وأمر** ﴾ .. لقد نزلت سورة القمر هذه فى مكة ــ والمسلمون قلة وأذلة .. حتى إن ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : أى جمع هذا الذى سيهزم ونحن لانستطيع أن نحمي أنفسنا ؟ وهكذا تنبأ القرآن بأن الإسلام سينتصر ــ فى مكة ــ وأن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام فى مكة سيهزمون ويولون الأدبار وتنبأ بها متى ؟ والمسلمون قلة .. وأذلة .. لايستطيعون حماية أنفسهم ، ويطلقها قضية مسلمة ، ومحمد ﷺ على يقين من أن الذى قالها سيحققها ..

فلو كان القرآن من عند محمد ... أما كان يخشى محمد ألا يتحقق تنبؤه ؛ فتنهار دعوته من أساسها ويتحقق ماإتهموه به من الكذب ؟!!!

﴿ .. **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ..** ﴾ وبعد ذلك نجد عجبا .. الوليد بن المغيرة العدو الألد للإسلام ، وأهله ، وللحق وجنده ، والمشهور بكبريائه ، ومكابرته وعناده .. يأتى القرآن الكريم ويقول : هذا الإنسان العنيد ﴿ **سنسمه على الخرطوم** ﴾ . أى أنه سيقتل بضربة على أنفه ثم يأتى بعد ذلك فى بدر فنراه قدوُسِمَ على خرطومه ــ أى ضرب على أنفه ــ من الذى يستطيع أن يحدد هذا ؟ .. أن يحدد موضع الضربة ومكانها المحدد من الذى يستطيع أن يجزم بما سيحدث بعد ساعة واحدة أو دقيقة .!!!

﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ... إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا** ﴾!!

سبحانه .... سبحانه .... سبحانه ....!!!

﴿ **يعلم مايلج فى الأرض ما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور** ﴾ .

﴿ **الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد .. وكل شىء**

عنده بمقدار .. عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ـــ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ... ﴾ ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو .. ﴾ .

﴿ ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير ﴾ (١) .

القرآن وأحداث المستقبل :

بعد ذلك نأتى إلى آية أخرى ، من آيات تحدى القرآن وإعجازه ، وهتكه أستار الغيب ، وحجب المستقبل ...

يقول الحق ـــ تبارك وتعالى ـــ **﴿ تبت يد أبى لهب وتب ... ماأغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى ناراً ذات لهب . وأمرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد ﴾** هذا قرآن كريم .. وفى من ؟ في عم رسول الله ﷺ فى عدو الإسلام الأول ـــ الذى قال له حين جهر بدعوته . تبا لك . ألهذا جمعتنا ؟ وهزأ به .. أجل لم يكن عبد العزى (٢) يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية ؟... ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن . ضد هذا الدين ضد محمد ودعوته التى يزعم بها أنه نبى .. ؟ قالت له الآية : أنت ياأبا لهب ستموت كافرا . ستموت مشركا ، وستعذب فى النار أنت وزوجك أم جميل وجزاؤكما من جنس عملكما .. وكان يكفى أن يذهب أبو لهب إلى جماعة المسلمين هو وزوجته ويقول : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـــ يقولها نفاقا يقولها رياء إفحاما لمحمد وهدما للإسلام وإبطالا لتنبؤ ابن أخيه الذى يزعم النبوة ـــ لاليدخل فى الإسلام ـــ يقولها ثم يقف وسط القوم ويقول : إن محمدا قد أنبأكم أنى سأموت كافرا وقال هذا الكلام مبلغا عن الله . وهأنذا أعلن لكم إسلامى ، لأثبت لكم أن محمدا كاذب ...

---

(١) اقرأ كتاب الله بتدبر وتفكر .. يأتك اليقين . **﴿ أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ؟ .. ﴾ ﴿ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ﴾ . ﴿ أفلا يتدبرون القرآن . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ .**

(١) أبو لهب .

لو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من ذكاء ؛ لفعل هذا ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبى لهب على الوصول إليه بل بقي كافرا ، مشركا ، مخلدا فى جهنم ، وفى جيد امرأته حبل من مسد ... (١)

ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافرا أمرا ممكنا ، لأن كثيرا من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن العاص وغيرهم كانوا مشركين وأسلموا .. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ــ ولو نفاقا ــ ؟ .

هنا الإعجاز القرآنى الذى أخبر بما سيقع من عدو الله ، وتحداه فى أمر اختيارى ــ كان من الممكن أن يقوله ــ ومع ذلك كان هناك يقين أن ذلك لن يحدث (٢) لماذا ؟ لأن الذى قال هذا هو القرآن يعلم أنه لن يأتى إلى عقل أبى لهب تفكير يكذب به القرآن ... هل هناك إعجاز أكثر من هذا ...؟

إعجازه لغير العرب :

ننتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية : وهى ماذا حمل القرآن لغير العرب ــ فى عصره ــ ولغير العرب والدنيا كلها ــ بعد عصره ــ أى ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله فى الأرض وقوانينه التى كانت غيبا على البشرية كلها فى عصره وبعد عصره ؟ .... هناك الأمثلة كثيرة ، والمجال لايتسع لها كلها ، ولكننا سنحاول أن نبين نماذج منها فيما يختص بالإعجاز فى عصر القرآن لغير العرب فقد كان هناك أمتان عظيمتان .. امبراطوريتان متاخمتان للجزيرة العربية هما الفرس والروم .. والروم أمة تؤمن بكتاب ــ ولو أنهم لايصدقون برسالة محمد ــ ﷺ ــ إلا أن عندهم إيمان بوجود الله والقيم السماوية : أما الفرس فكانوا أهل كفر وإلحاد وعباد النار آنذاك ولا يؤمنون بأى دين من الأديان ... إذن فأيهما أقرب إلى قلوب المسلمين ؟ الروم باعتبارهم أهل كتاب ــ وأيهما أقرب

---

(١) وذلك تقرير لما سلف من علم الله المحيط . علم ازلا أن جعل له لسانا ينطق بالإيمان والكفر ولكنه سيؤثر الكفر فقال ــ عز وجل ــ اكتبوا ياملائكتى أنه شقى ... فلا يستطيع الفكاك لأنه سبق عليه الكتاب بمقتضى علمه أنه سيختار الكفر فليدرك .

(٢) مع أن الله جعل له ــ ككل البشر لسانا وشفتين وعقلا وارادة وقدرة واختياراً .

إلى قلوب الملحدين والكفار ، الفرس باعتبارهم مشركين وكفرة ـــ قامت الحرب بين الدولتين فهزم الروم وانتصر الفرس .. وهنا فرح المشركون ؛ لأن الكفر قد انتصر ، وحزن المؤمنون لأن نوعا من الإيمان قد انهزم ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا قالوا إنا نصارى ؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون ، وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ ... (١)

وهنا يتدخل القرآن الكريم ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن فيقول فى كلام ـــ محفوظ متعبد بتلاوته ـــ لايستطيع ولا يجرؤ أحد أن يغير فيه أو يبدل .. يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **ألم . غلبت الروم . فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعدُ . ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ ثم يمضى القرآن إمعانا فى التحدي ﴿ **وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾

ماهذا ؟ أيستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين ؟... فهل يستطيع قائد عسكرى مهما بلغت قوته وعبقريته أن يتنبأ بسر معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ؟ مهما كان نبوغه وخبراته العسكرية ؟ فما بالك أن ذلك يأتى ويقول : إنه بعد سنين تحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر الروم ... هل أمن محمد ـــ ﷺ ـــ على نفسه أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة ؟ حتى بلغ أمر التصديق والثقة بأبى بكر الصديق ـــ رضى الله عنه ـــ أنه راهن على تحقق وقوع ماجاء به القرآن الكريم . إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى ... هذا هو القرآن ... هذا هو كلام الله وأساس الإيمان كله ... يأتى ويخبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب ، ويقول الكفار إن القرآن كاذب ، ويقول المؤمنون إن هذا صدق ويحدث رهان بين الفريقين .!!

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة أصلا بين الروم والفرس ؟ أو لو أنه حدثت معركة وهزم فيها الروم ؟ ... أكان يصدقُ القرآنَ أىُّ إنسان

---

(١) وذلكم أيضا من الدراسات الميدانية التى يقدمها القرآن الكريم .

أو يؤمن بالدين الجديد ؟ ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذى يجعله يدخل نفسه فى قضية غيبية كهذه لم يطلب منه أحدٌ الدخول فيها ..؟ أيضيع دعوته ودينه الجديد من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد ؟ أو يجر على نفسه الشكوك حول قضية احتمال النصر فيها غير مضمون ١٠٠ ٪ أَيَضَعُ نفسه فى مأزق لم يعلن له أحد فيه التحدي ؟!!

لكن القائل هو الله ... والفاعل هو الله ... ومن هنا كان هو هذا الأمر الذى فى القرآن نزل يقينا سيحدث ، ولابد أن يحدث لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان ، ولا حجاب المكان ، ولا حجاب النفس ولا أي لون من ألوان الحجب ، وهو الذى يقول مايفعل ويفعل مايريد ... ومن هنا حدثت الحرب ... وانتصر الروم وتحقق الغيب كما نبه القرآن ....

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين فى وقت نزوله ... ولم يتحد الكفار من العرب وحدهم . بل تحدى الكفار وأهل الكتاب من غير العرب بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث ببضع سنين (سبع أو ثمان) تحداهم بهذا علهم يسلمون ....

إذا انتهينا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب فى وقت نزوله ــ بلفظه ومعناه ــ للعرب وبمعناه لغير العرب . ولكننا قلنا إن القرآن ليس له زمان .. وليس له مكان .. وإنه سيظل حتى قيام الساعة فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة ؟ لابد أن تكون للقرآن معجزة دائمة .. أن يعطى عطاء لكل جيل لم يعطه للأجيال السابقة ... وقد كان .. جاءت فى القرآن أشياء لو أن أحدا أخبر بها ــ وقت نزوله ــ لاتّهم الذين قالوها بالجنون ، ولكنها جاءت للعصور القادمة ... جاءت لتتحدى عبر الأجيال إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!

القــرآن والعلــم :

عندما نزل القرآن كان له أكثر من معجزة وأكثر من وجه للإعجاز تحدى العرب فى بلاغتهم لأنهم أهل الفصاحة والبيان ــ كما أسلفنا (١) ثم مزق حواجز

---

(١) راجع كتاب مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان (الإعجاز اللغوى والتاريخى والتشريعي والعلمي) .

الغيب الثلاثة : مزق حجاب الزمن الماضى وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم وتحدى فيها .. ثم مزق حجاب المكان وروى لنا مايدور داخل نفوس الكافرين والذين يحاربون الإسلام وماذا يبيتون للمسلمين — فى دراسة ميدانية معجزة فضح فيها داخل نفوسهم وسرائرهم ﴿ .. **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر .. قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾ ولم يجرؤ واحدٌ منهم على أن يكذب القرآن ويقول : لم تهمس نفسي بذلك .. ثم مزق حجاب المستقبل وأخبر بأحداث ستقع بعد شهور ، وبأحداث ستقع بعد سنوات .. وتحدى .. وحدث كل ماأنبأ به القرآن ﴿ .. **ولا يُنَبِّئُكَ مثل خبير** ﴾ (○) ...

ثم بعد ذلك مزق حجاب المستقبل البعيد ، ليعطى الأجيال القادمة من إعجازه ماحملهم — بعد قرون — القرآن — على تصديقه والسجود لله العليم الخبير ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ ولكن القرآن نزل فى زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلية جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وارتدوا .. وانصرف آخرون ؛ ذلك أن الكلام كان فوق طاقة البشر وطاقة عقولهم فى ذلك الزمان ... إذا كنا نحن — إلى عهد قريب جدا — وحين سمعنا (الراديو) المذياع الأول مرة كانت عقولنا الصغيرة تهمس لنا بأن هذا عفريت صندوق من الخشب يتكلم ؟ ..... وهكذا عندما ركب البشر المتخلفون سيارة لأول مرة قال جهالنا هذه جِنِّية ... وقلنا مثل ذلك فى الطيارة والغواصة .. الخ .

ومن — هنا وحتى لايخرج المؤمنون من إيمانهم — وليستمر الإعجاز لأنه لو أنهى جميع المعجزات مرة واحدة لما كفى للقرآن حمل بعير ... ولا نتهى الإعجاز كأى خارقة جاء بها الأنبياء كإبراء الأكمه والأبرص — كما أسلفنا — ولكن القرآن معجزة خالدة لتصديق محمد — ﷺ — وليدوم تصديقه إلى يوم القيامة لأنه خاتم المرسلين وليبقى إخوانه الأنبياء السابقون موثقين إلى يوم القيامة ؛ لأن القرآن الخالد : هو الوثيقة الوحيدة الباقية إلى يوم الدين ... فمعجزاتهم قد انتهت — كما قلنا — لأنها فعل فصارت خبرا ، ولأن مناهجهم قد حرفت وضيعت لأن البشر استحفظوها فضيعوها أما القرآن — كما أكرر للتأكيد

(○) راجع تفسير سورة المنافقون لتعرف كيف فضح الله سرائرهم ..

والتعميق ــ فهو صفة من صفات الله الأزلية الباقية بلا نهاية ؛ ولأنه معجزة ، ومنهج ، ولأن الله تولى حفظه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

ومن هنا جاء القرآن بنهايات النظريات .. بقمة نواميس الكون إذا تليت على المؤمنين آنذاك مرت عليهم ولم ينتبهوا إلى مدلولاتها العلمية الحقيقية . وإذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا مافيها من إعجاز ــ بل وقالوا إن هذا كلام لايمكن أن يقوله بشر عاش منذ آلاف السنين ــ فضلا عن كونه أمياً لم يتعلم فى جامعة ولا « أكاديمية » علمية .. إذن فلابد أن القرآن حق ــ من عند الله ــ وأن قائله هو الله الخالق (١) . بقيت نقطة ... هل يأتى هذا فى الأحكام ؟ الجواب لا ، لأن أحكام الدين (افعل ولا تفعل) نزلت كاملة واضحة لالبس فيها ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض ، منهج الله كامل فسرته الأحاديث النبوية الشريفة والسنة العملية المضيئة والأحاديث القدسية الوهاجة وشرح وفسر وفصل فى عهد الرسول الأعظم تفسيرا كاملا لالبس فيه ولا عوج ، بحيث أصبح واضحا لدى كل إنسان يريد أن يعبد الله ، وأن يعيش فى الأرض طبقا لقوانين الله (افعل ولا تفعل) وأصبح الحلال بَيِّناً والحرام بينا .

أما آيات الله فى الكون فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيرا كاملا فى عهد الرسول ــ ﷺ ــ حتى لاتكون ملزمة للمسلمين .. لماذا ؟ لأن لها عطاء يتجدد فى كل الأجيال ﴿ ... **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ... أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟ .. ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ؟ ألا إنه بكل شىء محيط** ﴾ .. ومصداقا لذلك كانوا فى عصر النبوة لا يسألونه عن شىء لم ينزل به القرآن ؛ لأنهم صرفوا عن ذلك من صاحب الدعوة ــ ﷺ ــ ﴿ **يسألونك عن الأهلة هى مواقيت للناس والحج** ﴾ . السؤال ــ كما يعرف بعض المسلمين الملمين بأصول البلاغة ــ عن حقيقة الأهلة ... ماهى ؟ وكيف تأتى ، وتغيب ثم تعود ؟ من هلال ثم بدر ثم محاق .. إلخ . تكون الإجابة بأسلوب الحكيم ﴿ **قل هى مواقيت للناس**

---

(١)انظروا كتاب « هنرى لنك » عالم وطبيب النفس الامريكى الذى سماه (العودة إلى الإيمان) وقد طبع فى امريكا ٤٧ مرة وكتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) والذى ألفه ٣٠ عالما من علماء الكون فى فروع العلم المختلفة وكتب محمد جمال الفندى وغيرهم الكثير . ومع الله فى الأرض ومع الله فى السماء لأحمد زكى .

والحج ﴾ صرفوا عن جواب حقيقة السؤال إلى الفائدة لأنهم لن يدركوا حقيقتها .. ثم يسمعون من صاحب الدعوة — فى القرآن الكريم — ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين** ﴾ .

ومن أجل ذلك كان عمر بن الخطاب (١) — رضى الله عنه — يقرأ مرة سورة (عبس وتولى) فحينما جاء إلى قوله تعالى ... ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾ توقف قليلا يسأل نفسه — وهو العربى العليم بخصائص لغته وكنهها — مامعنى الأب ؟ وبسرعة خاطر المؤمن قال لنفسه « ياويل ابن أم عمر .. ؟ وماذا عليّ إذا لم أفهم معنى الأب ؟ ولم يسترسل مع نفسه فى تفسير مالم يفسره القرآن ، وعملا بقوله تعالى ﴿ **لاتسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم** ﴾ .

لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز فى اللغة — كما قلنا سلفا — ولكن التحدى للعالم لايمكن أن يكون باللغة ، فاللغات مختلفة وستقوم لهم الحجة — كيف يتحدى بطل العالم فى الملاكمة بطل العالم فى المصارعة ؟ وهل يطالب الحداد بتصميم عمارة ؟ أو المهندس بعلاج مريض ؟

إن التحدى يكون فيما برع فيه القوم ... إذن بماذا يتحداهم القرآن ؟ الجواب يتحداهم بالعلم .. وكان التحدى مطلقا ... إلى يوم الدين ... قال : أنتم جميعا — على اختلاف أجناسكم وألوانكم — لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئا حتى نهاية العالم .. ثم تحداهم بخلق ماذا ؟ بخلق كون كالذى خلقه ؟ ... لا ... بخلق مجموعة شمسية ؟ من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة فى الكون ... ؟ لا — بخلق شمس أو قمر أو نجم ؟ لا ... إذن تحداهم بخلق كرة أرضية مثلا — كالتى يعيشون عليها ؟ أبدا ... لابد أنه تحداهم بخلق إنسان ...؟ أبدا . لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابا « ولو اجتمعوا له » — وكأنه سبحانه يقول لهم : إننى أنا الله خالقكم أقول لكم سأعطيكم من العلم وأريكم آياتى فى الآفاق وفى أنفسكم

---

(١) وقيل : إنه أبو بكر — رضى الله عنه — فقيل وقد سئل أبو بكر عن معنى « الأب » فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم .

وسأقدركم على الابتكار (١) من الموجودات التى خلقتها لكم ، وأعلمكم مالم تكونوا تعلمون ... ولكنكم لن تخلقوا ذبابا ... ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض ـــ فى كل العصور ـــ من الإنس والجن والملائكة .. وهكذا تحدى الله البشرية كلها ـــ إلى يوم القيامة ـــ بأن يخلقوا ذبابة واحدة من العدم ...

وقال : إن العلم ـــ الذى ستعبدونه من دونى ـــ والذى ستغترون به ـــ وأنا واهبه لكم ـــ هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابا ـــ ولو اجتمعوا له ـــ ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له** ... ﴾ .. بل ﴿ **وإن يَسْلُبُهُمْ الذباب شيئا لايستقذوه منه** ﴾ وإن علمتكم الذرة والدوارن حول المجرة والغوص فى أعماق المحيطات .. إلخ . ﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ ﴿ **ماقدروا الله حق قدره ؛ إن الله لقوى عزيز** ﴾ (٢) .

والعجيب أن الإنسان وقد وصل إلى القمر ـــ وقد يصل إلى المريخ ـــ وقد يكتشف أبعدمن ذلك ـــ ولكنه عاجز ، وسيبقى عاجزا عن خلق جناح ذبابة ـــ وهو طلب ضئيل جدا بالنسبة لقدرة الله ـــ سبحانه ـــ فى خلق بلايين الكائنات وصدق الله العظيم ﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** ﴾ ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ ... ثم أضاف الله سبحانه وتعالى ـــ ﴿ **ما قدروا الله حق قدره** ﴾ أى أن قدرة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ تفوق كل الحدود ـــ وكل التصورات التى قد ترد على خواطركم وأنتم لاتعرفون قدرة الله .. ثم تحدى الله بعد ذلك ـــ فى قرآنه ـــ تحدى باستمرار الحياة .. الماء الذى خلق منه كل شيء وقال ﴿ **أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون** ﴾ وقال ﴿ وينزل الغيث ﴾ أى أن الله سبحانه هو الذى يرسل إليكم الأمطار والماء ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور والوحوش ... والزرع والضرع وكل شيء حي ... هذا الماء تَعُب منه البشرية كلها عبّا تجد الإنسان عاجزا عن أن يصنع نهرا ، عن أن يصنع قطرة من ماء ... مع أن عناصر

---

(١) قلت على الابتكار من الموجودات لأن كل شيء موجود فى الطبيعة التي خلقها الله ونحن لانبتكر ولا نخترع وإنما نكتشف .

(٢) راجع ماقلناه فى أول الكتاب من عدم قدرتهم على تخليص مايأخذه الذباب منهم .

تكوين الماء موجودة فى الكون أمام العلماء والمساحات الشاسعة من الصحارى محتاجة إلى قطرة ماء (١) .

ثم تحدى الله سبحانه وتعالى البشرية بأن تهرب من الموت ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** ﴾ ﴿ **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ﴿ ... **قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم** .... ﴾ . أى أن الله عز وجل – يتحدى – مهما وصلتم من العلم فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .

إنكم تقولون فى العلم الأرضي ، إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا « وفيروس » كذا وأمراض كذا ... الخ ... حسنا — شيدوا برجا وضعوا فيه إنسانا ، وأبعدوا عنه كل المخاطر من العدوى — التى فى رأيكم وفى نظركم وفى علمكم تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يمشي فى أى مكان يصاب فيه بحادث ، ولا يستنشق هواء ملوثا ويأكل من طعام مطهو على أحدث الوسائل الصحية ، ويشرب من ماء بعيد عن التلوث (ماء صحة — مثلا — أو صفا أو .. أو ... إلخ) والجو الذى يعيش فيه منقى إلى أبعد درجات العلم -- كما تفعلون مع رواد الفضاء ... وهنا نكون قد أبعدنا عن ذلك الإنسان كل مسببات الموت التى نعرفها ... ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا خلود ؟ — رغم أننا منعنا عنه كل أسباب الموت الظاهرية .؟ الجواب ... طبعا مستحيل .. مستحيل ... مستحيل ...؛ لأن الله هو الذى يحيي والأسباب لاتفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الحكيم الخبير القدير !!! ثم تحدى العالم كله — فى القرآن — بخمس مغيبات (٢) ﴿ **إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافى الأرحام ... وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. إن الله عليم خبير** ﴾ .... تحدى الله بهذه الغيبيات تحدى البشرية جمعاء ... ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من**

(١) اقرأ بامعان وتفكر وتدبر — من سورة الواقعة ﴿ **نحن خلقناكم فلولا تصدقون ؟ أفرأيتم ماتمنون** ﴾ إلى آخر السورة .

(٢) وهى مفاتح الغيب .

ذكراها . إلى ربك منتهاها .. إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها .. ﴾ .... ﴿ إنما علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى ﴾ ﴿ وينزل الغيث ﴾ علمتم تركيب الماء (أوكسجين + هيدروجين) بنسب معينة تعلمونها جيدا معمليا ــ فهلا أوجدتم قطرة ماء من العدم ؟ تصنعون أمطاراصناعية .. أجل .. لكن هل تقدرون على خلق ذلك ابتداء ؟ ... كلا إلى الأبد ..... ﴿ ويعلم مافى الأرحام ﴾ أشعة « إكس » علمكم الله إياها وتعرفون مافى البطن من أجنة ولكن هل تعرفون نوع الجنين ؟ ولو عرفتم فهل تعرفون لونه وأجله ورزقه ؟ وشقي هو أم سعيد ؟ هل تعرفون مدلول كلمة (ما) ؟ (مافى الأرحام) عدد شعرات رأسه ... ورموش عينيه .. وطوله وعرضه وهل سيموت فى بطن أمه ؟ أو سيعيش ؟.. وغبى هو أم ذكى ؟.. غنى أم فقير ؟ هل سيتزوج أم لا ؟... هل سيكون مجنونا أم عاقلا ؟.. هل ينجب أم لا ..؟ هل ... هل ... هل .. إلى آخر ماتحت كلمة (ما) من مدلولات .. كلا ... كلا ... ثم كلا ... إلى الأبد .... سبحانه ... سبحانه ... سبحانه .. ﴿ عالم الغيب والشهادة .. فلا يظهر على غيبه أحدا ... إلا من ارتضى من رسول ﴾ .. إلى آخر سورة الجن .

﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم .. فلا تزكوا أنفسكم .. هو أعلم بمن اتقى .. ﴾ ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ﴾ هل ستربح أم ستسخر .. ؟ هل ستنجح ؟ هل سترسب ؟ هل ستتزوج ؟ هل ... هل ... هل .. كلا .. أبدية كلا ... مطلقة .. ﴿ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ فى البر ؟ فى البحر ؟ فى الجو ؟ فى السعودية ؟ فى مصر ؟ فى أمريكا ؟ فى ... فى ...؟ كلا ... كلا ... مطلقا ... ﴿ إن الله عليم خبير ﴾ فكأن القرآن تحدى العرب فى اللغة وعندما نزل ــ حمل ــ تحديات للعالم أجمع وقال لهم إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا .. إلخ .. مئات التحديات ساقها القرآن للبشرية جمعاء للبشرية ــ ككل ــ على مر العصور إلى يوم القيامة !!!

القــرآن وحقائق الكــون :

وبعد أن تحدى القرآن البشرية جميعا قال ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى

أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

لم يقل سنريهم آياتنا فى الأرض ــ ولا فى الأفق بل قال فى الآفاق أى أن الله ــ سبحانه ــ سيكشف لعباده بعضا من آياته ليتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق . وكيف يتبين لهم أنه الحق ؟

ذلك أن حقائق الكون التى سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين ــ بنشاطات الذهن (١) ــ سيجدون القرآن قد أشار إليها إشارات غيبية لحقائق علمية ــ لأن القرآن كتاب علوم . أقول إشارات غيبية لحقائق علمية ، لا كما ورد فى شطحات مصطفى محمود (٢) وحينئذ يتبين أن هذا القرآن هو الحق ؛ لأن الذى قال هو الله ، والذى خلق هو الله ومن هنا جاء فى القرآن أن الأرض كروية ، وأنها تدور ، وجاء فيه كيفية خلق الإنسان وكيف تعلم الكلام (٣) ، وجاء أن هناك ماهو أصغر من الذرة وجاء فيه وصف دقيق لما يحدث للجنين ــ وهو فى بطن أمه ــ وجاء فيه أن الليل والنهار يوجدان على الأرض معا .. وحقائق أخرى كثيرة لايتسع المجال للحديث عنها (٤) على أننا وقبل أن نمضى فى هذا الموضوع إلى نهايته يجب أن نحدد معنى العلم .. العلم لابد أن يمر بمرحلتين :

مرحلة التصور (٥) ثم مرحلة التصديق ــ ومعنى التصور ، أننا قبل أن نتكلم عن أى قضية ــ إثباتا أو نفياً لابد أن نكون قد تصورنا الألفاظ التى سنكوّن منها حديثنا .. أعنى كلمة سماء ــ مثلا ــ ماذا تعنى ؟ وكلمة الأرض مامعناها ؟ ... وما معنى كلمة زرقاء ..إلخ .. هذا هو مانسميه بالتصور . وليس فى هذا نسبة .. فإذا جاءت النسبة .. وهى أن نحكم على شىء بشىء يجب أن تكون مسبوقة بعلم التصور .. ننتقل بعد ذلك .. ــ بإيجاز شديد ــ إلى مرحلة التصديق .. فأنت حين تحدثنى عن حقيقة علمية .. أسألك : أهل هى واقعة ؟

---

(١) الذى كرم الله به الإنسان .

(٢) أقرأ لعبد المتعال الجبرى : شطحات مصطفى محمود فى تفسيراته العصرية للقرآن الكريم « دار الاعتصام » والقرآن فى تفسير عصرى لبنت الشاطىء .

(٣) راجع ماقلناه سلفا فى هذا المضمار لإثبات أن الدين ضرورة لغوية .

(٤) راجع الكتب التى ذكرتها لك ــ كمراجع ــ فى هذا المجال فى أول الكتاب .

(٥) من محاضرات فضيلة أستاذي الشيخ محمد متولى الشعراوي ــ بتصرف .

فإذا قلت نعم .. أسألك .. أأنت جازم فيها ؟ فإذا قلت نعم .. أسألك .. هل تستطيع التدليل عليها ..؟ فإذا قلت نعم .. فهذا هو العلم فليفهم ..

فالعلم نسبة واقعة مجزوم بها .. وعليها دليل ولكن نفترض أننى جازم بالنسبة — وهى ليست واقعة — ... فهذا هو الجهل بعينه .. نسبة مجزوم بها وهى غير واقعة ؟ — وآفة الدنيا كلها الجهل .. فالذى يعرف نسبة أو حقيقة علمية يمكن أن يتعلمها .. ولكن المصيبة فى ذلك الذى يجزم أو يصدق فى قضية كاذبة .. ثم يقيم الدنيا ويقعدها محاولا أن يدلل على شيء غير حقيقى .. وهذا ماتعانى منه البشرية .. فإذا تحدثنا عن القرآن والعلم .. فإن العلم هنا هو المراد به علم البشر .. الذى يوجد في زوايا الكون المتعددة ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** ﴾ ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ — ونحن أحيانا ندعي حقيقة علمية وهى ليست حقيقة علمية أو ندعى حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية .

الأولى ادعاء حقيقة علمية ... وهى مجرد نظرية وتخمين .. أمر سهل معروف فهنالك عشرات من النظريات العلمية ثبت خطؤها بعد فترة من الزمن وكانت تمثل مجرد ظن وتخمين .. ولكن ادعاءنا حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية ... ماهو ؟ مثلاً — يأتى إنسان ويقول : الأرض مبسوطة .. ويستدل على ذلك بأن الله قال ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي** ﴾ أى بسطناها ؛ لأن المد هو البسط .. ولقد فهم خطأ أن هذه حقيقة قرآنية حتى إنه بعد أن خرج الإنسان خارج الغلاف الجوى للأرض ورآها كروية .. فإن هذا الإنسان يرفض تصديق العلم ويقول لا : الأرض مبسوطة .. هكذا قال القرآن — وكل ما عدا ذلك كفر — تقول له : إنك أخطأت فى فهم الحقيقة القرآنية : وإن الدليل الذى أتيت به لايخدم ماتدعيه — بل هو ضد ماتدعيه — فالأرض إن كانت مبسوطة لاتخرج عن أشياء فهي إما مربعة .. وإما مثلثة ، وإما مستطيلة — وإما متوازية — وإما شبه منحرف ، أو متوازى الأضلاع .. وباختصار أترك لك أن تتصور أى وضع للأرض غير وضع الكرة ، أو شكل الكرة ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ وهى كرة .

إذن مادامت الأرض مسطحة .. فلابد أن يكون لها حيز .. فإذا جئت فى

آخر السطح لابد أن تصل إلى حافة ... ولكن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ ومعنى المد أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية رأيتها ممدودة أمامك فإذا ذهبت إلى القطب الشمالي رأيت أن الأرض منبسطة وإذاأسرعت إلى القطب الجنوبى رأيت الأرض منبسطة وإذا ذهبت إلى خط الاستواء وجدت أن الأرض أمامك منبسطة . فى أى مكان تذهب إليه من الأرض تراها مبسوطة وهذا لايحدث إلا إذا كانت الأرض كروية .. إذن فقول الله ــ سبحانه وتعالى ــ ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ دليل على كروية الأرض ولكن إنسانا أخطأ وفسر ذلك اللفظ على أنه دليل على أن الأرض مبسوطة وخرج من ذلك بأن هذه حقيقة قرآنية ... وهي ليست حقيقة قرآنية فإذا ثبت أن الأرض كروية بدا تعارض وهمي بين حقيقة كونية وحقيقة قرآنية .

وهنا يبرز دور الجهل فى محاولة النيل من كتاب الله ... ولو تعمق ذووالعقول قليلا لعرفوا كروية الأرض .. ودوران الأرض .. مشاراً إليهما فى كتاب الله ــ كما قلنا ــ بإشارات غيبية لحقائق علمية .. وهذا ماسنعود عليه فى موضع آخر قريب ــ إن شاء الله

كذلك مثلا قول الحق ــ تبارك وتعالى ــ ﴿ **ويعلم مافى الأرحام** ﴾ يأتى إنسان ليقول : معنى ﴿ **ويعلم مافى الأرحام** ﴾ ، أن الله يعلم هل الطفل الذى فى بطن أمه ذكر أو أنثى .. فإذا كان فى نشاط العلم أنهم يستطيعون ــ بطريقة ما ــ أن يعرفوا ــ قبل ولادة المولود بفترة ــ إذا كان ذكراً أو أنثى .. يقول بعض المتحذلقين إن ﴿ **ويعلم مافى الأرحام** ﴾ قد خرجت عن المغيبات الخمس التى اختص المولى ــ سبحانه ــ بها علمه يتحدى بها البشر أجمعين ... ويبدأ هنا الجدل .. ولكن السؤال الذى يجب أن يوجه إلى قائل مثل هذا الكلام هو : من الذى أخبرك أن معرفة نوع الجنين : إذا كان ذكراً أو أنثى هو معنى الآية الكريمة ﴿ **ويعلم مافى الأرحام** ﴾ من الذى حصر كلمة (ما) فى ذكر أو أنثى وهي مطلقة على العموم إنك ادعيت أن«ما» هى ذكر أو أنثى .. وقلت إنها حقيقة قرآنية . ولكن مدلول (ما) أكثر من ذلك بكثير ... ذكر أو أنثى حقيقة ، وطويل هو أم قصير حقيقة أخرى ، وأسمر أو أبيض أو أشقر حقيقة ثالثة ، وأستطيع أن أمضى معك إلى مئات بل ألوف الحقائق التى عبر المولى ــ جل

وعلا ـــ عنها بكلمة (ما) فى الآية الكريمة ـــ كما قدمت منذ قليل فارجع إليه ـــ إن شئت . (١)

ثم إن الذى يحاول العلم أن يصل إليه بالتحليل مازال فى دور التخمين ولم يصل إلى تعيين بعد ، فبالنسبة للبنت والولد ٥٠ ٪ نسبة معطاة ـــ أى أنك رأيت امرأة حاملا وقلت هذه ستلد بنتا ، فإن قولك صادق بنسبة ٥٠ ٪ فجاء العلم ليضيف على هذه الـ ٥٠ ٪ .. ولكن ليقل لنا العلم ماهى أوصاف الجنين .. أو أى شيء منه ليس فيه نسبة معطاة سابقا .. ؟

على أنى هنا أحب أن نقف قليلا حول الضجة التى تثيرها بعض النظريات العلمية .. من إجراء تجارب ماأسموه إنتاج أطفال الأنابيب المختبرية .. وبدأ الحديث عن الأطفال الذين سيولدون فى أنابيب الاختبار .. إلخ هذا الكلام ثم انتهت إلى لاشيء ... بل إلى فشل ذريع ... وكذلك الحديث عن خلق المادة الحية .. وما إلى ذلك ، ولقد تحدى القرآن الإنسان أن يخلق ذبابة ، وأعطى الله العلم للإنسان ليصل إلى القمر ولكنه لم يعطه العلم ليخلق جناح ذبابة .. **﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ . ثم إن طفل الأنابيت مصنوع من حيوان منوي من ذكر مع بويضة من امرأة .**

التصادم بين العلم والقرآن :

إذن فالتصادم يحدث بين حقائق الكون والقرآن ـــ إذا كان هناك تصادم ـــ يوجد التصادم عندما تدعى حقيقة علمية فى الكون ـــ وهى ليست حقيقة علمية ـــ أو ندعي حقيقة قرآنية ـــ وهى ليست حقيقة قرآنية .

ولكن القرآن لايمكن أن يصطدم أبداً بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة ، لأن قائل القرآن هو الله وخالق العلم والعلماء .. هو الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وخالق الكون هو الله ـــ

إذا انتهينا إلى ذلك يكون علينا أن نوضح نقطة صغيرة قبل أن نمضى فى حديثنا . ان الذين يقولون : إن القرآن لم يأت ككتاب علم صادقون .. ذلك أنه كتاب أنزل ليعلمنا الأحكام ، ولم يأت ليعلمنا الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة

---

(١) راجع ما قلنا سلفاً ص ١٩٦

وفى الوقت ذاته حين نقول أن القرآن ذكر فى معجزاته ما لم يصل العلم إلى كثير منه حتى الآن فهذا صحيح أيضا . بمعنى أن هذه المعجزات هى ما تنتهى إليه حقائق الكون .. فالقرآن وإن لم يأت ليعلمنا الطب - مثلا - إلا أنه يأتى فيمس قضية طبية يخبرنى بدقائقها ولا يصل إليها الطب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين كقول الحق - تبارك وتعالى ﴿ .... **وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه** ... ﴾ فلم يكتشفوا أن الذباب هو المخلوق الوحيد الذى يتحلل الطعام فى فمه إلا قريبا جدا منذ سنوات فقط ... يخبرنا فى الجغرافيا - مثلا - ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد ألوف السنين كأن يقول المولى - عز وجل - ﴿ **ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا** ﴾ ؟ فلم نكتشف أن الجبال كالأوتاد فعلا ، - إذ الجزء الذى فى باطن الأرض أطول بكثير من الجزء الذى فوق سطح الأرض - إلا فى العصر الحديث ومنذ سنوات قلائل فقط - مع علمنا السابق بأن الوتد يكون جزؤه الذى فى باطن الأرض أطول من الذى على سطحها وإلا لما أمسك الخيمة واقتعلتها الرياح .. وكذلك فى كل علوم الدنيا - مما يضيق المقام عن سرده - أى أن ما ينتهى إليه من الحقائق ، قضايا الكون الأساسية - الحقائق التى خلق على أساسها الكون يمسها القرآن على أنها حقائق علمية - سواء وصلت إليها أنت بالعلم أم لم تصل ...

ولنبدأ باستعراض بعض الحقائق :

الحقيقة الأولى .. كروية الأرض - مثلا - وأعتقد أنه فى عهد النبى - ﷺ - لم يكن أحد من البشر يعرف شيئا عن كروية الأرض .. أو لم يكن ذلك قد وصل إلى علم أحد وهنا يأتى القرآن ويقول : ﴿ **والأرض مددناها** .. ﴾ ويلاحظ دقة القرآن فى ألفاظه حيث اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر الذى نزل فيه والعصور القادمة ..

فكلمة مددناها تعطى المعنى للاثنين معا .. عندما يقول ﴿ **والأرض مددناها** .. ﴾ أى بسطناها ... لا تنشأ مشكلة لأن الأرض تظهر أمام الناس منبسطة فى ذلك الوقت .. فإذا مر الزمن وثبت أن الأرض كروية ... نجد هذا اللفظ هو المناسب تماما وهو الذى يصف لنا بدقة كروية الأرض . ثم نتأمل قول الله تعالى ﴿ **يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** ﴾ ... لماذا

استخدم الله – كلمة يكور ، فى تعبيره ؟ وكلام القرآن الصادر من الله دقيق فى تعبيره دقة متناهية – لماذا استخدم الله – سبحانه – لفظ يكور ولم يقل يبسط الليل والنهار – ما دامت الأرض منبسطة – أو يغير الليل والنهار أو أى لفظ آخر .. إنك لو جئت بشيء ولففته حول كرة فتقول إنك كورت هذا القماش – مثلا – أى جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها .. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل كرة فتقول له خذ هذا ثم كوره .. أى تصنعه على شكل كرة ... فمعنى قول الله – سبحانه – ﴿ **يكور الليل على النهار** ﴾ أى يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية .

ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية فى كل وقت أى أن الله لم يقل يكور الليل ثم يكور النهار . ولكنه قال ﴿ **يكور الليل على النهار** ﴾ واستخدام كلمة (على) تستحق وقفة ، لتتصور مدى انطباق .(يكور) على كروية الأرض وأنت تقرأ أو تسمع (يكور الليل على النهار) ومعناه أنهما موجودان فى نفس الوقت حول الكرة الأرضية ... وهذا ما أنبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. ولم يصل إلى علم البشر إلا فى الفترة الأخيرة ..

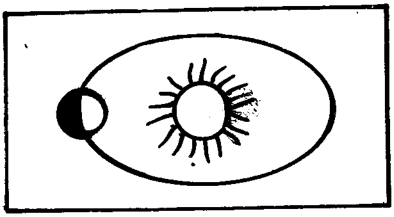
وقضية كروية الأرض هذه مسها القرآن فى أكثر من موضع ... لماذا ؟ لأنها حقيقة كونية كبرى ...

ثم نتأمل – بعد ذلك قول الله عز وجل – ﴿ **ولا الليل سابق النهار** ﴾ ومن هنا فإنه يرد على قولهم بأن النهار يسبق الليل قائلا : لا .. لا النهار يسبق الليل ولا الليل سابق النهار – ﴿ .. **وكل فى فلك يسبحون** ﴾ .. وهذا إعلان لهم بأن الأرض كروية وأن الليل والنهار موجودان فى وقت واحد على سطحها .. فلو أن الأرض مبسوطة فإن الأمر لا يخرج عن حالتين ...

الحالة الأولى : أن الله قد خلق الشمس مواجهة للأرض المسطحة .. وفى هذه الحالة يكون النهار موجودا أولا .. ثم يغيب الله الشمس ، فيأتى الليل ثانيا .. أو أنه خلق الشمس غير مواجهة لسطح الأرض .. وفى هذه الحالة يكون اللّيل موجودا أولا ثم تطلع الشمس على السطح فيأتى النهار .. ولا يخرج الأمر على هذين الشيئين .. فعندما يقول الحق – تبارك وتعالى – ﴿ **ولا الليل سابق**

النهار ﴾ أى أنه ينفى كلية أن النهار يسبق الليل .. أو أن الليل يسبق النهار ، حيث إنهما لا يسبق أحدهما الآخر .. منذ متى ؟ .... منذ خلق الله الأرض ، ولا يتأتى هذا فى عالم الأحجام أبدا إلا إذا كانت الأرض مكورة .. فحين خلق الله الشمس والأرض وجد الليل والنهار معا فنصف الأرض المواجه للشمس نهار ، والنصف الآخر صار ليلا ثم دارت الأرض فأصبح الليل نهارا والنهار ليلا وهكذا .

إذن فالآية الكريمة ﴿ **ولا الليل سابق النهار** ﴾ تعطينا حقيقة قرآنية وهى أن الأرض مخلوقة على هذه الصورة الكروية ، والعلم يعطينا حقيقة علمية أن الأرض كروية .



كروية الأرض تجعل خلق النهار فى النصف المواجه للشمس وخلق الليل فى النصف البعيد عن الشمس متزامنين .. أما دوران الأرض حول محورها فيكور الليل والنهار ، ويكور النهار على الليل .. ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

❊ دوران الأرض فى القرآن :

نأتى - بعد ذلك - إلى قضية أخرى .. وهى دوران الأرض .. هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان - هو جالس فيه - والمكان يتحرك - بما فيه هو ؟ إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك .. لماذا ؟ لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شىء ثابت ، ولا شىء ثابت ، لأن الأرض كلها تدور والمواقع فوق سطحها ثابتة .. لأننا عندما نجلس - مثلا - فى حجرة مغلقة تماماً- وهى تدور بنا جميعا - وموقعنا عليها ثابت لا يتغير ، إلا إذا فتحنا نافذة - مثلا - ونقيس حركة الحجرة على شىء آخر ثابت - كعمود مثلا - أو شجرة ومن ثم لا نسطيع أن نعرف حركة المتحرك إلا إذا قسناه إلى شىء ثابت .. ومن يستطيع أن يقيس الأرض كلها إلى شىء ثابت ليعرف حركتها ؟ ..

لا أحد يستطيع ما دام لا يدرك الحركة ..

يأتى القرآن الكريم ليقول : ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب** ﴾ تحسبها .. معناه كان ذلك حسبانا وليس حقيقة ، لأن هذه الجبال التى تراها أمامك جامدة ثابتة لا تتحرك هى ليست كذلك .. فإن الله يريد أن يقول لنا : إن هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض التى تبدو أمامك جامدة ثابتة صلبة لا تستطيع أن تفتتها أنت ولا أن تزيلها .. هذه الجبال الرهيبة تمر أمامك مر السحاب - وأنت لا تدرى ثم إنك عندما تشاهد الجبال وتقول وأنت تسمع أيضا هذه الآية كيف تمر هذه الجبال مر السحاب ؟ وهى ثابتة أمامى لا تتحرك ؟ يقول الحق تبارك وتعالى - لا تتعجب ﴿ **صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون** ﴾ .. فإن قيل هذا فى الآخرة .. نقول : إن الأرض لن تكون نفس الأرض وإن الجبال ستمور ، مصداقا لقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار** .. ﴾ ﴿ **يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا** ﴾ .

ثم هل يكون فى الآخرة حسبان ؟ أبدا .. الآخرة ترى فيها الحقائق ترى فيها كل شيء عين اليقين ، وتعرف كل شيء على حقيقته .. الجنة والنار والثواب والعقاب وكل شيء !!!.

إذن فقول العزيز الحكيم ﴿ .. **تحسبها جامدة** ﴾ معناه : أنك وأنت أمام هذه الجبال واهم - لأنك تظن أنها جامدة - وهى تمر مر السحاب - ثم يكون بعد ذلك استخدام الله - سبحانه وتعالى - كلمة « مر السحاب » كما قلت : إن اختيار الألفاظ فى القرآن دقيق .. دقيق .. دقيق جدا - إلى حد الإعجاز .. « مر السحاب » لماذا لم يقل الحق - تبارك وتعالى - مثلا - مر الرياح ؟ أو مر العواصف ؟ أو مر الأمواج ؟ أو أى لفظ آخر ؟! لأن السحاب لا يتحرك بنفسه . بل تدفعه قوة ذاتية هى قوة الريح .. فحين يتحرك السحاب من مكان إلى مكان آخر لا ينطلق بذاته ويمضى ، بل تأتى الرياح وتحمله من المكان الذى هو فيه إلى مكان آخر وهكذا ..

فكأن الله - سبحانه - يريد أن يقول لنا : انتبهوا .. فإن حركة الجبال ليست حركة ذاتية كحركة الأرض وليست حركة ذاتية كحركة الرياح فهي لا تتحرك بذاتها أى لا تنتقل من مكانها على سطح الأرض إلى مكان آخر على سطح

الأرض .. لا .. فإن مكانها ثابت ، ولكنها تمر أمامكم مر السحاب .. أى تتحرك بحركة الأرض – تماماً كما تتحرك السحب بالرياح – وإلا فلماذا لم يقل الله – عز وجل – وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تسير ؟ أو ، وهى تجرى ؟ أو هى تتحرك ؟ أو وهى تمر من مكان إلى مكان آخر ؟ أبدا .. استبعد كل الألفاظ التى تعطى الجبال ذاتية الحركة .. أى أن الذى يتحرك –ذاتيا – هو الأرض – والجبال تتبع هذه الحركة – وهى تمر أمامك مر السحاب الذى يملك ذاتية الحركة .

هل رأيت دقة التعبير المعجز ؟ ودقة التصوير لدوران الأرض فى القرآن ؟!! هل كان من الممكن أن يقول محمد ﷺ هذا الكلام ؟ أو يصل إلى هذا العلم ؟ ألا يعتبر هذا إعجازاً حين يقول العلماء : إن الأرض تدور حول نفسها فنقول : هـذه الحقيقـة مسها القرآن .. بل وأعطي تصورا وتصويرا مفصلا فيها ؟!! ان كل شيء على الأرض يتبع الأرض فى حركتها الذاتية بما فى ذلك الجبال الشاهقة الضخمة .. ذلك فى الدنيا – طبعا – لأن فى الآخرة ينسف الله الجبال نسفا – ولا يكون هنالك حسبان .. يكون هناك يقين فكون القرآن يخترق حجاب المستقبل ، ثم بعد ذلك يمس قضايا كونية بما يثبت نشاط الذهن أربعة عشر قرنا فهذا يدل على أن القرآن اخترق حجاب المستقبل للبشرية كلها ..
ولكن بعض الناس يجادل فى خلق الإنسان .. وهى محاولة للإضلال وإنكار آيات الله فى الكون .. وهذا أيضا من إعجاز القرآن وجود هؤلاء المضلين !!

﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخلُ ومن يبخلْ فإنما يبخل عن نفسه .. والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

ولقد أودع الله فى الإنسان كثيرا من الغرائز التى تعتمل فى النفس وتؤثر عليها فى اتجاهات الحياة ، ولئن كان العقل الرشيد يعصم صاحبه من الزلل فإن النزعات النفسية المنحرفة تطغى على سلطان العقل ، ولا يستطيع العقل أن يكبح جماحها فى كل حال (١) .

---

(١) راجع ما قلناه ـــ سلفاً ـــ فى مراتب الهداية « الفطرة ـــ الحواس الظاهرة والباطنة ، والعقل ـــ وهو أعلاها ، ولكنه يخطىء ويصيب ـــ والوحى السماوى هو الذى يصحح خطأ العقل فهو أعلى المراتب على الإطلاق ، لأنه من عند الذى لا تأخذه سنة ولا نوم .

* القرآن والإعجاز التشريعي :

لهذا كان لابد لاستقامة الإنسان من تربية خاصة لغرائزه ، تهذبها وتنميها وتقودها إلى الخير والفلاح ..

والإنسان مدني بطبعه – فهو فى حاجة إلى غيره ، وكذلك غيره فى حاجة إليه ، والعمران البشرى يفرض تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان كضرورة اجتماعية ، ودوافع الأثرة وحب النفس والسيطرة يدفعان الإنسان إلى ظلم أخيه الإنسان ، لدرجة أن الوحوش الضارية – وبخاصة السبع ملك الوحوش – لا يفترس إلا إذا كان جائعا حتى إذا شبع ترك ما تبقى منه للوحش الصغير وسباع الطير .. أما الإنسان فلا يظلم أخاه المسلم إلا إذا شبع (١) ، أما إذا كان جائعا فلا يستطيع الافتراس وإذا شبع لم يترك الفضلات لأخيه الذى هو أضعف منه ، فما أظلم الإنسان لأخيه الإنسان !!! كما حققنا ذلك سلفا .

فلو تُرك أمر الناس فوضى دون ضوابط تحدد علاقاتهم وتصون حقوقهم وتحفظ حرماتهم لصار أمرهم فوضى ..

ولذا كان لابد لأى مجتمع بشرى من نظام يحكم زمامه ويحقق العدل بين أفراده ، وبين تربية الفرد وصلاح الأمة وشائج قوية لا تنفصم عراها ، فإن ذلك يقوم على تلك .. فصلاح الفرد من صلاح الجماعة ، وصلاح الجماعة متوقف على صلاح الفرد ...! وقد عرفت البشرية منذ عصور التاريخ ألوانا شتى من المذاهب والنظريات ، والنظم والتشريعات التى تستهدف سعادة الفرد فى مجتمع فاضل ولكن واحداً منها لم يبلغ حد الروعة والإجلال مبلغ القرآن – إن جازت لنا هذه المقارنة – فى إعجازه التشريعي .

فإن القرآن يبدأ بتربية الفرد ؛ لأنه لبنة المجتمع ، ويقيم تربيته على تحرير وجدانه وتحمله التبعة وعلاقته بنفسه وأهله وأسرته وجيرانه وعلاقته بربه ثم بمجتمعه ، فيحرره – بعقيدة التوحيد – التى تخلصه من سلطان الوهم والخرافات ، وتفك إساره من ذل العبودية وشهواته ، ونوازعه ، وغرائزه ؛ حتى يكون عبدا خالصا لله الخالق المعبود ويستعلي عما سواه ؛ فالحاكمية له ، وهو الذى يحيى ويميت ويغنى ويفقر ويرزق ويُشْقِي ويُسْعِد .. ولن يستطيع أحد مهما بلغ من قوته وجبروته أن

(١) « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

ينفعه أو يضره إلا بإذن الله ... فلو تحرر الإنسان من زيف هذه العبودية لغير الله لأصبح لا يخشى فى الله لومة لائم فهذه أكمل عقيدة فى العقل وأكمل عقيدة فى الدين ...

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد * ﴾ .

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ .

﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ .

﴿ وكان الله على كل شيء قديرا ... ﴾ .

﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ .

﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ .

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ .

ويؤكد القرآن وحدانية الله بالحجج الدامغة التى تقوم على المنطق العقلي السليم فلا تقبل المراء والجدل **﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾ .**

إذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن فى الفرائض والعبادات وكل عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد لكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح الجماعة (١) فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والجماعة فيها واجبة - على الرأى الراجح إلا لعذر شرعي ، وهي شرط فى الجمعة والعيدين ، والذى يصلى منفرداً - ولو فى صحراء وحده - لا يغيب عن شعوره آصرة القربى بينه وبين الجماعة الإسلامية فى أقطار الأرض (إياك نعبد) لا أعبد - (وإياك نستعين) لا أستعين (اهدنا الصراط المستقيم) لا اهدنى ، وفى التشهد

---

(١) راجع كتاب : العبادة فى الإسلام للدكتور يوسف القرضاوى .

(السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) لا عليّ ولا على أبنائى وأهلى – مثلا – فهو يستقبل مع المسلمين – فى مشارق الأرض ومغاربها – قبلة واحدة ، ويتجه إلى رب واحد ، وحسبه أن يقف هذا الموقف خمس مرات فى اليوم والليلة – عدا النوافل – لتمتزج حياته بشرع الله ومنهجه ويتمثل الوازع الأعلى نصب عينيه ما بين كل صلاة وصلاة ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت ...** ﴾ .

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح وعبادة المال وسلطان الدنيا وهى مصلحة للجماعة تحقق التكافل (١) وتوجد الألفة ووحدة الجماعة صفا وهدفا وغاية ووسيلة .

والحج سياحة روحية وترويض للنفس على المشقة والجندية وتفتح البصيرة على أسرار الله فى خلقه وهو مؤتمر عالمى للمسلمين للتشاور والتعارف والوحدة .

والصيام ضبط النفس وشحذ لهممها وعزيمتها وتقوية للارادة وحبس للشهوات ومظهر اجتماعى يعيش فيه المسلمون شهرا كاملا على نظام واحد فى طعامهم وشرابهم وصيامهم كما تعيش الأسرة فى بيت واحد .

والجهاد صبر وقوة وعزة وحراسة للدعوة وأمان وشهادة ، وجهاد النفس محتاجة إليه كل فريضة مما سبق .

وقد حض القرآن على الفضائل المثلى التى تروض النفس على الوازع الدينى وتربية الضمير كالصبر والصدق والحلم والعدل والإحسان والعفو والتواضع والتعاون على البر والتقوى ... إلخ ....

ومن تربية الفرد ينتقل الإسلام إلى بناء الأسرة لأنها نواة المجتمع فشرع القرآن الزواج استجابة لنداء الجنس وإبقاء على النوع الإنسانى فى تناسل طاهر عفيف نظيف (٢) يقوم على الود والرحمة والسكن النفسى والمعاشرة بالمعروف ومراعاة

(١) راجع : « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » للشهيد سيد قطب ــ « ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام » « وفقه الزكاة » للدكتور يوسف القرضاوى .

(٢) انظر كتاب : الإسلام وبناء المجتمع ــ للدكتور أحمد العسال وكتاب نحو مجتمع إسلامى للشهيد سيد قطب .

الفروق الجنسية وخصائص كل من الرجل والمرأة الملائمة لكل منهما وجعل ذلك من آياته .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ .

فقد جعلها الله من آياته .

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ .

ثم يكون نظام الحكم الذى يسود المجتمع المسلم وقد قرر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية فى أصلح أوضاعها فهى حكومة الشورى والمساواة ومنع السيطرة الفردية المستبدة أو الحزبية المقيتة أو الشيوعية البغيضة . **﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** حتى العلاقة العادلة مع أهل الذمة **﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ .**

وهى حكومة تقوم على العدل المطلق لا يتأثر بحب الذات أو عاطفة القرابة أو الدين أو العوامل الاجتماعية والفوارق الطبقية .

﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تَلْوُوا أو تُعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ كما لا تؤثر فى هذا العدل شهوة الانتقام من الأعداء المبغوضين **﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ .**

والتشريع فى الحكومة الإسلامية – ليس متروكا للناس فالشريعة هى التى توجد المجتمع الإسلامى لا المجتمع الإسلامى هو الذى يوجد المنهج – كما تفعل القوانين الأرضية ؛ فقد قرره القرآن . والخروج عنه كفر وظلم وفسق .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الظالمون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .

وقرر القرآن صيانة الكليات الخمس الضرورية للحياة الإنسانية : النفس والدين والعرض والمال والعقل ورتب عليها العقوبات المنصوص عليها فى الفقه الإسلامى بالجنايات والحدود (١) .

﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب .. ﴾ .

﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ .

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ .

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾ .

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ... ﴾ .

وقد قرر القران العلاقات الدولية فى الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم ومعاهديهم وهى أرفع معاملة عرفتها البشرية فى عصور الحضارة الإنسانية إلى يوم القيامة – فلم ولن تبلغ البنيان السامق أو تطاوله (٢) .

---

(١) راجع كتابى : التشريع الجنائى الإسلامى مقارناً بالتشريع الوضعى » .
« والإسلام وأوضاعنا القانونية » للشهيد عبد القادر عودة .

(٢) راجع قبسات من الرسول لمحمد قطب .

وخلاصة القول : أن القرآن دستور سماوى تشريعى كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال ، وسيظل إعجازه التشريعى قرينا لإعجازه العلمى وإعجازه اللغوى إلى الأبد ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث فى العالم أثرا غير وجه التاريخ .. – ولو كره المبطلون – .

*** تعليق لابد منه :**

ويجدر بى فى هذا المقام ختـاماً لحديثى عن القرآن وإعجازه أن أنقل بين يدى القارئ كلمة للعالم الجليل « مصطفى صادق الرافعى » لتقطع على الملحدين – الشاكين المشككين فى القرآن – منهج الله – طريق الغواية وتردهم إلى مرابع الإيمان الخضر ودوحته الفيحاء وظلال القرآن الوارفة وأضواء السنة المطهرة العطرة الفواحة الأريج الباهرة الضياء الساحرة السحر الحلال .. يقول العالم الجليل فى كتابه « تحت راية القرآن » ـــ ردا على إلحاد « طاحين » الذى اشتق اسمه « طه حسين » للنملة – فى كتاب هو « كليلة ودمنة » ص ٣٥٧ .

إن فرقا بعيدا بين النظرين العلمى والعقلى .. فالمذهب العلمى طرق إلى غايات بعينها قد انتهت إليها هذه الطرق أو طرق أخرى لا تزال ....

أما المذهب العقلى فبينما هو يمشى إذ هو يطير ... إذ هو ينساح كما ينساح الضوء فلا ضابط له إلا من جهة كونه كلاما معقولا أو لا معقول ..

إلى أن قال ص ٣٥٨ فالعلم على هذا من وسائل الإيمان التى تؤدى إليه فى الغاية – لا فى الطريقة – بشرط أن يكون العقل سليما صحيحا ، فزعم « طاحين » (أنه لا يلتقى مع الدين وأنه ليس لالتقائهما من سبيل) .. إنما هو مبنى على ما فى عقله من التناقض وعلى ما فى نفسه من المرض ..!!!

إن هناك حقيقتين تعلوان بالدين علوا كبيرا حتى يفوت العلم أو العقل معا ويخضعهما جميعا ..

فالأولى : أن العقل لا يدرى كيف يعقل ولا كيف يفهم ، وما العلم – فى هذا بأعلم منه فعمل هذه الخارقة المجهولة (– هو الدليل على وجودها – وهى

بعد معرفة غير معروفة) .

والثانية : أننا نخضع لنواميس كثيرة متضاربة لا يعرف العقل ولا العلم ما فى كنهها وذاتها ولكن ما يقع من أثر من آثارها - توازنا واختلالا - هو الدليل لإثباتها ... وهى - كذلك - معرفة غير معروفة .. فليس مع هاتين الحقيقتين ما يمنع العقل والعلم أن يخضعا للدين ... وما للدين إلا إقرار الإلهية والاستدلال عليها بآثارها - وهي معرفة غير معروفة بالذات - ومتى تناول الدين شئون الناس والحياة وشق طرق الاجتماع والمعاملة - كما عندنا فى ديننا الحنيف - فقد توثقت الصلة بينه وبين العلم ووجب التوفيق بينهما فيما يختلفان عليه (١) ... وإلا كان أحدهما لغوا وعبثا .. أ . هـ وطبعا ثبت بالقطع حقيقة الدين فى هذا ؛ فيلغى العلم العابث .. لذلك لم يكن هناك فرق بينهما ، حيث إن العلم الحق يهدى إلى الدين الحق ، والدين الحق يهدى إلى العلم الحق - كما قال العالم الجليل الدكتور الصيدلى عبد المجيد الزندانى .

ويقول رحمه الله (٢) فى ص ٣٦١ فى نفس الموضوع :

هنا سر من الأسرار العجيبة .. وذلك أنه قد وضح أن النبى - ﷺ - قد قُبضَ ولم يفسر من القرآن الكريم إلا قليلا جدا جدا (٣) وتركه للعصور وعلومها وآلاتها ، .. فلو هو فسر لثبتت ألفاظ القرآن على معنى واحد ، فناقضت العلم ولكان ذلك وجها يتطرق منه إلى الطعن فى الإعجاز ، وفى الدين نفسه ، إذْ لا يسع الرسول - ﷺ - إلا أن يفسر للعرب على قدر أفهامهم وذرائعهم القليلة .. فإذا تقدم العقل وانكشفت الحقائق أصبح ذلك لغوا أفلا يكفى هذا المعنى سببا لوجوب التأويل - كما هو معنى من أظهر معانى الإعجاز ؟؟؟!!!! أ . هـ رحم الله الرافعى وأمثاله رحمة واسعة وهدى الصالحين إلى الطريق المستقيم .

وخير ما يستعاد - فى هذا الزمان وعلى مر العصور - حديث نبى الرحمة الذى ﴿ **ما ينطق عن الهوى - إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ الذى يقول :

(١) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى « باب : بين العلم والإيمان » .

(٢) أى مصطفى صادق الرافعى .

(٣) وهذا لا يتعارض مع ما قررناه سلفاً من أن الرسول الأعظم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد فسر القرآن تفسيراً لا يبقى معه غموض « من حيث التشريع وكمال الدين وتمام النعمة » .

« ستكون فتن كقطع الليل المظلم فسأله على – كرم الله تعالى وجهه – وما المخرج منها يارسول الله ، قال – ﷺ « كتاب الله تبارك وتعالى ؛ فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ما تركه من [1] جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن – إذْ سمعته – أن قالوا ﴿ **إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد** ﴾ من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذى [2] .

هذا .. والقرآن الكريم – من باب العلم – فليس هذا من عناصر البحث الذى نحن بصدده – [3] .

١١٤ ـــ ســـورة .

٦٢٣٦ ـــ آيـــة .

٢٠٠ ـــ آية أحكـام .

٠٠٧٠ ـــ آية أحكام مدنية وتجارية وملحقاتها .

٠٠٣٠ ـــ آية أحكام جنائية وعقوبات واجراءات .

٠٠٢٠ ـــ آية فى مجموعة الاجراءات المدنية وملحقاتها .

والباقى قصص وتوحيد وآيات كونيه .

---

(١) وفى رواية « مَنْ » .

(٢) عن كبرى البقينيات الكونية د / محمد سعيد رمضان البوطى .

(٣) عن مباحث فى علوم القرآن للشيخ منـاع القطان .

﴿ ..وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ..
ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾

وأخيرا – وليس آخراً – وبعد هذه الجولة الخاطفة فى مرابع الإعجاز اللانهائى نسجل عجز البشرية عن الإحاطة بكنه القرآن وأسراره .. وإنما هى علامات على الطريق فالقرآن بخصائصه الموضوعية والتعبيرية [1] بهذا الكمال فى تناسقه وبهذا الكمال فى العقيدة التى جاء بها ، وفى النظام الإنسانى الذى يتضمن قواعده وبهذا الكمال فى تصوير حقيقة الألوهية ، وفى تصوير طبيعة البشر وطبيعة الكون وطبيعة الحياة ... لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله ؛ لأن قدرة واحدة هى التى تملك الإتيان به : هى قدرة الله ... القدرة المحيطة بالأوائل والأواخر بالظواهر وبالبواطن وتضع المنهج المبرأ من القصور والنقص ، ومن آثار الجهل والعجز .... ﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله** ... ﴾ .

ما كان من شأنه أصلا أن يفترى ، فليس الافتراء هو المنفي ولكن جواز وجوده هو المنفي وهو أبلغ فى النفي وأبعد ....

(ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب السابقة تصديقها فى أصل العقيدة وفى الدعوة إلى الخير (وتفصيل الكتاب) الواحد الذى جاء به الرسل جميعا من عند الله . تتفق أصوله وتختلف تفصيلاته .. وهذا القرآن يفصل كتاب الله ويبين وسائل الخير الذى جاء به ووسائل تحقيقه وصيانته .. فالعقيدة فى الله واحدة ، والدعوة إلى الخير واحدة ، ولكن صورة هذا الخير فيها تفصيل والتشريع الذى يحققه فيه تفصيل يناسب نمو البشرية وقتها ، وتطورات البشرية بعدها ، بعد أن بلغت سن الرشد فخوطبت بالقرآن خطاب الراشدين ولم تخاطب بالخوارق المادية التى لا سبيل فيها للعقل والتفكير .. ولا يغض ذلك من شأن المعجزات المادية وهى أكثر من أن تحصى ولا تقل شأنا عن معجزات الأنبياء السابقين ﴿ **لا ريب فيه من رب العالمين** ﴾ تقرير وتوكيد لنفي جواز افترائه عن طريق إثبات مصدره ﴿ **من رب العالمين** ﴾ أم يقولون افتراه .

(١) من « الظلال » للشهيد سيد قطب جـ ٣ الشروق ص ١٧٨٤ بتصرف .

بعد هذا النفي والتقرير فهو إذن من صنع محمد ، ومحمد بشر ينطق باللغة التى ينطقون بها ، ولا يملك من حروفها إلا ما يملكون ﴿ **ألف لام ميم** ﴾ ﴿ **ألف لام را** ﴾ ﴿ **ألف لام ميم صاد** ﴾ .. الخ .. فدونهم إذن ومعهم من يستطيعون بجمعهم – فليفتروا كما افترى (بزعمهم) محمد ، فليفتروا سورة واحدة لا قرآنا كاملا : ﴿ **قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ وقد ثبت هذا التحدى وأثبتنا عجزهم – فيما سبق وما يزال ثابتا وسيظل إلى يوم يبعثون) أ . هـ وقد قلنا سلفا إن الذين يدركون بلاغة هذه اللغة ويتذوقون الجمال الفنى والتناسق فيها يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان ، وكذلك الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية ويدرسون النظام القرآنى يدركون أن النظرة فيه إلي تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها – من جميع جوانبها والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات فى يسر ومرونة – كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشرى واحد ، أو مجموعة العقول فى جيل واحد ، أو فى جميع الأجيال ....

ومثلهم الذين يدرسون النفس البشرية ووسائل الأصول إلى التأثير فيها ونوجيهها ثم يدرسون وسائل القرآن وأساليبه .

فليس هو إعجاز اللفظ والتعبير وأسلوب الأداء وحده – كما قررنا سلفا ووضحناه – بالأدلة النقليه والعقلية وواقع الحياة – ولكنه الإعجاز المطلق الذى يلمسه الخبراء فى هذا وفى النظم والتشريعات والنفسيات .. وما إليها .

ومع تقدير العجز – سلفا – عن بيان حقيقة هذا الاعجاز ومداه والعجز عن تصويره بالأسلوب البشرى ومع تقدير أن الحديث المفصل عن هذا الاعجاز فى حدود الطاقة البشرية هو موضوعات كتب مستقلة – قديما وحديثا – ذكرنا بعضها – كإعجاز القرآن ، وظلال القرآن وأضواء البيان . وتحت راية القرآن وغيرها كثير فسأحاول هنا أن ألمّ إلمامة خاطفة تبلور ما قلته سلفا فى هذا المضمار .. وأحيل القارىء على قراءة الأمهات فى هذا المجال ليزداد إيمانا وحصانة وقوة عارضة .

يقول الشهيد المرحوم فى ظلال القرآن (١)

إن الأداء القرآنى يمتاز ويتميز عن الأداء البشرى .... إن له سلطانا عجيبا على القلوب ليس للأداء البشرى حتى ليبلغ أحيانا أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفا ...

.... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذى نقول ... وإن لم تكن هى القاعدة ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل ... ولن أذكر نماذج مما وقع لغيرى ولكننى أذكر حادثا وقع لى (١) وكان عليه معي شهود ستة ... وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاما (٢) كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر عباب المحيط الأطلسى بنا إلى نيويورك من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم ، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة على ظهر السفينة والله يعلم ... إنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيره معنا وقد يسر لنا قائد السفينة – وكان إنجليزيا – أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها – وكلهم نوبيون مسلمون – أن يصلي منهم معنا من لا يكون فى « الخدمة » وقت الصلاة – وقد فرحوا بهذا فرحا شديدا – إذ كانت المرة الأولى التى تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر سفينة .... وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة والركاب الأجانب معظمهم متخلفون يرقبون صلاتنا .... وبعد الصلاة جاءنا كثير منهم يهنئوننا على نجاح القُداس ... لقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا ... ولكن سيدة من هذا الحشد – عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم (تيتو) وشيوعيته – كانت شديدة التأثر والانفعال تفيض عيناها بالدموع ولا تتمالك مشاعرها .... جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول : فى – إنجليزية ضعيفة – إنها لا تملك نفسها من هذا التأثر العميق بصلاتنا هذه ، وما فيها من خشوع ونظام وروح ... وليس

---

(١) انتهى كلام الشهيد .

هذا موضع الشاهد فى القصة ، ولكن ذلك كان قولها : أى لغة هذه التى يتحدث بها (قسيسكم) ؟؟ فالمسكينة لا تتصور أن يُقيم الصلاة إلا رجل دين – كما هو الحال عندها فى مسيحية الكنيسة – وقد صححنا لها هذا الفهم وأجبناها ، فقالت : إن اللغة التى يتحدث بها ذات إيقاع موسيقى عجيب وإن كنت لم أفهم منها حرفا ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهى تقول ولكن ليس هذا الموضوع الذى أريد أن أسال عنه .. إن الموضوع الذى لفت حسي هو أن الإمام كان يردد فى أثناء كلامه – بهذه اللغة الموسيقية فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه – نوع أكثر موسيقية وأعمق ايقاعا .. هذه الفقرات الخاصة كانت تُحدثُ فِيَّ رِعشة وقشعريرة .. إنها شيء آخر ... كما لو كان الإمام مملوءا من الروح القدس .. حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها .

وتفكرنا قليلا ثم أدركنا أنها تعنى الآيات القرآنية التى وردت فى أثناء الخطبة وفى أثناء الصلاة وكانت مع ذلك مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة .. من سيدة لا تفهم مما نقول شيئا .. ويسترسل الشهيد فيقول : وليست هذه قاعدة كما قلت – ولكن وقوع هذه الحادثة ووقوع أمثالها مما ذكره لى غير واحد ذو دلالة على أن فى هذا القرآن سرا آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته ، وقد يكون إيمان هذه السيدة بدينها وفرارها من الجحيم الشيوعى فى بلادها ، قد أرهف حسها بكلمات الله على هذا النحو العجيب ...

ولكن ما بالنا نعجب وعشرات الألوف ممن يستمعون إلى القرآن من عوامّنا لا يفترقون فهم لغة القرآن عن هذه السيدة اليوغسلافية كما نشاهد من المسلمين غير الناطقين بالعربية كالباكستانيين والأتراك والأفغان بل والأمريكان وغيرهم كثير ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ ولقد أردت أن أقدم للحديث عن القرآن بسلطانه هذا الخفي العجيب قبل أن أتحدث عن الجوانب المدركة التى يعرفها – أكثر من غيرهم – ممن يزاولون فن التعبير ومن يزاولون التفكير والشعور .

إن الأداء القرآنى يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة فى حيز يستحيل على البشر أن يُعَبِّروا فيه بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو ومع جمال التعبير دقة الدلالة فى آن واحد ؛ بحيث لا يغنى لفظ عن لفظ فى موضعه وبحيث

لا يجور الجمال على الدقة ، ولا الدقة على الجمال ، ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد ، كما يدرك ذلك من يزاولون فن التعبير وفعلا لأن هؤلاء هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية فى هذا المجال ... ومن ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعا .

وينشأ عن هذه الظاهرة - ظاهرة أخرى - فى الأداء القرآنى - هى أن النص الواحد يحوى مدلولات متنوعة متناسقة فى النص ... وكل مدلول منها يستوفى حظه من الوضوح والبيان ... دون اضطراب فى الأداء أو اختلاط بين المدلولات ... وكل قضية ولها حقيقة تنال الخير الذى يناسبها ، بحيث يستشهد بالنص الواحد فى مجالات شتى ... ويبدو فى كل مرة أصيلا فى الموضع الذى استشهد به فيه وكأنما هو مصوغ ابتداء لهذا المجال ولهذا الموضع ... وهى ظاهرة قرآنية بارزة لا تحتاج منا إلى أكثر من الإشارة إليها (ولو راجع القارىء المقتطفات الواردة فى التعريف بهذه السورة لوجد أن النص الواحد يرد للدلالة على أغراض شتى - وهو فى كل مرة أصيل فى موضعه تماما - وليس هذا إلا مثالا - وللأداء القرآنى طابع بارز كذلك فى القدرة على استحضار المشاهد والتعبير المواجه كما لو كان المشهد حاضرا بطريقة ليست معهودة على الاطلاق فى كلام البشر ، ولا يملك الأداء البشرى تقليدها لانه يبدو - فى هذه الحالة - مضطربا غير مستقيم مع أسلوب الكتابة وإلا فكيف يمكن للأداء البشرى أن يعبر على طريقة الأداء القرآنى مثلا فى مثل هذه المواضع .

﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إلّه إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ وإلى هنا قصة تحكى ... ثم يعقبها مباشرة خطاب موجه فى مشهد حاضر ﴿ **آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** .... ﴾ ثم يعود الأداء للتعقيب على المشهد الحاضر ﴿ **وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون** .... ﴾ .

ثم يستطرد الشهيد فى سوق هذه الأمثلة الباهرة : التى أفاض فيها فى كتابه

(التصوير الفنى فى القران) – ط دار الشروق . إلى أن يقول : وهو أسلوب متميز تماما من الأسلوب البشرى . وإلا فمن شاء أن يماري فليحاول أن يعبر على هذا النحو ثم ليأت بكلام مفهوم مستقيم . فضلا عن أن يكون له هذا الجمال الرائع ، وهذا الإيقاع المؤثر وهذا التناسق الكامل . !!! هذه بعض جوانب الإعجاز فى الأداء نلم بها سراعا .. ويبقى الإعجاز الموضوعى والطابع الربانى المتميز من الطابع البشرى فيه .

إن هذا القرآن يخاطب الكينونة البشرية بجملتها ، فلا يخاطب ذهنها المجرد مرة وقلبها الشاعر مرة ، وحسها المتوفز مرة ... ولكنه يخاطبها جملة ويخاطبها من أقصر الطرق ، ويطرق كل أجهزة الاستقبال والتلقى فيها مرة واحدة كلما خاطبها ... وينشىء فيها بهذا الخطاب تصورات وتأثرات وانطباعات لحقائق الوجود كلها ... لا تملك وسيلة أخرى من الوسائل التى زاولها البشر فى تاريخهم الطويل أن تنشئها بهذا العمق ، وبهذا الشمول ؛ وبهذه الدقة وهذا الوضوح ، وبهذه الطريقة ، وهذا الأسلوب أيضا .

ثم يسترسل الكاتب الشهيد بفقرات مقتبسة من كتابه (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) القسم الثانى تعين على توضيح هذه الحقيقة وهى تتحدث عن المنهج القرآنى في عرض مقومات التصور الإسلامى فى صورتها الجميلة أنقلها هنا بنصها – لتترابط فقار الموضوع فى ذهن القارىء ، وحتى لا أقطع عليه سلسلة أفكاره ؛ إذا أنا أحلته عليها ... فيقول – رحمه الله – ونفع بكلماته – فهو رائد على الطريق ... وأبرز خصائص هذا المنهج فى العرض أنه يمتاز عن كل المناهج :

أولاً :

بكونه يعرض الحقيقة كما هى فى عالم الواقع فى الأسلوب الذى يكشف كل زواياها وكل جوانبها ، وكل ارتباطاتها وكل مقتضياتها .. وهو مع هذا الشمول لا يعقّد هذه الحقيقة ولا يلفها بالضباب ، بل يخاطب بها الكينونة البشرية فى

كل مستوياتها ولم يشأ الله - سبحانه - رحمة منه بالعباد .. أن يجعل مخاطبتهم بمقومات هذا التصور الذى تنشئه عقولهم وقلوبهم هو الذى يحدد لهم طريقة تعاملهم مع الوجود كله ويحدد لهم كذلك طريقة اتجاههم لتعلم أى علم ولطلب أية معرفة .. لهذا السبب لم يجعل الله إدراك هذه العقيدة متوقفا على علم سابق ، ولسبب آخر هو أن الله يريد أن يكون هذا التصور الذى تنشئه حقائق العقيدة هو قاعدة علم البشر ومعرفتهم - بما أنه هو قاعدة تصورهم وتفسيرهم للكون من حولهم ، ولما يجرى فيه ولما يجرى فيهم - كى يقوم علمهم وتقوم معرفتهم على أساس من الحق المستيقن الذى ليس هنالك غيره حق مستيقن ؛ ذلك أن كل ما يتلقاه الإنسان وكل ما يصل إليه عن غير هذا المصدر هو معرفة « ظنية » ونتائج « محتملة » لا « قطعية » حتى ذلك العلم التجريبى ؛ فطريق العلم التجريبى هو القياس لا الاستقراء ، والاستقصاء فما يتسنى للبشر الاستقصاء والاستقراء فى أية تجربة - هذا على فرض صحة جميع الملاحظات والاستنتاجات والأحكام البشرية على الظواهر ... إنما قصارى العلم أن يقوم بعدد من التجارب ثم يقيس على نتائجها ، والعلم نفسه يسلم بأن النتائج الناشئة عن هذا القياس ظنية محتملة لا يقينية قطعية ذلك بالإضافة إلى أن كل تجربة على حدة تقوم على ترجيح أحد « الاحتمالات » لا على القطع الحتمى . فلم يبق من علم مستيقن يمكن أن يحصل عليه البشر إلا بالعلم الذى يأتيهم من عند العليم الخبير ، والذى يقصه من يقص الحق وهو خير الفاصلين .

ثانيـا :

بكونه مبرأً من الانقطاع والتمزق الملحوظين فى الدراسات « العلمية » والتأملات الفلسفية والومضات « الفنية » جميعا ، فهو لا يُفرد كل جانب من جوانب « الكل » الجميل المتناسق بحديث مستقل . كما تصنع أساليب الأداء البشرية وإنما هو يعرض هذه الجوانب فى سياق موصول ، يرتبط فيه عالم الشهادة بعالم الغيب وتتصل فيه حقائق الكون والحياة والإنسان بحقيقة الألوهية ، وتتصل فيه

الدنيا بالآخرة ، وحياة الناس فى الأرض بحياة الملأ الأعلى ... فى أسلوب تتعذر مجاراته أو تقليده ، لأن الأسلوب البشرى عندما يحاول تقليده فى هذه الخاصية تبدو فيه الحقائق مختلطة مضطربة غامضة ، غير واضحة ولا محددة ولا منسقة كما تبدو فى هذا المنهج القرآنى الكريم .

وهذا الاتصال والارتباط فى عرض جملة الحقائق فى السياق القرآنى الواحد قد يختلف فيه التركيز على أي منها بين موضع وموضع . ولكن هذا الترابط يبدو دائما ؛ فعندما يكون التركيز فى موضع من السياق القرآنى مثلا على تعريف الناس بربهم الحق تتجلى هذه الحقيقة الكبرى فى آثار القدرة الالهية الفاعلة فى الكون والحياة والإنسان فى عالم الغيب وعالم الشهادة سواء ... وعندما يكون التركيز فى موضع آخر على التعريف بحقيقة الكون تتجلى العلاقة بين حقيقة الألوهية وحقيقة الكون ويتطرق السياق كثيرا إلى حقيقة الحياة والأحياء وإلى سنن الله في الكون والحياة وعندما يكون التركيز على « حقيقة الإنسان » يتجلى ارتباطها بحقيقة الألوهية بالكون وبالأحياء ، وبعالم الغيب وعالم الشهادة على السواء ... وعندما يكون التركيز على الدار الآخرة تذكر الحياة ، وترتبطان بالله وبسائر الحقائق الأخرى وكذلك عندما يكون التركيز على قضايا الحياة الدنيا ... إلى آخر هذا النسق من العرض الواضح الملامح فى القرآن .

ثالثـــا :

بكونه مع تماسك جوانب الحقيقة وتناسقها يحافظ على إعطاء كل جانب من جوانبها فى الكل المتناسق مساحته التى تساوى وزنه الحقيقى فى ميزان الله – وهو الميزان – ومن ثم تبدو حقيقة الألوهية وخصائصها وقضية الألوهية والعبودية بارزة مسيطرة محيطة شاملة حتى ليبدو أن التعريف بتلك الحقيقة وتجلية هذه القضية هو موضوع القرآن الأساسى .. وتشغل حقيقة عالم الغيب بما فيه القدر والدار الآخرة ، مساحة بارزة ، ثم تنال حقيقة الإنسان وحقيقة الكون وحقيقة الحياة أنصبة متناسقة تناسق هذه الحقائق فى عالم الواقع .. وهكذا لا تدعم

حقيقة من الحقائق ولا تهمل ولا تضيع معالمها فى المشهد الكلى الذى تعرض فيه الحقائق ، وكما أن هذه الحقائق لا يطغى بعضها على بعض فى التصور الإسلامى ذاته - كما بينا فى فصل « التوازن فى القسم الأول حيث لا ينتهى الإعجاب بالكون المادي ودقة نواميسه وتناسق أجزائه وقوانينه إلى تألهه كمؤلهة العوالم المادية والأكوان الطبيعية قديما وحديثا !!! ولا ينتهى الإعجاب بعظمة الحياة واهتدائها إلى وظائفها وتناسقها مع نفسها ومع المحيط الكونى إلى تأليهها - كأصحاب المذهب الحيوى .. ولا ينتهى الإعجاب بالإنسان وتفرده فى خصائصه والاستعدادات الكامنة فى كيانه المنطلقة فى تعامله مع الكون إلى تأليه الإنسان - أو العقل - فى صورة من الصور كالمثالين فى عمومهم .... ولا ينتهى الإجلال للحقيقة الإلهية فى ذاتها إلى إنكار وجود العوالم المادية أو احتقارها أو احتقار الكائن الإنسانى - كالمذاهب الهندوكية والبوذية والنصرانية المحرفة - كما أن هذا التوازن هو طابع التصور الإسلامى ذاته فكذلك هو طابع منهج العرض القرآنى ... لمقومات هذا التصور والحقائق التى يقوم عليها بحيث تبدو كلها واضحة فى المشهد الفريد الذى يرسمه للكل فى السياق القرآنى الواحد .. وهى خاصية لا يملكها الأداء الإنسانى .

رابعـــا :

بتلك الحيوية الدافقة المؤثرة الموحية مع الدقة والتقرير والتحديد الحاسم وهى تمنح هذه الحقائق حيوية وإيقاعا وروعة وجمالا لا يتسامى إليها المنهج البشرى فى العرض ولا الأسلوب البشرى فى التعبير - ثم هى فى الوقت ذاته تعرض في دقة عجيبة ، وتحديد حاسم ، ومع ذلك لا تجور الدقة على الحيوية والجمال ، ولا يجور التحديد على الإيقاع والروعة !!!

ولا يمكن أن نصف نحن فى أسلوبنا البشري ملامح المنهج القرآنى فنبلغ من ذلك ما يبلغه ذوق هذا المنهج - كما أنه لا يمكن أن نبلغ بهذا البحث كله عن « خصائص التصور الإسلامي ومقوماته » شيئا مما يبلغه القرآن فى هذا الشأن ... وما نحاول تقديم هذا البحث للناس إلا لأن الناس قد بعدوا عن القرآن

بعدهم عن الحياة فى مثل هذا الجو الذى تنزل فيه القرآن ، ولم يعودوا يزاولون تلك الملابسات ، ولا يعانون تلك الاهتمامات التي كان يزاولها ويعانيها من كانوا يتنزل عليهم القرآن . بينما هم ينشئون المجتمع المسلم فى وجه كل الملابسات القائمة حينذاك ، ومن ثَم لم يعد الناس قادرين على تذوق المنهج القرآني ذاته ، والاستمتاع بخصائصه ومذاقاته (أ . هـ) .

انتهت المقتطفات ... والقرآن يقدم حقائق العقيدة – أحيانا – فى مجالات لا يخطر للفكر البشرى – عادة – أن يلم بها ، لأنها ليست من طبيعة ما يفكر فيه عادة أو يلتفت إليه على هذا النحو .

من هذا القبيل – على سبيل المثال – لا الحصر – ما جاء فى سورة الأنعام فى تصوير حقيقة العلم الإلهى ومجالاته ..

﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ .

فهذه المطارح المترامية الخفية والظاهرة ، ليست مما يتوجه الفكر البشرى إلى ارتيادها على هذا النحو وهو فى معرض تصوير شمول العلم مهما أراد تصوير هذا الشمول . ولو أن فكرا بشريا هو الذى يريد تصوير شمول العلم لاتجه اتجاهات أخرى تناسب اهتمامات الإنسان وطبيعة تصوراته وذلك بالنظر إلى هذه الآية القصيرة من أي جانب فنرى هذا الإعجاز الناطق بمصدر هذا القرآن ننظر إليها من ناحية موضوعها فنجزم للوهلة الأولى بأن هذا كلام لا يقوله بشر ؛ فليس عليه طابع البشر ..!! إن الفكر البشرى – حين يتحدث عن مثل هذا الموضوع – موضوع شمول العلم وإحاطته – لا يرتاد هذه الآفاق ... إن مطارح الفكر البشرى وانطلاقاته فى هذا المجال لها طابع آخر ولها حدود . إنه ينتزع تصوراته التى يعبر عنها من اهتماماته .. فما اهتمام الفكر البشري بتقصى وإحصاء الورق الساقط من الشجر ، فى كل أنحاء الأرض ؟

إنها مسألة لا تخطر على بال الفكر البشرى ابتداء . لا يخطر على باله أن يتتبع ويحصي ذلك الورق الساقط فى أنحاء الأرض ... ومن ثم لا يخطر له أن يتجه هذا

الاتجاه ، ولا أن يعبر هذا التعبير عن العلم الشامل !!! إنما الورق الساقط شأن يحصيه الخالق ويعبر عنه الخالق !

وما اهتمام الفكر البشري بهذا الإطلاق ؟ ﴿ **ولا رطب ولا يابس** ﴾ إن أقصى ما يتجه إليه تفكير البشر هو الانتفاع بالرطب واليابس مما بين أيديهم .. فأما التحدث عنه كدليل للعلم الشامل فهذا ليس معهودا فى اتجاه البشر وتعبيراتهم كذلك ! إنما كل رطب وكل يابس شأن يحصيه الخالق ويعبر عنه هذا الخالق ..!

ولا يفكر البشر أن تكون كل ورقة ساقطة وكل حبة مخبوءة وكل رطب وكل يابس فى كتاب مبين ، وفى سجل محفوظ ... فما شأنهم بهذا ؟ وما فائدته لهم ؟ وما احتفالهم بتسجيله ؟ إنما الذى يحصيه ويسجله هو صاحب الملك ، الذي لا يند عنه شيء فى ملكه .. الصغير كالكبير ... والحقير كالجليل ، والمخبوء كالظاهر والمجهول كالمعلوم ، والبعيد كالقريب .!!

إن هذا المشهد الشامل الواسع العميق الرائع .. مشهد الورق الساقط من شجر الأرض جميعا ، والحب المخبوء فى أطواء الأرض جميعا ، والرطب اليابس فى أرجاء الأرض جميعا ... ان هذا المشهد : كما لا يتجه الفكر البشرى إليه ولا الاهتمام البشري ، وكذلك لا تلحظه العين البشرية . ولا تلم به النظرة البشرية .. إن هذا المشهد إنما يتكشف هكذا بجملته لعلم الله وحده ، المشرف على كل شيء المحيط بكل شيء الحافظ لكل شيء الذى تتعلق مشيئته وقدره بكل شيء ... الصغير كالكبير والحقير كالجليل ، والمخبوء كالظاهر والمجهول كالمعلوم ، والبعيد كالقريب ...

والذين يزاولون الشعور ويزاولون التعبير من بني البشر يدركون جيدا حدود التصور البشري وحدود التعبير البشري أيضا ، ويعلمون – من تجربتهم البشرية – أن مثل هذا المشهد لا يخطر على القلب البشري .. كما أن مثل هذا التعبير لا يتأتى له أيضا ... والذين يمارون فى هذا عليهم أن يراجعوا قول البشر كله ، ليروا إن كانوا قد اتجهوا مثل هذا الاتجاه أصلا ...!!!!

وهذه الآية وأمثالها فى القرآن الكريم تكفي وحدها لمعرفة مصدر هذا الكتاب الكريم ....

إن طريقة القرآن الكريم فى مخاطبة البشرية لتدل بذاتها على مصدره .. إنه المصدر الذى صورمنه الكون كله ، فطريقة بنائه هى طريقة بناء الكون ، فمن أبسط المواد الكونية تنشأ أعقد الأشياء والأشكال وأضخم الخلائق .. الذرة يظن أنها مادة بناء الكون ، والخلية يظن أنها مادة بناء الحياة .. والذرة على صغرها معجزة فى ذاتها ، والخلية - على ضآلتها - آية فى ذاتها .. وهنا فى القرآن يتخذ من أبسط المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أضخم عقيدة دينية وأوسع تصور كونى ...

والمشاهدات التى تدخل فى تجارب كل إنسان : النسل ، الزرع والماء والنار والموت .. أى إنسان على ظهر هذه الأرض لم تدخل هذه المشاهدات فى تجاربه ؟ أى ساكن كهف لم يشهد نشأة حياة جنينية ونشأة حياة نباتية ، ومسقط ماء ، وموقد نار ، ولحظة وفاة ، من هذه المشاهدات التى رآها كل إنسان ينشئ القرآن العقيدة ، لأنه يخاطب كل إنسان فى كل بيئة .. وهذه المشاهدات البسيطة الساذجة بذاتها هى أضخم الحقائق الكونية ، وأعظم الأسرار الربانية فهى - فى بساطتها - تخاطب فطرة كل إنسان - وهى فى حقيقتها موضوع دراسة أعلم العلماء إلى آخر الزمان ولسنا نملك المضى أبعد من هذا فى بيان طبيعة هذا القرآن الدالة على مصدره .

ففى هذا القدر كفاية .. وصدق الله العظيم ﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله** ... ﴾ (أ هـ)[1] .

﴿ **فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** ﴾ ؟!!

وبعـــــد : ... ...

فهذه خلاصة العقيدة كلها ، وإنها الدعوة وتكاليفها ، والحق وما ينبغى له من قوة ويقين ، ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك .. ولا تطغوا ؛ إنه بما تعلمون بصير ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ؛ فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ .

ومن ثم يكون الاعلان الأخير للناس : ﴿ **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم .. فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل** ﴾ ..

---

(١) انتهى من الظلال للشهيد سيد قطب ج ٣ ط دار الشروق من ص ١٧٨٦ - ١٧٩٤ - بتصرف .

وهذا هو ما يؤيد الإجابة على تساؤلنا السابق .. ولماذا تكون العقيدة هى الإسلام ؟؟؟! .

فاللهم اجعلنا ممن عليها يحيا ، وفى سبيلها يجاهد ، وعليها يموت ، وعليها يلقى الله !!! واحشرنا فى زمرة من يقول : الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا .. والكعبة المشرفة قبلتنا .. والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا ...

﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ ..

فهكذا يروض القرآن الكريم التناقض فى نفس الفرد بين حرية الإرادة وجبريتها - كما أسلفنا - فيما يختص بموقف الإنسان من الحياة ؛ فيحفظ التوازن كاملا ، ويجعل الإنسان قوة إيجابية فاعلة فى هذه الأرض ، ولا يتركه عنصراً سلبياً فى نظامها ؛ فالإنسان مخلوق ابتداء ؛ ليستخلف فيها - وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله فى صورته الواقعية !!![1] .

* * *

(١) راجع الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة - ترجمة الأستاذ محمد خلف الله أحمد ط النهضة ١٩٥٥، ٥٨ .

﴿ .... تنزيل من حكيم حميــــد ...... ﴾

كذلك ننظر إليها من ناحية الابداع الفنى فى التعبير ذاته ، فنرى آفاقا من الجمال والتناسق لا تعرفها أعمال البشر ، على هذا المستوى الساحق : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ .

آماد وآفاق وأغوار فى « المجهول » المطلق – فى الزمان والمكان ، وفى الماضى والحاضر والمستقبل وفى أحداث الحياة وتصورات الوجدان .

﴿ **ويعلم ما فى البر والبحر** ﴾ آماد وآفاق وأغوار فى « المنظور » على استواء وسعة وشمول .. تناسب فى عالم الشهود والمشهود تلك الآماد والآفاق والأغوار في عالم الغيب المحجوب ..

﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ .. حركة الموت والفناء ، وحركة السقوط والانحدار من علو إلى أسفل ، ومن حياة إلى اندثار .

﴿ **ولا حبة فى ظلمات الأرض** ﴾ .. حركة البزوغ والنماء ، المنبثقة من العود إلى السطح ، ومن كمون وسكون إلى اندفاع وانطلاق .

﴿ **ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ التعميم الشامل ، الذى يشمل الحياة والموت ، والازدهار والذبول ، فى كل حي على الاطلاق ..

فمن ذا الذى يبدع ذلك الاتجاه والانطلاق ؟ من ذا الذي يبدع هذا التناسق والجمال ؟ من ذا الذي يبدع ذلك كله – فى مثل هذا النصر القصير ؟ ... من ؟ إلا الله ؟!!

﴿ **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله** ﴾

الجزء الثانى

الباب الثالث

وأنت أيتها الأخت المسلمة...

هذه رسالتك !!!

- تقدمة
- الفصل الأول : المرأة قبل الإسلام .
- الفصل الثانى : المرأة فى الإسلام .
- الفصل الثالث : المرأة فى العصر الحديث .
- الفصل الرابع : أجل ... لقد آن الآوان .
- الفصل الخامس :المرأة والمجتمع « زوج وأختا وأما وابنة » .

تقدمة

أقسام النفس الإنسانية

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ... ﴾ ﴿ ... ونفس ما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ... ﴾ .

﴿ ... إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل ، إما شاكرا وإما كفورا ... ﴾ .

﴿ ... ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين ... ﴾ .

﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحا – من ذكر أو أنثى – وهو مؤمن – فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ .

من هذا المنطلق السامي للمنهج القرآني السامق : تكون المرأة صنو الرجل فى الحياة الدنيا وفي الآخرة – قولا وعملا ، سلوكا ومنهجا ، تكليفا وتشريفا ، عقيدة وشريعة ، عبادة وجزاء – فى حدود ما هيأ الله لكل منهما من الفطرة والخلقة – مصداقا للأثر الشريف « إنما النساء شقائق الرجال » – وفى حدود ما رسم الخالق – سبحانه – تبعا للفروق الجنسية التي أرادها الله – عز وجل – **﴿ .... الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم ... ﴾ .**

وفى ضوء تعاليم منفذ المنهج – ﷺ – « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فالرجل راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيتها راعية ومسئولة عن

رعيتها .. أو كما قال رسول الله ﷺ كما سنفصله – فى حينه – بعد إن شاء الله .

إلا أن النفس الإنسانية أقسام وأنواع[1]. ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ فالنفس الإنسانية – إزاء الحق والباطل وتقبل أيهما والدفاع عنه – حسبما يزكيها صاحبها أو يدسيها .. وفق ما هيأ الله لهذه النفس من قدرة على اختيار الخير أو الشر – بمشيئة مستقلة – فى نطاق مشيئة الله – عز وجل ....

﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ... ﴾ ومنحها القدرة على أن تقول للعدو الألد (إبليس اللعين) .. حتى إنه ليقول : ... فى تبرئه نفسه ، والتنصل من جريمته بإلقاء التبعة على الإنسان نفسه : ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق .. ووعدتكم فأخلفتكم .. وما كان لِيَ عليكم من سلطان !!! إلا أن دعوتكم ، فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ، ولوموا أنفسكم .. ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل .. إن الظالمين لهم عذاب إليم** ﴾ !!

﴿ **.. كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر .. فلما كفر .. قال : إني برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ .

﴿ **ومن الناس من يتخذ – من دون الله – أندادا ، يحبونهم كحب الله – والذين آمنوا أشد حبا لله – ولو يرى الذى ظلموا – إذ يرون العذاب – أن القوة لله جميعا ، وأن الله شديد العذاب ... إذ تبرأ الذين اتُّبعوا ، من الذين اتَّبعوا ، ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبعوا : لو أن لنا كرّة ، فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ؟!!! ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار** ... ﴾ .

---

(١) الرجل والمرأة .

لذلك كان من النفس الإنسانية – من ذكر وأنثى وتبعا لتقبلها للخير أو الشر – فاجرة .. أو تقية ... ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ... ﴾ دسية .. أو زكته – ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ .

أمارة بالسوء ... ﴿ **وما أبرىء نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ... إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم** ﴾ .

أو لوامة .. تلوم صاحبها على الانحراف واقتراف الإثم عائدة به إلى مرابع الإيمان والتوبة ... ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** ... ﴾ وهي المنيبة إلى ربها المخبتة له .. ﴿ **إن ابراهيم لحليم أواه منيب** ... ﴾ .

﴿ .. **وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك ، فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم** ﴾ .

أو مطموسة مختوم عليها بغشاوة على بصر صاحبها ... ﴿ **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

أو مطمئنة : ﴿ **يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلي جنتي !!!** ﴾ .

حتى تصير على نفسين : بيضاء نقية ، لا تضرها فتنة – ما دامت السموات والأرض ، وسوداء كالحة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا .. ﴿ **قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** .. ﴾ .

والرجل والمرأة – فى هذا المضمار سواء ... ﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ .

وهن – كما قلنا – شقائق الرجال .. كانت لهن – فى الإسلام بيعة – كما كان

للرجال بيعة ونزلت سورة باسمهن خالدة فى القرآن الكريم حتى أعلنها - صريحة مدوية فى الآفاق إلى يوم القيامة صادقة مصدقة - بخلود المعجزة والمنهج - رسول الإنسانية ومعلم البشرية محمد - ﷺ - فى حجة الوداع ..

ويسرنى ويسر كل مسلم .. بل كل إنسان يحترم عقله وإنسانيته - أن أنقلها بحذافيرها لأنها وثيقة الحق والعدل وتطبيق شريعة المنهج الإلهي فى الأرض ، لتخرس دعاة حقوق الإنسان المزيفة ومبادىء المساواة - بين الرجل والمرأة - المخربة المدمرة ، لأنها مجانبة للفطرة ومصادمة للغريزة والجبلة .. ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد !!!** ﴾ .

وقف - ﷺ - بعرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها خطب الناس فقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله - أيها الناس : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا - فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا .. إلا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - (كان مسترضاعا في بني سعد فقتلته هذيل) - وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا : ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ... فاتقوا الله فى النساء فإنكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه .. فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف !!! وإنى تركت فيكم ما لن تضلوا بعد - إن اعتصمتم به - كتاب الله . وأنتم تُسألون (وفى لفظ : مسئولون) عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا :نشهد أنك قد بلغت (رسالات ربك) (أديت ونصحت (لأمتك وقضيت الذى عليك) فقال بإصبعه السبابة - يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : « **اللهم اشهد .. اللهم اشهد** » (١)

(١) انتهت كما جاء فى رواية جابر عن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ

الفصل الأول

المرأة فى جاهلية القرن العشرين

- تمهيد :
- المرأة فى اليونان .
- المرأة عند الرومان .
- المرأة فى الصين .
- المرأة عند الأثينيين .
- المرأة الفارسية .
- المرأة فى أوروبا المسيحية .
- المرأة فى أوروبا الحديثة .
- قصور التصور البشرى .
- المرأة العربية قبل البعثة .

تمهيـــد

أختى المسلمة – أما وأختا وعمة وخالة وزوجة وبنتا وأختا – فى الإسلام – فى الله والعقيدة ..... وأنت ما مكانك من هذه الرسالة الإنسانية ؟ وما دورك فى هذه الدعوة الإسلامية ، لهداية البشرية ؟؟

● **لقد عرفتِ فى رسالة أخيك المسلم : أبا وزوجا وولدا وأخا – فى الله والعقيدة – أنك مخلوقة لله – مثله – وأنك صنوه وفسيلته (١) الأولى ، وعرفت أن لكل مخلوق رسالة ، والحياة لا تقوم إلا بك ﴿ ... وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... ﴾ .**

ولا تستقيم بدونك ، ولا يعمر الكون إلا بالجنسين معا . **﴿ وتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾** .. « سبحانه ، سبحانه » **﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم (٢) فيها ﴾ .. ﴿ أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ؟ فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾** .

والسياق التاريخى يدلنا على أن المرأة فى الجاهلية الأولى – قبل البعثة المحمدية – فى مشارق الأرض ومغاربها كانت – ولا تزال – هي حاضنة الرجل ومربيته فإن كانت نساء أمة على الجادة كان رجالها كذلك وإن كانت الأخرى كانت إلى الدرك الأسفل – رغم حضارتها ورقيِّها ..

الأم مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعبا طيب الأعراق

وكذلك تشير المؤشرات التاريخية إلى أن أمة من الأمم حينما تخرج من ظلمات الجهل والهمجية ، وتتقدم إلى ميدان المدنية والحضارة ، ترافق رجالها نساؤهم كالخدم والإماءولا يعوقها ذلك عن الرقي والتقدم – فى حلبة التمدن – أول الأمر ،

---

(١) الفسيلة : النبتة المنبثقة من الأصل .

(٢) جعلكم تعمرونها .

لما فيها من قوى البداوة الفطرية الفعالة . ولكنها تشعر – بعد أن تقطع مرحلة من مراحل الرقى المدني – إنها لا يمكنها التقدم إلى الأمام وشطر كامل من كيانها فى انحطاط وتقهقر ، فتشعر بعقبة فى سبيل رقيها المدنى ، وتحس مسيس الحاجة إلى اعداد هذا الشطر (١) الثانى من بنيتها لمسايرة شطرها الفعال فى ركب الحضارة ، والنهوض بأعباء التمدن . ولكنها إذا أرادت أن تتدارك ما فاتها من العناية بتهذيب المرأة وتثقيفها ، لا تقف عند حد ، بل تمضي فى هذه الجهة تتقدم وتتخطى كل الحدود ، حتى تنجر حرية المرأة إلى انهيار نظام الأسرة – الذى هو أساس التمدن – وينفجر بركان من الفحشاء والفجور ، لاختلاط الرجال والنساء .. وتكاد الخلاعة والاستهتار يأتيان على بنيان الأمة الخلقى من القواعد . ولا جرم أن يتبع هذا التدهور الخلقي الانحطاط والتقهقر فى القوى الجسدية والمواهب الفكرية والمادية !!! والأمة إذا وصلت إلى مثل هذا الانحطاط في مناحي الحياة كلها ، فمصيرها إلى الهلاك والدمار والانقراض – لا محالة (٢) .

ومن دواعى الأسف أن المقام لا يتسع لضرب الأمثلة الكافية من مجريات التاريخ .. إلا أنه لابد من عرض بضعة أمثلة – لإيضاح المسألة وشرحها – يقتضيها المقام ويلح بها .

المرأة فى اليونان (٣) :

واليونان هم أرقى الأمم القديمة – حضارة – وأزهرها – تمدنا – فى التاريخ ...

وهم – فى عصرهم البدائى – كانت المرأة – لديهم – فى غاية من الانحطاط وسوء الحال – من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعى جميعا ، إذ لم تكن لها – فى مجتمعهم – منزلة أو مقام كريم .. وكانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى « باندورا » ينبوع جميع آلام الإنسان ومصائبه ، كما جعلت الأساطير اليهودية – الحمقاء – حواء : العين التى تنشق منها جداول الآلام والشدائد ، وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة

(١) المرأة .

(٢) راجع كتاب مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

(٣) راجع كتاب الحجاب للمودودى .

اليهودية الشنعاء عن حواء من تأثير عظيم فى سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قِبَل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوى فى حقول القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب !! وكذلك - أو دونه بقليل - كان تأثير الأسطورة اليونانية عن (باندورا) - فى عقولهم وأذهانهم - فلم تكن المرأة عندهم إلا خلقا من الدرك الأسفل ، فى غاية المهانة والذل فى كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية . وأما منازل العز والكرامة فكانت كلها مختصة بالرجل ..

وبقى ذلك السلوك قِبَلَ المرأة فى أول عهدهم بالنهضة المدنية ثابتا على حاله - ربما تخللته تعديلات قليلة ، فإنه كان من تأثير ذيوع العلم وانتشار أنوار الحضارة أن ارتفعت مكانة المرأة فى المجتمع ، وأصبحت أحسن حالا وأرفع منزلة من ذى قبل - وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل - حتى إنه كان يعد زواج المرأة وملازمتها لزوجها - دون غيره - من أمارات النجابة والشرف ولمثيلاتها كانت الحرمة والمنزلة فى المجتمع . وبالعكس من ذلك كانوا ينظرون إلى حياة العهر والدعارة نظرة اشمئزاز وازدراء .. كان هذا فى إبان مجد اليونان وعنفوان شباب أمتهم ، ثم كانت تنمو صعدا إلى الرقي والكمال - ولا ريب أنهم كانت توجد عندهم مفاسد خلقية فى ذلك العصر ، إلا أنها منحصرة فى نطاق محدود ..

ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان ويجرف بهم تيار الغرائز البهيمية والأهواء الجامحة ، فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية فى المجتمع لا نظير لها فى تاريخ البشرية كله حتى ، كن شموسا فى سماء العلم والأدب يدور حول بيوتهن كواكب الفلسفة والأدب والشعر والتاريخ وما عداها من الفنون ..

بل أصبحن قطب الرحى الذي تدور حوله الأمة اليونانية حتى إن المشكلات السياسية ، أيضا كانت تحل عقدها وتفك معضلاتها بحضرتهن وتحت إشرافهن .. حتى تبدلت مقاييس الأخلاق عندهم إثر حبهم للمرأة وتذوقهم المفرط للجمال تماديا في الغي وارتطاما فى حمأة الرذائل بل كانوا لا يرون فى الزنى وارتكاب الفحشاء أدنى غضاضة يلام عليها المرء - أو المرأة - أو يعاب بل قلما يرون بأسا بأن يعاشر الرجل المرأة ويخادنها علنا من غير عقد ولا نكاح . فكانت النتيجة أن خضعت لأخلاقهم وغرائزهم الشهوانية هذه ديانتهم أيضا .

وانتشرت فيهم عبادة (أفروديت) التي كان من قصتها عندهم - فى

الأساطير – أنها خادنت ثلاثة آلهة مع كونها زوجة إلّه خاص . وأيضا كان من أخدانها رجل من عامة البشر – علاوة على تلك الآلهة – ومن بطنها ولد (كيوبيد) إلّه الحب .

فما رأيكِ – أختي المسلمة – فى أخلاق أمة وانحطاطها المعنوي والخلقي اتخذت من هذه الطباع (١) رمزا للكمال بل إلّها يعبد وتقدم له جميع طقوس العبودية والذلة والخنوع ؟!!!

هذه – ولا ريب – درجة من الانحطاط الخلقى إذا تردت فيها أمة ، لم تتمكن من النهوض مرة أخرى وفى مثل هذا العصر البالغ من الانحطاط أرذله ظهرت فى الهند (بام مارك) وفى إيران (المزدكية) وأيضا فى مثل هذا العصر نفسه أصبحت الفحشاء والدعارة ينظر إليهما بعين التقديس والإجلال فى (بابل) فلم تمض عشية أو ضحاها حتى آل أمرها إلى الانقراض وأصبح أمرها في خبر كان وأمس الدابر ...

ولما انتشرت عبادة أفروديت فى اليونان أصبحت مواخير الدعارة ، وأماكن الفجور مركزا للعبادة وأصبحت المومسات متنسكات وخوادم للمعابد ، وعظم شأن الزنى إلى أن ألبسوه كساء من العمل الديني المبرور ....!!

ثم ظهرت الغريزة البهيمية فى أهل اليونان بمظهر آخر ، هو أن انتشرت فيهم سوءة قوم لوط انتشارا كاد يأتى على الأخضر واليابس ... ورحبت بها الديانة والأخلاق أيضا .

* * *

---

(١) Character

ومما هو حريّ بالذكر أننا لانرى لهذه السّوءة المنكرة أثرا فى عصر هوميروس وهسيود .. ولكنه لما ترقت المدنية وأخذت فى تزيين العرى واتباع الشهوات بالأسماء الجذابة تحت شعار الفن وتذوق الجمال ، التهبت الغرائز الشهوانية فى القوم التهابا جعلهم يتنكبون الطريق الفكرى ، ويتخذون لإرواء غليل شهواتهم طريقا تأباه الفطرة وتمجه الطباع السليمة . وساعدهم على ذلك حذاق الفن بإبراز هذه العاطفة فى التماثيل ، وشهد علماء الأخلاق عندهم بأن هذه (العلاقة) للصداقة وثيقة بين الرجلين . واليونانيان اللذان هما أول من عظمتهم الأمة وكرمتهم ببناء تماثيلهم هما : هرموديس وارستوجيتن اللذان جمع بينهما ذلك الحب المنكر الذى تأباه الفطرة البشرية .

وبعد ، ـــ فالتاريخ شاهد بأن اليونان لم يكن من نصيبهم المجد والرقى بعد ذلك مرة أخرى !!!

المرأة عند الرومان :

والذين تسنموا ذروة المجد والرقى فى العالم بعد اليونان ، هم الرومان . وفى هذه الأمة أيضا نرى السلسلة من الصعود والهبوط التى قد شاهدناها فى اليونان ..

فحينما خرج الرومان من عصر الوحشية وظلمة الجهل ، وظهروا على مسرح التاريخ لأول مرة ، كان الرجل رب الأسرة ـــ فى مجتمعهم ـــ له حقوق الملك كاملة على أهله وأولاده ، بل بلغ من سلطته ـــ فى هذا الشأن ـــ أن كان يجوز له حتى قتل زوجته فى بعض الأحيان .

ولما تخففت فيهم سَوْرة الوحشية ، وتقدموا خطوات فى سبيل المدنية والحضارة تخففت القسوة فى تلك السلطة ، وجعلت الكفة تميل إلى الاستواء ، والاعتدال شيئا فشيئا ـــ وإن بقى نظام الأسرة القديم ثابتا على حاله .

وهؤلاء لم يكن الحجاب عندهم معمولا به ـــ كاليونان ـــ فى إبان مجد الجمهورية الرومانية ورقيها .. لكنهم كانوا قد قيدوا النساء والشباب ـــ عامة ـــ بقيود مثقلة من نظام الأسرة ، فالعفاف كان شيئا ينظر إليه بعين الإجلال ـــ ولا سيما فى شأن النساء ـــ وكان يعد مقياسا للشرف وكرم المحتد ـــ وكذلك كان

مستوى الأخلاق عندهم عاليا . ومن أمثلة ذلك أن اتفق مرة أن عضوا فى مجلس الشيوخ قبل زوجه أمام ابنته ، فغضب عليه القوم وحكموا على صنيعه بأنه غضٌّ من كرامة الخلق القومى وإهانة له ، وأمضوا قرار النكير (Vot ofchure) عليه فى مجلس الشيوخ ..

هذا . وما كان مباحا عندهم ولا مرضيا ــ فى أخلاقهم ــ أن يتعاشر الرجل والمرأة بدون عقد مشروع وما كانت المرأة تتبوأ مكانة العز والكرامة فى المجتمع إلا بأن تكون أما لأسرة (Matroh) .

والمومسات ــ وإن كانت طبقتهن موجودة وكان للرجال نوع من الحرية فى مخادنتهن ــ إلا أن عامة الرومان وجمهورهم كانوا يزدرونهن وينظرون إليهن نظرة احتقار وتعيير وكذلك ماكانوا ينظرون بعين الاستحسان إلى الرجال المخادنين لهن !!!

ثم أخذت نظرية الرومان فى النساء تتبدل برقيهم وتقلبهم فى منازل المدنية والحضارة ..

ومازال هذا التبديل يطرأ على نظمهم وقوانينهم المتعلقة بالأسرة وعقد الزواج والطلاق ... إلخ إلى أن انقلب الأمر ظهراً لبطن ، وانعكست الحال رأسا على عقب ، فلم يبق لعقد الزواج عندهم معنى سوى أنه عقد مدنى فحسب يتوقف بقاؤه ومضيه على رضا المتعاقدين .. ومنحت المرأة جميع حقوق الإرث والملك وجعلها القانون حرة طليقة لاسلطة عليها للأب ولا للزوج ولم تصبح الرومانيات مستقلات بشئون معايشهن فحسب ، بل ودخل فى حوزة ملكهن وسلطانهن جزء عظيم من الثراء القومى على مسير الأيام ، فكن يقرضن أزواجهن بأسعار الربا الفاحش مما يعود به أزواج المثريات من النساء عبيدا لهن فى ميادين العمل والواقع . ثم سهلوا من أمر الطلاق تسهيلا جعله شيئا عاديا يلجأ إليه لأتفه الأسباب . فهذا (سيتكا) الفيلسوف الرومانى الشهير (٤ ق . م ــ ٥٦ م) يندب كثرة الطلاق ويشكو الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بنى جلدته فيقول : « إنه لم يعد الطلاق اليوم شيئا يندم عليه أو يستحيا منه فى بلاد الرومان . وقد بلغ من كثرته وذيوع أمره أن جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن » .

وكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلا بعد آخر وتمضى فى ذلك من غير حياء . وقد ذكر مارشل (٤٣ ــ ١٠٤ م) أن امرأة تزوجت عشرة رجال ، وكذلك كتب جودنيل (٦٠ ــ ١٤٠ م) عن امرأة تقلبت فى أحضان ثمانية أزواج فى خمس سنوات !!!

وأعجب من كل ذلك وأغرب ماذكره القديس (جروم ٣٤٠ ــ ٤٢٠ م) عن امرأة تزوجت فى المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها وكانت هى أيضا الزوجة الحادية والعشرين لبعلها !!!

ثم بدأت تتغير نظرتهم إلى العلاقات والروابط بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع .

وقد بلغ بهم التطرف ــ فى آخر الأمر ــ أن جعل كبار علماء الأخلاق عندهم يعدون الزنى شيئا عاديا .

فهذا كاتو (Cato) الذى أسندت إليه الحسبة الخلقية سنة ١٨٤ قبل الميلاد يجهر بجواز اقتراف الفحشاء فى عصر الشباب . وذاك(شيشرون)المصلح الشهير يرى عدم تقييد الشبان بأغلال الأخلاق المثقلة ويشير بإطلاق العنان لهم فى هذا الميدان ، ولا يقتصر الأمر عليهما بل يأتى(ايبكتيتس)الذى يعد من المتصلبين ــ فى باب الأخلاق ــ من فلاسفة الرواقيين فيقول لتلاميذه ــ مرشدا ومعلما « تجنبوا معاشرة النساء قبل الزواج إن استطعتم ولكنه لاينبغى أن تلوموا أحدا أو تؤنبوه إذا مالم يتمكن من كبح جماح شهواته » !!!

ولما تراخت عُرَى الأخلاق وصيانة الآداب فى المجتمع الرومانى ــ إلى هذا الحد ــ اندفع تيار من العريِ والفواحش وجموح الشهوات .. وتمادى الأمر إلى أن اضطر القوم إلى وضع قانون خاص فى عصر القيصر (تائى بيريس) (١٤ ــ ٣٧ م) لمنع نساء البيوتات من احتراف مهنة المومسات وصناعتهن النافقة ونالت مسرحية فلورا (Folora) خطوة عظيمة لدى الروم لكونها تحتوى على سباق النساء العاريات . بل الأدب الذى كان يتلقاه الناس بالرضا والقبول هو الذى يعبر عنه اليوم بالأدب المكشوف .. فكان من انغماسهم فى الشهوات البهيمية ومجاوزتهم الحد إيجاد طرق لإطفاء أوارها أن دالت دولة الرومان وتمزق جمعها كل ممزق . ا .هـ .

وفى الصيـــــن :

كانت المرأة تشغل مكانا هينا فى المجتمع وتعطى أحقر الأعمال ، وينظر للولد الذكر على أنه إله صغير سقط من السماء .. أما البنت فلا يسر بمولدها أحد . وإذا كبرت اختبأت فى حجرتها تخشى أن تنظر فى وجه إنسان ، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها[1] اهـ .

وعند الأثينيين : وهم من أكثر الأمم القديمة مدنية

تعتبر المرأة من سقط المتاع تباع وتشترى ويتزوج الرجل بأكثر من واحدة — بلا حدود للعدد .

أما إسبارطة فكانت لاتسمح للرجل بأكثر من زوجة .. أما المرأة فلها أن تتزوج بأكثر من واحد ، وكانت جميع النساء يمارسن هذه العادة (وما أشبه الليلة بالبارحة) !!![2] .

أما المرأة الفارسية :

— وهى التى صار لها — فيما بعد — أكبر الأثر فى انحطاط المرأة العربية — فقد كانت أمَةً — عبدة — ... سجينة لامنزلة لها ... تباع بيع السلع — فقد أباحت الأنظمة الفارسية بيعها وشراءها ... وشر من ذلك كله أنها أباحت — على حد قول الكاتب الروسى أغاييف[3] — الزواج بالأمهات ، والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت !!!

ومتى حاضت المرأة أبعدوها عن المنازل ، وجعلوها فى خيام صغيرة فى ضواحى المدينة لايخالِطن ولا يخالَطن — حتى من الخدم — يلفون مقدم أنوفهم وآذانهم وأيديهم بلفائف من القماش الغليظ عند تقديم الطعام لهن — حذرا من أن يتنجسوا إذا مسوهن ، أو مسوا الأشياء المحيطة بهن حتى الهواء !!!

---

(١) انتهى — بتصرف من كتاب الحجاب للمودودى .

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة ١٠ ، ١١ نقلا عن قصة الحضارة ل ول ديورانت حضارة الصين / ٢٧٣ .

(٣) يراجع — بتوسع — كتاب : الإسلام والمرأة للأستاذ سعيد الأفغانى ، وكتاب حقوق المرأة فى الإسلام للأستاذ أحمد أغاييف ترجمة (سليم قبعين) سنة ١٩٠٥ م .

ومركز المرأة فى الإسلام ص ٣٥ — ٣٨ للسيد أمير على الهندى ط ١٩١٢ م .

والمرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة ، ويحق له أن يحكم عليها بالموت ـــ دون سبب ودون رقيب أو مؤاخذ ـــ !!

المرأة فى أوروبا المسيحية :

ثم جاء عصر النصرانية ـــ فى أوربة وأرادت أن تتدارك الفوضى الخلقية فى عالم الغرب ـــ بالعلاج الناجع والبلسم الشافى ، ومما لاريب فيه أنها أدت خدمات جليلة ـــ فى أول أمرها ـــ فقد سدت السبل فى وجه الفحشاء ، وقضت على العري فى كل ناحية من مناحي الحياة ، ودبرت الحيل والطرق المؤثرة لاستئصال شأفة الدعارة ، وجعلت المومسات الراقصات والمغنيات يتبن ، ويرتدعن عن غيهن ، ومكاسبهن الفاسدة ، وجهدت جهدها ، لتنشئة القوم على الأخلاق الزكية والآداب السامية ... إلا أن الفكرة التى كان يحملها الآباء المسيحيون عن علاقة مابين الرجل والمرأة ، كانت قد جاوزت حد التطرف فى جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية فى جانب آخر .

فمن نظريتهم الأولية الأساسية ـــ فى هذا الشأن ـــ أن المرأة ينبوع المعاصي ، وأصل السيئة والفجور . وهى للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام !!! ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء ، فبِحَسْبها ندامة وخجلا أنها امرأة !!! وينبغى أن تستحى من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح إبليس الذى لايوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة وعليها أن تكفِّر عن خطيئتها ، ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبدا ؛ لأنها هى التى قد أتت بما أتت به من الرُّزء والشقاء للأرض وأهلها .. ودونك ماقاله (ترتوليان) (Tertullion) أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها ، مبينا نظرية المسيحية فى المرأة : « أُنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله ـــ أى الرجل » !!

وكذلك يقول كرائى سوستام (Chry Sostem) الذى يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية فى شأن المرأة :

« هى شر لابد منه ، ووسوسة جِبِلِّيّة ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكة ، ورُزء مطلّى مموه » !!!

أما نظريتهم الثانية — فى باب النساء — فخلاصتها[1] أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هى نجس فى نفسها ، يجب أن تُتجنبَ — ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع — هذا التصور « الرهبنى ٱلكَنَسِي » للأخلاق الذى كانت جذوره تكاد تتأصل فى أوربة — من قبل — بتأثير الفلسفة الإشراقية (Neo - Platohism) جاءت المسيحية فزادته شدة وبلغت به منتهاه ، وذلك أن أصبحت حياة العزوبة مقياسا لسمو الأخلاق وعلو شأنها ، كما صارت الحياة العائلية عَلَماً على انحطاط الأخلاق ، ومهانة الطباع !!! وجعلوا يعدون العزوبة وتجنب الزواج ، من أمارات التقوى والورع وزكاء الأخلاق ، وأصبح من المحتوم لمن يريد أن يعيش عيشة نزيهة ألا يتزوج أصلا .. أولا يعاشر امرأته معاشرة الزوجية — على الأقل — وكذلك قرروا ، ووضعوا القوانين فى مؤتمراتهم الدينية المتعددة بألا يختلى رجال الكنيسة بأزواجهم ، وألا يتلاقى الرجال منهم والمرأة إلا بمرأًى من الناس ، وأمام رجلين من رجالهم — على الأقل — وما آلوا جهدا فى أن يثبتوا فى قلوب الناس الشعور ببشاعة العلاقة الزوجية وتنجسها !!!

وخذِى مثالا لذلك أنه كان شائعا بينهم ، أن الزوجين اللذين اتفق لهما أن يبيتا معاً ليلة عيد من الأعياد ، لايجوز لهما أن يُعَيِّدا ويشتركا مع القوم فى مراسيمهم ومباهجهم — كأنى بهم يرون أنهما قد اقترفا إثما سلبهم حق المشاركة فى حفل دينى مقدس عندهم — وقد بلغ من تأثير هذا التصور « الرهبنى الكنسى » أن تكدر صفو مابين أفراد الأسرة والعائلة من الأواصر ، وحتى مابين الأم والولد منها ؛ إذْ أمسى كل قرابة وكل سبب ناتج عن عقد الزواج يعد إثما وشيئا نجسا !!!

وهاتان النظريتان : ماوضعتا من مكانة المرأة وحطتا من شأنها فى حقول الأخلاق والاجتماع فحسب .. بل كان من مفعولهما القوى ونفوذهما البالغ — فى القوانين المدنية — أن أصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء بجانب ، وبجانب آخر ، انحطت منزلة المرأة فى المجتمع فى كل ناحية من نواحى الحياة ، فكل ماوضع فى العالم الغربى من القوانين بتأثير الشريعة المسيحية لايخلو من الخصائص الآتية :

---

(١) من كتاب الحجاب لأبى الأعلى المودودى — رحمه الله — ص ٢٢ .

١ ــ جعلت المرأة تحت سلطان الرجل الكامل من الوجهة الاقتصادية ، وعادت حقوقها فى الإرث محدودة .. وأما حقوقها فى الملكية فكانت أنزر وأقل ، وما كان لها من حق حتى فى كسب يدها ، بل كان كل ماعندها ولها ملكا لزوجها .

٢ ــ الطلاق والْخُلْعُ : لم يكونا مباحين ــ فى حال من الأحوال ــ فمهما بلغ الفرك (البغض) والتنافر بين الزوجين ، ومهما بلغ الشقاق بينهما فى إفساد العشرة كان الدين والقانون يحتمان عليهما دوام العشرة ، وبقاء حبل الزوجية متصلا : وأقصى ماكان يمكن فعله ــ فى بعض الأحيان الشاذة البالغة من الشدة غايتها ــ أن يقطع مابين الرجل والمرأة من الأسباب ويفرق بينهما تفريقا .. على أنه ماكان لأحدهما ــ بعد ذلك ــ أن يجدد الحياة الزوجية ويختار لنفسه زوجا موافقة أو لنفسها بعلا مواتيا ..

والحق إن كان هذا العلاج أكثر ضررا وأشد خطبا من ذاك المرض ؛ إذْ هما كانا بعد ذلك بين أمرين ــ أحلاهما مر ــ إما أن يختارا عيشة الرهبان والراهبات ــ الشكلية طبعا ــ أو يتعاطيا الفجور ويتساقيا كئوس الفحشاء طوال أعمارهما الباقية !!!

٣ ــ وكذلك كان من أقبح العار أن يتزوج الرجل أو المرأة ثانية إذا توفى عن أحدهما زوجه ، بل هو عندهم من كبائر الإثم ، وكان رأى علماء النصرانية فيه أنه إذعان للشهوات البهيمية ، وإطلاق لِعِنان غريزة الفحشاء ، وكانوا يعبرون عن القِران[١] الثانى بكلمة (الزنى المهذب) !!!

أما رجال الكنيسة : فلم يكن النكاح مباحا لهم ــ فى قانون الكنيسة[٢] ، وكذلك القانون المدنى العام ماكان يجيز ذلك ــ فى بعض الأقطار ، وأما الأقطار التى كان يسمح به فيها القانون فما كان يترخص فيه هناك الرأى العام الذى كان متأثرا بالنظريات والتصورات الدينية .

---

(١) الزواج .

(٢) ظاهرا أما باطناً وتحت أستار الظلام كانت الأديرة مسارح للقاء الإثم .. أنظر مذاهب فكرية معاصرة .

وفي أوروبا الحديثة :

ولما نهض فلاسفة أوروبا وأولو الرأى والعلم منهم فى القرن الثامن عشر ورفعوا عقيرتهم لحماية حقوق الفرد فى المجتمع ، ونفخوا فى أبواق الحرية الفردية ، كان بين أيديهم ذلك النظام التمدنى الفاسد الذى كان قد تولد بتفاعل الاتحاد الثلاثى من نظم الأخلاق وفلسفة الحياة المسيحيتين ، ونظام الإقطاعية (Feudal System) وقيد الروح البشرية بقيود مثقلة — غير طبيعية — وسد فى وجهها جميع سبل الرقى والازدهار . فالنظريات التى قدمها أساطين أوربا الجديدة ، وأقطاب الفكر الجديد فيها ، للقضاء على ذلك النظام الفاسد واستبدال نظام جديد به ، أسفرت عن ثورة فرنسا الشهيرة ، ثم تحركت عجلة الحضارة والثقافة الغربيتين ، وبقيت تسير على هداها ، حتى آلت — بعد تقلبات الزمان — إلى مرحلتها الحاضرة !!!

وكل مافعلوه — فى بدء العهد الجديد — لإنهاض المرأة — من كَبوتها — كان له أثر محمود فى الحياة الاجتماعية ، فقد خففوا شيئا مما كان فى قوانين الطلاق من شدة وتضييق وردوا إلى النساء جملة صالحة من حقوقهن الاقتصادية السليبة .

وتناولوا بالإصلاح والتهذيب النظريات القائلة بذلة المرأة ومهانتها ، وعدلوا أيضا من قوانين العشرة والاجتماع التى كانت قد وضعت النساء فى مستوى الجوارى والإماء — فى واقع الأمر — كما فتحوا لهن أبواب التعليم والتربية العاليين — كالرجال — فبهذه الطرق والتدابير الفعالة المختلفة انبعثت مواهب النساء وبرزت كفاءاتهن التى كانت مطمورة تحت أثقال فادحة . من قوانين المجتمع الخاطئة ، وتصورات الأخلاق الجاهلية — فقمن بتعهد البيوت ، وتحسين آداب العشرة ، وأبلين بلاء حسنا فى سبل الخير وأعمال البر ، فترقية الصحة العامة وتربية الجيل الناشىء ومواساة المرضى ، وتنمية النظام العائلى وآدابه .. كل أولئك كان من بواكير ثمار النهضة واليقظة التى حصلت بين النساء بفعل الحضارة الجديدة ، ولكن النظريات التى تولدت من بطنها هذه الحركة كانت تتسم من أول يومها بالنزوع إلى الإفراط والميلان عن القصد ...

ثم نما هذا النزوع واشتد فى القرن التاسع عشر ، وما كاد يبتدىء القرن العشرون حتى بلغ نظام الاجتماع الغربى نهاية الإفراط والتباعد عن القصد !!!

وهذه النظريات التى أسس عليها بنيان الاجتماع الغربى الحديث ، يمكن حصرها فى ثلاثة عنوانات :

١ ــ المساواة بين الرجال والنساء .
٢ ــ استقلال النساء بشئون معاشهن .
٣ ــ الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء .

وقد ظهر من نتائج تأسيس اجتماعهم على هذه النظريات الثلاث ماكان يجب أن يظهر !! وذلك :

١ ــ أنهم فهموا من معانى المساواة:ألا يكون الرجل والمرأة متساويين فى الحقوق البشرية والمنزلة الخلقية فحسب .. بل أن تؤدى المرأة فى الحياة المدنية مايؤديه الرجل من أعمال،وأن يرخى لها العِنان من القيود الخلقية مثل ماأرخي للرجل من ذي قبل . فهذه الفكرة الخاطئة للمساواة؛ جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجباتها الفطرية ، ووظائفها الطَّبعية التى يتوقف على أدائها بقاء المدنية ، بل بقاء الجنس البشري بأسره . واستهوتها الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وجذبتها إلى نفسها بكل ما فى طبعها وشخصيتها من خصائص ، فمعارك الانتخابات النيابية،ووظائف المكاتب،والمعامل،والمنافسة مع الرجال فى المهن التجارية،والصناعية الحرة،والمشاركة فى الألعاب الأولمبية والمسابقات الرياضية ، وحضور مجالس اللهو والقصف والظهور على المسارح ، والاشتراك فى حفلات الرقص والسهرات العامة ...

هذه وأشباهها من مشاغل الحياة ومتعها وأسباب اللهو والخلاعة والمجون التى يمنع من ذكرها الحياء من خفايا هذه المدنية البراقة ..

هـذه كلها قد استولت على مشاعرها ، وشغلت أفكارها وعواطفها شغلا أذهلها عن وظائفها الطبعيـة ، وطرد من برنامج حياتها القيام بتبعات الزوجية وتربية الأطفال ، وخدمة العائلة ، وتنظيم الأسرة ، بل كَرّه إلى نفسها كل هذه الأعمال التى هى وظائفها الفطرية الحقيقية !!

ومن عاقبة ذلك أن النظام العائلى ــ الذى هو أس المدنية ودعامتها الأولية ــ قد تبدد شمله فى الغرب ــ والحياة البيئية ــ التى يتوقف على هدوئها

وطمأنينتها قوة الانسان العملية ونشاطه ـــ تكاد تنعدم وتدخل فى خبر كان .. وكذلك رابطة العقد والزواج ـــ التى هى الصورة الصحيحة الوحيدة لتعاون الرجل والمرأة على خدمة المدنية ـــ أصبحت عندهم أوهن من بيت العنكبوت .. وبجانب آخر ، قد بدأ العمل على منع تكاثر النسل وازدياد العمران بقتل الأولاد وضبط التوليد وإسقاط الحمل .. وجاء التصور الخاطيء للمساواة الخلقية يساوى بين الرجال والنساء فى التبذل وفساد الأخلاق ، حتى عادت تلك المخزيات التى كان يتحرج من مقارفتها الرجال فيما قبل لاتستحى من ركوبها بنات حواء فى المجتمع الغربى الحديث ـــ فى جاهلية القرن العشرين .

٢ ـــ أن استقلال النساء بمعايشهن ، واضطلاعهن بشئونهن الاقتصادية قد جعلهن فى غنى عن الرجال والمبدأ القديم ـــ (أن يكسب الرجل وتدير المرأة البيت) ـــ قد تبدل وأخذ مكانه رأي جديد ، هو أن يكسب الرجل والمرأة كلاهما ، والبيت تفوض شئونه إلى الفنادق والشركات .. فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغبهما فى العشرة البيتية وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس الحيوانية . ومن الظاهر أن مجرد إطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل والمرأة إلى أن يتعاشرا فى بيت واحد ، مقرونين فى نير الرابطة الزوجية الأبدية هروبا من إرهاق النفس بأعباء خلقية وأثقال قانونية فى غير طائل ، ولماذا تتحمل المرأة تبعات الأسرة والمنزل ؟! وتبعات الحمل والولادة .. إلخ . ومالها ؟ وفكرة المساواة الخلقية قد أزالت جميع العقبات والعراقيل التى كانت عسى أن تعترضها فى سلوك الدعارة والفجور ـــ مالها لاتتنكب الطريق الأيسر والسبيل الممهدة المشحونة باللذة وأفانين البهجة .. أما ماكان عسى أن يحيك فى صدرها من شعور بالإثم والخطيئة فقد ذهب بذهاب الدين وتقلص ظله .. وأما خشية المجتمع فلا وجه لها ولا داعى إليها ، لأنه بدل أن يلومها ويؤنبها على غوايتها وعهرها ، قد عاد يتلقاها بالبشر والترحاب .. !! وإن أثقلت بالحمل السفاح ـــ فى غيبة أو خطأ موانع الحمل الحديثة الميسورة ـــ بوفرة لامثيل لها ـــ فلا بأس من إسقاطه من وراء الجدران فى جنح الظلام !!! وإن أبت عاطفة الأمومة ـــ ويالها من عاطفة خبيئة لاتكاد تموت على كل هذا الرق والتمدن ـــ قتل المولودة فلا لوم على الفتاة فى كونها أما لابن زنْيةٍ .. لأنهم قد قضوا الوطر من الدعاية لتكريم (الأم العذراء) (ولد الحرام) وقد بلغ من

تأثيرها فى النفوس أن المجتمع يتجرأ على ازدرائهما والحط من شأنهما ، لاجرم أن يبوء هو نفسه بتهمة الرجعية وحكم التخلف والجمود !!!

هذا هو الذى قد أتى بنيان المجتمع الغربى — فى جاهليته — من القواعد وزلزل كيانه زلزالا شديدا؛ففى كل قطر من أقطارهم وفى كل قرية ترى مئات الألوف من الفتيات والنساء عوانس ، يرتدن موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل ، وتفوقهن — فى كثرة العدد — اللائى يتزوجن فى سَوْرَة من عاطفة الحب العارضة .. ولكنه لما لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة — غير صلة المتعة الجنسية — تحوج أحدهما إلى الآخر ، وتجبرهما على العشرة الزوجية المستمرة — قد عادت أمثال هذه الأواصر كأوهن مايكون من الأمور !!!

وهذه الحالة الراهنة هى السبب فى شيوع المفاسد من منع الحمل وإسقاط الأجنة ، وقتل الأولاد وانخفاض تناسب المواليد وكثرة أولاد النغول ، وكذلك لهايد — وأى يد — فى انتشار الفاحشة والخلاعة والمجون وازدياد الأمراض السرية الفتاكة وانهيار المجتمع وقتله داخليا !!!

٣ — وقد استحث الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء غريزة التبرج والعري والتفسخ فى النساء ، وزواجهن تلوثا بالفاحشة ، فالجاذبية الجنسية التى قد أودعتها فطرة الرجل والمرأة ولها عليها سلطان لاينكر تزداد قوة واشتدادا باختلاط الجنسين وتتخطى بكل سهولة حدوده ثم من شأن هذا المجتمع المختلط أن تنشأ فيه غريزة جديدة فى الجنسين ، وهى الظهور بأبهى مظاهر الزينة وأجذبها للجنس الآخر حتى وصل فى النهاية — متجاوزا كل الحدود — إلى آخر غايات العرى المشين !!!

وهذا ماقد وصلت إليه الحال فى المدنية الغربية الحديثة ودواعيها من الشرب والسكر والعربدة وقد سموها بالفن لإخفاء الضعف الكامن فى نفوسهم ... ولا يزال هذا الداء الوبيل — من غلبة الشهوات البهيمية — ينخر فى كيان الأمم الغربية وينتقص من قوة حياتها بسرعة مذهلة .. والتاريخ يشهد أنه ماسرى هذا الداء فى مفاصل أمة إلا وأوردها موارد التلف والهلكة والفناء.وصدق نبينا الكريم الذى حذر أمته من هذه القواصم فقال : (خمس أعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن : « ماظهرت الفاحشة فى قوم — يعمل بها فيهم علانية — إلا ظهرت

فيهم الأسقام والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ..، ومامنع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .. وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان،وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم ، وما حكم أمراؤهم بغير ماأنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض مافى أيديهم ») .

أو كما قال نبى الرحمة — ﷺ — وما رواه أبو أمامة الباهلى — رضى الله عنه — عن رسول الله ﷺ الذى أثبتناه فى صدر هذا الكتاب فارجعى إليه(١) ذلك بأن هذا الداء الوبيل يقتل فى الإنسان كل ماآتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه فى الحياة فأنّى لهم النجاة منه ومن غوائله وعواديه ؟!!!

قصور التصور البشرى :

هذا البيان — الموجز الذى اقتضته الضرورة — للتطورات التاريخية الممتدة عبر ثلاثة آلاف سنة راجع إلى بقعة كبيرة من الأرض ، قد كانت فيما خلا مثوى لحضارتين عظميين فى تاريخ البشر ، وهاقد تألق نجم حضارتهما فى سماء الدنيا مرة أخرى ، ومثل هذه التطورات التاريخية قد حصلت فى كل من مصر وبابل وفارس وغيرها من الممالك ، وكذلك فى شبه القارة الهندية أيضا حكمها فى أمر المرأة بين طرفي النقيض من الإفراط والتفريط .. فترى بجانب فيه أن المرأة تتخذ مملوكة ، لأبيها — بكرا — ولبعلها — ثيبا — ولأولادها — أيّما — ثم تقدم ضحية على نيران زوجها إذا مات عنها(٢) وتحرم حقوق الملكية والإرث .. إلخ . الطقوس الهندوكية من تقديس فرج الذكر والأنثى (لنك ويونى) وعبادة التماثيل العارية المزدوجة، وتكريم خادمات المعابد العواهر واختلاط الجنسين فى ألعاب عيد (هولى) وفى الغسل المطهر فى المياه المقدسة فى حال توشك أن تكون عريا .. ماهذه كلها ؟ وأى شيء تذكره وتدل عليه ؟ .. إن هى مع الحقيقة إلا باقيات السوء لتلك الحركة (البام ماركية) التى انتشرت فى الهند انتشار الوباء عقب ازدهار الحضارة فيها ، كما انتشرت فيما قبل فى بابل وفارس واليونان والرومان —

---

(١) كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ .. إلخ الحديث ...

(٢) إن الهنادك يحرقون موتاهم ، وكانوا فيما مضى يحرقون زوج الميت معه حية حتى منعتهم الحكومات المسلمة ، والحكومة الانجليزية بعدها من هذا الرسم القبيح .

وتركت الأمة الهندوكية فى حالٍ التخلف والانحطاط لعدة قرون .

إنك إن تأملت هذا البيان التاريخى ــ الموجز المقتضب جدا ــ تبين لك عجز الإنسان البالغ عن الاهتداء إلى نقطة الاعتدال فى أمر المرأة وكيفية تقصيره فى فهمها والاستمساك بها .. هل نقطة الاعتدال فى أمر المرأة لاتتاح لها الفرص الكاملة لممارسة فطرتها ومامن أجله خلقت له ؟ .. هذا ماسنعالجه فى عرض مبادىء الإسلام الحنيف وتكريمه للمرأة وإنزالها المنزلة اللائقة بها ــ إن شاء الله ــ لِتَرَىْ مكانَكِ فى هذا الوجود أيتها الأخت المسلمة .

المرأة العربية قبل البعثة :

بَيْنَما ذلك كله يحدث فى جنبات الأرض رأينا العربى قد سما بفطرته ــ فى بعض الحالات ــ فمجد المرأة ــ فى جاهليته ــ وناجاها ــ فى سره وإعلانه ــ ونظر إليها ؛ فوضعها فى منزلة تسامى منزلة الرجل ــ فِي بعض الأحيان ــ

والظاهر أن هذا لم يقع إلا بعد أن شاع فى العرب ــ فى زمان متقادم ــ امتهان المرأة وقتا يسيرا،حتى اضطرت حكمتهم أن تصحح خطيئتهم تلكٍ فتقول (المرأة من المرء وكل أدماء من آدم) وهذا أقدم مثل قالته العرب ــ على مازعم الميداني ــ فى كتابه مجمع الأمثال ــ كانت تولد الأنثى،فيشعر والداها بخيبة الرجاء .. فإن تظاهرا بالفرح كان فرحا واجما يختلف عن المفارح التى تقام للوليد الذكر ــ وهذا شيء فى طبيعة الناس كافة باديهم وحاضرهم ــ على تفاوت فى المشاعر ــ فلا سبيل إلى إفراد العرب بالأفكار إلا فيما جرت عليه عادة بعض القبائل من وأدٍ قبيح عابه الإسلام وأبطله ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به . أيمسكه على هون ؟ أم يدسه فى التراب ؟ ألا ساء مايحكمون** ﴾ !! ..

وفيما عدا ذلك كان العربى أشد الناس كلفا بالمرأة واحتراما لها (أما وأختا وبنتا وزوجة وعمة وخالة .. إلخ ــ باستثناء ماكانت عليه طبيعة الصحراء من بعض المفارقات من منعها من الخروج عن حوزة الأسرة إذا مات زوجها .. فإذا ألقى أحد أفراد الأسرة ــ وهو أشدها بأسا وأقواها شكيمة طبعا ــ من أسرة الزوج ثوبه عليها صارت له ولا تخرج منه إلا بفدية وتحرم من الميراث ، لأن

الميرات لايعطى إلا لمن قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة، وتُعضَل [١] بعد الطلاق ، وتُمْسك ضرارا للاعتداء[٢] ويطفف معها الكيل ، ويحرم عليها بعض الطعام ، ويتزوج عليها الرجل مايشاء من النساء من غير تحديد ﴿ **وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا** ﴾ الأنعام ١٣٩ بل وكان من بعض أنواع الأنكحة فى الجاهلية (نكاح الاستبضاع) وهو أن يرسل الرجل امرأته إلى بعض الأبطال المشهورين أو المتسمين بالوسامة أو النجابة ليفترشها لتنجب منه ولداً له على شاكلته ثم تعود إليه — دون أية غضاضة أو امتعاض فى ذلك — بل كان البعض يعده من المفاخر لأن نسله من ذاك البطل فهذا الشبل من ذاك الأسد . وقد طهر الإسلام المرأة من هذا الدنس ولعن الديُّوث (وهو الذى تزنى زوجه على مرأى منه ومسمع) كما أنه لم يكن لها حق فى اختيار زوجها .. ولئن كان رؤساء العرب وأشرافهم — فحسب — يستشيرون بناتهم فى أمر الزواج — كما نستنتج ذلك من بعض القصص التاريخية .. وكان الرجل إذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره ، ويعتبرها إرثا — كبقية أموال أبيه — فإن أراد أن يعلن عن رغبته فى الزواج منها طرح عليها ثوبا ، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء .

وكل ماكانت تعتز به المرأة العربية — فى تلك العصور الجاهلية — على أخواتها فى العالم كله ، حماية الرجل لها ، والدفاع عن شرفها ، والثأر لامتهان كرامتها .. بل كانت بعض النساء لهن الرأى والمشورة،بل والقيادة أحيانا فى الرأى والسياسة . وما حادثة هند بنت عتبة — رضى الله عنها — ببعيدة ؛ إذْ فى الجاهلية —وهى بعدُ مشركة— بعد معركة بدر وفجيعتها فى أبيها وعمها (عتبة وشيبة ابنا ربيعة)،حيث قادت حملة نسائية ضد الرجال،ليثأروا من المسلمين فى أُحُد،وكن يرددن مايحمس المشركين :

إن تُقْبِلُوا نُعانِــقْ	**ونفــرشِ النمارقْ**
أو تدبروا نفـارق	**فراق غير وامــق**

(١) والعضل منعها من الرجوع إلى زوجها ، وإمساكها ضرارا مراجعتها قبل انقضاء عدتها حتى لا تذهب إلى غيره .. انظر تفسير الآيات فى ابن كثير جـ ١ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٥٩ / انظر رواية ابن عباس وعطاء بن أبى رباح المنقولتين عن الطبرى ٤ / ٣٠٨ .

بل وهى التى وعدت وحشيا بالعتق إن هو قتل حمزة ــ رضى الله عنه ــ ثأرا بأبيها وعمها ــ وقد فعل ــ رضى الله عنه(١) ومثلت هند بجثته وبقرت بطنه وجدعت أنفه ولاكت كبده فلم تسغها فلفظتها وظل وحشى ــ رضى الله عنه ــ مؤرقا مغموما مهموما يحمل على كاهله عبئا ثقيلا وهما محزنا بقتل حمزة ــ رضى الله عنه ــ وإعراض النبى الكريم ﷺ عنه ، حيث كان يشيح بوجهه عنه كلما رآه وهو يتعرض له بالسلام لما نزلت .. ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ وكان قد توعد ــ ﷺ ــ المشركين بالتمثيل وما أفاق وحشى ــ رضى الله عنه ــ من كبوته إلا بعد أن منّ الله عليه بحضور معركة اليمامة وترصد مسيلمة الكذاب وقتله .. هاتفا : الله أكبر .. هذه بتلك الآن أموت قرير العين !!!

وما موقف أم جميل زوج اللعين أبى لهب عنا ببعيد فهو مشهد حى يتلى صباح مساء إلى يوم القيامة ــ فى كتاب الله .

وهند هى التى وقفت فى وجه زوجها ــ أبى سفيان ــ رضى الله عنه ــ حينما قال ــ بأمر رسول الله ﷺ ــ يامعشر قريش من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ــ وكان ذلك فى فتح مكة المكرمة ــ فأجابته هند ــ بكل صرامة ــ قُبِّحْتَ من طليعة قوم وعشيرة .. وماذا تغنى عنا دارك ؟ .. اقتلوا هذا الحميت(٢) الدنس .. ثم أخذت أولادها ولاذت بالبيت الحرام ثم أسلمت وأولادها حتى كان معاوية ــ رضى الله عنه ــ من كتاب الوحى لرسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) وحشى فقد أسلم وحسن إسلامه .

(٢) أى الطبل الأجوف (أو الزق المملوء شحماً) .

الفصل الثانى

المرأة فى الإســـــلام

- مفهوم العالم الإسلامى
- المرأة فى منهج الإسلام
- الفروق الفردية بين الذكر والأنثى
- خلاصـــــة
- حقائــق يجــب ذكــرها

مفهـوم العالم الإســلامى

قلنا فى المقدمة إن المنهج الإسلامى يتسم بالشمول والكمال ويجعل المرأة صنو الرجل « إنما النساء شقائق الرجال » بالإضافة إلى ماقدمناه فى أول الكتاب من ابتعاد الإسلام فى منهجه عن النظرة الجزئية فى النظرة إلى الحياة والمخلوقات كما يهتم بالإنسان ــ باعتباره المخلوق المميز الذى وقع عليه عبء الخلافة فى هذه الأرض .

ومن هذين الاعتبارين-الشمول والاستخلاف أخذت المرأة مكانها ــ باعتبارها شريكة للرجل فى مهمة الاستخلاف ــ ﴿ **فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ ؛ إذ لايقوم العمران ، وتمتد الحياة إلا بهما متعاونين متكاملين. وما أجمل الخطاب ــ الذى سجلناه فى المقدمة ــ إذ يقول القرآن الكريم ﴿ **يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامَ إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾ ومن ثم خلقت من آدم وقطعت معه رحلة الابتلاء والصراع مع الشيطان ، وتحملت معه المسئولية كاملة فى حالتى الاقتراف والمتاب ، ومضت سنة الله ــ عز وجل ــ على تحملها المسئولية كل حسب خصائصه وقدراته وطبيعته الفطرية(١) .

وإذا كانت الحضارات الأخرى ــ التى أسلفنا طرفا منها ــ قد أجحفت فى حق المرأة وحادت عن جادة الحق والإنصاف وتنكبت طريق التصور الحق فى النظرة إليها-فقد جاء الإسلام ليخلصها من الآصار والأغلال التى قيدتها والتفريط الذى مسخها،والإفراط الذى أرداها،والإجحاف الذى نزل بها !!! وصدق الله العظيم :

﴿ **... الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى**

---

(١) ما أبدع كلام الله .. قال : « فتشقى » ولم يقل فتشقيا ؛ إيحاء إلى أن الرجل باستعداده الفطرى هو الذى يضرب فى الأرض ويشقى فى طلب الرزق .. والمرأة بطبيعتها الأنثوية لها ميدان آخر ...

التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنه إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه .. أولئك هم المفلحون ﴾(١) .

والوعى التشخيصى بالذات الحضارية ـــ فى إطارها الزمانى ـــ أساس كل حس تاريخى ، كما قدمنا ـــ وبظهور الإسلام: تحدد مفهوم جديد للمجتمع الإنسانى يرتكز على العقيدة الروحية ـــ قبل أى اعتبار آخر ـــ فهو مجتمع مفتوح يقوم على الأخوة ، ويدعو إلى الانتظام فيه جميع البشر ـــ على أساس من المساواة الشاملة(٢) ـــ

ولقد رأينا ـــ فى عرضنا السريع للعرب فى الجاهلية كيف افتقد عرب الجاهلية الأولى الوعى التاريخى بالوجود لافتقادهم ـــ طوال العصور الجاهلية ـــ عاملين أساسيين؛هما أساس كل مفهوم كونى واضح للتاريخ يربط بين ماضى الإنسانية وحاضرها ..

هذان العاملان هما : الدين العام الذى يقوم مغزى للحياة وفلسفة للنشاط البشرى فيها ، والتنظيم السياسى الذى يبرز حركة التاريخ فى فلسفة شعب مافأما فيما يتعلق بالجانب الدينى ، فقد رأينا من قبل كيف أثبت القرآن مفهوما للزمان تحول به خوف الإنسان من المجهول وقلقه من المصير إلى الفناء إلى شوق إلى المعلوم من النعيم فى رحاب الأبدية(٣) .

كذلك رأينا جانبا من غائية الوجود البشرى ومركز الإنسان فى عالم الطبيعة ـــ بوصفه خليفة لله فى أرضه ـــ الذى يصنع تاريخه باختياره الحر عليها ؛ وفقا لسنة الله فى الكون ، وشريعته فى خلقه .. ومثل هذه المعانى وحدها كانت

---

(١) راجع كتاب الإسلام وبناء المجتمع للدكتور العسال ، والثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ترجمة الأستاذ محمد خلف الله أحمد النهضة ١٩٥٥ ، ١٩٥٨ م .

(٢) راجع كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للشهيد سيد قطب ، وكتاب : فى فلسفة الحضارة الإسلامية د / عفت الشرقاوى ط دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٧٩ م .

(٣) انظر ماقدمناه سلفا عن التصور الإسلامى وراجع كتاب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته للشهيد سيد قطب ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى .

كفيلة بنشأة الشعور التاريخى عند المسلمين ــ غير أن مفهوم المجتمع الإسلامى ــ كما يقدمه القرآن الكريم ــ بوصفه تنظيما سياسيا ــ يقوم على الرابطة الروحية ؛ قد ساعد من جهة أخرى على نشأة فكرة التاريخ عند المسلمين ، ذلك أن الجانب النظرى والغيبى من المفهوم التاريخى ــ كما يقدمه القرآن الكريم ــ قد أخذ صورته العملية والتطبيقية بعد نشأة المجتمع الإسلامى ، فامتدت الفتوح الإسلامية ــ بعد ظهور الإسلام ؛ إعلاء لكلمة الله،وتحقيقا لفكرة التاريخ التى أقرها القرآن الكريم ــ ثم نشط بعد ذلك التأليف فى التاريخ ، وصار للمسلمين ــ فى هذا العلم ــ مكان مرموق ــ كما هو معروف .

ونريد ــ فى هذا المقام ــ أن نتناول ــ فى عجالة ــ مفهوم المجتمع الإسلامى ، من حيث دلالته على وعى المسلمين بذاتهم الحضارية الخاصة ــ وهو الوعي الذى كان أساس حركتهم التاريخية ، وفلسفتهم فيما فتحوا وساسوا من البلاد ، لندلف من هذه العجالة إلى موقف الإسلام من المرأة ؛ لأن هذا هو الذى يعنينا فى هذا البحث .

يقوم مفهوم المجتمع فى الإسلام على أساس من المنطق الروحى الذى يرفع أصول العلاقات الاجتماعية إلى نطاق غيبى ، كما يعقد الصلة الواضحة بين ضمير الفرد والمجتمع ، وبين الجزاء الروحِى والمادى ومصير الوجود . ومعنى ذلك أن الوحدة الحضارية ــ فى الإسلام ــ تجمع بين المسلمين على أساس من أخوة العقيدة ، فتلك هى رابطتها العامة ــ التى هى أقوى من رباط الدم والمصاهرة ــ والتى لاتعترف بالقيود الطبقية أو الوشائج العنصرية المغلقة .. فليس من الإسلام فى شىء تلك الأنماط الحضارية الإقطاعية التى عرفتها العصور الوسطى ، والتى كانت تقسم المجتمع إلى طبقات مغلقة ، ثم تحدد لكل فرد فى هذه الطبقات مصيره وفقا لمولده ، أو طبقته ، أو ماورث من سائر الاعتبارات .. ولقد تحقق فى هذا المجتمع المفتوح للمسلم[1] كل أسباب الحرية التى تتيح له أن يمارس حياته السياسية والثقافية والاقتصادية ــ دون قيود طبقية أو عنصرية ــ ومن جهة أخرى فقد حرر الإسلام ضمير المسلم من قيد الارتباط بطبقة كهنوتية تتحكم فى

(١) انظر ماقدمناه سلفاً عن التصور الإسلامى وراجع كتاب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته للشهيد سيد قطب ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى .

مصيره الدينى[1] بل جعل مسئولية الانسان الروحية أمام الله ــ عزوجل ــ مباشرة ــ دون أن يكون هناك وسيط من رجال الدين[2] وبمثل هذا المفهوم لم تعرف الحضارة الإسلامية ذلك الصراع المشهور فى الحضارة الغربية بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، بل تجتمع هاتان السلطتان ــ فى الحضارة الاسلامية ــ فى مركب ثقافى واحد؛ يحقق التعاون المنشود بين الضمير الروحى، والوعى الاجتماعى للأمة[3] .

ومن جهة أخرى ، فإن المجتمع الإسلامى قد جمع بين جماعية الحضارة العبرية ؛ حيث تغلب الواقعية والنزعة العملية ، وبين فردية المسيحية ، حيث تغلب النظرة التأملية الذاتية ، وتسود الفردية والانطوائية التأملية ــ كمثل أعلى للزهد والانصراف عن الشهوات، والاشتغال بالله عما سواه ؛ فلا هى بالمادية اليهودية البحتة التى عبدوها من دون الله ، ولا هى بالنصرانية المتنطعة التى انحرفوا بها عن هدى ومسيرة المسيح عليه السلام ــ فأغرقوا فيها ﴿**ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها**﴾[4] وكان قد بعث بها ليكفكف من حدة المادية اليهودية؛ بالدعوة إلى المرحمة واللين والحب والمسامحة فحرفوها وبدلوها، وصارت إلى ماصارت عليه ــ حتى الآن ــ فجاء الإسلام وسطا بين هذه وتلك ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا ؛ لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ فيجمع المسلم بين طرفى النقيض ليكون أنموذجا للإنسان السوى الذى أراده الله ــ برسالة محمد ﷺ ــ مما سنفصله بعد، أو نلقى عليه بعض الومضات فى المجتمع المثالى فى ظلال الإسلام ــ إن شاء الله ــ ونلمح إلى هذا إلماحا بالآيات الكريمة من أواخر سورة الفتح ﴿ .. **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**

(١) والمسلمة طبعا .
(٢) كصكوك الغفران وما شاكلها .
(٣) راجع كتابنا (حاضر العالم الإسلامى) . راجع ماقلناه فى أول الكتاب فى « ثقافة الإسلام رائدة » .
(٤) راجع ــ مذاهب فكرية معاصرة ــ الأستاذ محمد قطب .

يعجب الزراع ؛ ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾(١) !! .

فقد جعل الإسلام للفرد استقلاله الذاتى ،ومسئوليته الشخصية ــ كما قدمنا ــ فى نطاق الجماعة وداخل سياج الأخوة ــ فى الله والعقيدة ــ دون التزام بمقتضيات القرابة أو ملابسات الإقليم أو القبيلة أو البطون أو العشائر أو الأفخاد .. إلخ . ولا حتى الأبوة أو الأمومة أو البنوة ــ على ماسيرد عرضه ــ إن شاء الله ــ لكن على أساس من الرابطة الروحية والمصير العملى المشترك ، فكان الإسلام ثورة تحريرية إنسانية شاملة تبدأ فى ضمير الفرد وتنتهى فى محيط الجماعة سلوكا وعملا ــ فى ظلال الأخوة ــ حكماً وتجارة ومعاملة وحياة يومية وعلاقات عامة ــ وحتى دولية ــ حتى بلغ الإسلام بهم درجة الإيثار **﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾**(٢) ..

وبذلك قد سلكت الحضارة الإسلامية مسلكا وسطا لاينكر عالم المادة ، ولا ينفر من الواقع الحسى للوجود ، بل يدعو إلى الإقبال على الحياة ــ فى اعتدال ــ ودون إفراط أو تفريط(٣) من أجل ذلك اصطبغ مفهوم المجتمع الإسلامى بالتفاؤل والمنافسة فى العمل على عمران الحياة ــ فى حدود ماشرعه الله ــ ولم يجد المسلم فى ذلك مايدعو إلى التشاؤم أو مايرتبط بالإثم أو الخطيئة ــ كما نجد فى بعض الديانات المحرفة الأخرى .. وهكذا عظمت قيمة العمل فى المجتمع الإسلامى فارتبط بإيمان الفرد ارتباطا وثيقا ؛ لأن الإيمان إذا كان روح العمل وسره فإن العمل هو جسم الإيمان وشكله.وهذا أمر معقول فى دين كالإسلام يدعو إلى اعتناق مذهب وحدة الحياة وامتدادها إلى الأبد(٤) بعد الموت فى الدار الآخرة ..

---

(١) يجمع المسلم بين النقيضين (أشداء ــ ولكن على الكفار « رحماء بينهم ») .

(٢) راجع كتاب (دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب وكتاب العدالة الاجتماعية وكتاب خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) وكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى وحاضر العالم الإسلامى ترجمة وتعليق شكيب أرسلان . وكتابنا حاضر العالم الإسلامى .

(٣) راجع ماقدمناه فى أول الكتاب فى (أزمة المثقفين) .

(٤) راجع كتاب الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى فى بابى « أثر الإيمان فى حياة الفرد والمجتمع » . وكتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للشهيد سيد قطب . وركائز الإيمان للشيخ الغزالى .

وبالتالى يدعو إلى وحدة العمل ، ويجعله كله من العبادة[1] سواء أكان عملا للمعيشة هنا فى الدنيا أم للعيش هناك فى الآخرة؛فلا يقول هذا عمل دنيوى وذاك عمل أخروى[2] بل يقول فى كل أنواع العمل : هذا عمل صالح ينفع الناس ويمكث فى الأرض لإمداد الحياة بمدد الخير ــ فهو إذن عبادة سواء أكان فى ظاهره للدنيا أم للأخرى ..

وهذا عمل فاسد يؤذى الحياة ولا يمدها بخير ؛ فهو إذن كفر أو فسق سواء أكان ظاهره دنيويا أم أخرويا .

ومن هنا قرر الإسلام أن كل الأعمال؛واللذات الطيبة يجوز أن تحول إلى عبادة؛إذا قدمت أمامها النية الخالصة فى حفظ هبة الحياة والانتفاع بها ، واحترام إرادة واهبها ــ عزوجل ــ هكذا ارتبط العمل بالإيمان فى عقيدة المجتمع الإسلامى ارتباطا جوهريا يقوم على التفاؤل والتفاعل والإقبال على الحياة من أجل خير البشرية .

ولقد اقتضى ذلك أن يكون لهذه الجماعة المؤمنة رسالتها فى هذه الحياة ودورها فى صراع قوى الشر المتربصة من حولها .. وهو صراع دائم بين معسكرين كبيرين كل منهما ينتمى إلى فكرة ويلتزم فيها موقفا معينا ويعمل فى سبيلها ــ يقول الحق ــ تبارك وتعالى ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت .. فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾ لذلك يَسِمُ القرآن الكريم هؤلاء الكافرين بأنهم يعملون تحت لواء الشيطان عدو آدم وذريته ، ومصدر الصراع الرئيسى فى العالم[3] غير أن كيده ضعيف على كل حال كما ذكرت الآية الكريمة ، فهو غير قادر على الصمود إزاء إرادة الفرد والجماعة المؤمنة التى تؤثر الكفاح على الاستسلام وما حديثه مع عمر ــ رضى الله عنه ــ علينا بغريب وقول الرسول الكريم ــ ﷺ ــ فيه لو سلك ابن الخطاب شِعبا لسلك الشيطان شِعبا آخر !!!

---

(١) راجع كتاب العبادة فى الإسلام للدكتور يوسف القرضاوى ، وحتمية الحل الإسلامى ، وللشيخ شلتوت رحمه الله الإسلام عقيدة وشريعة .

(٢) راجع ماقلناه فى فصل (خطأ مشهور وصواب مهجور) .

(٣) راجع ماقلناه سلفا فى عدوك الأول عند فصل : اعرف عدوك . (.. قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ..) .

ولكن الحذر ــ كل الحذر ــ من أوليائه .

والجديرون بالحرب التى لاهوادة فيها هم قرناؤه ، فإنهم ــ شياطين الإنس أشد ضراوة من شياطين الجن .. فشياطين الجن يهربون من الاستعاذة ويفرون من الأذان للصلاة إلا شياطين الإنس وصدق الله العظيم : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ وما أقوى حصن الإيمان حينما يتحصن به المسلم ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون** ﴾ ولذلك قال الحق تبارك وتعالى ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا** ﴾ ولم يقل فقاتلوا الشيطان بل قال : ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان** ﴾ فالثلة المؤمنة تقاتل فى سبيل الله الذى يملك كل شيء ، ويقدر على كل شيء ، والذى يدافع عن الذين آمنوا بينما ينتمى أولياء الشيطان إلى قوة هى فى أساسها جزء ضعيف من خلق الله ، ومن ثم يجيء النصر النهائى دائما لصالح المؤمنين المجاهدين الذين يتحركون أبدا بأمر من الله ، ﴿ **حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾ لمصارعة القوى المضادة والتغلب عليها ، ولذلك يقول الحق ــ تبارك وتعالى ــ ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ــ إنهم لهم المنصورون ــ وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ ﴿ **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ ﴿**والله مع الصابرين**﴾ ﴿**والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ فما أعظم هذه المعية الإلهية ! ..

تلك هى الرسالة التى حملها المجتمع الإسلامى ــ وأنت أيتها الأخت المسلمة شطره ــ وهكذا يرى هذا المجتمع ذاته الحضارية فى التاريخ ، وتعلمين مكانك من هذه الحضارة وذاتك فى هذا التاريخ ــ وهى رسالة تقتضى الصبر والإيمان والعمل الجاد، والإرادة القوية التى تتجلى فى قول الرسول العظيم ــ ﷺ ــ « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » أو كما قال ﷺ. وبمثل هذا استطاع هذا المجتمع الإسلامى الربانى الوليد أن يفتح العالم ويقيم الحق وينقذ البشرية من أعدائها ،

وينهض الأمم من كبوتها،ويخرج الناس من عبادة المخلوق والشيطان إلى عبادة الرحمن ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة،ومن جور الأديان[1] إلى عدل الإسلام — كما قال ربعى بن عامر لرستم قائد جند الفرس ..

وقد عرض المؤرخ — المعتدل المنصف ظاهريا — «أرنولد توينبى» لهذه الظاهرة ، فأقرَّ — ابتداء — بأن الإسلام أكثر العقائد الدينية اتفاقا مع المنطق وأشدها دقة فى الإيمان بمبدأ الوحدانية الجليل ، وهو ينكر ادعاء بعض المؤرخين بأن القوة المادية والسيف كان العامل الوحيد الحاسم فى انتشار الإسلام[2] ذلك أن الشروط التى تطلبها المسلمون من غيرهم للإيمان بالدين الجديد لم تزد على تأدية عدد من الفرائض لم تكن تأديتها بالأمر الشاق .

ومن جهة أخرى ، فإن البلاد المفتوحة لم تخير بين الإسلام أو القتل .. بل بين الإسلام أو الجزية[3] — وهى دريهمات قليلة فى سبيل الدفاع عنهم — ترفع عنهم عند العجز والطعن فى السن أو عند عجز المسلمين عن حمايتهم — كما فعل أبو عبيدة بن الجراح — رضى الله عنه — أمين هذه الأمة — (الإسلام أو الجزية أو السيف — عند إباء الجزية والإسلام — والمحارب جزاؤه السيف .. لما أخذ الجزية من أهل حمص فلما رأى العدو قد جهز له من الجيش ما لا قبل له به رد إليهم الجزية فدخلوا الإسلام على بكرة أبيهم .

﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴾ ﴿ أذن للذين يُقاتلون ، بأنهم ظلموا ﴾

كذلك لن يطبق الإسلام هذا الاختيار — تطبيقا منفرا — على غير المسلمين من رعايا الدولة ، وإنما كان انتشار المد الإسلامى الواسع — فى رأى توينبى — بين القرنين التاسع والثالث عشر — الميلاديين — حصيلة حركة شعبية شعوبية تلقائية ، ولم ينجم — قط — عن ضغط سياسى وإذا كان الإسلام قد اندفع من

---

(١) الأديان المحرفة أو النظم الأرضية القاصرة .

(٢) يراجع كتاب دراسات إسلامية .

(٣) ولم تكن الجزية إلا دريهمات قليلة تؤخذ فى السنة لقاء الدفاع عن الذمى وله حرية الدين وحرية العقيدة فى حدود عدم العدوان على حريات الآخرين أو الوقوف ضد تيار المد الإسلامى إذ لايعقل أن ينخرط فى سلك المجاهدين وهو مشرك ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ ولقد ذقنا الأمرين فى حرب ٦٧ حيث كان رئيس الجيش الثانى نصرانيا ولهذا بحث آخر فى الدراسات الميدانية التى يقدمها القرآن الكريم .

شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع الميلادى ــ عقيدة اقتصرت ــ فى بداية الأمر ــ على العرب وحدهم ــ فإنه لم يأت القرن الثالث عشر الميلادى ، حتى غدا الإسلام دينا عالميا .. ولا جرم أن عقيدة دينية توفق التوفيق كله تحت تأثير فضائلها الذاتية فى الفوز بولاء الناس لها ..؛ ليعد انتصارها الروحانى أعجب الأمثال[1]. ولقد كان فى انتشار الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الكبرى مايغرى علماء المسلمين بتتبع أخبار قيادتهم المؤمنة ــ فى مجالاتها الروحية والسياسية والعسكرية[2]؛ فأقبلوا على كتابة التاريخ ــ وإن كان لابد لصياغة جديدة إسلامية فى ضوء رؤى جديدة لآفاق عليا إسلامية لتنقيته من الشوائب ــ وصار لهم فى ذلك شأن كبير كما يحكيه الأجانب المنصفون أنفسهم .

وبعد : فقد عبر «توينبى» عن المعنى الروحى فى الحضارة الإسلامية؛ كما يحسه الجبرتى فى النص الطريف الآتى الذى نختاره من كتابه (الحضارة فى الميزان) لنختتم به الكلام فى هذا الفصل ؛ لندلف إليك أيتها الأخت المسلمة إلى مكانك تحت منظار الإسلام يقول توينبى « سؤال أثارته إحدى عبارات الجبرتى ولا يزال ينتظر الجواب وهو : ماهو فى الواقع أهم حادث فى سنة ١٢١٣ هـ ؟ هل هو غزو نابليون لمصر ؟ أو توقف سفر الحجاج من مصر إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز ؟ !!! » .

إن نظام الحج الإسلامى ــ بالطبع ــ ليس فى حد ذاته سوى فريضة دينية ظاهرة ، ولكنه يرمز إلى روح الأخوّة التى تربط بين المسلمين ــ قاطبة ــ ومن ثم يتعرض الإسلام للخطر متى توقف الحج كما علمتنا التجربة فى عصرنا هذا ــ وكان الجبرتى يحس هذا الخطر لأنه كان يقدر التراث الروحى المتصل بدين أسلافه وما تقديرنا نحن للإسلام ؟ هل فى وسع الجنس البشرى أن يستغنى عن

---

(١) توينبى مبتدع المنهج التاريخى الحديث ص ٨٧ .

(٢) راجع كتاب (الرسول القائد) للعقيد الركن محمود شيت خطاب و (عالمية الدعوة الإسلامية) د . على عبد الحليم محمود ط عكاظ للطباعة والنشر و (الإسلام فى النظرية والتطبيق) تأليف مريم جميلة المهدية ط مكتبة الفلاح ترجمة س حمد وتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية لعمر فروخ ط دار العلم للملايين بيروت وصفحات مضيئة من تراث الإسلام لأنور الجندى ط دار الاعتصام وغيرها وغيرها كثير فى المكتبة الإسلامية التاريخية وماذا خسر العالم للندوى بصفة خاصة (والحضارة فى الميزان للجبرتى) .

الأخوة الإسلامية التى هى عماد المجتمع فى هذا العصر من عصور التاريخ العالمى الذى يحتمل فيه أن تتركز السيادة على العالم فى يد الشعوب التى تتكلم الإنجليزية فيما وراء البحار ؟ وتجاهر بالتعصب ضد الملونين ؟ وتأخذ بسياسة التفرقة العنصرية ؟!

على أن هذه الفضيلة الاجتماعية على جليل قدرها وسمو شأنها ليست هى لباب الإسلام،وهو ماكان يطيب للجبرتى أن يبينه لنا وإن كان قد اتفق أن يكون هو نفسه مثلا حيا لهذه الفضيلة التى يختص بها الإسلام فقد كان الجبرتى كما يدل على ذلك لقبه الرئيس الوراثى لإحدى تلك الأمم التى تنتظم فى سلك الجامعة الأزهرية كما كانت تنتظم فى جامعة السربون المعاصرة لها .

ومن كان أهل (جبرت) ؟ كانوا قوما من الجالا والصوماليين الذين يعيشون وراء الحبشة وهم قوم سمر الوجوه من سلالة حام يدينون بالإسلام ومن ذلك نرى أن هناك مواءمة موفقة سعيدة بين لقب صاحبنا واسمه فلقبه الجبرتى أى الأثيوبى واسمه الأول عبد الرحمن أى الذى يعبد الله ذا الرحمة،ومع ذلك فإن هذا العابد للإله الرحيم كان فى وسعه أن يقرر أنه لم يكن الحج سوى رمز للأُخُوّة التى تسمو على اختلاف الألوان والطبقات؛فإن هذه الوحدة بين المؤمنين الصادقين ليست هى الأخرى سوى مظهر عملى على ظهر الأرض للإيمان الحق بوحدانية الله؛فالتوحيد هو الهبة الخالقة التى قدمها الإسلام للإنسانية؛وليس فى وسعنا أن ننبذ هذه الهبة وراء ظهورنا(١) .

المرأة فى منهاج الإسلام :

وهانحن أولاء ــ ياأختاه ــ قد دلفنا إليك فى روضة الإسلام الفسيحة لِتَرَىْ مكانَكِ ــ وأنت صاحبة النصف منها ــ « فأنت على ثَغْرَة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قِبَلِكِ » أو كما قال ﷺ وأول مايطالعنا به الإسلام للمرأة مايلى :

١ ــ إبطال النظرة الجاهلية برمتها والتشنيع عليها والتنكر لها واجتثات آثارها من الناحيتين النفسية والعملية وإبطال كل ماترتب على ذلك فى أمور الزواج والطلاق والميراث والأمر باستقبال البنت والترحيب بها .. يقول الرسول الكريم

(١) توينبى الحضارة فى الميزان ترجمة أمين محمود الشريف ط الحلبى ص ٩٢ .

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن،وفى زواية فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة »(١) .

٢ ــ اعتبار مسئونيتها وتوجيه خطاب التكليف لها كالرجل سواء بسواء ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ والنفس تشمل الذكر والأنثى ﴿ **وأن ليس للانسان إلا ماسعى** ﴾ والإنسان يشمل الذكر والأنثى(٢) ، ﴿ **من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى**(٣) **ــ وهو مؤمن ــ فأولئك**(٤) **يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** ﴾ ومن هنا أوجب الإسلام عليها . كما أوجب على الرجل معرفة العقائد والعبادات والحلال والحرام ، فى المأكل والمشرب،وسائر التصرفات،ولا نعرف بينها وبين الرجل فارقاً دينيًّا فى التكليف وأهليته سوى أن التكليف يلحقها قبل الرجل وذلك لوصولها بطبيعتها إلى مناط التكليف وهو البلوغ قبل أن يصل الرجل إليه ، وصدق رسول الله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته »(٥) أو كما قال ﷺ أجل : رفع الإسلام عنها الإلزام ببعض التكاليف؛لا لأنها غير أهل،ولو فعلتها لم تقبل منها،ولم تثبت عليه لا ولكن أبيح لها تركها تخفيفاً عنها،وترخيصاً لها،وبعداً بها عن مزاحمة الرجال وتفريغاً لها لخدمة البيت الذى هو عماد المجتمع والإشراف عليه ورعاية الأبناء وذلك على سبيل المثال :كما فى الصلاة مع الحيض والنفاس وصلاة الجمعة والجهاد عند الأمان من مداهمة العدو لأرض الوطن على ماعرف من مبادىء الجهاد.ولو أنها حضرت الجمعة وصلاة الجماعة،أو دخلت الصفوف المحاربة؛لما كان عليها من حرج فى الدين عند أمن الفتنة(٥) إلا الصلاة مع الحيض والنفاس فإنها لاتجوز والصوم معها.إلا أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة .

٣ ــ مطالبتها بالعلم والعمل « طلب العلم فريضة على كل مسلم »(٦)

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه والترمذى واللفظ له .

(٢) من للعاقل من الرجال والنساء (*) وسيد القوم خادمهم .

(٣) على التحديد والتصنيف .

(٤) بتغليب الرجال وهذه لغة العرب كما فى القمرين والعمرين والأبوين .

(٥) كما سبق فى أول الباب .

(٦) الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ محمود شلتوت .

(٧) أى : ومسلمة .. رواه ابن ماجه رقم ٢٢٤ وله طرق تبلغ به رتبه الحسن ــ رضى الله عنهما ــ .

وقالت عائشة ــ رضى الله عنها:« رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه فى الدين » وقال المصطفى الكريم فى عائشة رضى الله عنها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أو كما قال ﷺ وقد طلب النساء من الرسول ﷺ أن يحدد لهن يوما للتفقه فى الدين فقلن له كما فى كتب السيرة (غلبنا عليك الرجال يارسول الله فاجعل لنا من نفسك يوما) فجعل لهن يوما ﷺ ولن يكون عمل صحيح إلا إذا انبنى على علم وفقه ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾ ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[١] وَوُعِدَتْ بحسن الجزاء كما مرّ آنفا وجاء تقرير ذلك فى معرض الهجرة والجهاد والابتلاء ليبين أنها قامت بدورها مع الرعيل الأول فى تلك الميادين من أول يوم فيقول سبحانه وتعالى ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب** ﴾ وليقف المتأمل عند التعبير الإلٓهى المحيط ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة وارتفع بها من وهدتها فى الجاهلية حتى جعلها بعضا من الرجل وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضا منها !!

وقد حفظ لنا تاريخ الدعوة الأولى وللأجيال دور خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها،وسمية أول شهيدة فى الإسلام زوج ياسر،وأم عمار بن ياسر،وأسماء ذات النطاقين،ونسيبة بنت كعب التى قال لها رسول الله ﷺ فى أحد:« ومن يطيق ماتطيقين ياأم عمارة ؟ » رضى الله عنهن .

وسجل القرآن بيعة النساء وقصة المهاجرات[٢] وخروجهن للغزو والجهاد قال البخارى ــ رحمه الله ــ (باب خروج الغزاة فى سبيل الله) وروى عن إحدى الصحابيات الجليلات قالت (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم

---

(١) يجب أن يكون المسلم على علم بكتاب الله ولو قراءة وترتيلا والوقوف على الآيات المطلوبة ومعرفة أماكنها من السور عند الحاجة ــ باستعمال المعجم المفهرس ــ لذلك تركت توضيح أماكن الآيات التى أسوقها ليصل إليها القارىء بنفسه فينال الخير والثواب ــ كما قدمت فى أول الكتاب ، فأرجو المعذرة ، واتباع ذلك .

(٢) كما سبق فى أول الباب .

ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة ..) .

٤ ــ احترام رأيها واعتباره فيمن يتقدم لزواجها وسيأتى ذلك إن شاء الله عند الحديث فى باب (نماذج من المجتمع المثالى فى ظلال الإسلام) .

٥ ــ مسئوليتها العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،والإرشاد إلى الفضائل،والتحذير من الرذائل .. وهذا من معنى الولاية التى تمت بمقتضى عقد الإيمان الذى يحتم النصرة والتآزر والتعاون والتناصح **﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾**(١) ولقد صرح القرآن الكريم بمسئوليتها صنو الرجل فقرن بينها وبين الرجل فى تلك المسئولية كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف عن الواجب واجب الإيمان والإخلاص لله عز وجل ثم للمسلمين يقول الله تبارك وتعالى **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾** .

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار(٢) **نار جهنم خالدين**(٣) **فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴾ ﴿ يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم**(٤) **من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء**(٥) **من نساء عسى أن يكن خيراً منهن .. ﴾** .

ويقول الرسول الكريم ﷺ « الدين النصيحة » قالوا لمن يارسول الله ؟ « قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » ويعلق المرحوم الشيخ محمود شلتوت على ذلك فيقول (إن مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لهى أكبر مسئولية فى نظر الإسلام وقد سوى الإسلام فيها بصريح هذه الآيات بين

---

(١) والأمر يشمل الرجل والمرأة .
(٢) أى والكافرات .
(٣) يشمل الذكر والأنثى .
(٤) القوم الرجال والنساء .
(٥) خصهن من باب ذكر الخاص بعد العام بلاغة للتأكيد .

الرجل والمرأة)[1] .

إذن .. فليس من الإسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،اعتمادا على ظن أو وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الإسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليها أو أنها ذات طابع لايسمح لها أن تقوم بهذا الواجب فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها .. والحياة لاتستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم فليعلم ذلك نساؤنا وليفقهن حكم الله فيهن .

٦ ــ وقد أمضى رسول الله ﷺ أمان أم هانىء وقال:« أجرنا من أجرت ياأم هانىء » وأبدت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها رأيها فى استخلاف أبيها للصلاة وأشارت أم سلمة على رسول الله فى الحديبية بأن يتحلل من إحرامه فيتبعه المسلمون .. وقد كان ..

فتابعوا على بكرة أبيهم[2] ونصحت المرأة عمر رضى الله عنه وهو على المنبر يخطب ويقول (ألا لاتغالوا فى مهور النساء) وقالت أيعطينا الله وتحرمنا أنت ؟ فقال وكيف ذلك ياأخت الإسلام ؟ فقالت يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا**[3] **فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا** ﴾ فقال عمر رضى الله عنه قولته المشهورة (أصابت امرأة وأخطأ عمر) .

وسأوافيك بطرف من ذلك غير قليل إن شاء الله كما وعدت

٧ ــ أهليتها فى التصرف ــ ماليا وتجاريا ــ واحترام ملكيتها فلا يحق لأى إنسان بعد رشدها أن يأخذ من مالها أو يجبرها على التصرف فيه بغير رضاها يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وآتوا النساء صَدُقَاتهن**[4] **نِحلة فإن طبن لكم عن شىء**

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت .

(٢) الصواب على لاعن كما جاء فى المثل فى كتاب (الميدانى مجمع الأمثال) والبكرة الناقة (جاءوا على بكرة أبيهم : أى أرسلهم القاتل على ناقة أبيهم) .

(٣) نكرة وهى عامة فى جميع أفراد جنس القنطار فضه ذهب . إلخ .

(٤) مهورهن .

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ .

٨ ــ إكرامها ــ بنتا ــ بتربيتها وتعليمها ــ كما مر آنفا ــ ثم تكريمها ــ زوجة ــ فأوصى بها ــ « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » تكريمها ــ أما .. إلخ . كما سيأتى مفصلا عن ذكر دور كل واحدة فى الإسلام .

هذا هو الإطار الفاضل الذى وضعت فيه المرأة والذى جاء منسجما مع الفطرة ومع النظرة الإسلامية الشاملة لأهمية دورها فى الحياة وفى بناء المجتمع الإسلامى ومشاركتها الفعالة فى صنعه وقد تم ذلك عمليا خلال الفترات الحيّة الوضيئة(١) فى تاريخ الإسلام وبهذا يحق لنا أن نقول : إن الإسلام هو المنهج الوحيد الفذ الذى أنصفها وأنزلها المنزلة اللائقة بها ووضعها موضع العدل والقسطاس الذى تحقق به رسالتها ووجودها دون إفراط أو تفريط لأنه منهج الله لحركة الحياة .. حقا « إنما النساء شقائق الرجال »(٢) .

٩ ــ نظم حقوق الزوجين وجعل لها حقوقا كحقوق الرجل مع رياسة الرجل لشئون البيت وهى رياسة غير مستبدة ولا ظالمة(٣) **﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾** .

١٠ ــ نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده فى أمره فجعل له حدا لايتجاوزه وهو الثلاث ولم يكن له عند العرب حد يقف عنده وجعل لإيقاعه وقتا (فى طهر لم يجامعها فيه وطلقة رجعية واحدة .. إلخ) . ولآثاره عِدة تتيح العودة إلى الصفاء والوئام .. إلخ .

مما قد نتعرض له فى ثنايا حديثنا ؛ إذ مايهمنا هنا هو رسالة المرأة ولهذه الأمور أبوابها فى كتب الفقه وهى ثرية ــ بحمد الله ــ .

١١ ــ حد من تعدد الزوجات فجعله أربعا وكان فى الجاهلية لاحدود له

---

(١) راجع كتاب (صفحات مضيئة من تراث الإسلام) لأنور الجندى ط دار الاعتصام .
(٢) رواه أبو داود واحمد والترمذى وغيرهم .
(٣) راجع كتاب المرأة بين الفقه والقانون د . مصطفى السباعى رحمه الله ط ٣ المكتب الإسلامى .

وبشروط قاسية ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ..** ﴾ .

١٢ ــ جعلها تحت البلوغ تحت وصاية أوليائها وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية وتأديب وعناية ــ كما أسلفنا ــ وعناية بشئونها وتنمية لأموالها لا ولاية تملك واستبداد وعضل وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية كما قدمنا .. والنتيجة ؟ كما ألمحنا سلفا .

من هذه المبادىء نعلم أن الإسلام أحل المرأة المكانة اللائقة بها فى ثلاثة مجالات رئيسية :

١ ــ المجال الإنسانى :

فاعترف بإنسانيتها كاملة .. كالرجل .. وهذا ماكان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتمدنة سابقا .

٢ ــ المجال الاجتماعى :

فقد فتح أمامها مجال التعلم وأسبغ عليها مكانا اجتماعيا كريما فى مختلف مراحل حياتها ــ منذ طفولتها حتى نهاية حياتها ــ بل جعل الجنة تحت أقدامها ، حيث قال ﷺ : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

٣ ــ المجال الحقوقى :

فقد أعطاها الأهلية المالية الكاملة فى جميع التصرفات حين سن الرشد ، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج أو رب أسرة وقصة الفتاة التى ذهبت إلى رسول الله ﷺ ليست بغريبة وهى تقول : يارسول الله إن أبى يريد أن يزوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وإنى عنه(١) راغبة فقال لها المعلم العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم « زَوِّجى نفسكِ(٢) » فقالت يارسول الله إنى قد أجزت ماصنع أبى ولكنى أردت أن أعلم النساء مالهن من حقوق . ياالله . أين تعلمت هذه الفتاة ؟ أفى مدرسة ؟ أفى جامعة ؟ أفى أكاديمية علمية ؟ إنها تعلمت

---

(١) لا أرغب فيه .

(٢) فقد كانت بالغة مكلفة .

فى مدرسة محمد ﷺ .

وجعل لها حق فسخ عقد النكاح إذا زوجها وليها صغيرة فإذا بلغت المحيض كان لها هذا الحق وهناك بعض الفروق الفردية تبعا لرسالة كل منهما نذكرها سراعا من باب الرد على الشبهات التى تثار حول الإسلام من الكفار والملاحدة والعلمانيين والمستشرقين والمبشرين أو من بعض المغفلين من مثقفى أمتنا الإسلامية ــ مع الأسف ــ فنقول وبالله التوفيق(١)

الفروق الفردية بين الذكر والأنثى :

ومع ماذكرنا من حقوقها ومنزلتها فإننا نجد الإسلام قد فرق بين الرجل والمرأة فى بعض المجالات ذكرنا طرفا منها ومن المؤكد أن هذا التفريق لاعلاقة له بالمساواة بينهما فى الإنسانية والكرامة والأهلية بعد أن قررها الإسلام لها على قدم المساواه مع الرجل بل لضرورات اجتماعية واقتصادية ونفسية وَجِبلّية اقتضت ذلك وإليكِ البيان .

١ ــ فى الشهادة :

جعل الإسلام الشهادة التى تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين ، أو رجل وامرأتين ، وذلك قول الله تعالى فى آية المداينة ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** ﴾ ثم بين سبحانه العلة فقال ﴿ **أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** .. ﴾ .

ومن الواضح البيّن أن هذا التفاوت هنا ليس مصدره الإنسانية أو الكرامة أو الأهلية فما دامت المرأة إنسانا ــ كالرجل ــ ذات أهلية كاملة لتحمل الالتزامات المالية ــ كالرجل ــ لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد إلا لأمر خارج عن هذا النطاق وذلك تفسير المولى ــ عزوجل ــ ﴿ **أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾ .. أى مخافة أن تضل إحداهما فإذا لاحظنا أن الإسلام مع إباحته للمرأة التصرفات المالية يعتبر رسالتها الاجتماعية هى التوفر على شئون الأسرة وهذا مايقتضيها لزوم بيتها فى غالب الأحيان وخاصة فى أوقات البيع والشراء

(١) راجع كتاب شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب ومفتريات على الإسلام للشيخ أحمد محمد جمال والإسلام المفترى عليه للشيخ محمد الغزالى .

أدركنا أن شهادة المرأة فى حق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لايقع إلا نادرا وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تَذَكُّرِه حين مشاهدته فإنها تمر به عابرة لاتلقى له بالا فإذا جيء للشهادة بها أمام القاضى كان احتمال نسيانها أو خطئها ووهمها محقق .. فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ماتشهد به زال احتمال النسيان والخطأ والوهم . والحقوق لابد من التثبت فيها وعلى القاضى أن يبذل غاية جهده لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

هذا هو كل مافى الأمر والا فلماذا تقبل شهادتها هى وحدها فقط فيما يخص النساء (كالطمث) [العادة الشهرية] مثلا أو الحمل أو عدمه أو البكارة وما شاكل ذلك إلا إذا انعدمت الخبرة بذلك ووجد الطبيب المسلم الحاذق المختص (فالضرورات تبيح المحظورات) ثم لماذا لايرضع الرجل ولا يفطم .. إلخ . ولهذا المعنى نفسه ذهب بعض العلماء إلى أن شهادة النساء لاتقبل فى الجنايات وليس ذلك إلا لما ذكرناه آنفا فقلما أن تحضر مجالس الخصومات أو تسيغ طبيعتها البقاء إلى أن تشهد جريمة القتل بعينها وتظل رابطة الجأش ساكنة النفس بل الغالب أنها إذا لم تستطع الفرار كان منها أن تغمض عينيها وتولول وتصرخ وتستغيث بل قد يغمى عليها فكيف يمكنها بعد ذلك أن تتمكن من أداء الشهادة فتصف الجريمة والمجرمين والأداة المستعملة فى الجريمة وكيفية وقوعها ؟(١) ..

ومن المسلم به أن الحدود تدرأ بالشبهات وشهادتها فى القتل وأشباهه تحيطها الشبهة شبهة عدم إمكان تثبتها من وصف الجريمة ، لحالتها النفسية عند وقوعها .

ويؤكد مراعاة هذا المعنى فى الاحتياط لشهادتها فيما ليس من شأنها أن تحضره غالبا أن الشريعة قبلت شهادتها وحدها فيما لايطلع عليه غيرها أو ماتطلع عليه دون الرجال غالبا .. من البكارة والثيوبة والعيوب الجنسية لدى المرأة وهذا حين كان لايتولى توليد النساء وتطبيبهن والاطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء فى العصور الماضية .

فليست المسألة مسألة كرامة إذن أو إهانة أو أهلية أو عدمها وإنما هى مسألة تثبت فى الأحكام واحتياط فى القضاء بها وهذا مايحرص عليه كل تشريع عادل .

---

(١) وصدق ماقيل فيها : « نصرها بكاء وبرُها سرقة » .

وبهذا نعلم ونتأكد أنه لامعنى للشغب والتشنيع على الإسلام وإثارة الشبهات حوله فى هذه القضية واتخاذها سلاحا للدعاية ضده بأنه انتقص المرأة المسلمة حقها وعاملها دون الرجل كرامة ومكانة فتلك قضية من أسلحة الدعاية ضد الإسلام مرفوضة شكلا وموضوعا ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** .. ﴾ .

٢ ــ فى الميراث :

أثبت الإسلام تقديره للمرأة ورعايته لحقوقها بإعطائها حق الميراث خلافا لما كان عليه عرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة والحديثة الآن كالإنجليز وكثير من شعوب الحضارة الحديثة حتى إنها لاتحمل اسم أبيها بل يقال فلانه كذا باسم زوجها حتى سرت العدوى إلى المسلمين تمدنا وجهالة (كما كنا نسمع صفية زغلول وزينب النحاس و ... و ... وكما نسمع الآن فى شتى أنحاء العالم الإسلامى علما بأن نصيبها فى الميراث يختلف باختلاف حالتها .

أ ــ بين أن يكون نصيبها مثل نصيب الذكر كما فى الأخوات لأم فلكل واحد منهما السدس إذا انفرد كل منهما وإذا كانوا ذكورا وإناثاً فإنهم شركاء فى الثلث للذكر مثل حظ الأنثى .

ب ــ وبين أن يكون نصيبها مثله أو أقل منه كما فى الأم مع الأب إذا كان للبنت أولاد فإن ترك معها ذكورا وإناثاً كان لكل من الأب والأم السدس وإن ترك معهما إناثا فقط كان لكل منهما السدس ويرد الباقى من التركة على الأب بعد أخذ السهام فمن مات عن بنت وزوجة وأم وأب كان للبنت النصف وهو (١٢ من ٢٤) وللزوجة الثمن وهو (٣) وللأم السدس وهو (٤) مع أن الزوجة امرأة والأم امرأة وللأب السدس وهو (٤) ثم الباقى ١ فيصير له (٥) .

جـ ــ وبين أن تأخذ نصف مايأخذه الذكر وهذا هو الأعم الأغلب بل هو القاعدة العامة إلا ماذكرناه وقد تذهب النساء بالميراث كله إذا لم يكن للميت إلا أخوات وبنات من صلبه فيتقاسمن الميراث كله بالسوية على الرءوس (اجعلوا الأخوات مع البنات عَصَبَة) ولا يأخذ الذكور مثل أولاد العم وغيرهم من ذوى الأرحام . أما هذه الحالة فتختفى من الشبهات ولا تثار وإنما الذى يثار هو بعض

الحالات على سبيل الجهالة أو المغالطة .

فهل هذا لنقص فى إنسانيتها فى نظر الإسلام ؟ أم لنقص فى مكانتها وكرامتها ؟ حاشا لله ليس فى الأمر شيء من هذا فمن المستحيل أن ينقص الإسلام فى ناحية مابناه فى ناحية أخرى ، وأن يضع مبدأ ثم يضع أحكاما تخالفه ولكن الأمر يتعلق بالعدالة فى توزيع الأعباء والواجبات على قاعدة (الغُنْم بالغُرْم) .

ففى نظام الإسلام العادل يلزم الرجل بأعباء وواجبات مالية لاتلزم بمثلها المرأة فهو الذى يدفع المهر ، وليس من حقه أو من حق أحد أخذ شيء منه دون طيب نفس كما قدمنا وينفق على أثاث بيت الزوجية وعلى الزوجة والأولاد .

أما المرأة فهى تأخذ المهر ولا تسهم بشيء فى نفقات البيت على نفسها ولا على أولادها ، — ولو كانت غنية — ومن هنا كان من العدالة أن يكون نصيبها فى الميراث أقل من نصيب الرجل وقد كان الإسلام معها كريما متسامحا حين طرح عنها كل الأعباء تلك وألقاها على كاهل الرجل ثم أعطاها نصف مايأخذ تكرما وتفضلا فهل من مُدَّكر ؟ وصدق العليم الخبير ﴿ **فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾(١) الشقاء لآدم فقط .

لنفرض أن رجلا مات عن ابن وبنت وترك لهما مالا فماذا يكون مصير هذا المال غالبا بعد أمد قليل ؟ إنه بالنسبة للبنت سيزيد ولا ينقص يزيد المهر الذى تأخذه من زوجها حين تتزوج ويزيد حين تنميه بالتجارة لا أن تضعه بالربا فى بنك ربوى أما بالنسبة إلى أخيها الذكر فإنه ينقص منه المهر ونفقات العرس وأثاث البيت وقد يذهب كل مالديه (فى خلو شقة) ثم عليه دائما أن ينفق على نفسه وزوجه وأولاده أما المرأة فينفق عليها زوجها أو أبوها بنتا أو أخوها .

أفلا ترون معى أن ماتأخذه البنت من تركة أبيها يبقى مدخرا مع الأيام للنكبات وفقد المعيل من حليل أو أب أو أخ أو قريب ؟ بينما يكون مايأخذه الولد معرضا للاستهلاك لمواجهة أعبائه المالية التى لابد له من القيام بها ؟!! .

لقد وجه العلامة العظيم الدكتور مصطفى السباعى — رحمه الله — هذا السؤال إلى طلابه فى كلية الحقوق وفيهم فتيات وفتيان وأردفه بسؤال آخر هل

---

(١) ولم يقل عز وجل فتشقيا : أى أن الشقاء (وهو الكدح) للرجل دون المرأة ولهذا كانت القوامة كما أسلفنا .

ترون معى أن الإسلام ظَلَم المرأة فى الميراث ؟ أو انتقصها حقها ؟ أو نقص من كرامتها ؟

أما الطلاب فقد جاءوا بلسان واحد .. لقد حابى القرآن المرأة على حسابنا ـــ نحن الرجال ـــ وأما الفتيات فقد سكتن ومنهن من اعترفن بأن الإسلام كان منصفا كل الإنصاف حين أعطى الأنثى نصف الرجل .

إن الشرائع التى تعطى المرأة فى الميراث مثل نصيب الرجل ألزمتها بأعباء مثل أعبائه بل وبعض الدول تجعل المرأة هى التى تدفع (الدوطة) أى المهر ـــ وواجبات مالية مثل واجباته لاجرم أن كان إعطاؤها مثل نصيبه فى الميراث فى هذهِ الحالة أمراً منطقياً معقولا أما أن تعفى المرأة من كل عبء مالى .. حتى فى دية القتل الخطأ أو شبه العمد فتكون الدية على العاقلة فى الإسلام والعاقلة هم عصبات الرجل الذكور دون الإناث لهذا الحد .. ثم نعطيها مثل نصيبه فى الميراث فهذا مما لايقوله عاقل وليس مقبولا فى شريعة العدالة السمحة فليفهم .

وقد يقال فلم لا تلزم الشريعة الإسلامية المرأة بالعمل وتكلفها من الأعباء مثله ؟ وجوابنا على هذا سنسمعه فى آخر هذه الأبحاث بل هو سيفهم من تلقاء نفسه لأنه يطرح نفسه ، حين يستبين الحق وتعلم المرأة المسلمة رسالتها وتفقهها على الوجه الأكمل .. فهل من مصلحة الأسرة والمجتمع أن تكلف المرأة العمل ، لتنفق على نفسها ؟ أو تسهم فى الإنفاق على نفسها والإنفاق على أولادها ؟ أم أن تتفرغ لشئون بيتها وتربية أولادها ؟ وحسبنا أن نقول الآن إنه لامجال للمطالبة بمساواة المرأة مع الرجل فى الميراث إلا بعد مطالبتها بمساواته فى الأعباء والواجبات إنها فلسفة متكاملة فلابد من الأخذ بها كلها أو تركها كلها(١) .

أما نحن كمسلمين فنرى أن فلسفة الإسلام فى ذلك أصلح وأبقى وأنفع وأكثر منطقية وأحرص على مصلحة الأسرة والمجتمع بل والمرأة ذاتها وفى تجارب الحضارة الحديثة مايؤيد وجهة نظر الإسلام .. لمن أراد الحق خالصا من الأهواء والرغبات العاطفية والعداوة المتأصلة للإسلام وقبل أن أنتقل عن بحث هذا الموضوع أرى من المفيد أن أتعرض هنا لفائدتين تاريخيتين .

---

(١) راجع موضوع خذوا الإسلام جملة أو دعوه فى كتاب (دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب) .

الأولـــــى :

أن نصارى جبل لبنان فى عهد الحكم العثمانى ــ كان من أسباب نقمتهم عليه أنه أراد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عليهم فيما يتعلق بالميراث فقد غضبوا لأن الشريعة تعطى البنت نصيبا فى الميراث يعادل نصف نصيب أخيها ــ وليس من عادتهم توريثها ، لأن ماتأخذه من المال يذهب إلى زوجها ــ وقد ذكر هذا الأب بولس سعد فى مقدمة كتابه « مختصر الشريعة » للمطران (عبدالله قراعى) .. وإليكم نص عبارته(١) .

« جاء فى الرسالة التى أنفذها البطريرك » « يوسف حبيش » إلى رئيس مجمع نشر الإيمان المقدس فى ٢٩ إبريل سنة ١٨٤٠ م مايلى » .

(وأما الآن فمن حيث إن القضاة أخذوا (يمشواكلش) أى (كل شيء) فى الجبل على موجب الشرائع الإسلامية فصار عمال(٢) يقع فى السجن ، والاضطهاد من هذا التغيير بالأخص من جهة تدريب البنات لأن الشرائع الإسلامية تحدد أن كل بنتين ترثان بقدر مايرث صبى واحد ، ومن هناوقعت خصومات ومنازعات وشرور متفاقمة واضطرابات من حيث إن العادة السابقة كانت سالكه ــ فى هذا الجبل ــ عند الجمهور ــ أغنياء وفقراء ــ بأن الابنة ليس لها إلا جهاز معلوم بقيمة المثل من والديها ، إلا إذا هم أوصوا لها بشيء مخصوص .. ومن سلوك القضاة الآن بخلاف ذلك صار الوالدين (هكذا عبارته) والصحيح صار الوالدان ــ فى اختباط حال جسيمة مضر بالنفس والأجساد من حيث إن الآباء لايرتضوا (يرتضون) بتوريث بناتهم حسب وضع الشريعة الإسلامية حذرا من تبذير أرزاقهم وخراب بيوتهم ولذلك فيحتالون بأيام حياتهم أن يعطوا أرزاقهم لأولادهم الذكور بضروب الهبة والتمليك ليمنعوا عنهم دعوى البنات بعد موتهم) .

(ثم يقول البطريرك المذكور ــ بعد أن شرح مالحق الآباء من الضرر فى هبة أموالهم لأولادهم الذكور ومن حيث إن الشرور الناتجة عن هذا النوع هى أثقل

---

(١) نقلا عن كتاب : المرأة بين الفقه والقانون .. للدكتور / مصطفى السباعى ــ رحمه الله .

(٢) باللهجة الدارجة اللبنانية (عمال : أى يتوالى ويحدث كثيرا ــ كاللهجة المصرية) .

من باق الأنواع — كما لخصناه أعلاه — فمستبين لنا ضروريا أن تسعى بترجيع توريث البنات للعادة السالفة ، نعنى أنهن لايرثن على الذكور بل لهن الجهاز بقيمه المثل كما ذكرنا أعلاه . ليحصل الهدوء وبذلك تنقطع أسباب الشرور .. إلخ . ا هـ .. ص ٢٥) انتهى كلامه وهو كما نرى يتخبط كذلك فى اللغة .

الثانيــــــة :

إن البلاد الإسكندنافية لايزال بعضها حتى الآن يميز الذكر على الأنثى فى الميراث ، فيعطيه أكثر منها — برغم تساويهما فى الواجبات والأعباء المالية(١) .

٣ — ديــة المرأة :

جعلت الشريعة دية المرأة التى قتلت خطأ أو التى لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص لعدم استيفاء شروطه ، بما يعادل نصف دية الرجل . وقد يبدو هذا غريبا — بعد أن قرر الإسلام مساواتها بالرجل — فى الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية .

غير أن الأمر لا علاقة له بهذه المبادىء وإنما هو ذو علاقة وثيقة بالضرر الذى ينشأ للأسرة عن مقتل كل من الرجل والمرأة .

إن القتل العمد يوجب القصاص من القاتل — سواء أكان القاتل رجلا أم امرأة — .

وهذا لأننا فى القصاص نريد أن نقتص من إنسان لإنسان . والرجل والمرأة متساويان فى الإنسانية . ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين** ﴾ الآيـــة .

أما فى القتل الخطأ وما أشبه ذلك ، فليس أمامنا إلا التعويض المالى والعقوبة بالسجن أو نحوه والتعويض المالى يجب أن تراعى فيه — كما هو من مبادئه المقررة — الخسارة المالية — قلة أو كثرة — فهل خسارة الأسرة والمجتمع بالرجل كخسارتها بالمرأة ؟(٢) .

---

(١) الزواج لزهدى يكن ٩٣ .

(٢) انظر كتاب التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالتشريع الوضعى للشهيد عبد القادر عودة — رحمه الله — .

إن الأولاد الذين قتل أبوهم خطأ أو الزوجة التى قتل زوجها خطأ فقد فقدوا عائلهم الذى كان يقوم بالإنفاق عليهم والسعى فى سبيل معاشهم .. أما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأ والزوج الذى قتلت زوجته خطأ فهم لم يفقدوا فيها إلا ناحية معنوية لايمكن أن يكون المال تعويضا عنها — بحال — .

إن الدية ليست تقديرا لقيمة الإنسانية ، فى القتل ، وإنما هى تقدير لقيمة الخسارة المادية التى لحقت الأسرة بفقده وهذا هو الأساس الذى لايمارى فيه أحد ..

ومما يؤكد هذا المعنى أن قوانيننا الحاضرة جعلت للدية حدا أعلى .. وحدًّا أدنى وتركت للقاضى تقدير الدية بمالا يقل عن الأدنى ولا يزيد عن الأعلى إلا لتفسح المجال لتقدير الأضرار التى لحقت بالأسرة من خسارتها بالقتل ، وهى تتفاوت بين كثير من الناس ممن يعملون ويكدحون فكيف لاتتفاوت بين من يعمل وينفق على أسرته وبين من لايعمل ولا يكلف بالإنفاق على أحد بل كان ممن ينفق عليه .

وأعود فأقول : إن ذلك مرتبط أيضا بـفـقـه الإسلام فى عدم تكليف المرأة الكسب والإنفاق على نفسها وعلى أولادها ؛ رعاية لمصلحة الأسرة والمجتمع .. أما فى المجتمعات التى تقوم فلسفتها على عدم إعفاء المرأة من العمل لتعول نفسها وتسهم فى الإنفاق على بيتها وأطفالها ، فإن من العدالة — حينئذ — أن تكون ديتها — إذا قتلت خطأ — معادلة على العموم لدية الرجل القتيل .. ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب الفقه ؛ ففيها الغناء فى هذا الباب ..

٤ — رياسة الدولة :

يحتم الإسلام أن تكون رياسة الدولة العليا للرجل وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ « ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وهذا النص يقتصر المراد من الولاية فيه على الولاية العامة العليا لأنه ورد حين أبلغ الرسول ﷺ أن الفرس ولوا للرياسة عليهم إحدى بنات كسرى بعد موته . ولأن الولاية — بإطلاقها — ليست ممنوعة بالإجماع .. بدليل اتفاق الفقهاء قاطبة على جواز أن تكون المرأة وصية على الصغار وناقصى الأهلية وأن تكون وكيلة لأية جماعة من الناس فى تصريف أمورهم وأموالهم وإدارة مزارعهم ، وأن تكون شاهدة — والشهادة ولاية كما نص

الفقهاء على ذلك ، ولأن أبا حنيفة ــ رحمه الله ــ يجيز أن تتولى القضاء فى بعض الحالات والقضاء ــ ولاية ــ « كلكم راع وكلكم مسئؤل عن رعيته » .

فنص الحديث ــ كما نفهمه ــ صريح فى منع المرأة من رياسة الدولة العليا ــ ويلحق بها ماكان بمعناها فى خطورة المسئولية .

أما توليها غير تلك الوظائف التى فى مجالها ــ كالتدريس للبنات . وتطبيبهن وتوليدهن وتزيينهن وحياكة ملابسهن و ... و ... و ... إلخ . مما هو من خصائص المرأة ولا يصح أن يمارسه الرجال معهن ــ إلا للضرورة ــ فهذا جائز فى الإسلام ، ويرجع إلى كتب الفقه(١) للتزود من المعلومات . وذلك أيضا ليس له علاقة بموقف الإسلام من إنسانية المرأة وكرامتها ... وأهليتها وإنما هو وثيق الصلة بمصلحة الأمة ، وبحالة المرأة النفسية .. وطبيعتها الأنثوية .. ورسالتها الاجتماعية .. إن رئيس الدولة فى الإسلام ليس صورة رمزية للزينة والتوقيع .. وإنما هو قائد المجتمع ورأسه المفكر ووجهه البارز ولسانه الناطق وله صلاحيات واسعة خطيرة الآثار والنتائج .

فهو الذى يعلن الحرب على الأعداء ويقود جيش الأمة فى ميادين الكفاح ويقرر السلم والمهادنة إن كانت المصلحة فيها أو الحرب والاستمرار فيها ــ إن كانت المصلحة تقتضيها ــ وطبيعى أنم يكون ذلك كله بعد استشارة أهل الحل والعقد والرأى فى الأمة عملا بقوله تعالى : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ ولكنه هو الذى يعلن قرارهم .فيصحح مااختلفوا فيه عملا بقوله تعالى بعد ذلك ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ ورئيس الدولة فى الإسلام يتولى خطبة الجمعة فى المسجد الجامع ــ وولاته على الأقاليم فى أقاليمهم ــ وإمامة الناس فى الصلوات ــ والقضاء بين الناس فى الخصومات ومن يوليهم من القضاء ــ إذا اتسع وقته لذلك ــ ومما لاينكر أن هذه الوظائف الخطيرة لاتتفق مع تكوين المرأة النفسى والعاطفى والجسدى ــ وبخاصة فيما يتعلق بالحروب وقيادة الجيوش ــ فإن ذلك يقتضى قوة الأعصاب وتغلب العقل على العاطفة والشجاعة فى خوض المعامع ورؤية الدماء ، مما نحمد الله على أن المرأة ليست كذلك وإلا فقدت الحياة أجمل

---

(١) راجع كتاب : المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم / د . مصطفى السباعى وكتاب شبهات حول الإسلام للأستاذ محمد قطب وفقه السنة للشيخ سيد سابق .

مافيها من رحمة ووداعة وحنان .

وكل مايقال غير هذا لايخلو من مكابرة بالأمر المحسوس ، وإذا وجدنا فى التاريخ نساء قدن الجيوش وخضن المعارك فإنهن من الندرة والقلة بجانب الرجال مما لايصح أن يتناسى معه طبيعة الجمهرة الغالبة من النساء فى عصور التاريخ ، وجميع الشعوب .

ونحن الآن لم نرفى أكثر الدول تطرفا فى دفع المرأة إلى كل ميادين الحياة من رضيت أن تتولى امرأة من نسائها . وزارة الدفاع .. أو رياسة الأركان العامة لجيوشها ، أو قيادة فيلق من فيالقها ، أو قطع حربية من قطعها وليس ذلك مما يضير المرأة فى شيء ، فالحياة كلها لاتقوم على نمط واحد من العبوس والقسوة والغلظة — ولو كانت كذلك لكانت جحيما لايطاق — ومن رحمة الله علينا وعلى الناس أن مزج قوة الرجل بحنان المرأة وقسوته برحمتها وخشونته برقتها وشدته بليونتها .. وفى حنانها وأنوثتها سر بقائها وسر سعادتها وسعادتنا .

أما خطبة الجمعة والإمامة فى الصلاة فلا ينكر أن العبادة فى الديانات — وبخاصة فى الإسلام — تقوم على الخشوع وخلو الذهن من كل مايشغله وصفاء النفس وخلوها من الشهوة .. وليس مما يتفق والواقع مع ذلك أن تعظ الرجال امرأة أو تؤمهم فى الصلاة .. فليدرك .

على أن السبب الحقيقى — فى رأينا — ليس هو الخطبة والإمامة ولا حل المشكلات ، وإنما هو ماتقتضيه رياسة الدولة من رباطة الجأش وتغليب المصلحة على العاطفة والتفرغ التام لمعالجة قضايا الدولة وهذا مما تنأى عنه طبيعة المرأة ورسالتها — فى سياسة البيت ومملكته — والله سبحانه — أعلم بخلقه ، وبمقتضى علمه وحكمته يحل الحلال ويحرم الحرام ﴿**والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب**﴾ ﴿**والله يعلم المفسد من المصلح ..**﴾ .

الخلاصـــــة :

والخلاصة أن الإسلام — بعد أن أعلن موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها — نظر إلى طبيعتها وتركيبها ونفسيتها وما تصلح له من أعباء الحياة فأبعدها عن كل مايناقض تلك الجبلة والخلقة والطبيعة إذ يحول ذلك من أداء

رسالتها كاملة فى المجتمع ؛ ولهذا اختصها ببعض الأحكام زيادة عن الرجل أو نقصانا — حسب علمه — ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟** ﴾ .

كما أسقط عنها — لذات الغرض نفسه — بعض الواجبات الدينية والاجتماعية — كصلاة الجمعة ووجوب الإحرام فى الحج — كالرجل — والجهاد — إلا فى حالات تقتضيها وفى غير أوقات النفير العام — وغير ذلك .. وليس فى هذا مايتنافى مع مبدأ المساواة بالرجل فى الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية .. ولا تزال القوانين والشرائع فى كل عصر وفى كل أمة تخص بعض الناس ببعض الأحكام ؛ لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص والتخصص دون أن يفهم منه أى مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين فى الأهلية والكرامة إلا مراعاة الفروق الفردية والخصائص النفسية . كما أسلفنا — فليفهم جيدا .

حقائق يجب أن تذكر :

من هذا الاستعراض السريع الشامل لموقف الإسلام ، من المرأة ، ومبادئه العامة التى أعلنها — فى كل مايتعلق بحقوق المرأة وكرامتها نستطيع أن نستخلص الحقائق التالية :

أولاً :

إن موقف الإسلام من المرأة كان ثورة على المعتقدات والآراء السائدة فى عصره وقبل عصره ومن بعده .. إلى يوم القيامة — من حيث الشك بإنسانيتها .

ثانيـــاً :

إنه كان ثورة على المعتقدات السائدة قديما — ولا تزال سائدة — عند أتباع بعض الديانات والطوائف الشرقية من أنها غير جديرة بتلقى الدين أو دخول الجنة مع زمرة المؤمنين الصالحين .

ثالثـــاً :

إنه كان تقدما فكريا إنسانيا عادلا قبل الحضارة الغربية الحديثة باثنى عشر قرنا — على الأقل — فى الاعتراف بأهلية المرأة — كاملة غير منقوصة — وحسبنا أن نعلم أن أسباب الحجر فى التشريع الإسلامى هى : (الصغر والجنون) بينما هى

فى القانون الرومانى والفرنسى فى عام ١٩٣٨ م . ثلاثة .. (الصغر والجنون والأنوثة) ولما عدل القانون الفرنسى فى عام ١٩٣٨ لرفع القيود عن أهلية المرأة بقيت أهليتها مقيدة بقيود قانونية وقيود ناشئة عن نظام الأموال المشتركة بين الزوجين .

فمن القيود القانونية عدم جواز ممارسة المرأة الفرنسية إحدى المهن .. بدون إجازة من زوجها ، ومن القيود المنبثقة عن نظام الاشتراك فى الأموال أن المرأة الفرنسية المتزوجة لايمكنها أن تتصرف فى أموالها الخاصة ، ويجب عليها أن تحتفظ بحق الانتفاع للزوج ولا يمكنها أن تتصرف بالرقبة .. إلا بالإجازة من الزوج وإذن المحكمة وحده لايكفى[1] .. وإذا قورنت هذه القيود ــ على أهلية المرأة الفرنسية ــ بالأهلية الكاملة التى تتمتع بها المرأة المسلمة منذ أربعة عشر قرنا والتى لاتعرف لقيود المرأة الفرنسية المعاصرة لأدركنا أى سبق حققه الإسلام فى ميدان التشريع الإنسانى بالنسبة لحقوق المرأة وأهليتها ولأدركنا بذلك مغزى مايشعر به المشرعون الفرنسيون من ألم بسبب نقصان أهلية المرأة الفرنسية حتى الآن ، حتى قال وزير العدلية الفرنسية السابق[2] (إن حلم المرأة الفرنسية وأملها لم يتحققا إلى الآن)[3] .

رابعــــاً :

إنه كان ثورة على المعتقدات والتقاليد السائدة من عدم احترامها الاحترام الحقيقى اللائق بكرامتها الإنسانية .

خامســـاً :

إن التشريع الإسلامى كان إنسانى النزعة والعدالة حين قرر للمرأة حقوقها دون ثورة النساء ومؤتمراتهن بينما لم تحصل المرأة الفرنسية على حقوقها إلا بعد ثورة ومؤتمرات وإضرابات[4] وكانت تنتزع حقوقها بالتدريج شيئا بعد شيء بينما سلم الإسلام لها حقوقها دفعة واحدة طائعا مختارا بل واجبا دعا إليه وحض على تنفيذه .

---

(١) الزواج لزهدى يكن ٢٢٤ (٢) (ره نولد) .

(٢) المصدر السابق ٢٢٦ وشبهات حول الإسلام لمحمد قطب .

(٣ ، ٤) المصدر السابق .

سادســـاً :

كان التشريع الإسلامى نبيل الغاية والهدف والوسيلة حين أعطى المرأة حقوقها من غير تملق لها أو استغلال لأنوثتها ــ بل انتشالا لها من حمأة الجاهلية !!!

ففى الحضارتين اليونانية والرومانية وفى الحضارة الغربية الحديثة سمح لها بالخروج وغشيان المجتمعات للاستمتاع بأنوثتها لا اعترافا بحقوقها وكرامتها، بدليل موقف هذه الحضارة من أهليتها الحقوقية بينما كان الإسلام على العكس من ذلك ــ كما أسلفت ــ فقد قرر لها كل ماتتم به كرامتها الحقيقية من حيث الأهلية القانونية والمالية ــ وحد من نطاق اختلاطها بالرجال وغشيانها المجتمعات لمصلحة الأسرة والمجتمع ولصيانة كرامتها من الابتذال وأنوثتها من الاستغلال .

سابعــــاً :

إن التشريع الإسلامى ــ بعد أن أعطاها حقوقها وأعلن كرامتها ــ راعى فى كل مايرغب إليها من عمل وما وجهها إليه من سلوك ــ أن يكون ذلك منسجما مع فطرتها وطبيعتها وألا يرهقها من أمرها عسرا .

ولنضرب لذلك مثلا .. فهو قد أجاز لها البيع والشراء وشتى أنواع المعاملات وصحح ذلك منها واعتبرها كاملة الأهلية فى كل هذه التصرفات لكنه رغب إليها ألا تباشر ذلك إلا عند الضرورة وأفهمها أن الخير لها ولأسرتها وللمجتمع ــ أن تتفرغ لأداء رسالتها ــ التى لاتقل إرهاقا عن إرهاق العمل الحر .. وهى فى الواقع تفوقه قدسية وشرفا ــ وهو أدل على إنسانيتها وكرامتها من مزاولتها العمل خارج البيت لتأكل وتعيش ــ فإن لم تجده بيدها أو خبرتها ــ وقد يكون ذلك صونا لعفتها ــ مارسته بجسدها وابتذال عرضها وشرفها وإراقة حيائها وعفتها ــ لتعيش .. إن الإسلام كان فى هذا الموقف جد حكيم ومعتدل فلا هو منعها أهلية العمل خارج البيت ــ كما كان شأن الشرائع(١) قبله وشأن الأمم كلها فى العصر القريب ــ ولا هو حرضها على هجر البيت وزين لها مزاحمة الرجل وترك شئون الأسرة ــ كما هو شأن الحضارة الحديثة ــ ولا ريب أن هذا

(١) المحرفة طبعا .

صنع إله حكيم ، وتشريع عليم خبير .

وصدق الله العظيم فى شان ابنتى شعيب ــ عليه السلام ــ ﴿ **قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير** ﴾ الضرورة ﴿ **وأبونا شيخ كبير** ﴾ ثم دون مزاحمة الرجال ﴿ **حتى يصدر الرعاء** ﴾ فتبارك الله أحكم الحاكمين(١) .

ثامنـــــاً :

ونتيجة لهذا كله يحق للمرأة المسلمة ــ بوجه عام ــ والمرأة العربية ــ بوجه خاص ــ أن تفاخر جميع نساء العالم لسبق تشريعها وحضارتها جميع شرائع العالم وحضارته إلى تقدير حقوقها والاعتراف بكرامتها اعترافا إنسانيا نبيلا لايشوبه غرض ولا هوى ولا يدفع إليه قسر ولا ضرورة .

* * *

(١) راجع أشرطة فضيلة الشيخ الشعراوى .

الفصل الثالث

المرأة فى جاهلية القرن العشرين

- العصر الذهبى للمرأة المسلمة
- ظلام من الغرب وجاهلية من الشرق
- الغزو العلمانى الثقافى
- الغزو التشريعى
- جاهلية حديثة ورءوس حافية

العصر الذهبى للمرأة المسلمة :

نعمت المرأة منذ البعثة المحمدية وعصور الإسلام الأولى المشرفة ــ ثم فى كل حقبة من الزمن يسود فيها الإسلام ويشملها برعايته وينزلها مكانتها اللائقة بها نعمت بتذوق إنسانيتها وأهليتها وكرامتها نعمة لم تذق مثلها المرأة فى أى حضارة من الحضارات على الإطلاق ــ كما وضحنا سلفا ــ ولا حتى فى الحضارة الحديثة التى أخذت المرأة الغربية فيها حقوقا لم تكن لها وتنكبت الطريق وانجرفت فى تيار المدنية وملكت نفسها للرجل وأسلمت عنقها للفرحة بفك أغلالها فانقلبت النتيجة إلى الضد ولم تكن أسعد حالا من ذى قبل فصارت فى جاهلية القرن العشرين أسوأ حالا مما كانت عليه فى جاهليتها الأولى ولكن بثوب جديد يتمشى مع روح العصر مخدوعة بالمبادىء البراقة المغلفة بالرذيلة باسم المدنية . المرتكسة فى أوحال الإثم والعهر باسم الحرية والمساواة حتى سئمت أنوثتها وملت استرجالها ، وتكاد تصرخ من أعماقها ، أريد أن أكون امرأة خالصة أريد أن أكون زوجة أريد أن أكون أنثى !!!

إن امرأة انجليزية شاهدت ولدا يافعا مسلما يقبل يد أمه فتساءلت من تكون هذه الملكة ؟ فقيل لها إنها ليست ملكة فقالت من تكون من الممثلات أو نساء المجتمع الرسميات ؟ فقيل لها ليست كذلك .. فقالت إذن من تكون ؟ فقيل لها إنها امرأة عادية فقال : ولماذا يقبل يدها ؟ فقيل إنه ولدها وهذه إحدى عادات المسلمين مع أمهاتهم لأن الإسلام جعل الجنة تحت أقدامها ، ووصى بها وجعل برها من طاعة الله فلم تتمالك نفسها من البكاء .. فلما سئلت عن السبب قالت حقا إنه لدين جميل ــ نحن عندنا .. لو أحيلت الأم إلى سن التقاعد ــ وهى تسعى على رزقها دون مساعدة ابن أو زوج أو قريب فإنه يذهب بها إلى دار العجزة وملاجىء المسنين .. وقد لايزورها فى العمر مرة ابن أو ابنة أو قريب .

ظلت المرأة المسلمة هكذا ــ موضع العناية والحب والإكرام والكرامة بل وهى كذلك عند المستمسكين بعرى الإسلام ــ لأن المجتمعات الإسلامية ــ اليوم ــ أصابها ماأصاب المسلمين من المدنية الزائفة والحضارة الغربية البراقة حتى خالطت الرجال وشاركتهم فى كل ميدان إلا بعض الميادين العليا ــ التى هى

أيضا فى الغرب الحديث كقيادة الجيوش والقضاء .. إلى غير ذلك .. ولكنها صارت وزيرة وسيدة المجتمع الأولى ... و ... و ... مما هو لايخفى على الأعين والأسماع حتى تميع موقفها وأصبحت غير ذات شخصية إسلامية هى ذات طابع غير إسلامى فأصبحت من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .. من ﴿ **الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** .. ﴾ ﴿ **وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** .. ﴾ .

فارتكست المرأة المسلمة فى حمأة المدنية الزائفة وألبست نفسها ثوب الضلال وهى تردد لا إله إلا الله محمد رسول الله ونسيت تاريخ أمتها وتاريخها المشرق المزهر وجهلت ، أو نسيت ، أو عميت ، أو تعامت عن جوهر حقيقتها منساقة وراء عواطفها وخرجت من سجن الإسلام ـــ الذى ادعت أنه سجن ـــ وهو السياج الذهبى العفيف الطاهر الذى يحوطها ويحرسها ونسيت تماما مكاسبها التى منحها الإسلام هبة من الله عطية وتكريما ، حيث :

١ ـــ كان[1] سبى « فحرم الإسلام السبى منذ حرم الغزو التعسفى كمكسب دنيوى أو كمغنم ذاتى أو لاتساع رقعة أو لاكتساب مكانة أو لسلطان قبيلة أو دولة وقضى على السطو الهمجى البربرى » .

٢ ـــ وكان امتهان لإنسانيتها فسوى الإسلام بين دمها ودم الرجل ـــ إلا فى القتل الخطأ ـــ كما أسلفنا ـــ وسوى بينهما فى حد القذف .

٣ ـــ وكان استئثار دونهن بالمهور فجعل الإسلام المهر حقا خالصا لها لاينتزعه إلا ظالم .

٤ ـــ وكان تعدد الزوجات بلا حدود فجاء الإسلام محددا له ، ومقيدا بقيود كفيلة بالقضاء عليه كما فعل بالرق . إلا عند الضرورة بشرط العدل .

٥ ـــ وكان إكراه للفتيات على البغاء ليكسبن لأسيادهن فأعلن الإسلام

---

(١) بتصرف من كتاب الإسلام والمرأة لسعيد الأفغانى ـــ إضافة إلى ماسقت سلفا من الإيضاح والتفصيل والتلخيص وذلك لتعميق الفكرة فى رأسك وقلبك ونفسك وحياتك لتتضح معالم الطريق والاستعداد لاسترداد المكانة من جديد فى ظل إسلام حنيف ـــ إن شاء الله .

﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا ..** ﴾[١] .

٦ ـــ وكان وأد للبنات مخافة الفقر أو العار فجاء الإسلام حاميا مطمئنا الآباء ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ . ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ..** ﴾ .

٧ ـــ وكان حرمان ميراث فقرر لها الحق فيه (للذكر مثل حظ الأنثيين) ـــ كما فصلت ذلك سلفا فليرجع إليه من شاء ومن طلب المزيد فليطلبه فى مظانه من كتب الفقه[٢] فقد يجد الباحث الصابر فى مطولات كتب الحديث والفقه رعاية ورفقا كبيرين ومن طلب أحكام النساء فى أبوابها الفقهية وأمعن فى تفاصيلها وخاصة حقوقها على الوالد أو الزوج والولد أيقن بقوة مركزها الاجتماعى والحقوق حتى قال رسول الله ﷺ « اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة » .

٨ ـــ وكان عضل (منع) لهن عن الزواج طمعا فى أن يفتدين أنفسهن بمال أو يمتن فيرثونهن فنهى الإسلام عن ذلك وزجر ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن ، لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ .

٩ ـــ وكانت إساءة عشرة فنزل الوحى بهذه الكلمة الطيبة الجامعة المانعة ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ .. الآية .. ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ فقد جعلها من آياته ـــ سبحانه ـــ :

١٠ ـــ وكان الولد يرث أباه فى جملة متاعة ـــ بعد موته ـــ كما بينا سلفا فجاء الإسلام رادعا أشد الردع عن هذا المنكر بقوله ﴿ **ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا** ﴾ .

---

(١) وليس الشرط إلا لبيان الواقع فليس معناه إن لم يردن تحصنا فاسمحوا لهن كلا فليفهم . وانظر تفسير ابن كثير أو القرطبى ، أو الزمخشرى .

(٢) لا تخول الأنظمة المسيحية للأم حقا شرعيا على ولدها فقد يكون مليونيرا فيساعدها إن شاء تبرعا فإذا مات فلا حق لها فى تركته ـــ البتة ـــ (من مركز المرأة فى الإسلام للسيد أمير على ص ١٤) .

وكان .. وكان .. وكان من مثل ماأسلفت ومما يضيق عنه المقام ومما هو معروف مما أبطله الإسلام ــ جملة وتفصيلا ــ ثم سن لها تشريعا مفصلا فى قرآن يتلى وسنة مطهرة موثقة باقية .. حتى إن متمدنات القرن العشرين ليحسدن المرأة المسلمة (المسلمة ــ لا المتمسلمة ــ كمسلمة القرن العشرين فقد أصابتها الجاهلية ــ إلا من رحم ربك) إنهن يحسدن ــ بصدق ــ المرأة المسلمة على مكانتها ـــ الحقوقية والأهلية والكرامية ــ ولا أقل من أن نحيل القارىء العجول على مصدر واحد هو القرآن الكريم ؛ فليمعن فى تدبر هذه الآيات الخاصة بالنساء ــ توصية بهن وتشريعا لهن ــ إن أعجلته ظروف الحياة عن قراءة أمهات الكتب الفقهية ــ ليقرأ فى سورة البقرة الآيات (٢٢١ ــ ٢٤٢) وفى سورة النساء (١٠ ــ ٢٥ ــ ٣١ ــ ٣٣ ــ ٣٤ ــ ١٢٦ ــ ١٣٠ ــ ١٧٥) . وفى سورة النور (٢ ــ ١١ ــ ٢٣ ــ ٣١ ــ ٣٤ ــ ٦٠) وفى سورة النور (١ ــ ٨) ثم سورة الممتحنة[1] ففيهن تفصيلات وافية عن حقوق النساء فى الزواج والطلاق والميراث والحقوق الأهلية والإنسانية وفيهن تشريع كامل لجميع علائقهن وأحكامهن ــ فى الحدود والعبادات والمعاملات مما لم ولن يوجد فى أى تشريع أرضى أو قانون بشرى أو دين سماوى محرف ﴿ **ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم** ﴾ ..

ولقد قامت الأوليات من المسلمات بفتح عيونهن على حقوق المرأة ومكاسبها فاغترفت من معينها وقدرتها حق قدرها لما أظلتها راية الإسلام وفتحت قلبها على رجال غير الرجال ومجتمع غير المجتمع ودين غير الدين فكأنما نشطت من عقال فشمرت عن ساعد الجد وأخذت من هذا الدين الجديد نصيبها الأوفر وكان شكرها لله عليه شكرا عظيما .. شكر عمل وسيرة وسلوك لاشكر قول باللسان ﴿ .. **أن اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور** ﴾ . فقاست فى أول الإسلام .. ماقاسى الرجال من عذاب وشهادة وهجرة واضطهاد وأذى مما يضيق عن ذكره المقام وانتظمت فى صفوف المجاهدين إعلاء لكلمة الله .. وذوداً عن الحق وعن دين الله فقاسمت الرجال شرف الجهاد ، وآبت بثواب الله فليس بعد بذل الروح غاية فى الشكران ..

ولقد رفع الإسلام قدرها وبوأها أوج العزة والكرامة فبقيت فى سماء الإسلام

---

(١) ثم سورة الطلاق والتحريم وآيات متفرقات فى كتاب الله .

والمجتمع الإسلامى شيئا مقدسا تتطاول إليه الأنظار بالحرمة والرعاية حتى كان يخدمهن فى بيوتهن الخلفاء أنفسهم(١) مقتدين بمعلمهم الإنسان العظيم نبى الرحمة محمد ﷺ فكان يساعد أهل بيته وفى خدمتهم ــ حتى ذُكِر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يوماً ومعه الناس فمرّ بعجوز فاستوقفته فقالت له لقد كنت فينا عُميراً فصرت بالإسلام عمرَ . وظلت تحاسبُه وتؤنِّبه وتؤاخذه حتى أبكته فقال لها رجل من أصحابه كفى ياأختاه فقد أبكيتِ أميرَ المؤمنين وقال له آخر ياأمير المؤمنين لقد حبستك عن الناس هذه العجوز .. فقال له عمر رضى الله عنه اسكتْ .. ويلَك .. أتدرى مَن هذه ؟ هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فوق سبع سموات إنها خَوْلة بنت مالك بن ثعلبة التى أنزل الله فيها قرآنا يُتْلى إلى يوم القيامة ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾(٢) .

أيتها الأخت المسلمة ــ مسلمة القرن العشرين ــ فى هذا الجو من الاحترام والتقديس الإسلامى ــ لا الكهنوتى ــ تمتعت المرأة بنعمة الإسلام واكتشفت أختك المسلمة شخصيتها فتمتَّعت بها وحملت مشعل النور إلى جنب الرجل حتى تركونا على المحجة البيضاء ثم فرطنا فى حمل الرسالة وفرطتِ فى حمل الأمانة وسرت إلينا ــ معاشر الرجال ــ وأنتن معاشر النساء ــ عدوى الغرب ودعوى جاهلية القرن العشرين تحت شعارات زائفة براقة ــ حقوق المرأة ــ المساواة .. إلخ . وسارت مواكب الفارغات(٣) .

ظلام من الغرب وجاهلية من الشرق :

لطالما قلنا إن قرن الأحزان والمذلة هذا القرن الرابع للهجرة أو تلك هى بدايته التى اكتنفتها الهزائم والدنايا .

وما ندرى كيف نهايته الخطيرة ولا خواتيم الصراع الناشب الآن فى شتى

---

(١) تسابق الشيخين أبى بكر وعمر إلى بر امرأة فى جوف الليل أمر مشهور فى التاريخ .

(٢) متعى سمعك وبصرك وقلبك أيتها الأخت المسلمة بقراءة خبر هذه المرأة وغيرها من كتب التفسير والحديث وغيرها فى كتاب السير والمغازى .

(٣) انظرى كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوع موكب الفارغات وأدب الانحلال . وكتاب حصوننا مهدده من داخلها ــ د . محمد محمد حسين .

بقاعه بين المغيرين والمدافعين .

لقد انهزم الإسلام[١] عسكريا فى أغلب الميادين أو فيها كلها وتساقطت معاقله حصنا حصنا وسقطت بلاده بلداً بلداً تحت سطوة الغزو الحديث .

ولم يكن بد من هذا المصير الكئيب ، فقد كانت دولته ضعيفة بالغة الإعياء وكان خصومه أقوياء شديدى البطش .

ولولا أصالة فى بعض الأجسام تغالب بها العلل الوافدة وتنجو بها من الموت لكانت الأمة الإسلامية الكبيرة قد تلاشت من الحياة إثر ماحل بها من كوارث وأخذت طريق البائدين الدارسين من أهل القرون الأولى وليس الانهيار العسكرى الشامل أفدح ماأصاب أمتنا خلال هذا العصر بل ماأعقب هذا الانهيار من سياسات بعيدة المدى رسمها الأقوياء القاهرون وشرعوا فى تنفيذها على مهل .

والغاية المرجوة منها : حل عرا هذا الدين وصرف النفوس والأفكار عنه وإنشاء أجيال تتجهم لتعاليمه وتتجاهل مطالبه أو تجهلها كل الجهل أو بعضه والظروف المواتية لهذا المحق كثيرة فإن المهزوم فؤاده مزعزع وأمره فرط وبيد المنتصر من وسائل الإغراء بل فى حالته نفسها مايجعل شئون المجتمع المهزوم تتمسح به وترجو رضاه بعد أن انهزمت داخليا فى نفوس أبنائها .. وقد أقبل موكب الصليبية الهاجمة هذه المرة فى ألوان زاهية من العلم والكشوف والتقدم واقتحم أرضا تكاد تكون غفلا من هذا كله[٢] .

شتان بين تفوقه اليوم وبين ضآلة أمره فى العصور الوسطى فلا عجب إذا طمع الفاتحون الجدد فى الإتيان على قواعد الإسلام بعد ماقدروا على هزم جيوشه فى ميادين القتال .

وخطتهم التى وضعوها واضحة .. يجب أولا إبعاد الإسلام عن أن يكون رباطا عاما بين بنيه فى مشارق الأرض ومغاربها .

فعن طريق إحياء النزعات الوطنية فى كل إقليم مستعمر تموت الجامعة

---

(١) المراد أهله المسلمون .
(٢) يراجع كتابنا حاضر العالم الإسلامى فصل علاقة المسلم بإسلامه حاليا .

الإسلامية من تلقاء نفسها(١) .

هذه هى الضربة النازلة بالإسلام كرباط سياسى يجب أن تلحقها ضربة أخرى تنال منه كموجه شخصي وجماعى .

وذلك يتم بإضعاف وازع التقوى وإشاعة ضروب الشهوات .. وما السبيل إلى ذلك ؟

* فصل الدين عن مناهج الدراسة كلها .
* وفصله عن تقاليد المجتمع .
* وفصله عن آفاق الحياة النابضة .
* ثم تركه يذوى بعيدا حتى تخمد أنفاسه بين الوحشة والضياع .

هذه هى سياسة الغرب التى نفذتها انجلترا وأمريكا وفرنسا وهولندا وروسيا وسائر الدول التى أتيح لها أن تحتل شبرا من أرض الشرق الإسلامى .

وقد تفاوتت أساليب التنفيذ كما تفاوتت ضروب المقاومة التى أبدتها الشعوب المغلوبة .. أجل .. فإن جماهير المسلمين لم تستسلم لهذا الإفناء المبيت ، فنشطت عشرات الطوائف والهيئات لمكافحته كما هو حال الإسلام (لاتزال طائفة من أمتى على الحق منصورين لايضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة) أو كما قال رسول الله ﷺ على أن المستعمرين لم يباغتوا بهذه المقاومة فمضوا فى طريقهم يستعينون بالزمن وإفساد الأخلاق والعلم التكنولوجى على إخماد كل حماسة ويستغلون سيطرتهم على الحكم لتدويخ الحركات الشعبية حتى يدركها القنوط فتسكت أو تدركها الهزيمة فتبيد .

والزمن وبعد المسلمين عن دينهم وتنافرهم فيما بينهم يقف إلى جانب المهاجم عندما تخور قوى المحصور وتنسد أمامه منافذ الأمل ويقبع فى مكانه منتظرا مصيره المحتوم .

كالمصباح الذى قلَّ زيته وجفت ذُبالته إن لم يطفئه نفخ الريح أطفأه نفاد الوقود ، ومن ثم قررت الصليبية الحاقدة الحديثة أن تهتبل الفرصة السانحة وأن

---

(١) يراجع كتاب .. مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ محمد قطب .

تحكم الخناق حول الإسلام حتى يسقط ويتفرق أتباعه عنه قائلين بيدى لابيد عمرو أجل استيقن المستعمرون أن مآربهم فى استعباد الشرق وانتهاب خيراته لن تخلص لهم إلا إذا :

* قضوا على الإسلام روحا ونصا وأجهزوا على بقاياه حكومة وشعبا .
* وأقاموا الحجب الكثيفة بين أمه وأبيه وبين يومه وغده .
* ثم قسموه بينهم أشلاء متناثرة لايلوى أحدها على الآخر ولا يعرف وشيجة تربطه فى الأولين والآخرين .

وقد حشدوا مهاراتهم كلها واحتيالهم كله لإدراك هذه الغاية بعدما أخذوا يحسون أنهم يعالجون أمرا صعبا وأنهم لاينجحون فى جهة إلا وأخفقوا فى أخرى ولا يتقدمون خطوة إلا وسط مقاومة مشوبة بالدم حينا والبغضاء حينا آخر قال الأستاذ محمد حسن أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية يصف سياسية الإنجليز فى مصر وغيرها من أجزاء الوطن الإسلامى الكبير .

كان للإنجليز هدف واحد هو إضعاف العصبية الدينية وتمزيق أوصال المسلمين فى مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا .

فالمصريون أحفاد الفراعنة واللبنانيون أحفاد الفينيقيين والعراقيون أحفاد الآشوريين والحجازيون أحفاد العرب وأحق الناس بالقيام على خلافة الإسلام .. وذلك إغراء لهم بالانتفاض على الترك والانتفاضة ضدّهم ونبذ الخلافة العثمانية ومعاونة انجلترا على إسقاط الدولة العثمانية .

وكانت الدولة العثمانية برغم مابليت به من انحلال قوة روحية عظيمة وكانت قادرة على جمع كلمة الشعوب الممزقة باسم الدين ضد بريطانيا وشقيقاتها من دول الاستعمار الأخرى .

وأدرك (اللورد كرومر) ماتنطوى عليه تعاليم الإسلام من حث على الجهاد ودعوة إلى الأخذ بأسباب القوة ومن إعلاء لمرتبة المجاهدين وحط من شأن القاعدين .. فاتخذ من ذلك مادة للطعن على الإسلام وتشويه مقاصده فقال فى كتابه (مصر الحديثة) إن المسلمين أنصاف همج محبون للحروب بعداء عن التسامح .

(.. وإن دينهم يجعل عاطفة الانتقام أساس العلاقة العامة بين الإنسان وأخيه الإنسان واستشهد لكلامه هذا بدعاء أئمة المساجد على الكفار يوم الجمعة والآية المعروفة ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** .. ﴾(١) .

نقول والآية واضحة فى أنها تذكر المقاتل بواجبه خلال المعركة الناشبة وتأمره بالاستبسال والشجاعة(٢) .

أما لماذا يدور القتال وتنشب المعركة فإن الإسلام لايسأل عن ذلك لأنه يخوض الحروب مدافعا لا مهاجما .

وذلك مصداق الآية الأخرى ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين** ﴾ ..

ومن شدة الصفاقة وقلة الحياء أن يتحدث الإنجليز عن العدوان وأن يتهموا غيرهم به وهم وبلادهم وكر لأضخم عصابة دولية عرفتها البشرية فى السلب والنهب والقرصنة (عمل الإنجليز على إخماد العاطفة الإسلامية حين رأوها مصدر خطر محقق وأنها المعين الفياض ببغضهم الدافق بالتأليب عليهم والتحريض على قتالهم) .

وظلوا يتهمون المصريين بالتعصب الدينى ويكررون هذه النغمة فى كل مناسبة ــ بل وفى غير مناسبة ــ حتى توهم المصريون أن التعلق بالدين عيب ذميم ينبغى أن يبرءوا منه وظل عدد من الصحف يتحدث عن التسامح وعن الإنسانية حتى توهم السذج والبسطاء من الدهماء بل من المثقفين المغفلين أن سعة الأفق ورحابة الصدر أن تحب الخلق جميعا حتى المعتدين منهم على بلادك وآلك ولو أن رسولهم الكريم يقول (من استغضب ولم يغضب فهو حمار) ولم يزل هؤلاء المستعمرون يحدثون المصريين عن مصالحهم الخاصة حتى نزلوا بالوطنية من درجة العقيدة إلى درجة مادية لاتعلق بها أية قدسية لأنها لاتعدو السعى وراء القوت

---

(١) انظر كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالى .

(٢) وأما الدعاء فقد نهانا سيد الخلق عن الدعاء على الملوك والانشغال بذلك دون الأخذ بأسباب التحرر (لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر أو لَيُسَلِّطنَّ الله عليكم عدوكم حتى يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) أو كما قال . وهذا من باب الدراسات الميدانية فى القرآن أيضا .

ومحاولة تحسين الأحوال .

هذه هى الوطنية التى يعيشها الإنجليز[١] وينشدون بقاءها فى المستعمرات عصبية تنسلخ عن الدين أى عن دين الإسلام وتقوم على المنفعة المجردة .

وحول هذه المنافع يصح أن يوجد مايطلق عليه اسم الأمة ولذلك أو عزوا إلى أصدقائهم فى السودان أن يكونوا حزبا يحمل هذا العنوان كما أوعزوا إلى أتباعهم فى مصر أن يؤلفوا حزبا يحمل هذا الاسم فى أخريات القرن الماضى إن خطتهم هى هى على تغيير فى المكان والزمان لأنهم يصدرون عن مشاعر قلما يهذبها الزمن[٢] .

والمؤلم أن هذه الشراك وقع فيها ألوف وانطلت حيلها على الكثير فتحولت الأجيال الناشئة إلى المجرى الذى شقه لها الاستعمار ووهنت أواصرها بالدين وهديه لماذا ؟ لأنها تكره أن توصم بالتعصب والرجعية .

وشيوع هذا الفساد فى الأذهان والأذواق والعقول والقلوب كسب للصليبية أنكى على الإسلام من اندحاره أمامها فى سلسلة من المعارك الكبيرة .

ولو ساغ أن يتطابق الناس جميعا على التسامح المقيت فى شأن الحق والفتور عنه ، لبطل الحق وعمى على الناس وجهه والتبس بالباطل فى كثير من الشئون لهذا لايصلح مجتمع يخلو من المستمسكين بالحق المدافعين عنه الذين لايترخصون فيه ولا يتسامحون وإن جميع الدعوات الصالحة الخيرة مارسخت أصولها ولا سمقت فروعها إلا بالاستمساك من أهلها بها وصدقهم فى النضال عنها لأنهم آمنوا بها إيمانا عميقا ثابتا لايتزلزل ولا يتزعزع .

ولولا هذا الإيمان الصادق القوى المتماسك لماتت والعياذ بالله دعوة الإسلام فى مهدها ولفسد المجتمع الإسلامى من أول الأمر بما يسميه المنحلون مساهلة أو مباشرة ونسميه نحن انحلالا واضمحلالا .

وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا أقوياء فى الحق يجاهدون فى سبيل الله ولا

---

(١) اقرأ كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب وخاصة موضوع إسلام أمريكانى .

(٢) اقرأ كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام وكتاب ظلام من الغرب لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

يخافون لومة لائم ومدح الذين يمسكون بالكتاب ولعل هذه الصيغة إنما اختيرت للتعبير عن معنى القوة فى الأخذ وهو ماصرح به القرآن فى مثل قوله تعالى لنبيه يحيى ﴿ **يايحيى خذ الكتاب بقوة** ﴾ ولنبيه موسى ﴿ **فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين** ﴾ ﴿ **وإذْ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله وظنوا أنه واقعُ بهم خذوا ماآتيناكم بقوة** ﴾ كما أمر المؤمنين بأن يكونوا ﴿ **قوامين لله** ﴾ والقوام بالشيء غير القائم به إذ هو مبالغة فى القيام به تقتضى القوة والاستمساك والتشبث (١) .

وذلك كله ينافى التراخى عن الحق والمساهلة فيه

وأشد ماتصاب به الأمم فى علمائها وأهل الرأى فيها والتحايل للخروج من تبعات الكتمان بالتأويل والتضليل .

وبهذا يتبين أن التعصب ليس مذموما كله وأن اتخاذ أمره مقياسا للرقى أو الانحطاط يجب أن يتلقى بحذر ويقدر بقدر ..

مضى التياران المتناقضان .. كل إلى وجهته وطال النضال بينهما وتزاحم أنصارهما بالمناكب يبغى كل فريق أن ينفرد بالحياة دون صاحبه أنصار التيار الغربى المقبل من وراء البحار تؤيده القوة القاهرة والكشوف العلمية الباهرة وحاجات الأجيال المعاصرة .

والمعجبون يريدون أن يقبلوه كلاً لايتجزأ وأن يذوقوا خيره وشره وحلوه ومره وأن ينسلخوا عن إهابهم القديم جملة لأنه طور انقضى وذهب أوانه وقد استطاع هذا التيار أن يجتاح المدائن والقرى وأن يدخل الأكواخ والقصور وأن يترك ميسمه على أنحاء المجتمع المختلفة وما يكاد يفلت منه شيء أما التيار الإسلامى فإن الرائى يظنه مقاتلا فى معركة انسحاب وإن كان يتراجع ببطء حينا ويتشبث حينا آخر ببعض القلاع المكينة ليكافح عندها أمداً ثم ينحسر عنها ويدعها تسقط .

ولكن المجالات التى يخسرها هذا التيار لاتذهب غنيمة باردة إلى خصمه فما أكثر أن يدع فيها من عناصر المقاومة مايجعل استسلامها للطابع الغربى البحت أمرا

(١) وهذا أيضا من الدراسات الميدانية التى يقدمها القرآن الكريم .

عسيرا[١] .

والحياة فى بلادنا الإسلامية الآن خليط من الكفر والإيمان وركام ضخم من المحافظة والتحلل من القديم والجديد .. من العقل والشهوة من الشرق والغرب .. وكلا التيارين لايزال مزودا بأسباب البقاء ولذلك فهو يجاهد ليحيا وينتصر وينفرد بقيادة الأمة إلى مايبغى .

منذ أكثر من عشرين سنة كتب الدكتور زكى مبارك يصف القاهرة ويتحدث بأسلوبه الساخر عما يدور فيها متجاورا من نقائض ويضطرب فيها من صور ونزعات ــ والدكتور زكى مبارك أظنه يضرب المثل ببلده حتى لايرمى بالتعصب وإن كانت مصر من أكثر البلاد الإسلامية تمسكا بدينها وعقيدتها ــ وهذا الوصف المنقول عنه يكشف عن مجرى التيارين السابقين وآثارهما الخافية والبادية قال[٢] .

القاهرة اليوم مدينة خطرة جدا .. ففيها يشتبك الجد والهزل ويصطرع فيها الهدى والضلال[٣] .

فيها طوائف من المغفلين وطوائف من المحنكين ويكفى أن يكون فيها الأزهر والجامعة المصرية[٤] .

فيها أقطاب الملحدين وأقطاب المؤمنين ..

فيها خلفاء حسن البصرى وخلفاء إبليس ..

فيها أتباع القرآن والتوراة والإنجيل ..

فيها أبناء الدنيا وأبناء الآخرة والموعودون بالنعيم والجحيم ..

فيها أحياء باريسية وأحياء بغدادية وأحياء دمشقية ..

ففيها مشابه من جميع البقاع والأصقاع ..

---

(١) ومواقف المصريين مع المستعمرين مشهورة .

(٢) عن ليلى المريضة فى العراق .

(٣) وإن كان النصر فى النهاية للهدى فمصر منبع الهدى والنور منذ فجر الإسلام وستظل كذلك إن شاء الله .

(٤) يوم كان الأزهر أزهر أما اليوم فلا مناقضة ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

وفيها منازل لايدخلها الفأر (١) ومنازل لايدخلها الفقر ..

فيها منازل لايدخلها الفأر لسبب النعيم وأخرى لايدخلها الفأر لسبب الفقر والجوع ..

فيها خدود تجرحها خطرات النسيم وفيها وجوه تعجز عن لفحها النار ..

فيها ناس يموتون من الظمأ وناس يموتون من الشراب (٢) .

من الذى يصدق أن إبليس يقف مبهوتا أمام جيل الفجور فى القاهرة .

من الذى يصدق أن رضوان ينتظر ألا يجد مكانا فى الجنة بعد أن يحتلها القاهريون ؟

تنظر فى شوارع القاهرة فترى شيخا يهطع لإلقاء عظة فى مسجد وترى فتى متأنقا يمضى إلى موعد غرام فى مصر الجديدة أو شارع الهرم أو حلوان أو حديقة الأزبكية أو الأسماك أو الأورمان أو الأندلس أو الحيوان وما أكثر حدائقها ترى رجلا يحمل أوراقه ليناقش الميزانية فى مجلس النواب وترى فتاة تصاولك بعينين مصوغتين من السحر الحرام أو الحلال وترى فقيرا مسكينا يستجدى لقمة يتبلغ بها فى الصباح أو المساء وآخر يترقبك ويتعقبك لينشل محفظتك ، لطف الله بأهل القاهرة !! القاهرة وما أدراك القاهرة ؟!!

فيها مئات من الأندية الخصوصية والعمومية وفيها ألوف من الزوايا (٣) والحانات .

من الذى يستطيع أن يتعقب حركات العقول والأهواء فى القاهرة ؟ من الذى يستطيع أن يحاور فى الصباح والمساء رجال الصحف الصباحية والمسائية والأسبوعية والشهرية .

من الذى يصدق أن فى القاهرة ألف خطيب مسجد فى فصاحة سحبان وألف خطيب لايحسنون ضبط كلمة ؟

---

(١) وقد جاء فى أمثال العرب تقول العربية (اشكو قلة الجرذان) لعدم مايجده الفأر من الطعام فى بيتها .
(٢) أى الخمـر .
(٣) جمع زاوية وهى المصلى الصغير دون المسجد .

من الذى يصدق أن الأمان ذهب من القاهرة بسبب الإفراط فى المنافسة والنضال ؟

والأستاذ محمد حسين فى تاريخه للاتجاهات الفكرية من أكثر من سبعين سنة يصور هذا النزاع الحاد بين الإسلام المدافع عن كيانه وبين الغرب الزاحف بأطماعه وماضيه وتاراته بين المستمسكين ببقايا الإيمان ووصايا الكتاب فى بيوتهم وأعمالهم وبين المفتونين ببريق الحضارة المنتصرة وإيحائها المتحرر فى الشئون الخاصة والعامة فيقول[1] .

انقسم زعماء الإصلاح كما رأينا إلى فريقين فريق ينظر إلى قديم الشرق والمسلمين يتغنى به ويستوحيه وفريق ينظر إلى ماحقق الغرب فى حاضره من تفوق فهو يزينه للمصريين ويدعوهم إلى احتذائه والسير على خطاه وسرى هذا الأسلوب فى كل شئون الحياة فأصبحنا أمام فريقين متقابلين ظهرت آثار هذين التيارين فى السياسة والأدب والفن والتعليم والاجتماع وسائر شئون الحياة فكان هناك مجددون — أو مقلدون — إن شئت — وقد نشأ عن هذين التيارين المتباينين تناقض فى الحياة المصرية التى جمعت بين المحافظة المتزمتة وبين التطرف فى الأخذ بأسباب المدنية الغربية وبين التوسط الذى يأخذ من كل الاتجاهين بنصيب وبدأ التناقض فى قصر الخديوى عباس من إقامة سرادقات لقراءة القرآن فى رمضان ثم سهرات الرقص والخمر فى الليالى الحمراء ... ثم سرى منه إلى بيوت الأغنياء والمترفين ..

وقد وضح هذا التناقض وآثاره فى شعر شوقى — شاعر القصر — فتجاوز فى ديوانه — وصف المراقص والخمر مع مدائح الرسول ﷺ وتمجيد الإسلام وكانت هذه الصيحات المتباينة المتنافرة التى تأخذ من كل جانب تفزع كثيرا من المصلحين وأصحاب الرأى لما ينشأ من بلبلة الأفكار واختلاط القيم فى أذهان الناس ..

وصار ذلك يأخذ الحياة المعاصرة بسيل جارف من التناقض فنسمع أم كلثوم فى نهج البردة والهمزية ثم نواحها فى الأطلال والليلة عيد وأمل حياتى .. إلخ .

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر .

وشريفة فاضل ــ اسم على غير مسمى ــ والعياذ بالله تترنم بالأغانى الدينية بملابس الإحرام للنساء وهى محجبة ثم فى فلاح كان فايت بيغنى من جنب السور .. ثم فلانة وعلانة وترتانة وغيرهن كثير حتى لنرى على المسرح أمثال عبدالله غيث وهو يظهر فى صورة القارىء لكتاب الله يبلغ الرسالة تمثيلا بصوت وقور أخاذ ثم نراه يعربد فى فيلم إجرامى أو غزلى .. إلخ . وغيره وغيره كثير .. ثم ينقلب صاحب الوردة البيضاء فى أغانيه الداعرة المثيرة إلى إلام الخلف بينكموا إلام ثم توا إلى أغثنا أدركنا يامنى عينى ثم ينقلب محمد الكحلاوى فى غمضة عين إلى مايسمى بمادح الرسول ﷺ إلى صوفية غثه مريضة متهافته متهالكة «منى عينى منى عينى حب النبى دوا عينى» «وجانى فى المنام خير الأنام وأمرنى بالتوبة ياعينى ياعينى أمرنى بالتوبة»[1] .

فما أشبهها بشطحات المجاذيب وحمقى الدراويش وجميع الممثلين ــ أو جلهم ــ من أمثال يوسف شعبان فتى العشق الأول على الشاشة نسمعه يبلغ عن الأنبياء فى قصص الأنبياء وهكذا ألا فليسمع هؤلاء وهؤلاء وإن كانوا لم ولن يبلغوا عابد الحرمين إلى قول المجاهدين والأبطال ..

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا — لعرفت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب حده بدموعه — فنحورنـــا بدمائنـــا تتخضـــب
أو كان يتعب خيله فى باطل — فخيولنا يـوم الصبيحـة تتعـب

وقول الفقيه المبصر ..

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه — ولا بكاؤك إذ غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب — ولا اختلاط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر — وتتبع الحق والقرآن والدينا

وصرخات الأخ المسلم لإيقاظ النائمين والعابثين ..

يا مدعين من الإسلام أنكمو — على هداه دعوا الإسلام ينعانا
روضوا على منهج القرآن أنفسكم — يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا
شتان مابين تشريع السماء لكم — وتشريع أهل الأرض شتانا

---

(١) ومادرى أنه يكذب على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يتوعد الكذابين عليه بقوله (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) أو كما قال ﷺ .

وهكذا ـــ أخت الإسلام ـــ مرت سنون وسنون .. سنوات عجاف منذ سقط الشرق الإسلامى فريسة الاستعمار الحديث وهذا التيار الجارف والسيل العرم يقوى ويشتد ويعنف ويقوى ولا يضعف ويقدم ولا يحجم فقدحت ضرباته وضراوته وزادت شراهته وشراسته وسقط الستار فجأة عن أفاعيله بالشباب المثقف ـــ آسف ـــ المتعلم فإن العلم المادى غير الثقافة على مابينت سلفا وسأوضح بعد قليل فإذا هو قد فتك بأصول الأخلاق بينهم وهتك أثواب الفضيلة بعدما خرب أفئدتهم من حقائق الإيمان وحرمات الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا الشباب المتعلم[١] كما يوصفون يصل إلى العشرين من عمره ويحتل مقاعد الجامعة فى مدرجاتها وهو لم يتلق من المعارف الإسلامية شيئا يذكر وذلك أن الغزو الصليبى وضع مناهج الدراسة قديما وهو يقصد عمدا أن يجهل الطلبة والطالبات فى دينهم ليشبوا غرباء عنه ـــ أو قل ـــ أعداء له ـــ وإذا وقع هؤلاء الضحايا فى أيدٍ تزين لهم الإلحاد وتفرش لهم مزالق الرجس بالأزهار وتوهمهم أن المشاركة فى الحضارة والتطور مع الرقى لايتمان إلا بهذا الضلال فكيف تكون الحال ؟ ..

كتب الأستاذ أحمد قاسم جودة : (إذا كان لهؤلاء الطلاب عذر فى شرورهم وانحرافهم فما عذر الذين وضعتهم الأقدار موضع التدريس والأستاذية ماذا يمكن أن يلتمس من أعذار للأستاذ يمزح مع طلبته على حساب دينهم وإيمانهم فيقول لهم إنه سوف يعطى درجات إضافية فى الامتحان للذين يفطرون فى رمضان ؟ لقد سمعت هذه الرواية بأذنى من بعض الطلاب ونتساءل نحن هل هذا مزاح ؟ فأين الفجور إذن ؟ ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ واسمع منه أيضا هذه الوخزة ..

إذا وصفت إنسانا بأنه صفر من الأخلاق فإنه سيثور لكرامته حتما إلا فى حالة واحدة هـى أن يكون هذا الإنسان (وجوديا) فإنه سيعتز بذلك ويعتبره فخرا واعترافا بوجوديته ..

---

(١) من فيتان وفتيات ..

لست[1] أتجنى ولا أبالغ ولكنى أقرر الحقيقة منقولة عن الرجل الذى يعتبر حجة الفلسفة الوجودية فى مصر وهو الدكتور عبد الرحمن بدوى الأستاذ بجامعة (عين شمس) اسمعوا بالله ماذا يقول فى رسالة بقلمه صدرت بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م بعنوان هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك وإما أن تقول بأن لاأخلاق فتخاطر بوجودك .. لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته إلى آخر مانقل عنه فى هذه الرسالة وهذا المجال أعاذنا الله من شروره ومآثمه .. يحدث هذا لدينا فى الوقت الذى لاتزال فيه أغلب الجامعات الغربية محافظة على تقاليد التدين وشارات العصور الوسطى حتى لتتصل أبنية الجامعات بأبنية الكنائس وأبراجها وصلبانها ونواقيسها الضخمة ..

والحديث بنا يطول ـــ ياأخت الإسلام ـــ فى وصف ماصارت إليه حالنا والذى تعرفين منه الكثير لأنه يطالعك صباح مساء فى الجامعة والسينما والسوق والشارع والأوتوبيس وفى بيتك وفى الإذاعة والتليفزيون والفيديو .

وحادث أسرده لك على سبيل المثال ـــ وقد حدث أمثاله الكثير ـــ حدث لى شخصيا[2] وقد كنت مدرسا فى مدرسة أجنبية الاسم والبيئة والعادات والتقاليد والدين وهى فى أرض مصرية ويدرس فيها الدين الإسلامى وهى مختلطة (سان ڤانسان) أو ماتسمى بهيئة قناة السويس وكنت أقوم بتدريس التربية الدينية واللغة العربية سنة (١٩٦٦ م) وكنت أبدو شاذا فى أعين الراهبات (السيسترات) بل والمدير المصرى آنذاك حين كنت أخلص فى أداء واجبى وأنفذ البرامج الدراسية بشىء من الروحانية وكان الإقبال على دروس الدين يسر الخاطر فقد كان الطلبة والطالبات لايعرفون حقيقة التربية الدينية للنشأة الفرنسية فى بيوتهم والدراسة فى مدرستهم منذ نعومة أظافرهم فكان الإقبال رائعا وإذا بى أفاجأ فى فترة الراحة بفتاة من فصولى الثانوية تقابلنى صارخة مولولة باكية حزينة (ياأستاذ لو كانت أملك بترقص أو أبوك يتعاطى الخمر كنت أحسست بى) كيف ذلك يابنية ؟ هونى عليك الأمر ؟ فقالت (ترسبنى فى الدين وتعطينى

---

(١) نقلا عن كتاب ظلام من الغرب للغزالى .
(٢) المؤلـــف .

٨ من ٢٠ الـ ٨ دول = ٢٠ من ٢٠) لماذا ؟ لأن أبى لايعرف عن الإسلام شيئا وأمى فرنسية مسيحية وليس فى بيتنا مصحف بل عندنا إنجيل وليال حمراء قصف ولهو ورقص وهأنذا ربيبة هذا البيت أفهمت ؟ فلم أتمالك نفسى من الدموع وهدأت من روعها وقلت لها فعلا أنت تستحقين النجاح .. وفعلا كانت من الناجحات آخر العام بجدارة بجدها واجتهادها والحمد لله رب العالمين .. هذه هى مدارس التبشير وهكذا قولى فى كل طالب وطالبة ينشأون فى المدارس التبشيرية الإنجليزية أو الأمريكية أو الفرنسية أو الإيطالية أو الأروام .. من الليسيه الفرنسية وليسيه الحرية بالإسكندرية والقاهرة .. إلخ . يابنيتى لا ياأختاه فهذا أجمل وصف وأصدقه يصفنا به رب العالمين ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ فياأخت الإسلام ليست الوطنية الصادقة والإيمان الصادق ينبعثان إلا من اللغة العربية وآدابها لغة القرآن ومعقل أدب العرب ومن التاريخ الإسلامى القوى النظيف والتربية الوطنية الحقة فكلما درس الناشىء لغته كلما أحبها وآمن بقدرتها على الحياة والخلود ، وكلما عرف تاريخ بلاده ازداد تعلقا بها وإيمانا بكرامتها(١) لا نتائج الحملة الفرنسية وما إليها .. إلخ . ولا يجب ياأخت الإسلام أن نفرح بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادنا فحسب بل يجب أن نبتهج ونفرح بجلاء المعاهد الأجنبية عن تفكيرنا ووجودنا(٢) فالجلاء الحق هو مايكون عن الفكر والروح هذا هو الجلاء الحقيقى .

الغزو الثقافى العلمانى(٣)

١ ــ أى أُخَيَّة ينبغى أن نفرق بين الثقافة الذاتية لأمة ما وبين العلم الذى لا وطن له والذى يشيع بين الناس ــ دون عائق ــ كما بينت ذلك سلفا بذكر الفرق الدقيق(٤) فى أول هذا الكتاب نعم هناك معارف تتصل بالكون والحياة ويتناولها الناس حيث كان بل لعلهم يدفعون المال والجهد لتحصيلها .

... وآثار هذه المعرفة متشابهة كالجسر الذى يبنى على شاطىء نهر الصين لايختلف عن زميله كثيرا فى أوربا .. إلخ . بل لعل الروس يتجسسون مثلا على

(١) وبارك الله فى الرئيس محمد حسنى مبارك (أريد كل شىء مصرياً) .
(٢) اقرئى كتاب ظلام من الغرب للشيخ الغزالى ص ١٥١ ــ ١٥٣ .
(٣) من كتاب ظلام من الغرب للشيخ الغزالى بتصرف .
(٤) عند حديثنا عن مفهوم الثقافة وعن علوم التقنية والإسلام والثقافة .

خصومهم فى الغرب والعكس المقابل ليروا هل سبقوا إلى تقدم ذرى أَو تفوق فنى لينقلوه عنهم .. لكن هل ينقلون عن خصومهم الفكر الاقتصادى أو التعليم الاجتماعى أو فلسفة القيمة والعمل ؟ لا . إن الثقافة الذاتية للأمة شيء آخر غير العلم العام ..

٢ ــ وَطَبَعِىٌّ أن يكون للخط الإسلامى أعداء يضيقون به عن جهل أو جمود ولكن هذه العداوات لم تنل منه فقد بدأت الأمة الإسلامية من هذه الجزيرة مجتمعا وسيم الملامح جميل القسمات مبارك الآثار واستطاع هذا المجتمع القوى الفَتِىّ أن يطوى الوثنيات القائمة فتلاشت وأن يكسر العسكرية اليهودية فتبددت وأن يطارد الاستعمار الرومانى فعاد إلى أوربا من حيث جاء بل لاحقه المسلمون هنالك ولو صدق من بعدهم النية والعزم لاجتثوه من جذوره .

على أية حال استطاع الإسلام تكوين أمة بين المحيطين الهادى والأطلسى لها ثقافة عامرة وتقاليد شريفة أسدت للإنسانية خيراً لاحدود له.وإن شابت هذا كله أخطاء شتى ربما بدأت تافهة ثم نمت على مر الزمن فجرت على الأعقاب الكوارث الشداد .

٣ ــ استطاع الغرب أن يضع يده على العالم الإسلامى كله منذ قرن أو أكثر وكان المسلمون فى حال يرثى لها من التخلف المادى والأدبى على(١) حين كانت النهضة الصناعية فى أوربا مزدهرة وتيقظت معها علوم وفلسفات إنسانية كثيرة فلما قدم الصليبيون الجدد كانت الأرض ممهدة لهم كى يصنعوا ماشاءوا وقد شرعوا لفوَرهم يعملون ضد الإسلام فمزجوا الختل بالقتل ومشى الغزو العسكرى بين طلائع من الغزو الفكرى .

نذكر صوراً من المحو أو التشويه الذى أصاب الإسلام وأمته فى شتى الميادين نتيجة لهذا المخطط ونجاحه .

٤ ــ واتجه الغزو الثقافى إلى لغة القرآن فأصابها إصابات قاتلة ، إذ عزل هذه اللغة عزلا تاما عن تدريس العلوم .. وأحب أنَ أعلن بأن الحفاظ على لغة العرب من شعائر الإسلام وأن دحرجة هذه اللغة إلى منزلة ثانوية خيانة لله ولرسوله وأن

---

(١) راجع كتابنا حاضر العالم الإسلامى .

تعليم النحو كتعليم التفسير والحديث وأن إقرار الأخطاء اللغوية كإقرار المعاصى الدينية سواء بسواء .

٥ ــ ظهرت فى العالم بدعة ازدواج التعليم وانقسامه إلى دينى ومدنى ونرى أنه لن تنتهى هذه المأساة إلا إذا مُحِيت بشكل حاسم بدعة ازدواج الثقافة وتقرر أن يكون كل متعلم حاصلا على حظ معقول من علوم(١) الدين واللغة يربطه بتراثة وحضارته ومثله العليا ويجعله يحيا لأمته لا لأعدائه يحيا لدينه وتراثه لا ذنباً يتبع كل تيار ويصدق كل ناعق .

٦ ــ واتجه الغزو الثقافى إلى الشريعة الإسلامية ليخلع عن رأسها التاج ويعزلها عن مكان الصدارة فعطلت المقررات الإسلامية فى شتى القضايا الحساسة وتركت إلى حين قوانين الأسرة وهاقد بدأت فى بعض البلاد الإسلامية صيحات العملاء لتغير أنصبة المواريث ..

بل وتنصير بقية الصلات العائلية فقد تصلف بعضهم وجاهر بإبعاد السنة عن مجالات الحياة والاكتفاء بالقرآن الكريم وهذه ردة فاجرة ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ وصدق المصطفى الكريم « أوتيت الكتاب ومثله معه » وتحذلق بعضهم ونادى بتحريم الصيام محافظة على الصحة والإنتاج .. إلخ . هذه الهراءات والصيحات الباغية باسم المدنية ﴿ **كالذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون** ﴾ لقد أبيح الزنا والربا والخمر والقمار باسم السياحة وجلب العملة الصعبة واختلطت الحرية الفكرية بحرية الهوى والقانون الوضعى وراء هذا كله .

٧ ــ ودراسة العلوم الإنسانية تحتاج إلى شىء من التأمل وهذه العلوم هى علوم الأخلاق والتربية والاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة وغيرها وتسميتها علوما ضرب من التجوز فهى فروع فلسفية تعتمد على الفكر أكثر من اعتمادها على التجربة ، وقد أشبعها الإسلام دراسة وأغناها بجملة وافرة من الأحكام والمبادىء والتطبيقات أما أن تترجم وتستورد إلينا فهنا الطامة الكبرى ، ذاك مايريده الغزو الثقافى إنه يريد أن يعرف أولادنا وبناتنا الكثير عن نابليون وواشنطن

---

(١) ولقد عرفت فى أول الكتاب ان أساس العلوم دينى ويتفرع عن الاصل فروع كما وضحنا سلفا فى فصل : خطأ مشهور وصواب مهجور .

ومونتجمرى وروميل ولا يعرفون شيئا عن خالد وصلاح الدين أو قطز أو بيبرس ..

٨ ــ وفى بعض الأقطار الإسلامية ظروف اجتماعية واقتصادية معقدة أمكنت التبشير أن يتوغل فيها ويفيد منها ، بل رتع فيها كما يرتع الداء فى جسم لا مناعة له ولا تماسك به ونحن لانلوم الآخرين على انتهاز الفرص لخدمة ما يعتقدون ولكنا نلوم أنفسنا إذ تركنا فراغا امتد فيه غيرنا ومن ترك بابه مفتوحا لايلوم اللصوص إذا سرقوا مدخراته وقديما قيل :

من رعى غنما فى أرض مسبعة ونام عنها تولى رَعْيَهَا الأسد

وهذا يجرنا إلى الحديث عن المقاومة الإسلامية للغزو الثقافى وضرورة تقوية حصوننا المهددة(١) .

٩ ــ الإسلام جدير بسعادة الدنيا لو وجد رجالا يجيدون عرضه كما جاء من عند الله دون نقص أو تزيد وأناساً مسلمين يحملونه حملا طيبا ليكونوا قرآنا يمشى على الأرض وإذا انتصر الإلحاد وانتصرت العلمانية على الإيمان فى معركة فليس العيب فى الإيمان ولكن فى أتباعه المنتسبين إليه

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ونعود إلى سماسرة الغزو الثقافى فى بلادنا لنكشف خباياهم ونحذر منهم .. قال حذيفة « كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن أقع فيه .. قلت يارسول الله لقد كنا فى جاهلية وشر وبعثك الله بالخير فهل بعد هذا الخير شر ؟ فقال نعم فقلت فهل بعد هذا الشر خير ؟ قال نعم وفيه دخل فقلت وما دخله ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت صفهم لنا فقال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وقلت ماتأمرنى إن أدركتهم ؟ قال اعتزل هذه الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى تموت على ذلك خير لك(٢) .. » وذلك مع الأسف بدأت به تركيا المسلمة على يد المرتدين الكماليين .

---

(١) يراجع كتاب حصوننا مهددة من داخلها د . محمد محمد حسين ط المكتب الإسلامى .

(٢) وقد سبق ذكر الحديث عند (خطأ مشهور وصواب مهجور) فى أول الكتاب وذلك من الإعجاز التشريعى للقرآن والسنة حيث تصلح الآية الواحدة لأكثر من شاهد وكذلك الحديث الواحد ..

الغزو التشريعى :

إن نبذ الشرائع الإسلامية واستجلاب قوانين مما صنع الأجانب لأنفسهم كى تحل مكانها لم يتم دفعة واحدة بل كان نتيجة واحدة أخيرة لسلسلة من التحلل والاستهانة وقعت فى أعصار متطاولة متهالكة ثم انتهت بهذا الختام المعتم .. ومادام الإيمان الحق ــ وهو ملاك النظم كلها ــ قد ضعف وهان فهيهات أن تتماسك بعده أمة ولا تسغربن عندئذ مايقع فيها ولا مايقع منها ... أضيفى إلى ذلك أن الصليبية الغربية والإلحادية الشرقية والعلمانية والصهيونية بالمرصاد وهى نهازة للفرص فإذا وجدت فرصة تنفذ منها إلى النيل من الإسلام وإصابة مقاتله فهى تهتبلها لامحالة .

وفى الغزو الثقافى والاجتماعى الذى رمتنا به كان حرصها باديا على ضرورة إقصاء التشريع الإسلامي وإحلال القوانين الغربية محله وقد بدأ بذلك فى مصر من عهد محمد على باشا رأس الأسرة المالكة التى قضت عليها الثورة باسم الإسلام وتحت شعار المصحف الشريف وحل ذلك محل التشريع الإسلامى بالتدريج فى سنة ١٨٨٣ (١) أسست المحاكم الأهلية وكانت تعتمد على القوانين الفرنسية وترك للمحاكم الشرعية يومئذ أن تحكم الأحوال الشخصية وشئون الوقف وما شابه ذلك .. ثم عدلت القوانين المدنية والعقوبات سنة ١٩٠٤ م وانضم إلى الفرنسى (كمصدر أول للتشريع) القانون البلجيكى والإيطالى والهندى والسودانى والأخيران مقتبسان من الإنجليزى وهكذا تسولت أمة الإسلام (كوكتيلا) خلطة ــ سلطة ــ مادة فقهها العلمى من كل قطر كأنها نبتت على صعيد الدنيا بغتة فليس لها ماض تستمد منه ولا تاريخ مشحون بالذخائر الرائعة أخذت منه الأمة الفرنسية قانونها الذى استوردناه فيما بعد كسلعة جديدة وهو من كتاب لشرح الدردير على متن خليل فقه الإمام مالك !! فإذا قيل إن البيئة الإسلامية لاتلائمها هذه القوانين وإن الله أمر بتغيير هذه الجاهلية انطلق الصحفيون الذين يعملون لتحقيق مآرب الغرب ليصيحوا فى كل مكان يجب أن ترقى بيئتنا حتى تلائم الحياة الحديثة والقوانين الجديدة أى إننا نشترى الخنزير ولكى يحيا يجب أن نعد له زريبة

---

(١) ينظر رسالة خاصة للدكتور عبد العزيز عامر .

مملوءة بالأقذار لمه ؟ لتلائمه ولماذا نشتريه ؟ لأنه خنزير الخواجة (١) !! الخواجة الحاكم بأمره بهواه ﴿ **أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ؟ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين** ﴾ الآيات من ١١٣ إلى ١٢٣ من الأنعام .

إن أمواج الشر تتدافع ـــ ياأختاه ـــ كلما انساحت بيننا موجة ، هجمت بعدها أخرى .. وقد نجح الغرب فى أن يجعل الحكم بغير ماأنزل الله قوانين مقررة فى المجالات الجنائية والدولية وبقى أن يجتاح كذلك ميدان الأحوال الشخصية الذى كان باقيا من سمات الإسلام وأحكامه فإذا استكان له هذا الميدان الآخر فعلى الإسلام كله العفاء أو بعبارة أدق فقل على المسلمين العفاء لأن الإسلام محفوظ من الله دائما ..

ويا موت زر إنَّ الحياة ذميمة ويانفس جدى إن دهرك هازل

وطلائع هذا الغزو الآثم بدت فيما قرأناه هذه الأيام من لغط حول تسوية المرأة بالرجل فى الميراث والمصيبة المضحكة وشر المصائب مايضحك أن المرأة التى كتبت هذا الكلام فى حينه ترى أن الإسلام يجيز هذه التسوية بل يباركها لأن الإسلام دين الفطرة والتطور (٢) !!

وصحيح أن الإسلام دين الفطرة ولكن هذه الفطرة تظلم أشنع الظلم حين يقال إنها تجعل المرأة مضارعة للرجل فى كل شيء !!

وظيفتها فى الحياة هى وظيفة الرجل . ومكانتها هى مكانته ، فإن طبيعة الحياة أن يكون الرجال قوامين على النساء ولابد من الاعتراف بأن للرجال فضل قوة مادية وأدبية يرجح كفتهم على الجنس « اللطيف » !! ..

والإسلام حين أعطى البنت نصف سهم الابن فى الميراث ، أوجب على الرجل زوجا كان أو ولدا أو أخا أن ينفق على بيته وعلى ولده وعلى رَحِمِه وكذلك الابن إن لم يكن قاصرا فلربما ذهب نصيبه كله فى وجوه النفقة القائمة على حين يبقى للبنت نصيبها موفورا كله .. إلا أن تَطَّوَّع هى بما تحب من معاونة ولا

---

(١) ولا يسع من يرمقنا إلا أن يقول (ياأمة ضحكت من جهلها الأمم ..) .

(٢) وأنا أهديها شطر هذا البيت : (فدعى عنك المنى وتعطرى !!) .

تقولن : المرأة تعمل وتكدح فى الحياة ومن تكسبها فى أى حرفة شريفة تكلف هى الأخرى بالنفقة لأنا نقول إن الوظيفة العتيدة للمرأة أن تكون ربة بيت[1] ..

واحترافها فى الحياة يجب أن يكون عملا موقوتا مابقيت ظروفه الملجئة[2] ثم تنصرف بعده بأكثر وقتها وفكرها وجهدها إلى رجلها وأولادها وبيتها .

إن الحالة فى الغرب تفرض على المرأة أن تجىء بمهرها وأن تشارك الشبان فى أعمال شتى ــ لامسوغ لها ــ وليس يمسك هذه الحال ــ وما يتخللها من اضطراب حيوانى ، إلا فقدان الضمير الدينى الصحيح والتواصى بإشباع الشهوات على نطاق واسع !!

والإسلام يوزع اختصاصات العمل على الأحياء فيجعل حصن المرأة بيتها ويكلفها من العمل مايصون شرفها وعفتها وأنوثتها ويشرع من الآداب والقواعد مايجعل كل اتصال جنسى حراما إلا عن طريق الزواج المشروع وفى هذا الزواج يكلف الرجل ــ لا المرأة ــ سوق المهر ــ ويناط بعنقه ضمان النفقة للبيت الذى بناه فإن أعانته المرأة فى عمل ، فهو عون مضاف مؤقت وليس عاملا أساسيا فى حياته .

ومن ثم جعل نصيبها من الميراث على النصف من نصيب الرجل إقامة للتوازن فى الحياة العامة وتمشيا مع العدالة فى توزيع المغرم والمغنم . وقد قررنا سلفاً مبدأ الإسلام فى ذلك بقاعدة أصولية « الغرم بالغنم » . أما إن الإسلام دين التطور فنعم ولا !! ..

هو دين التطور فى الوسائل التى تخدم الحق ، والمظاهر التى تتضح بها دعوته وتتأدى بها رسالته لكن ــ بالله ــ ماالتطور الذى يُتوقع فى عقائده وفضائله وشعائره ؟!!

ربما احتاج تحقيق العدالة إلى اجراءات تتطور مع العصور .. بيد أن العدالة نفسها والنصوص الحاسمة التى أقامها الله لحمايتها لايمكن أن يلحقها تحوير أو تبديل.

---

(١) راجع ماسقناه مفصلا فى الفصل السابق .

(٢) كما قالت ابنتا سيدنا شعيب لسيدنا موسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام حينما سألهما ﴿ ما خطبكما ؟ قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ .

وقوانين الميراث من هذا القبيل قال الله ــ عز وجل ــ ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾(١) ثم بعد أن أعطى كل ذى حق حقه وفق ماقضت حكمته قال ﴿ **تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** ﴾ .

فهل بعد هذا الوعيد ، وهذا الترغيب والترهيب تجيء امرأة مخبولة العقل ، أو صحفي مدخول القصد مأجور القلم يتملق النساء لأمر فى نفسه فيسمع منهما تسوية المرأة والرجل فى الميراث عمل يقبله الإسلام ويتسق مع تعاليمه ؟ ألا شاهت الوجوه(٢) !!

ولنترك هذا الهراء الذى نشرته مجلة حواء ــ إحدى مجلات دار الهلال ــ « إميل وشكرى زيدان » وإليك مثلا آخر لتزوير الفتوى والاختلاق على الإسلام .

فقد نشرت (روز اليوسف) مقالاً زعم فيه صاحبه أن المسلمة يجوز لها أن تتزوج يهودياً أو نصرانيا لأن القرآن ينص على تحريم اقترانها بالمشرك فقط .. ثم أسفر الكاتب عن خبيئة نفسه فقال : لايوجد بيننا مشركون ولا كفار وإنما يوجد مسلمون ويهود ونصارى .

والكاتب الذى أرسل هذه الفرية وهو فى مأمن من عواقبها يعلم أنه لايخدم حقيقة علمية ولا يصور شريعة إسلامية ويوقن أنه اجترأ على فعلة لم يسبقه إليها مسلم من الخاصة أو العامة طوال أربعة عشر قرنا !!

إنه يريد إيهام القراء أن جحد رسالة محمد ليس بكفر !

وبدهى أن يكون رفض القرآن كله ، والسنة كلها أمرا لاخطأ فيه ولا حرج منه بعد ذلك وصاحب هذا الرأى لايستغرب منه أن (يتزوج) بمحارمه بل أن يزوج أمه أو أخته لمن شاء من الإنجليز والأمريكان من غير المسلمين منهم !! إن

(١) تراجع سورة النساء .

(٢) لست أدرى ينعق الغربان اليوم فى كل خرابة وهم يدعون إلى التخصص فى كل شيء فالمهندس المدنى ثم الديكور ثم .. ثم .. وطبيب العيون ثم النساء ثم الجراح ثم العظام .. إلخ .. لكن الدين كل أبله معتوه يقول فيه برأى ؟! فما هذا العبث ياترى ؟! .

الله عز وجل فى القرآن وصف أهل الكتاب الذين يفرطون فى تنزيهه وينسبون إلى ذاته المقدسة مالا يليق ويطلقون عليه نعوتا هى بطبيعة المخلوق ألصق وعن حقيقة الخالق أبعد .

فقال سبحانه فى اليهود ﴿ **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر** ﴾ .

وقال سبحانه فى النصارى ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار** ﴾ .

وقال ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إلّه إلا إلّه واحد** ﴾ .

فما معنى أن يجىء مخبول ويتقول على الله بغير علم ؟ . نعم إن هناك فرقا دقيقا بين شرك هؤلاء وشرك الوثنيين من العرب الأقدمين وأمثالهم ، ورعاية لهذا الفرق أباح الإسلام لأبنائه الذكور أن يتزوجوا من نساء أهل الكتاب على طريق الاستثناء من النصوص الأخرى ..

أما النساء المسلمات فمن المقطوع به ألا يتزوجن كافرا أبدا مهما كانت ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾ وقال ﴿ **ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ﴾ وقال فى المباح من أطعمة الكتابيين وأنكحتهم ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** ﴾ أى أن لكلا الفريقين أن يأكل من أطعمة الآخر ثم قال ﴿ **والمحصنات من المؤمنات والمحصنات**(١) **من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾ أى أن للمسلمين فحسب التزوج بالمؤمنات والكتابيات ولم يجعل النكاح كالطعام فى تبادل الإباحة بين الطرفين أعاذنا الله من تفسير القرآن بالهوى والجهل باللغة .

وليست كل يهودية أو نصرانية يصح البناء بها بل العفيفات منهن فقط واللاتى يعرفن كرامة العقد وحرمة الزنا فإذا تزوج المسلمون بهن فعلى ماشرط الله

---

(١) بهذا القيد (الإحصان) .

عز وجل من وفاء لهن وَبِرٍّ بهن وإعفاف ﴿ **محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان** ﴾ وعسى الله أن يهديها للإسلام ويحرم زواجها إن خشى الانحراف على نفسه أو ولده منها . ذلك وللدولة حق تقييد المباح دفعا لخطر متوقع أو متوهم ، والقانون الآن يحرم على ضابط الجيش ورجال السلك الدبلوماسى أن يتزوجوا بهؤلاء الكتابيات وذلك لحماية القوات المسلحة ولأسرار الدولة من التعرض لشائبة تفريط .. ونحن لانرى فى هذا المنع بأسا ولا خروجا على تعاليم الإسلام ..

وظاهر أن الحملات على قوانين الأسرة أو مايسمى قوانين الأحوال الشخصية محاولة لزعزعة ونقض مابقى سليما من تراثنا الإسلامى فى ميدان التشريع !!

إن الأفاكين لايهدأون ولن يرضوا حتى يروا شرعة الهوى تصبغ كل علاقة وتفسد كل حكم ..

والشبهة التى تلوكها الأفواه لرد أحكام الله كلها أن الإسلام يقسو على المجرمين وأن صرامة حدوده وأقضيته بحاجة إلى كثير من الملطفات والمخففات فى عصر ارتقت فيه الحضارة وتطور الإنسان إلى أعلى .

ونحب أن نقول على عجل إن نسبة الشرائع القائمة على القصاص والحدود إلى الإسلام وحده واتهامه بالوحشية والرجعية بناء على ذلك هى ضلال فى ضلال فإن هذه القوانين الشديدة القاسية كما يقولون سبقت إليها التوراة والإنجيل ثم نقلت البشر منها نزوعا مع غلبة الهوى .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن يوجه للناس كل الناس مسلمهم ونصرانيهم ويهوديهم هو هل تخضع الأرض لأحكام السماء ؟ وتستهدف مرضاة الله ؟ أم تسير وفق مايزين الشيطان وعلى الهوى ؟

إن القصاص فى القتل وسائر الجراحات ليس حكما مبتدعا شرعه القرآن الكريم لينهج به سياسة من القسوة فى معاملة المجرمين لم تؤلف فى العهود الأولى كلا فالقرآن إنما أكد أحكاما بدأ بها التوراة والإنجيل .

بل كل ماأحدثه من تغيير أنه خفف بعض الشدة التى اتسمت بها هذه القوانين فقبل العفو من ولى الدم ، وأحل محله الدية وخفف العقوبات فى جرائم

الزنا والسرقة فإن التوراة تحكم برجم مقترفيها جميعا محصنهم وغير المحصن[1] أما الإسلام فيكل المرابين مثلا إلى أولياء الأمور يعالجون جريمتهم بما يرون .

ويكتفى فى السرقة بالقطع بعد شروط دقيقة[2] والذى يعطف على السارق ويستبشع قطع يده لم لايعطف ويشفق على المسروق منه وقد لايكون عنده مايقيت عياله غيره فكم من مصيبة أدخلها السارق على أولاد المعتدى عليه وعلى زوجه ووالديه فكم خرب بيوتا وأخوى بطونا وشرد أطفالا وقد سأل تلميذ أستاذه :

يدٌ بخمس مئين عسجد وُدِيَتْ ... ما بالها قطعت فى ربع دينار ؟

فأجابه :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة .. فافهم حكمة البارى !!

والإسلام يحيط جريمة الزنا بإطار خاص ، ويفصل فى عقاب مرتكبيها ، فلا يسوى بين المتزوج والعزب[3] وما بقى من التوراة فى أيدى أصحابها يشرح حقيقة ماذكرناه هنا ..

وأما أسلوب الإنجيل فى محاربة الجرائم فاسمع إلى هذه المقتطفات التى لاتزال بين أيدى النصارى يقرءونها إلى يوم الناس هذا :

١ ـــ سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ، ومن قال لأخيه : ياأحمق يكون مستوجب نار جهنم .

٢ ـــ سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزنِ . أما أنا فأقول لكم : إن من ينظر إلى امرأة يشتهيها فقد زنا بها فى قلبه . فإن كانت عينك اليسرى تعثرك فاقلعها وألقها

---

(١) المحصن هو الذى تزوج ـــ وغير المحصن : الذى لم يتزوج .

(٢) والذى يجرب الأمن فى المملكة السعودية ـــ وهى أقل بلاد العالم على الإطلاق جرائم يعرف معنى حكمة القصاص والحدود .. ولو نفذت حادثة قطع واحدة فى ميدان عام لاختفت جرائم السطو والسرقة . أما أن يأخذ السارق أو قاطع الطريق شهرا أو سنة فى السجن يخرج بعدها عملاقا فى الجريمة فلا .. فليدرك .

(٣) راجع كتاب التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالتشريع الوضعى للشهيد عبد القادر عودة .

عنك خير من أن يلقى جسدك كله فى جهنم ..

فهل هذه النصوص تهادن الإجرام ، وتشيع بين الناس الفاحشة على النحو الذى تسبح فيه أوروبا الآن ؟ إن الله يغار ، وغيرته على عباده سر الحكمة فى تحريم المناكر ، والغلظة فى مؤاخذة ذويها .

لكن اليهود والنصارى لما وهى إيمانهم ، واستمرءوا المعاصى فى بيوتهم ومجتمعاتهم تراخوا فى إنفاذ شرائع الله بينهم ، ثم تدرجوا من ذلك إلى تعطيلها ، والإتيان بأحكام تدلل الغرائز المريضة ، وتهادن المسالك المعوجة ، وتداهن فى مواجهة الإثم ، وكأنهاتقول له : سر .. ولكن بعيدا عنى وبرضا منى !!

ولن يعجز هؤلاء المميتون لشرائع الله أن يجيئوا بألف عذر لما فعلوا ... وسيسوغون اختلافهم لقوانين أخرى بأن ذلك إحسان إلى المخطىء ، ورفق به ، وتوفيق بين رغائب الكبراء إذا أساء أحد منهم ، وضرورة المجتمع فى مصادرة الجريمة بعقوبة ما .

وقد رفض الله ــ عز وجل ــ هذا الاحتجاج ، وعد الباعث على تغيير شرعه هوالكفر به وبما أنزله . فقال مخاطبا رسوله محمدا ــ ﷺ ــ يكشف هذه النيات والسيئات ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به** ... ؟ ﴾ إلى أن قال ﴿ **فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن**[1] **أردنا إلا إحسانا وتوفيقا** ﴾ .

إن الإحسان والتوفيق لايكونان إلا فى إقامة أحكام الله ، وتقديس أوامره كلها ، فلا يحابى منها ماترغب ويرجأ ماترهب .

وانتظار السلامة للمجتمع من وراء التشاريع التى صنعها الناس لأنفسهم تعلق بالمستحيل وحريٌّ بالعقلاء ألا ينتظروا منها إلا الخلل العام والفتن الهوج العمياء .

ومرة أخرى أؤكد أن الله قال : ﴿ **فى القصاص حياة** ﴾ فمعنى ذلك أن تركه موت وبلاء وكروب ومصائب ، وأن اللهإذا وضع للبشر حدودا فمن الخير

(١) إنْ : هنا : نافية = أى ماأردنا .. الآيات من سورة النساء .

لهم أن يرعوها ، فإن من يتعد حدود الله لايظلم أحدا بعيدا عنه ، ولكن الأمر كما قال : ﴿ **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** ﴾ .

وتوجد شبهة أخرى عند خريجى التعليم الحديث ، تخيل إليهم أن التشريع الغربى قد وصل فى تناوله لشتى الأحوال إلى مرتبة من تقعيد القواعد وتفريع الفروع لم يصل إليها التشريع الإسلامى .

وهم معذورون فى هذا الوهم ؛ لأنهم أمام تشريع يحييه التطبيق المتجدد ، وتصله بواقع المجتمع أوامر شتى .. أما التشريع الإسلامى فهو كنوز مدفونة ، تحت الثرى لايدرى نفاستها إلا الأقلون ..

والحقيقة أن الفقه الإسلامى بلغ فى عصوره الأولى درجة من النضج والروعة لايدانيها ولا يطاولها شىء من القوانين الوضعية الحديثة فى أزهى مواطنها اليوم — مع التفاوت فى القياس — فإن هذه القوانين تعتمد على نزوات بشرية وتنبثق من جذور شيطانية . أما ذاك فهو يقوم على أصول من الوحى الأعلى ، وينطلق فى مجراه الممهد بين حصانات من هدى السماء(١) .

ولا بأس أن ننقل طائفة من الشواهد التى أثبتها الأستاذ « محمد جمعة » عضو مجلس النواب السابق فى مذكرة له يدافع بها عن التشريع الإسلامى ، ويصور المدى الذى بلغه من الكمال . قال :(٢) « عرف الإسلام القضاء الإدارى على شكل محكمة عليا تفصل فيما يفصل فيه مجلس الدولة الآن وكانت تنظر أيضا فى قضايا الاستئناف التى ترفع من أحكام أول درجة .

واختصاصات هذا النوع فصلها أبو الحسن الماوردى وهى :

١ — النظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد والجماعات على الولاة ، وعمال الخراج إذا اعتسفوا فى جمع الضرائب ، وعلى كتاب الدواوين إذا حاولوا إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة .

٢ — النظر فى تظلم المرتزقة (موظفى الدواوين) إذا نقصت مرتباتهم أو تأخر دفعها لهم .

---

(١) راجع كتاب : قبسات من الرسول ﷺ للأستاذ محمد قطب .

(٢) راجع كتاب : ظلام من الغرب للغزالى .

٣ ــ تنفيذ مايعجز عنه القاضى والمحتسب فى تنفيذه من الأحكام .

« وكما عرفت الشريعة الإسلامية القضاء الإدارى فى قوانينها ، عرفت الضمان الاجتماعى الذى لم تعرفه أعرق الدول مدنية إلا حديثا »(١) .

« كان الفقه الدستورى القديم فى الغرب يقنع من العدل بصورة سلبية يكتفى فيها بمنع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد ،ولكن الفقه الدستورى الآن لايقنع بذلك ، بل يفرض اتجاها إيجابيا يلزم الحاكم فيه أن يُهَيِّىء الظروف للفرد كى يمارس حقوقه ، فنصت معاهدة حقوق الإنسان الأخيرة الصادرة عن « هيئة الأمم المتحدة » على حق كل فرد فى أن يجد عملا بشروط عادلة وأجر مجز ، وحقه فى المسكن والعلاج من المرض .. إلخ » .

هذا ماوصل إليه الغرب أخيرا بعد عدة قرون من التشريع الإسلامى .

« إذ أن الإسلام سبق الغرب فى هذا الميدان بمراحل » .

وليس أدل على ذلك من أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » وقف يوما يودع أحد ولاته قبل سفره إلى الإقليم الذى سيحكمه وألقى عليه هذا السؤال(٢) :

ماذا تفعل إذا جاءك سارق ؟

فأجابه الوالى : أقطع يده ..

وعقب عمر رضى الله عنه على جوابه قائلا :

« وإذن فإن جاءنى منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك » واستمر قائلا : « إن الله قد استخلفنا على عباده ، لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها .

يا هذا : إن الله قد خلق الأيدى لتعمل، فإذا لم تجد فى الطاعة عملا التمست فى المعصية أعمالا فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ..

لله ماأعظم هذا التشريع وأحقه بالإنفاذ والتحكيم !!!

---

(١) راجع كتاب : أصول الدعوة للأستاذ عبد الكريم زيدان .

(٢) لا يحضرنى الآن سند هذه القصة (تعليق الشيخ الغزالى) .

وكتب خالد بن الوليد بعد فتح العراق ــ يقول : « أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت عنه جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ماأقام بدار الهجرة ودار الإسلام !!! .. (١ هـ من كتاب ظلام من الغرب) .

وجلس عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ يوما فى محرابه يبكى .. فدخلت عليه زوجه تسأله عن السبب فقال : ذكرت المحتاج والضعيف والعزب والأرملة والمسكين وابن السبيل فعلمت أنى مسئول عن العزب الذى لم يتزوج ؟؟ !!!(١) .

وإليك ــ ياأخت الإسلام ــ ماقاله الفيلسوف « نيتشه » الألمانى ــ تعليقا على تعاليم الإسلام ــ لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة ــ يقصد فلسفة الإغريق ــ ثم حرمتنا بعد ذلك من شريعة الإسلام !!!

لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة فى الأندلس ! لماذا ؛ لأنها نشأت من أصول رفيعة ومن غرائز شريفة .. نعم .. من غرائز رجال الإسلام . إن تلك المدنية الإسلامية لم تتنكر للحياة بل تجاوبت معها وفتحت لها صدرها ، ولقد قاتل الصليبيون تلك المدنية بعد ذلك ، وكان الأولى بهم أن يسجدوا على التراب شكرا لله ــ ويأخذوا بها ، وما مدنيتنا فى هذا القرن إلا متخلفة وآلية بجانب مدنية الإسلام فى ذلك الوقت(٢) .

وفى سنة ١٩٣٨ عقد فى لاهاي مؤتمر القانون المقارن . وقد تقرر فيه اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا مهما من مصادر التشريع ، وذلك بعد أن أشاد الأعضاء الأجانب ــ على اختلاف مللهم ــ بأحكام تلك الشريعة(٣) .

وفى عام ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق بالمجمع الدولى للقانون المقارن مؤتمرا للبحث فى الفقه الإسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم (أسبوع الفقه الإسلامى) ودعت إليه عددا من المستشرقين والأساتذة فى القانون بالدول

---

(١) فما بال خلو الرجل لشقة يوجدها لعروسه اليوم ؟ والمهر !!! ياالله للمسلمين !!!

(٢) راجع ماقلناه فى أول الكتاب عن « الإسلام والمدنية » .

(٣) راجع كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ــ لأبى الحسن الندوى وكتابنا ــ حاضر العالم الإسلامى .

الغربية وقد حاضر الأعضاء فى خمسة موضوعات حددها مكتب المجمع الدولى للقانون المقارن وهى :

١ ــ إثبات الملكية .
٢ ــ المسئولية الجنائية .
٣ ــ الاستملاك للمصلحة العامة .
٤ ــ تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها فى بعض .
٥ ــ نظرية الربا فى الإسلام .

وكانت كل المحاضرات باللغة الفرنسية ، وخصص لكل موضوع يوم ، وعقب كل محاضرة كانت تدور مناقشات طويلة بين المحاضر والمؤتمرين ، وتسجل خلاصتها .

وفى بعض المناقشات ، وقف أحد الأعضاء ــ وهو نقيب سابق للمحامين فى باريس ــ يقول : « أنا لاأعرف كيف أوفق بين مايحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامى وعدم صلاحيته كأساس للتشريع يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور وبين مانسمعه الآن فى هذه المحاضرات ، وفى مناقشتها مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادىء » ؟؟!

كما وقف غيره من المستشرقين ، ورجال القانون ، وأشادوا بالفقه الإسلامى وأقروا أنه صالح لجميع الأمكنة والأزمنة ــ على الإطلاق !!!

ونظرا لما ثبت للمؤتمرين من الفائدة المحققة التى أتاحتها المباحث المعروضة ــ خلال (أسبوع الفقه الإسلامى) وما دار حول هذه المباحث من مناقشات أثبتت بجلاء أن الفقه الإسلامى يقوم على مبادىء ذات فائدة أكيدة ، وأن اختلاف المبادىء فى هذا الجهاز التشريعى الضخم ينطوى على ثروة من الآراء الفقهية ، وعلى مجموعة من الأصول الفنية تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونة لجميع مطالب الحياة الحديثة ..

« فإن أعضاء المؤتمر يعلنون رغبتهم فى أن يظل (أسبوع الفقه الإسلامى) يتابع أعماله سنة فسنة ، ويكلفون مكتب المؤتمر قائمة للموضوعات التى أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أساسا للبحث فى الدورة القادمة » .

« ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامى يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات القانونية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة » .

هذا هو الفقه الإسلامى ، وهذه هى آراء علماء القانون الغربيين والمستشرقين أيها المستغربون المتعالمون أقول :

فماذا صنعنا نحن لخدمته ؟ ..... أو ماذا سنصنع ؟

جاهلية حديثة ورؤوس حافية[1] :

هل عرف المسلمون وجماهيرهم عصابة الكتاب الذين يريدون هدم شعائرهم وصرف الأجيال الجديدة عن الأخذ به ؟

هل عرف جمهور المسلمين بعض رؤساء الدول الإسلامية الذى يلزم دولته بالفطر فى رمضان ــ من باب الرخصة حتى لايقل الإنتاج ؟!

وهل عرف جمهور المسلمين رئيسا مخبولا فى عقله يفتات على السنة النبوية المطهرة وينكر حجيتها والعمل بها .. ثم هو ينادى أخيرا بهدم ركن الحج ؟!!

وهل سمع جمهور المسلمين عن أحدهم يحل الخمر فى حى ويحرمه فى أحياء ؟ وفى مواسم ويحله فى غيرها ، و ... و ... حرصا على مصالح السياح والدولار والاسترلينى ، إن هؤلاء وهؤلاء كشفوا عن أنفسهم ، فاستبان مافى قلوبهم من ضغن هائل على الإسلام وإصرار شديد على التخلص منه ، وكانت مهزلة الشيخ « بخيت » هى الحدث الأصغر الذى أسقط النقاب عن وجوه القوم ، فإذا النفاق يتحول إلى كفر صريح ..

ودافعت عصابة أدب الانحلال ــ آنذاك ــ عن حرية الرأى ، ثم جن جنونهم حين رجع الشيخ عن فتواه وتاب وأناب ، فقد أفلت الصيد الذى كانت تريد إهانة الإسلام به وانقلبت تزجر الشيخ وتوبخه على عودته للحق ــ وهى التى كانت تتحدث قبلا عن حرية الخطأ !!!

---

(١) من كتاب : « ظلام من الغرب » ــ بتصرف ــ

وتكتب أخبار اليوم ــ المؤسسة الأمريكية ــ ويكتب على أمين عن الذين حرقهم خصومهم بالنار وعلقوهم فى المشانق ، وبقوا إلى النفس الأخير يدافعون عن رأيهم بالحجج والبراهين .

هكذا يكون التحريض على الله ورسوله ، وهكذا يكون الإغراء بالهجوم على الإسلام .

إن المصيبة المضحكة فى هذه الضجة أنها اتخذت عنوانا براقا ، لتستر سوءتها ، هو : « حرية الرأى » وحرية الرأى هذه تنكمش وتذوب عند مناقشة قضايا جليلة لها خطرها فى اليوم والغد ، وتتسع وتنتشر كالوباء عندما تكون غطاء للنيل من الإسلام والمساس بقدسيته .

باسم حرية الرأى يصدر ــ فى أيامنا هذه ــ العدد « ١٤٠٩ » من « روز اليوسف » طافحا بالدعوة إلى الخلاعة ، بل إلى الفسق والفجور .. وكأن حرية الرأى مَرادف جديدة لحرية الزنا فينشر تحت عنوان « إباحة العلاقات الجنسية بين تلاميذ المدارس » بيان من مجلس الوزراء فى السويد يحبذ هذه العلاقات « ماذا تصنع المدرسة إذا أنجب اثنان من تلاميذها ؟ » .. إلخ هذه القصة المستوردة من السويد ويراد لها أن تطبق فى مدارس المسلمين ؟؟

ويكتب الماجن الوجودى فى هذا العدد : إنه لم يعد من حق رجل الدين أن يأمر بتحريم الرقص على المرأة ..

لم يعد من حقه أن يدع الطلاق معلقا بإرادة الزوج .

لم يعد من حقه أن يحرم ارتداء المايوه . فالمايوه أصبح حقيقة أقوى من هيئة كبار العلماء !!!

ويسير ويسير فى هرائه هذا بين الغمز واللمز والتصريح والبذاءة .. (أغلب مواد المجلة هزء بالإسلام على هذا النحو الوضيع باسم الحرية « حرية الرأى » السلاح الذى يشرع فى وجه الإسلام وحده من دون غيره من الأديان والمذاهب .. أرأيت ؟ أن عصابة الكتاب التى تحترف الحرية فى بلاد الإسلام تعرف الحرية فى إطار معين « إنهم يعملون لحساب جهات يهمها ــ أولا وآخرا ــ أن تمزق الإسلام وأن تأتى على معالمه .. الإسلام وحده !!

وواضح أن تحقير الإسلام وخذلان أهله ، وتقديس الديانات الأخرى وإكبار سدنتها خطة تعمل لها أقلام معينة ، وتساندها الدول التى تقيم المؤسسات .. وتعين موظفيها ..

وذلك كلام لانلقيه على عواهنه ، فلحساب من تتحدث صحف معروفة عن « بابا » روما وكيف جاءه المسيح وهو نائم مريض ، وكيف صافحه ، ثم لاتمضى أيام حتى تنقل أسلاك البرق أنباء معجزة أخرى .

(!) أن البابا المذكور عانق طفلة عمياء فرد إليها بصرها ، وأن الإجراءات لرسم نيافته قديسا تتخذ الآن !! ..

إن مؤسسة دار اليوم تنشر هذا الهراء فى صفحاتها الأولى ! إن لم يكن بدون تعليق فهو بكل أدب وتوقير .. على حين تتبارى هذه الدار مع مجلة « روز اليوسف » فى نشر صور استهزاء مستمر « للشيخ متلوف »[1] رمز « العالم المسلم » فى نظر هذه الدور النزيهة المصونة .

أتراها تجرأت يوما ما فنالت من مكانة واحد من رجال الكهنوت برغم مانسب إلى بعضهم من شذوذ جنسى وانحراف خلقى ؟!!!

وجنون الإعجاب بالأقوياء فنون .

ولله فى المائعين المستضعفين من خلقه شئون !!!

* * *

(١) والشيخ فيل ... إلخ ماكنا نقرأه فى صحافة الحرية والحضارة .

الفصل الرابع

أجـــل ... لقـــد ان الآوان

- غربة الدار والوطن
- المرأة زوجـــة
- المرأة أم
- المرأة بنت وحفيدة
- المرأة بين البيت والمجتمـع

غربة الدار والوطن :

أى بنية : لقد رأيتك هكذا صرت غريبة فى أهلك ، وعشيرتك ، ووطنك وأمتك . ولا تعجبى ، فهذه نبوءة المصطفى ﷺ حيث قال : « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ .. !! فطوبى للغرباء » .. قيل : ومن هم الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس !! » وفى رواية « الذين يصلحون فساد الناس » أو كما قال — ﷺ — أى أخيّة : لقد شوهت عنك الرؤية ، وحبس عنك النور ، ونشأت فى مجتمع منكوس ، تطور إلى الوراء .. إلى الجاهلية الأولى — وأشد — فاختلطت عليك الرؤية ، وأصبحت ترين المنكر معروفا والمعروف منكرا ، بل ويؤمر بالمنكر وينهى عن المعروف تماما كما وصف الرسول — ﷺ — فى الحديث الذى رواه عنه أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه — فارجعى إليه فى أول الكتاب — فصل « حيرة المسلم » .

أرأيت ماأنت فيه من سحب قاتمة ، وركام دامس من الرذائل والخبائث ؟ .. سينقشع عما قريب — إن شاء الله — عندما تضربه حرارة شمس الإسلام ، وتنير الدنيا بأسرها على يد رعيل من المؤمنين الصادقين يحملون مشعل الهداية والنور بعلم وصدق وإخلاص وطهر ونقاء ؛ ابتغاء رضوان الله فالعلماء بالإسلام — فى أيامنا هذه — قلة تدعو إلى الأسف والتوجس .. ولا يخدعنك هذا الجم الغفير من حملة الشهادات الدينية العالية والدكتوراة ، فإن جمهورهم مانال درجته العلمية إلا على محصول من المعرفة هزيل ، قليل الغناء والجدوى .. !! وفى تصورى أن « الأزهر » بحاجة ماسة إلى مراجعة مناهجه واختباراته العامة فإن الغرابيل التى يمتاز بها الغث من السمين ، قد زادت خروقها حتى أصبحت تنفذ منها الأحجار !! .

مامعنى أن يوصف امرؤ أنه « عالم » بالإسلام — بل ويمنح الدكتوراة — وهو لايحفظ كتاب الله — بل ولا يستطيع أن يقرأ سورة قصيرة دون لحن أو سوء نطق — وهو أساس الوحى ودستور الإسلام ؟ مامعنى أن يوصف بأنه عالم بالإسلام ويمنح الدكتوراة وهو لايدرس من سنة رسول الله ﷺ وهى معالم الهدى ومنار الطريق ؟ — ولا يعرف من أدب العرب — وهو عدة البيان العالى والتعبير البليغ ؟ ولا يشرف على المجتمع الذى يعيش فيه ، لأنه يلهث فى مساربه

وخوافيه؟ـ ومع الأسف نال الدكتوراة فى الشريعةـ.

وهبيه حفظ من القرآن أجزاء ، ومن السنة نبذا ، ومن أدب اللغة فصولا ، بل هبيه استوعب حقائق ذلك كله ، فما انتفاعه منه إذا كان مريض القلب واللب ؟!

وما انتفاع الإسلام بهذا الصنف من العلماء(١) ، إذا كانت تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى داء الكلب بصاحبه ، لايدع منه عرقا ولا مفصلا إلا تغلغل فيه !!!

ولئن شكونا من قلة العلماء فإننا لنشكو من طائفة أخرى .. طائفة احترفت العلم فبدلا من أن تتهذب به ، وتهذب به الناس ، أخذت تسخره فى نيل الدنيا وهكذا وجدنا فى هذه الأيام العجاف من ينقل الإسلام إلى أصحاب الشهوات ، ليزيد ضراوتهم بالحياة ، وفتكهم بالدنيا بدلا من أن ينقل هؤلاء المرضى إلى الإسلام ليصحوا فى جوه النقى ، ويبصروا على سناه الهادىء المريح !!!

وإليك بعض الأمثلة المضحكة المبكية .

يتجمع بعض النسوة ليحاربن مبدأ تعدد الزوجات ، وليثرن شغبا مفتعلا على رئيس وزارة تزوج « سكرتيرته » .

فإذا عالم قمىء يخرج من شقوق الأرض ليقول : نعم الإسلام يحارب تعدد الزوجات ويصفقن له ويصفق من الصحفيين من أعياه الإصلاح الاجتماعى وتسمع هؤلاء وأولئك يقولون : هذا هو العالم المجدد !!

هو عالم مجدد لأنه يرضى الزنا بالخليلة ويكره الزواج بالحليلة .

هو عالم لأنه ركب من النصوص أدلة تحظر تعدد الزواج على طريقة الشاعر الهازل :

ماقال ربك : ويل للأولى سكروا بل قال ربك : ويل للمصلينا !!

الله ــ سبحانه ــ يقول : ﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ..** ﴾ ويقول :

---

(١) وعالم بعلمه لم يعملن .. معذب قبل عباد الوثن

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ــ ولو حرصتم ــ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة .. وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيما ﴾ .

من هاتين الآيتين نفهم أن التعدد حرام ، كما فهم أحد الشعراء العابثين أن الخمر حلال لأن أبا حنيفة يبيح النبيذ ، ومالكا يقول : النبيذ والخمر سواء ... فقـــال :

أباح العراق النبيذ وشربه وقال : حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى : الشرابان واحد فحلت لنا من بين قوليهما الخمر

* * *

وهذا عالم آخر يرى بعض الأدباء الماجنين ــ وقد ضاق ذرعا بشريعة الصيام ؛ لأنه ضيق الصدر بشريعة الإسلام كلها ! فيخرج على الناس بفتوى تجعل الصيام هواية تتبع المزاج المرهف ، فمن كان شغوفا[1] بالجوع والعطش صام . وإلا فليفطر جهارا نهارا ، ولا تحرج ولا ملام .

وتخرج الصحف ــ التى طالما حرضت على البغاء ، وطالبت الحكومة برفع الحظر عنه ، والتى استنكرت تحريم القمار ، وعدت الإبقاء عليه ضرورة إنسانية .. تخرج هذه الصحف ــ وقد طَبَّلَتْ للفتوى الجليلة وزمرت ــ وسلكت صاحبها فى عداد الأئمة الثائرين أو الخلفاء الراشدين .

فإذا رأى الأزهر تأديب غلامه المارق ، صاحوا به من كل جانب : ياظالم .. اتركه يامتأخر ..

واقتحم الدكتور « طاحين » غبار المعركة بمقال عنوانه « حق الخطأ » قصد به إلى حماية التزوير على الإسلام ، زاد فى مقاله السمج أن لهم ــ أعنى لهؤلاء المفتين المزورين ــ أجر الخطأ فيما قالوا بعيدا عن الصواب ...

ويخرج علينا مأفون من رؤساء الدول الإسلامية ويبيح الإفطار فى رمضان بل ويأمر به لئلا يتأثر الإنتاج ــ كما أسلفنا القول فى ذلك ــ ثم يخرج مسيلمة القرن العشرين رئيس دولة أخرى ــ مسلمة ــ ويتهجم على السنة المطهرة بل ويصف الوقوف بعرفة أنه سذاجة .. ﴿ **قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ .. !

إن هؤلاء الناس أفسدوا حياتهم بالرذيلة والتحلل والتمرغ فى الوحل فهل يريد هؤلاء اللاعبون بالفتاوى أن يسوغوا لهم محياهم وأن يرضوهم عن مسكنهم .. ؟ هل نفسد الدواء نفسه ، ليبقى العليل أسير علته إلى الأبد ؟ هل نشوه الإسلام ونحرف الكلم عن مواضعه ، لنرضى نسوة ورجالا ، أعرف ــ ويعرف غيرى ــ أنهم ماتطهروا لله يوما ولا أدوا له صلاة ، ولا خافوا له لقاء ، ولا أقاموا له حدا ، ولا احترموا له حقا .

إنها فتنة بيد أنها تثير الغثيان والمضاضة إننا نرمق كثيرا من أصحاب الأسماء اللامعة فى ميادين الصحافة والفن والتعليم يحيون كما يحيا اليهود والنصارى والمجوس

---

(١) هكذا قال الشيخ عبد الحميد بخيت المدرس فى كلية أصول الدين .

والذين أشركوا ــ كما يهوون ــ غير حراص أَلْبَتَّة ــ على تعرف أحكام الله فيما يأتون ويذرون . وكذا النساء اللائى يحملن اسم الإسلام .

وقد يستحى الواحد منهم أن يجهل تقليدا غربياً فى أسلوب السلوك العام بل فى أدب الطعام والشراب والموضة والتقاليع ولكنه لايستحى أبدا من أنه ــ أو أنها لايعى فى تعاليم الإسلام حرفا ولا يدرك منها إلا مايتخيله ويرضاه .

وربما لانتعرض لهؤلاء إذا شربوا الخمور ، واتخذوا الخليلات والأخدان وضلوا الطريق ــ طول عمرهم ــ إلى بيوت الله طلبا للمغفرة ، أو إقامة الصلاة .. نعم ربما لانتعرض لهم بالتقويم ، لأن ذلك ليس فى طاقتنا ..

بيد أننا لانسكت إذا حاول تارك الصلاة منهم أن يطعن فى وجوبها أو مفطر رمضان منهم أن يخدش من قداسة فرضيته .

نعم ربما لانتعرض لهم إذا ارتكبوا حماقات دولية فى حق أوطانهم وأمتهم ــ لأننا لانستطيع الآن ؟ لكننا لانسكت إذا حاول مجنون أو أفاك أثيم أن يتهجم على شعائر الحج ــ جهلا وخرقا .

لن نسكت إذا حاولوا مد آثامهم إلى نطاق الإسلام نفسه ، يبغون تشويه آياته ، أو تقويض نظامه ، أو تحريف الكلم عن مواضعه .

إن السكوت عندئذ لايعنى إلا إماتة الإسلام ومواراته الثرى .. والله .. إن الحياة بعده لهى الخسران المبين !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . !!!

أيتها الأخت المسلمة ــ مسلمة القرن العشرين ــ فى جو من الاحترام والتقديس تمتعت أختك فى الصدر الأول من الإسلام ــ وفى عصوره المشرقة ــ بشخصيتها ، وحملت مشعل النور بجانب أخيها الرجل ، حتى تركونا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك ، ثم فرطنا فى حمل الرسالة حتى صرنا وصرت ــ إلى مانحن عليه الآن فهل آن الأوان لأن تكتشفى نفسك وتعرفى مكانك وتنفضى عن كاهلك غبار السنين والأحقاب .. هل آن الأوان لتفهمى منزلتك عند الله ، هل وضحت الرؤية ؟ واستبان الطريق ؟ هل فكرت فى يوم القيامة ؟ **﴿يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** وأنك مسئولة يوم القيامة عن عمرك فيم أفنيته وشبابك فيم أبليته وعن علمك ماذا صنعت به

وعن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته .. ؟ تماما مثل الرجل « إنما النساء شقائق الرجال » ﴿ **ألم يأنِ للَّذين آمنوا أنْ تَخْشَع قُلُوبُهمْ لذكرِ الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتابَ من قبلُ فطال عليهم الأمدُ فقستْ قُلُوبهمْ وكثيرٌ منهم فاسقون** ﴾(١) أعتقد ولعلك تعتقدين معى ـــ أنه قد آن الأوان وانتهى وقت الهزل وجاء وقت الجد ، حتى تكونى جديرة بأن تكون الجنة تحت أقدامك كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ « الجنة تحت أقدام الأمهات »(٢) .

افتحى عينيك على تاريخك الإسلامى المجيد ، ثم سيرى فى درب أخواتك المؤمنات الخالدات من أمثال خديجة وعائشة وأسماء ، وفاطمة ، ونسيبة والخنساء .. إلخ ـــ رضى الله عنهن ـــ وأمثالهن كثيرات عبر التاريخ الطويل الحافل بالمكرمات ، وانسجى على منوالهن وجاهدى جهادهن ؛ تفوزى فوزهن بسعادة الدنيا والآخرة ؛ لتكونى جديرة بالمكانة التى بوأك الإسلام إياها ..

ثم ابدئى بتوجيه هذه الأسئلة إلى نفسك :

ما رسالتك فى هذه الحياة ؟

ما مكانك من دعوة الإسلام ؟

ما دورك الإيجابى فى دعوة الإسلام ؟

ولنتعاون معا على حل هذه المشكلة ، فهى ليست مشكلتك وحدك .. إنها مشكلة أمى ، وأختى ، وعمتى ، وخالتى ، وزوجتى أم ابنى وابنتى .. إنها مسئولية مشتركة بيننا ـــ نحن الرجال وبينكن معاشر النساء .. أو لسنا أشقاء ؟ « إنما النساء شقائق الرجال » أحب دائما أن أردد هذا الحديث الشريف .. آه لو فهمته المسلمات ؟!!!

ولأريحك من هذا العناء ، فلنبدأ معا من جديد . و ﴿ **عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام** ﴾ .

---

(١) أكملى إلى آخر سورة الحديد .

(٢) وقد ضعفه الألبانى ـــ رغم شهرته ـــ وهو صحيح المعنى مصداقا للحديث الصحيح : « من أحق الناس بحسن صحابتى يارسول الله ؟ قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك » وما قصة علقمة عنا ببعيد صححه الحاكم ـــ كشف الخفاء ص ٤٠١ .

وضعى نصب عينيك ذلك الأمر الخطير الذى لايزال القانون الإسلامى سابقا(١) فيه كل النظم والقوانين الحديثة ، وهو مايتعلق بشخصية المرأة (الحقوق) وقد حدثتك عن ذلك طويلا فى فصل سابق ــ فقد منحها الله ــ منذ أربعة عشر قرنا ــ حق التصرف المستقل فيما تملك كما منح الرجل دون نقصان ــ وهو الشيء الذى لاتزال القوانين الأرضية الحضارية قاصرة دون بلوغه حتى اليوم بل وغدا إلا أن تعتنق الإسلام . !!!

ومن الطرافة أن القانون المدنى السورى عندما اعتمد القانون الفرنسى بديلا عن الشريعة الإسلامية وقف ليستثنى من حق المرأة فى التصرف فى ملكها ؛ حيث لم يسمح القانون الفرنسى لها بذلك إلا بإذن أبيها أو زوجها . فقال المشرع السورى هذا مخالف للشريعة الإسلامية السمحة الغراء فالمرأة لها الحق فى التصرف بملكيتها دون إذن من أبيها أو زوجها(٢) .

وقد أفضنا القول فى ذلك حتى لم يبق ذرة شك لمستريب(٣) .

ولنتحسس الطريق معا ــ فى حدود الدائرة التى رسمها الإسلام ، والفطرة التى فطرك الله عليها والتعاليم التى بُعث بها رسولَ الإنسانية محمدا ﷺ ﴿**وعلى الله قصد السبيل**﴾ .

المرأة زوجة : اقتضت حكمة الله ــ جل وعلا ــ أن يتكون الكون من مجموعات قبلية حتى فى الأفلاك والجبال والحيوانات فهناك المجموعة الشمسية .. وسلاسل الجبال .. وقبائل الفيلة والقردة وممالك النحل .. والنمل .. إلخ .. والإنسان مدنى بطبيعته لايعيش وحده ويعتز بالأسرة والقبيلة والوطن .. ولقد عنى الإسلام بالأسرة عناية فائقة ــ لم يسبق بمثلها ولم ولن يطاوله نظام آخر ــ على الإطلاق ــ لأنها بداية المسيرة وهى عماد المجتمع والأفراد عمادها ..

(١) لأنه منهج الله .

(٢) نقلا عن الدكتور : عبد الرحمن عتر فى رسالة الدكتوراه .

(٣) ونلخص لك ذلك ــ وإن شئت المزيد فارجعى إليه ــ فقد أباح لها حرية العقيدة تماما كالرجل (كملكة سبأ وامرأة نوح وامرأة لوط ، وامرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد .. إلخ) ووهبها حرية التملك والتصرف والعمل فى دائرتها بشروطه ــ كما قدمنا ــ كابنتى شعيب وخديجة وأسماء ونسيبة بنت كعب وخولة بنت الأزور .. إلخ . متعى سمعك بالإنصات إلى شريط للشيخ الشعراوى فى هذه القصة وافتحى عينيك وقلبك على كتب السيرة والتاريخ الإسلامى .

ونحن لانطمع — ولو إلى حين — فى إسلام غير المسلمين — الآن — وإنما هدفنا — بالدرجة الأولى (إسلام المسلمين ورفع مستوى إسلامهم ورتق فتوقه) . فإذا هيأ الله للأمة الإسلامية إيجاد المجتمع المسلم المثالى فهو يحاول إيجاد المجتمع الإسلامى العالمى بالانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية — كما أراد الله للمسلمين أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** .. ﴾ .

ولما كان الفرد هو قوام الأسرة كان موضع العناية الإلٓهية والتربية الربانية .

ولما كان قوام الحياة — كما أسلفنا — على الذكر والأنثى ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين** ﴾ .. خلق الله أمنا حواء من نفس أبينا آدم ﴿ **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء** .. ﴾ ثم روضهما على الحياة فى الأرض بالتكليف فى الجنة .. بالاختبار والابتلاء بالتدريب والتمرين دورة تدريبية ميدانية(١) — ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ فلما رسبا فى الامتحان ﴿ **ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ أهبطهما إلى الأرض ومعهما إبليس اللعين وقلنا ﴿ **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو .. ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ ثم زودهما بالمنهج الذى يسير حياتهما ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم** ﴾ ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ثم عنى بالأولاد حتى قبل ولادتهم . ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟** ﴾ .

ولابد لإيجاد البيت المسلم من إيجاد الفرد المسلم أولا ؛ إذ هو اللبنة الأولى فى بناء هذا الصرح الشامخ — المجتمع الإسلامى — فعنى الإسلام به فى ظهر أبيه

---

(١) ليتدربا على الحياة التى أرادها الله لذلك لم يحاسبهما الله وعفا عنهما فأهبطا مزودين بالحصانة من خلال التجربة التى مَرَّا بها .

وحين تبذر بذرته فتوصى السنة النبوية الشريفة باختيار الحرث الخصيب الممرع الطيب فيقول المصطفى الكريم « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها .. فاظفر بذات الدين تربت يداك » فاظفر بذات الدين .. ذات الدين هى التى تنجب اللبنات الصالحة وتربى التربية الصالحة وتوجه التوجيه الصالح فبطنها وعاء وحجرها سقاء وصدرهانماء وأمن وصفاء .. إلخ . ومن نكح امرأة لحسبها وعزها ـــ فقط ـــ أذله الله .. ومن نكحها لغناها فقط أفقره الله .. ومن نكحها لجمالها ـــ فقط ـــ قبحه الله .. ومن تزوجها لدينها أعزه الله وأغناه الله وجمله الله .. وصدق الله العظيم ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ .

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

ورأس مال المرأة عفتها ودينها ـــ لا خضراء الدمن الحسناء فى المنبت السوء .. وصدق رسول الله : « تزوجوا الودود الولود » . و« لسوداء ولود خير من بيضاء شحمة » وقيل : « خير من بيضاء عقيم » أو كما قال ـــ ﷺ ـــ فإذا توفرت الصفات كلهن أو واحدة أو أكثر مع الدين كان خيرا إنما الهدف الأول « الدين » فما أسماه من هدف ، وما أعظمه من غاية !!!

ذات الدين .. وما أدراك ماهى ؟ !!! تجعل البيت جنة وارفة الظلال ، والحياة نعيما يسر البال وواحة تسعد النفس والخاطر ، وتجذب الرجل إلى البيت ، فيتفيأ ظلاله ويسعد فيسعد من حوله .

وما استهدف رسول الله ﷺ الزواج من ذات الدين إلا لخبرته بطبيعة المرأة وإدراكه النفسى العظيم لغريزتها وطبعها ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾.. عن ابن عباس ـــ رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ ـــ « أريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء .. يكفرن » .. قيل : أيكفرن بالله ؟ قال .. « يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت مارأيت منك خيراً » رواه البخارى .

فإذا لم تكن ذات دين كانت وبالا عليه وعلى أهله وعشيرته ووطنه وأمته .. كانت سوط عذاب يلهب ظهره ، ونذير نقمة تنغص عليه حياته ، وجحيما يفر منه إلى جحيم آخر قد يكون المخادنة أو أى شىء آخر إذا لم يكن صاحب خلق

ودين — وقد جعلها الله سكنا ومودة ورحمة !!! وجعلها — سبحانه — من آياته .

﴿.. **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ ولهذا قال الرسول العظيم «تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس» .

وقديما قال العربى لبنيه : لقد ربيتكم كبارا وصغارا وقبل أن تولدوا .. فقالوا يأبانا : ربيتنا كبارا وصغارا فكيف بنا قبل أن نولد ؟ فقال : لقد اخترت لكم أما لاتعيرون بها .

وفى الجانب الآخر — كى تكتمل الدائرة ويتم الهدف ، ذلك أن الدائرة لاتكتمل بسالبين ولا بموجبين ، إذ لابد من سالب وموجب — لابد من الزوج الصالح المؤمن الذى يعرف للزوجة قدرها وللزواج حرمته وقداسته وأهميته ، ولعش الزوجية آدابه وحماه وللإسلام أهدافه ومراميه من وراء الزواج الشرعى ، فهو فوق قضاء الشهوة — بناء مجتمع وامتداد نسل وإبقاء نوع وإحصان وإعفاف .. وصدق الرسول الكريم — ﷺ — « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » أمر من الله ورسوله للرجل أن يتزوج ﴿ **فانكحوا ماطاب لكم من النساء** .. ﴾ أقول : يعمد الشارع الحكيم إلى لفت نظر ولى أمر المرأة بأن يختار لابنته — كما اختار الرجل لنفسه فيقول الرسول الكريم : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » كما جاء فى شرح السنة للبغوى ٩ / ١٠ [١] وقال ابن عباس رضى الله عنهما — : لايتم نسك الناسك إلا بالنكاح [٢] (الناسك رجلا كان أو امرأة) .

« إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه » .. لا ماله وسلطانه .. « دينه وخلقه » لا حسبه ونسبه .. « دينه وخلقه » لا شهادته ومركزه الاجتماعى .. إلخ مما شاع فى مجتمعاتنا فى العصر الحاضر من الاهتمام بالعَرَض الزائل لا الجوهر النفيس من الدين والخلق ، بالمظهر البراق لا بالمخبر الخير المأمون ..

---

(١) وكما فى البخارى ٩ / ٩٢ فى كتاب النكاح وصحيح مسلم رقم ١٤٠٠ — كتاب النكاح .
(٢) إحياء علوم الدين للغزالى .

إنه مرض خطير تفشى مجتمعاتنا الإسلامية ــ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ــ وصدق الحسن بن على ــ رضى الله عنهما ــ حيث استشير فى زواج ابنة فقال للوالد الذى استشاره : زوجها ذا الدين ، إن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها ..

والحديث فى هذا الشأن يطول فلندلف إلى الهدف مسرعين طالبين من الله الرحمة والغفران ، « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه » ــ ولو كان فقيرا مكتسبا ، لاصعلوكا ، ذا همة لا كسولا ، ذا سعى ورجولة لا بطالة وتعطل بالوراثة ..

وصدق الله العظيم ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ وصدق الرسول الكريم « أيسرهن مهرا أكثرهن بركة » أو كما قال :

وما فائدة المال والجاه والحسب والنسب والمظهر الخلاب مع الكسل وسقوط الهمة أو مع العربدة والخلاعة والمجون أو الخنفسة والهبية أو الميوعة والتخنث أو اتخاذ الخليلات وسوء العشرة ؟ .. إلى غير ذلك من السلوك السيِّىء ، ثم تكون النتيجة أسرة مفككة الروابط متقطعة الأوصال .. أبناء منحرفون لم يرعهم أب كريم أو أرضعتهم أم من منبت سوء فى منبت سوء وهم كذلك نشئوا فى أسرة منحلة وبيت خرب من الداخل مستور بزيف من المظاهر الخادعة الكاذبة والعنجهية الجوفاء .

على العكس من ذلك ذو الدين مع ذات الدين والخلق ولو كان هناك فقر مع رجولة وكدح مع تعاون ، وشركة ناجحة من جنسين مؤتلفين متعاونين تنتج ذرية صالحة ومجتمعا مادامت السعادة تملأ الجوانح والطمأنينة تغمر القلوب والقناعة تضفى على الشظف ألوان التجمل وعلى التقشف أحاسيس الهناءة والمودة .. تنشر على الأسرة جوا حانيا فواحاً بعبير الجنة تردد فى سعادة ومسرة ومودة قول الرسول الكريم : « من بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » وتبتسم المرأة المؤمنة فى غبطة نادرة وسعادة غامرة حين تهتف من أعماقها هامسة لنفسها بقول المعلم العظيم ﷺ « ماغبّروجه امرأة من نفض دارها إلا جاءت يوم القيامة يخطف نور وجهها أبصار أهل الموقف جميعا ولا غسلت إناءها الذى تطعم فيه زوجها إلا غسل الله

ذنوبها وخطاياها » وصدق الله العظيم ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾ .

أجل .. إن سعادتنا تنبع من داخلنا وشقاءنا كذلك فهل من مدكر ؟ ولذا كان جديراً بالرجل أن يَخْطِبَ لابنته ذا الخلق والدين ، ويبحث عنه ورحم الله الفاروق رضى الله عنه إذ عرض ابنته قائلا من يتزوج ابنة عمر ؟ وعرضها على من ؟ عرضها على الصديق وذى النورين ــ رضى الله عنهما ــ فما كان لعثمان أن يأتى بأية زوجة مهما بلغت منزلتها على كريمة المصطفى ﷺ ولا للصديق وهو يعلم أن حبيبه الكريم ﷺ يريدها لنفسه فكانت من أمهات المؤمنين .

ولقد رغب أحد الصحابة فى زواج امرأة وهو لايملك شيئا فقال له المصطفى الكريم ﷺ « زوجناكها بما معك من القرآن » فما أعظمه من مهر إنها لروعة الإسلام وعظمة التشريع الربانى ﴿ **والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم** ﴾ .. وما المال إلا ظل زائل وعارية مستردة ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ .

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع

ورضى الله عن أم المؤمنين خديجة اختارت محمداً الأمين بعلا وخطبته لنفسها من دون رجالات قريش وعظمائها وقد كانوا يتهافتون عليها ويركضون وراء مالها وشرفها ومكانتها ولكنها رغبت عن كل هؤلاء على غناهم وحسبهم ومكانتهم ورغبت فى محمد الفقير اليتيم لأنه أعز فتيان قريش حسبا ونسبا ومكانة وإن كان من المال قُلَّ إلا أنه الصادق الأمين .

أجل : إنها رجاحة العقل وصدق العاطفة وحسن الاختيار ودقة النظرة وبعدها إنها الحصافة بالرغم من أنها كانت فى جاهلية فكان لها كل ماكانت تتمنى وفوق ماتتمنى عقيلات قريش كان لها رسول الإنسانية وأفضل العالمين محمد ﷺ إنها الأنوثة الحقة التى زكاها الإسلام وأعلى شأنها وهذه فاطمة بنت قيس رضى الله عنها تقول لرسول الله ﷺ خطبنى معاوية وأبو جهم فأنكحنى (١) يارسول الله .

---

(١) زوجنـــى .

فقال لها ﷺ « أما معاوية فإنه رجل صعلوك (١) وأما أبو جهم فإنه لايضع العصا عن عاتقه (٢) انكحى أسامة بن زيد » قالت فنكحته فكان لى منه الخير ..

وَمَن أسامة هذا ؟ من هو حتى يفضله على أبى جهم وابن أبى سفيان بن حرب ؟ إنه العبد بن العبد فصار بالإسلام حِب رسول الله وابن حِب رسول الله ﷺ والقصة فى السيرة بلقاء مشهورة فلا أخوض معك هذا الخضم الزاخر وأرجو أن تخوضيه بنفسك فيما بعد ـــ إن شاء الله ـــ ونريد أن نصل إلى الهدف من قريب [(زوج مؤمن صالح + زوجة مؤمنة صالحة = (بيت مسلم مثالى) وبيت مسلم + بيوتات إسلامية = (مجتمع مسلم) مجتمع مسلم + مجتمعات إسلامية = (عالم إسلامى)] .

فإذا اختل أحد الحدين فسدت المعادلة وكانت معادلة صعبة معقدة بهذا وبهذا وحده ترفرف السعادة على الأسرة وتصبح نواة المجتمع المسلم السعيد فيها يؤدى كل فرد واجبه على أتم مايكون من ذرية صالحة تنتج من أبوين كريمين صالحين وتنتج هى بالتالى ذرية صالحة ، وكان إيمان الأسرة وصلاحها حافزا على حسن المعاشرة وحسن التفاهم والتطلع إلى حياة أفضل ومجتمع أمثل كل ذلك فى حدود **﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ماآتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾** .

﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاتعولوا وآتوا النساء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ .

﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ الآيات حتى آية ٣٣ من سورة النساء .

---

(١) لا مال له .

(٢) إما أنه كثير ضرب النساء وإما أنه كثير الترحال .

﴿ فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه .. ﴾ ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن(١) **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ﴾ .**

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ وما ورد فى سورة النور ، وما ورد غير ذلك فى القرآن الكريم من تنظيم حياة الأسرة والمجتمع مفرقا ومتتابعا وهو كثير مما ليس هذا محله ويضيق المقام عن ذكره .

وفى ضوء سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده وصدق الرسول الكريم « خيركم خيركم لأهله » « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج » « يغلبن كل كريم ولا يغلبهن إلا لئيم » أو كما قال ﷺ

وأمره من نسائه إجمالا عجب عاجب ومثال لم يسبق ولن يطاول فهذه خديجة رضى الله عنها وهو الذى نزل عليه فى محكم التنزيل **﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾** حتى إن عائشة لتغار منها وهى فى مماتها فتقول ماغرت على أحد ماغرت على خديجة(٢) ولما أكلتها الغيرة وهى محظية رسول الله قلبا من دون نسائه قالت

---

(١) ضربا غير مبرح ﴿ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ﴾ .

(٢) أنصتى إليها وهى تقول له حين عاد إليه بعد نزول الوحى عليه لأول مرة يرجف فؤاده قائلا زملونى =

ذات مرة وهل كانت إلا عجوزا حمراء الشدقين أبدلك الله خيرا منها ؟ فقال لها غاضبا ﷺ « لا والله ماأبدلنى الله خيرا منها آمنت بى حين كفر الناس وصدقتنى [1] حين كذبنى الناس وواستنى بما لها ورزقنى الله منها الولد » أو كما قال فقالت والله ماذكرتها بعد ذلك بسوء ومع هذا فأمره من عائشة رضى الله عنها كالشمس شهرة وكان أصحابه يعاينون عطفه عليهاوهى بنت تسع سنين وتأملى هذا المشهد الحنون الشفيق المؤثر الذى تقصه أم المؤمنين نفسها على الرجال فيما بعد ليقتدوا بهدى نبيهم ﷺ فى الرفق بالإناث قالت: « والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بالحراب ورسول الله ﷺ يسترنى بردائه لأنظر إلى لعبهم من بين أذنه وعاتقه ثم يبقى من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » .

وهكذا كان أصحابه على أصدق قدوة وأعظم أسوة حتى بالجوارى فهذا جعفر رضى الله عنه تصب جارية له عليه الماء فوقع منها الإناء على رأسه فشجه فنظر إليها مغيظا محنقا فقالت له الجارية وكانت فقيهة مع أنها جارية لأنها فى بيت من ؟ فى بيت صحابى جليل أدبه الصادق الأمين وقد سمع منه « خَوَلُكُمْ إخوانكم ... الحديث » قالت الجارية لسيدها جعفر ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ فقال لها : كظمت غيظى .. فقالت ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ فقال قد عفوت عنك .. فقالت ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾ فقال أنت حرة لوجه الله ..

المـــــرأة أم :

بهذه الأمومة ، ومن قبلها الزوجية استحقت من الرجل المسلم حسن الرعاية وقمة التقدير وتمام الرفق والمودة .. وقد أراد صاحب الشريعة الإسلامية المنزلة عليه من رب العالمين أن يتعهد بنفسه مابقى من آثار الجاهلية ونظرها إلى المرأة فيقضى عليه .. ولكن كيف السبيل إلى استئصال مالا تشعر به إلا النفوس ومالا سبيل إلى اجتثائه بتشريع كميل الوالدين إلى الذكر أكثر من الأنثى هذا الشيء المركوز فى غرائز البشر ذلكم ماعالجه أحكم من تجرد لطب النفوس وأبصر

= زملونى دثرونى ثم لما ذهب عنه الروع صارحها قائلا : « لقد خشيت على نفسى » فتقول له كلا والله لايخزيك الله أبداً .. إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .. واستمتعى بالقصة فى سيرة ابن هشام أو فقه السيرة للشيخ الغزالى أو د . محمد سعيد البوطى .

(١) مسند الإمام أحمد ٦ / ١٦٦ .

خلق الله قاطبة فى دائها ودوائها فسمعنا مقالاته السابقة ﷺ « واستوصوا بالنساء خيرا » (ورفقا بالقوارير) و (حبب إلىَّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة) .

ولقد استفاضت أحاديثه ومعاملته لأهل بيته وتربيته لأهله ﷺ استفاضة شافية توصى بالمرأة أما وزوجا وبنتا كما توصى بها جنسا .

وصدق الرسول الكريم « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » أو كما قال وهذا القرآن الكريم الذى تخلق به سيد المرسلين يقول :

فى الوصية بها ــ أما ــ ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىَّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ .

ومع هذا البيان الشافى لم يكن رسول الله ﷺ ليترك فرصة إلا ابتهلها لشرح هذه المنزلة العالية التى بوأ الله الأم إياها .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ « **قال (أمك) قال ثم من ؟ قال (أمك) قال ثم من ؟ قال (أمك) قال ثم من ؟ قال (أبوك) وحسبها ماقال (الجنة تحت أقدام الأمهات) وبشر منهن من بكرت بأنثى حتى يرفع من قدرها وقدر أمها ، فقد افتن رسول الله ﷺ فى انتزاع مابقى فى نفوس العرب وغيرهم من كره للبنات وغرس مكانه العطف عليهن والعناية بهن فلقد كانت سيرته مع زوجاته وبناته وأحفاده من العجب العاجب رأى فيها الأصحاب ماأفاض عليهم الرحمة والحنان لهن فعشقوا منه هذا المثال وتأسوا به فيه حتى المرضعة والحاضنة وحديث معاملاته لأم أيمن وحليمة رضى الله عنهما مستفيض يقطر عذوبة ورقة ورحمة وحنـــاناً** » .

المرأة بنت وحفيدة :

لم تكن فى الإسلام أقل شأنا من الولد ولا أهون قدرا منه ، بل حظيت بعناية ورعاية فائقة .

١ ــ قبل رسول الله ﷺ ذات مرة ابن ابنته (الحسن بن على رضى الله عنهما) وعنده الأقرع بن حابس فلم يعجبه مارأى بل ولعله عاب هذه الرحمة الراحمة التى فاض بها قلب النبى الكريم ﷺ فقال[١] (إن لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم) فنظر إليه المعلم العظيم ﷺ ثم قال (مَنْ لايَرْحَم لايُرْحَم) وهكذا آذن رسول الله ﷺ قسوة الجاهلية على البنت بحرب لاهوادة فيها إلا أن تنتزع انتزاعا وتحل محلها الرحمة الخالصة .

٢ ــ حدّثت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت علىَّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة[٢] فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل ﷺ علينا فأخبرته فقال (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار)[٣] .

وما أكثر أقواله الشريفة التى لمست قلوب أغلظ الناس أكبادا ففجرت منها ينابيع رحمة وحنان منها :

١ ــ من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار يوم القيامة[٤] .

٢ ــ من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو أختين أو بنتين فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة[٥] .

---

(١) الأقــــرع .

(٢) أرجو أن تقفى هنا وقفة طويلة جدا جدا أم المؤمنين بنت أحد أغنياء قريش وزوج سيد الخلق . ومع هذا فعندها تمرة واحدة يالله للمسلمين ، صلى الله عليك وسلم ياسيدى يارسول الله .

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسها فأراها أيما شمم

(٣) رياض الصالحين ١٢٩ متفق عليه .

(٤) التجارب فى الأدب المفرد ص ١٣ .

(٥) تيسير الوصول ١ / ٥٤٩ .

٣ ــ « من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها فأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند إلا أن متنه يتسق وبقية الأحاديث الصحاح (١) .

٤ ــ « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين (وضم أصابعه) » (٢) .

٥ ــ « من كان له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » (٣) .

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله .. لقد كانت حياتك كلها مدرسة يتعلم فيها الأصحاب حسن رعاية النساء والقيام بحقوقهن حتى إذا كان العام الأخير من عمرك ، وكانت حجة الوداع وخطبت المسلمين خطبتك الخالدة كان الرفق بالنساء والوصاة بهن أول ماقرّ فى أسماع قبائل العرب حتى إذا نزغ بهم فيما بعد نزغ من جاهلية فأرادوا أن يقسوا على هذا المخلوق الضعيف ذكروا أن ذلك وصية رسول الله ﷺ وقرع أسماعهم جملته البليغة التى برزت فى خطبته فى حجة الوداع « ألا فاستوصوا بالنساء خيرا » وحبذا لو استرجعت خطبته الشريفة فى حجة الوداع فى كتب السيرة ووقفت فيها على حقوق الإنسان الحقيقية الربانية (٤) ..

وبعـــــد ....

فهذا ماأردت أن ألمح إليه إلماحا فى عجالة من العرض السريع الذى يقتضيه المقام لحال المرأة فى الجاهلية والحال التى سمت إليها فى الإسلام لتكون بيدكِ ياأختاه مصباحا تردين به وِرد المحجة البيضاء فى دياجير جاهلية القرن العشرين على نور وبصيرة وقد ألمحت إلى طرف من حال المرأة فى عصر العلم التقنى والجاهلية الخلقية

---

(١) الخرائطى فى مكارم الأخلاق .
(٢) رياض الصالحين ص ١٢٩ .
(٣) تيسير الوصول ١ / ٤٩ .
(٤) رياض الصالحين ص ١٣٢ وقال أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح سيرة ابن هشام ٣ / ٤١٦ القديمة وراجعى الخطبة بأكملها فيما ذكرناه من هذا الكتاب سلفا .

والاجتماعية وأعتقد أنك بعد هذا العرض لاتستكثرين على من دانوا بهذا الدين العظيم وتخرجوا فى هذه الدعوة بتلك التعاليم أن يكون لهم ذلك العدد الهائل من النساء الخالدات الجليلات اللواتى فقن كثيرا من فحول الأمم فى التربية والإصلاح والبطولة والعلم والأدب والدين وتخريج الرجال الأبطال المبرزين فى كل علم وكل فن وسياسة واجتماع .

أجل .. ليس بكثير أن يكون لنا تاريخ فخم ضخم حافل بأعلام النساء ، لم ولن يتحقق لأى مجتمع من المجتمعات المتحضرة غير المسلمة أو المسلمة المنحرفة عن الجادة من أمثال أمهات المؤمنين وكن أوعية صافية صادقة للعلم والصحابيات الجليلات ومن تبعهن فى ميادين العلم والتربية والأدب والشعر الجاد العفيف والجهاد والإدارة والسياسة وإن مما تعجز عنه العصبة أولو الفكر استقصاء المربيات والأديبات والمحاربات والطبيبات اللائى فاض بهن تاريخ الإسلام ذلكم شيء يستعصى على الحصر دون مبالغة ولو ذهب باحث يسلسل تلك الحلقات التى احتلت أولاها خديجة وعائشة وأمهات المؤمنين وبنات المصطفى ﷺ وأسماء والخنساء وخولة ونسيبة ومن تتابع بعدهن إلى يومنا كجميلة بوحريد وجميلة بوعزة وحميدة قطب وزينب الغزالى .. هذا ماكفاه عمره وإن طال .

وعليك ياأخت الإسلام يقع العبء الأكبر فى تتابع هذه الحلقات فما أطفال اليوم إلا شباب وشابات المستقبل وماهم إلا آباء وأمهات الغد المرتجى والمستقبل المأمول .

والمرأة المسلمة : هى التى ترعى أولادها وتنشئهم على الفضيلة وتطبعهم على التدين وتربيهم على مكارم الأخلاق .. تغرس فيهم حب الإيمان وتبث فيهم روح البطولة والتضحية بما تقصه عليهم من قصص القرآن والأنبياء وعظماء التاريخ الإسلامى وأبطاله مسلمين ومسلمات . (لا جرين دايزر ولا فرافيرو العجيب ولا فطوطة .. إلخ . هذا الغثاء الإعلامى) .

راجعى إن شئت ماذكرناه آنفا فى ثنايا حديثنا عن رسالة الشاب المسلم قصة رسول الله ﷺ مع ابنته الزهراء لتدركى مدى أثر التوجيه الحكيم والتهذيب الهادف فى تربية البنين والبنات .. وهو الذى يقول (فاطمة بَضْعَةٌ منى يؤذينى مايؤذيها) وهو الذى يقول فى مناسبة أخرى (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت

لقطع محمد يدها) ثم هو الذى يقول للحسن والحسين حين اعتليا ظهره الشريف يداعبهما (نعم الجمل جملكما ونعم الراكبان أنتما) ويقول لأصحابه لما أطال السجود بهم (إن ابنى ارتحلنى فخشيت أن أعجله) نعم الرسول الكريم أنت وأنعم بك من مربٍّ حكيم ومعلم عظيم ياسيدى يارسول الله .

فعليك أيتها الأم المسلمة بالتوجيه فى رفق والتهذيب فى جد ورحمة والتدريب فى أناة وصبر ولين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وعليك بالقدوة الحسنة ففى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ (داعب ولدك سبعا وأدبه سبعا وعلمه سبعا ثم اترك حبله على غاربه) أو كما قال ﷺ : وورد أيضا « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » أو كما قيل .. وقديما عزل عمر رضى الله عنه واليا من ولاته لأنه لم يحسن معاملة أولاده إذ كان فظا غليظا معهم جاء إلى عمر فوجد أبناءه من حوله ويركبون ظهره ويداعبهم فاستنكر ذلك فسأله عمر عما يفعل مع أولاده فقال إذا دخلت سكت الناطق وقام الجالس وسكن المتحرك فقال له عمر قد عزلناك فإذا لم تكن رحيما بأهلك فكيف بك مع الرعية(١) ؟!

وما فعل عمر ذلك إلا لاقتدائه بمعلمه العظيم ﷺ فقد تلقى على يديه هذه السياسة الرشيدة والتربية الرائدة وقد مر بك (إن ابنى ارتحلنى فخشيت أن أعجله) أمام ربه فى الصلاة ومن خلفه كبار الصحابة سُجَّداً وهو يقول (فخشيت أن أعجله) رحمك الله وصلى وسلم عليك ياسيدى يارسول الله لم تشأ أن تقطع عليه سروره ولعبه وتركته حتى أخذ بغيته لتعلم أصحابك الرحمة والرأفة وحسن التربية والسلوك الاجتماعى .

وأنتما أيها الزوجان المسلمان عليكما بالأسوة الحسنة والقدوة الصالحة أمام الأولاد حتى يشبوا على الأخلاق الكريمة وإياكما والكذب والنفاق والرياء وترك الصلاة والمجاهرة بالمعاصى أمام الأولاد فإن السلوك وليد التقليد والوالدان هما المثل الأعلى للأبناء والتعليم فى الصغر كالنقش على الحجر كما يقول المثل .

وينشأ ناشىء الفتيان منا　　على ما كان عوده أبوه

---

(١) راجعى سيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم لتعرفى أثر الإسلام على حقيقته فى التغيير فى كتاب حياة الصحابة .

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا　　فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وراجعا فيما سبق حديث المصطفى ﷺ الذى رواه أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه (كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟) الحديث وأبناؤنا أمانة فى أعناقنا كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو كما قال ﷺ .

وعليك أيتها الأم المسلمة يقع العبء الأكبر والنصيب الأوفر فى تربية الأبناء صغاراً والبنت بخاصة عند البلوغ فصياغتها وتشكيلها رهين بسلوكك وتوجيهك وألا يخالف قولك وكونى فى منتهى الحذر والصدق والصرامة والرفق علميها أن جمال الفتاة فى حيائها وعفتها وحفظها لعرضها وشرفها ودينها وكونى مثالا صادقا أمامها للأم المسلمة الكاملة زوجة وأما وصادقيها فستتخذك مثلها الأعلى علميها بالسلوك العملى الحشمة والوقار وعدم التبذل والسفور وعدم لبس مايشف وما يصف وأفهميها أن غالى الدر يستتر ، والرخيص المبتذل تعافه العين وتمجه النفس وصدق المثل (كل ممنوع متبوع) قولى لها مقالة الرسول العظيم ﷺ (إذا تعطرت المرأة ومرت بمجلس الرجال فهى كذا وكذا يعنى زانية) أو كما قال ﷺ علميهم قول ربهم ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾ و ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ .

﴿ **وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله** ﴾ .

أيها الأبوان المسلمان علما أولادكم منذ نعومة الأظفار أدب الإسلام فى الزيارة والمأكل والملبس والمسير والتعامل والمنام .. إلخ وحافظا عليهم بنين وبنات من أبناء العمومة والخئولة[1] فقديما قيل (يُؤْتَى الحذر من مأمنه) وصَدَقَ رسول

---

(١) بنين وبنات .

الله ﷺ (الحمو الموت)(١) فما الفساد إلا من هذا الاختلاط مع الأمان ودون رقابة فى أمان مقنع وثقة عمياء وإياكما وما يتغنى به من فجور وبغى (غاب القمر ياابن ياعمى ياالله روحنى) (وتحت الشجر ياوهيبـة) (وساكن قصادى وبحبه) (والشعر الحرير) والبلاوى الزرقاء التى ابتلينا بها باسم الفن والعياذ بالله إنه فن الأبالسة وأدب الانحلال .

ولتكن عيونكما عليهم حنانا ورعاية وصداقة ومؤاخاة فقد قلنا سابقا « إنما المؤمنون إخوة » وكلما كنتما مثاليين أمامهم كان الخير كل الخير فليزود كل منكما جنسه(٢) بالنصح والإرشاد كلما تقدمت بهما السن نحو البلوغ حتى يثقوا فيكما ويستأنسوا بكما ولا يستقون المعلومات من الخدم وقرناء السوء ﴿ **فتزلَّ قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله** ﴾ وقصرتم فى حق فلذات الأكباد ثم تعضان بنان الندم ولات ساعة مندم !

وإنى لمقدم لك أيتها الأم المسلمة هذه الأقصوصة العربية لأم تنصح ابنتها وتوصيها عند زواجها لتحتذيها .. (وهى أمامة الشيبانية .. يرجع بالأصل لذكر نسبها وهى مسلمة)(٣) .

أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليهما لكنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .

فأى لباقة من تلك الأم ؟ وأى أدب نفسى عال رفيع ذلكم الأدب الأمومى الأخوى تقربها إلى نفسها ثم تمنحها الثقة ثم تبين لها الفطرة التى فطر الله الناس

---

(١) أبو الزوج وقيل الغريب من غير المحارم والموت أى فيه الهلاك .

(٢) الوالد للولد والوالدة للبنت .

(٣) المرأة العربية ــ وبخاصة المسلمة ــ سجلت فى ذاكرة التاريخ بطولات ومواقف وأمجاداً فى كل مجال . جاهدت وحاربت وداوت الجرحى ، وعذبت وأسرت واستشهدت ، لمساتها محفورة فى فروع الأدب مهارة وفصاحة فى النثر والشعر والخطابة ورويت عنها الأحاديث النبوية الشريفة وأمامة بنت الحارث من ربات الفصاحة والبلاغة والرأى والحجا .

خطب الحارث بن عمرو ملك كندة ابنتها أم إياس بنت عوف الشيباني فزوجها أبوها منه ... فقالت أمامة تنصح إبنتها ليلة عرسها .. فتزوجته وعاشت على هدى نصائح أمها فعظم مكانها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده .

عليها فهى ترشح للوصية باستمالتها وإعداد الجو النفسى لتقبلها والمناخ الملائم لاستيعابها لا بسياط من لسان كأذناب البقر ولكن بأُخوّةٍ حانية وأمومة رءوم ثم تقول :

أى بنية : إنك فارقتِ الجو الذى منه خرجت وخلفتِ العش الذى فيه درجتِ إلى وكر(٢) لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً فكونى له أمَةً يكن لك عبداً وشيكاً(٣) واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يَشَمّ منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامه فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة فالاحتراس لماله والإرعاء لحشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التدبير وفى العيال حسن التقدير .

وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً والكآبة إذا كان فرحاً) .. أخت الإسلام أى أمومة هذه ؟ وأى فهم عميق لواجب الزوجية هذا ؟ وأى حكمة تنطق بها هذه المرأة الأريبة الودود ؟ أدب عال وقمة سامقة فى تقدير النفس على مستوى رفيع من الفقه والأدب (ورحم الله امْرَأً عرف قدر نفسه) إنها الاستجابة للفطرة والتجاوب مع نواميس الطبيعة التى خلقها الله عليها (فطرة الله التى فطر الناس عليها) .

وقد تعجب المسلمة الساذجة أو المستغربة أو المولعة بالتقليد الأعمى من هذا ولكن يزول تعجبها سريعا وتذهب دهشتها أدراج الرياح حين تعلم أن المرأة

---

(١) عش الزوجية .

(٢) طيعا قريبا .

الأوربية أو الغربية التى قلدتها تطلب اليوم من حكامها أن تعود إلى فطرتها إلى حقوق المرأة المسلمة .. وإلى الحياة الزوجية السليمة ، لقد سئمت الحرية البهيمية المطلقة ، لقد ملت الانسياب والميوعة مما أصبحت به ألعوبة فى يد الرجل وسلعة مبتذلة يتقاذفها هو وأمثاله من بنى جنسه وقد أفضنا القول في ذلك فارجعى إليه .

فى الوقت الذى تتطلعين فيه أنت ــ أستغفر الله ــ تتطلع المسلمة اسما ــ إلى تقليدها تريد هى تقليدك أنت وهذا هو وضعك الطَّبَعِيّ أيتها الأخت المسلمة .. الريادة الآسرة القدوة إنها لروعة الإسلام ورفعة تعاليمه واستقامة أسلوبه فى الحياة إنه جمال النظام ونظام الجمال إنه منهج الله أيتها الأم المسلمة خلقتك الطاهرة لنا رحمة وأنت قوة الدين وحصن الملة .

يامن تفطمين فينا الوليد على كلمة التوحيد إن حبك لينحت أطوارنا ويصوغ أعمالنا وأفكارنا .. ياأمينة على الشرع المتين إن أنفاسك حياة الدين وإن هذا العصر ذو فتون قافلته تقطع طريق الدين وقد عمى إدراكه فأنكر الخالق وقيدت سلاسله كل مارق صيده يخال نفسه حراً وقتيله يسمى نفسه حيا .. !

لاتسلكى إلا سبيل الإباء ولا تبالى بما تلقين من عناء ... احذرى الزمان فى سيرك ... وضمى أولادك إلى صدرك ... هذه العصافير أبعدت من أعشاشها قبل أن تطير بها أجنحتها ...

يافطرة نزاعة إلى العلاء لاتغمضى عينيك عن سيرة الزهراء لعل حسينا فى حجرك يزهر فيترعرع بستاننا وينضر !!! .

أخت الإسلام : افتحى عينيك على كتاب الله وقلبك على سنة رسول الله وقلبى بيديك وقلبك صفحات التاريخ الإسلامى على أمهات المؤمنين والمسلمات الخالدات وارمقى عبر الأفق وأدراج الدهور نفحات الجنة وتذكرى الحور ثم ترسمى خطوات السابقات الصالحات واسلكى سبيلهن وانهجى نهجهن تفوزى بسعادة الدارين فأنت راعية ومسئولة عن رعيتك واتقى يوما ترجعين فيه إلى الله **﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾** .

المرأة بين البيت والمجتمع :

أُخْتَ الإسلام أما وزوجة وبنتا وعمة وخالة وقريبة وأختا فى الإسلام هذا ميدانك الرحيب وهذه رسالتك السامية ومهمتك الشاقة فى خضم الحياة الزاخر بجوار أخيك الرجل زوجا وابنا وأخا وعما وخالا وزميلا فى العمل(١) وجارا فى السكن وأخا فى الإسلام فلا تهربى من الواقع ولا تتنكبى طريق الفطرة ولاتتخلى عن أداء الرسالة التى من أجلها خلقت فأنت قلب المجتمع النابض وأنت إحدى رئتيه(٢) فأنت نصفه بل كله فهو منك وإليك وبك وعليك الأمل وأنت الرجاء فى تنشئة جيل جديد يعبد الله على بصيرة ليستعيد مجد الإسلام على هدى محمد ﷺ ونحن الرجال لن تعدمى فينا من يمد لك يد العون يد الأخوة فى الله .

ولا عليك من هذه المدنية الزائفة والادعاءات الباطلة وتذكرى تاريخ أمتك ودور المرأة فى تسطير صفحاته بحروف من نور تذكرى أخواتك المسلمات الخالدات فى صدر الإسلام وعبر قرون الازدهار مجاهدات صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واقرئى بتفكر وتدبر الصفحات التالية بعد(٣) .

أختاه عودى إلى دينك ثوبى إلى رشدك توبى إلى ربك أدركى مافاتك وأفيقى من غفوتك وارفضى تنويمك واستغفرى لذنبك جددى العهد وطدى العزم فإن الجنة تنتظرك لتكونى فى عداد الحور العين ﴿ **فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين** ﴾ .

أختاه عودى إلى ربك حتى ترى مظاهر الإسلام وآدابه المباركة فتعود بعودتك الأسرة المسلمة فترى المجتمع المسلم ، وتلمسى فيه مظاهر الشرف والعفة والحياء والحشمة والوقار والعزة والنهضة والفضيلة والنصر والسؤدد فقد سئمنا العرى والرذيلة والاسترجال والتخنث والميوعة والانحلال وكرهنا التبرج والزيف والضلال وتشوقنا إلى الفضيلة تسود وراية الإسلام تعلو والعالم الإسلامى يعز لأنه عاد بفضلك إلى عوامل النصر والسيادة واهتفى معى من الأعماق ﴿ **إن الله**

---

(١) مع التحفظ فى هذه الجزئية مع مراعاة شروط عمل المرأة التى سقناها سلفا .

(٢) المعطلة فى نظر المغفلين لأنهم يطالبون بأن تكون كالغربية ومعطلة فى نظر الإسلام لأنها لم تؤد رسالته على الوجه الأكمل أو هكذا أريد لها .

(٣) باب المجتمع المثالى فى ظلال القرآن .

لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا ﴾ ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ ...

ثم يامدعين من الإسلام انكمو	على هداه دعوا الإسلام ينعانا
شتان مابين تشريع السماء لكم	وتقنيـن أهـل الأرض شتانـا
روضوا على منهج القرآن أنفسكم	يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا

واستعيدى قول الحق تبارك وتعالى : **﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾** .

أختاه ــ بغير هذا لن يكون النصر فى الدنيا ، ولن تكون السعادة فى الآخرة بالعمل صفا واحدا كالبنيان المرصوص .

وحدة فى الصف وحدة فى الهدف بالشباب فتية وفتيات بهذا تنحل المعادلة الصعبة كما أسلفنا وتستقيم الحياة وتسعد الأمة الإسلامية ثم تتم رسالتها لتسعد البشرية جمعاء وتنقذها من الجاهلية الحمقاء فهذه رسالة الإسلام وهى رسالة شاقة ولا شك ولكنها مشقة لابد منها لإدراك الهدف والوصول إلى الغاية النبيلة (حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات) « ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » . صدق رسول الله ﷺ .

أختاه ــ لماذا ارتضيت لنفسك أن تكونى متأثرة بالغربيات مقلدة للادينيات ؟ ودينك يحثك على أن تكونى مؤثرة فى غيرك منقذة لبنات جنسك من وهدة الرذيلة ومهاوى الفساد إلى قمة النعيم فى جنة الخلد إسلامك يأمرك أن تكونى داعية إلى الله على بصيرة فلا تقبلى الأسماء دون المسميات كونى مسلمة قولا وعملا عقيدة وشريعة دينا ودنيا جسدا وروحا عادة وعبادة منهجا وطريقة وسيلة وغاية .

أى بنية هذه رسالتك التى من أجلها خلقت وعليها يجب أن تعيشى وفى سبيلها يجب أن تنالى وسام الشهادة فهل وعيت ذلك ؟ وهل جددت العزم ؟ وهل ننتظر تحقيق الرجاء ؟ نرجو وندعو ونتطلع .

قومى الآن وتطهرى وصلى وجددى البيعة لله ﴿ **يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله** ﴾ اعقدى العزم على حمل الأمانة بصدق وإخلاص فقد يوافيك أجلك وتعاجلك المنية فتموتين ميتة الشهداء « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه »[1] !!.

ورددى قول ربك الحكيم الخبير فى خشوع وتدبر ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .

والله أسأل أن يهيىء لك من الأمر رشدا وأن يقوى عزمك ويسدد خطاك .. إنه حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ **ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما** ﴾ آمين .

* * *

(١) حديث صحيح ... رواه البخارى : متواتر .

الفصل الرابع

المجتمع المثالى فى ظلال الإسلام

- تقدمة لابد منها .
- مدرسة الرسول الأعظم والمجتمع المثالى .
- هـؤلاء و هـؤلاء .
- صفحات مضيئة من تراث الإسلام .
- وأنتم معقد الأمل ياشباب .

تقدمة

يقيم الإسلام عدالته الاجتماعية على منهج الله ، والمذكرة التفسيرية التطبيقية (سنة رسول الله ﷺ) وذلك على أسس ثابتة وقواعد تحدد لبلوغ أهدافها وسائل معينة فلا تدعها قضية غامضة ولا دعوة مجملة إذْ الإسلام بطبيعته دين تنفيذ وعمل فى واقع الحياة لادين دعوة وإرشاد فى عالم الخيال والمثال .

وقد رأينا ــ سلفا ــ فى إجمال ــ أن للإسلام تصورا أساسيا عن الألوهية والكون والإنسان والحياة وأدركنا أن قاعدة السلوك الحيوية متأثرة بذلك التصور الأساسى داخلة فى إطاره العام وأن طبيعة نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية تجعل السلوك الفردى والجماعى ذا عدالة إنسانية شاملة لكل مقومات الحياة الإنسانية ولا تقف عند الماديات والاقتصاديات وأن القيم فى هذه الحياة مادية ومعنوية فى الوقت ذاته ، لايمكن الفصل بين صفتيها المتحدتين وأن الإنسانية وحدة متكاملة متناسقة لا جماعات متنافرة متباينة متعارضة .

ولربما بدا فى بعض الأحيان أن الواقع يخالف هذه الفكرة الأساسية للإسلام ولو أنعمنا النظر لوجدنا أن الواقع الذى يعده الإسلام حقيقة ليس واقع فرد ولا واقع أمة ولا واقع جيل ، فهذا إنما هو الواقع الصغير المحدود الموقوت الذى تقف عنده مدارك الأفراد البشريين الفانين حين يكفون بصيرتهم عن الاستشراف لما هو أكبر وأشمل فى حياة البشرية الكبرى وحياة الكون كله .

فأما الإسلام فإنه يمد بصره إلى جميع الآفاق ويحسب حسابا لجميع المصالح ويهدف إلى تحقيق غاية تشمل الإنسانية كلها منذ البداية إلى النهاية فما يبدو تعارضا فى الواقع المحدود قد لايبدو كذلك حين نتجاوزه إلى الواقع الشامل واقع الإنسانية كلها لا واقع فرد ولا أمة ولا جيل ..

وهذه النظرة الكلية البعيدة الأهداف إلى المجتمع الإسلامى المثالى هى التى تفسر لنا فيما بعد نظما عدة فى الإسلام لاتفهم حق الفرد إذا هى أخذت جزئيات وتفاريق وإذا حسب فيها حساب الفرد وحده فى جماعة أو حساب الجماعة وحدها فى أمة أو حساب الأمة وحدها فى جيل أو حساب الجيل الواحد فى أجيال .

وهى التى تفسر لنا نظام الملكية الفردية ونظام الإرث ونظام الزكاة ونظام الجهاد ونظام الحكم ونظام المعاملات ونظام العبادات .. إلخ . مايتضمنه الإسلام من نظم تتناول الأفراد والجماعات والأمم والأجيال وتطبيق الرعيل الأول لهذا المنهج — متأسين — فى تطبيقه برسول الله ﷺ .

ولسنا بصدد الحديث عن هذا كله ، حيث لاتسمح ظروف هيكل هذا الكتاب الموضوعى فسوف نقصر حديثنا على تناول تطبيق الأسس العامة من الأفراد والجماعات التى أقام عليهم الإسلام بناء العدالة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية فى حدود فكرته الكلية ومنهجه العام .

وسنرى من طبيعتها أن الإسلام قد نظر إلى وحدة الروح والجسد فى الفرد وإلى وحدة المعنويات والماديات فى الحياة كما نظر إلى وحدة الهدف بين الفرد والجماعة ووحدة المصلحة بين الجماعات المختلفة فى الأمة الواحدة ووحدة الغاية بين الأمم الإنسانية ووحدة الصلة بين الأجيال المتعاقبة على اختلاف المصالح القريبة المحدودة .

مقومات المجتمع المسلم(١) :

وهذه الأسس التى أقام عليها الإسلام مجتمع العدالة هى :—

١ — التحرر الوجدانى المطلق .
٢ — المساواة الإنسانية الكاملة .
٣ — التكافل الاجتماعى الوثيق .
٤ — العمل للدنيا والآخرة .

وليس المقام كما قلنا مقام تفصيل واستقراء وإنما مقام إلماح وأضواء لولوج الطريق فقط يتناسب مع العنوان للباب (المجتمع المثالى فى ظلال الإسلام) فالمقصود عرض صور إنسانية حية من النظرية إلى التطبيق ومن المبادىء إلى الواقع ومن العقيدة إلى السلوك .

---

(١) من كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للشهيد سيد قطب .

الفصل الأول

مدرسة الرسول الأعظم
والمجتمع المثالى

أخى المسلم : أختى المسلمة :

لايقل أحد إن رسول الله ﷺ بشر يوحى إليه وأنَّى لى بهذه العزيمة وتلك الحصانة النبوية ؟ فهو الذى يقول عن نفسه « إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد من قريش » أو كما قال ﷺ .

ويقول فيه رب العزة ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ .

ويقول له ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾ .

ويأمره ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ وهؤلاء أصحابه الأبرار وتلاميذه الأطهار (١) كانوا فى الجاهلية غلاظ الأكباد قساة القلوب عباد أصنام وطلاب دنيا .

ويوم جاء الإسلام أول مرة وقف فى وجهه (واقع ضخم) واقع الجزيرة العربية وواقع الكرة الأرضية وقفت فى وجهه عقائد وتصورات ووقفت فى وجهه قيم وموازين ووقفت فى وجهه أنظمة أرضية وأوضاع ووقفت فى وجهه مصالح وعصبيات .. إلخ .

ولكن كيف إذن قوى ذلك الرجل الواحد والمعلم الراشد الفرد على قهر كل ذلك الواقع الضخم ؟(٢) وكيف استجاب أولا هؤلاء البدو ، رعاة الإبل والشاء لداعى الله من خلال هذا الركام ؟!

وكيف تَكَوَّن المجتمع المثالى فى المدينة المنورة وقد كانت المدينة المنورة الفاضلة حلم الفلاسفة والحكماء لم يستطيعوا تحقيقه بنظرياتهم الأرضية وفلسفاتهم البشرية الترابية ؟ لقد حدث ذلك من غلبة هذا النهج لأنه تعامل من وراء الواقع الظاهرى مع رصيد الفكرة المكنون وهو رصيد هائل ضخم لايغلبه هذا الركام

---

(١) من رجال ونساء وفتيات وفتيان أحرار وعبيد عرب وعجم بيض وسود .. إلخ ..

(٢) راجع كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوعات (محطم الطواغيت) (انتصار محمد بن عبدالله) (الاسلام يكافح) .

الظاهرى حين يستنقذ ويجمع ويوجه وينطلق فى اتجاه مرسوم[١] ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ .

إنها طبيعة المنهج الإلٓهى الذى يغزو الفكر والقلب والنفس ويخالط الشغاف فرقت القلوب بالقرآن وشفت النفوس بالإسلام وهدأت الخواطر بالاقتداء برسول الإسلام ﷺ .

كانوا أجهزة استقبال رائعة حساسة .. كما كانوا أجهزة إرسال أروع وأمثل ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ وصدقت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضى الله عنها حين قالت (كانت تنزل علينا الآية فكنا نحفظ حلالها وحرامها قبل أن نحفظ حروفها) .

﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ ﴿ **إذْ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما** ﴾ .

فهذا أعرابى يجىء من البادية يقول يامحمد علمنى من كتاب الله فيدفعه إلى بعض صحابته ليتولى تعليمه فيقرئه ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ إلى آخر السورة فيدرك العربى البدوى بفطرته ثقل التبعة ودقة الحساب حتى على الذرة فيذهب إلى المصطفى ﷺ متسائلا وإنا لمحاسبون على الذرة ؟ فيقول له الرسول الكريم (نعم) فينصرف متمتما لصاحبه الذى كان يعلمه حسبى حسبى حتى أعمل بما سمعت .

التفوا حول قائدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم ﴿ **يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ ويقول (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ويقول (خذوا عنى مناسككم) وهم يجتهدون فى الالتزام ويتحلون بالصبر ويمتازون بالدقة فى التنفيذ والاتباع حتى ليقول ﷺ لعمر رضى الله عنه أتحبنى ياعمر ؟ فيقول نعم يارسول الله فيقول أكثر من نفسك ومالك وولدك ؟ فيقول عمر فى صراحته المعهودة لافيقول الرسول الكريم ﷺ (لا[٢] حتى أكون عندك

(١) انظر كتاب « هذا الدين » للأستاذ سيد قطب .

(٢) أى لا إيمان كاملاً .

أكثر من نفسك ومالك وولدك) أو كما قال ﷺ وهنا يسارع عمر فيقول الآن نعم وذلك مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين** ﴾ .

تأدبوا بآداب النبوة فامتلئوا علما وفقها وحكمة وتأسوا برسول الله فى كل شىء حتى صاروا ربانيين بما كانوا يعلمون الكتاب وبما كانوا يدرسون ﴿ **وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين** ﴾ .

أقبلوا على ربهم فحبب إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم من الراشدين فضلا منه ونعمة فرددوا فكهين ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** ﴾ .

كون رسول الله ﷺ الفرد الأول المسلم أدبه فأحسن تأديبه ــ بتأديب الله واصطفائه ــ ثم كون البيت المسلم الأول من أم المؤمنين سيدة النساء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ثم بهذه القلة القليلة من المسلمين والمسلمات كون المجتمع الإسلامى الأول ثلة من المهاجرين وقليل من الأنصار أذاب الإسلام بينهم فوارق العصبية وعبية الجاهلية وظلم الطبقية وحمق العنصرية وقبح العنجهية .

فهذا سيد من سادات العرب قرشي وذاك عبد حبشي وهؤلاء منهم الفارسى والرومى والأوسى والخزرجى تراهم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها ﴿ **وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** ﴾ ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك**

هم المفلحون ﴿ **والذين**(١) **جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾ .

مجتمع مثالى لا عصبية ولا جاهلية ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ ميزان واحد لأقدار الناس مقياس لتمييز البشر ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وصدق الرسول الكريم « الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب » أو كما قال ﷺ ورحم الله عمر حيث يقول (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) فَيَرْفَعُ بالإسلام بلالاً رضى الله عنه إلى السيادة والشرف جنبا إلى جنب مع أبى بكر رضى الله عنه وصدق رب العالمين ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ .

﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ .

ومن هذا المجتمع المثالى بالمدينة المنورة انطلقت الدعوة بزغ الإسلام فى مكة وشع ضحاه فى المدينة وملأ نوره أرجاء العالم .

ولكن بماذا سادوا ؟

علامة استفهام ضخمة حرية بالإجابة لوجاهتهاوأهميتها وخطرها . هل جاءهم النصر اعتباطا ؟ هل فرشت لهم طريق الدعوة بالورود والرياحين ؟ هل بسطت لهم الفرش السندسية فى حلبات القتال وميادين الجهاد ؟ هل كانت لديهم أكاديميات حربية أو مؤسسات عسكرية ؟ ... لا بل قطعوا الفيافى فى كثير من الأحيان حفاة عراة لايجد لهم رسول الله ﷺ مايحملهم عليه وهم يتسابقون إلى الشهادة فهذا دعاؤه فى بدر « اللهم إنهم جياع فأشبعهم عراة فاكسهم حفاة

---

(١) فقولوا مثل ماقال الذين جاءوا من بعدهم .. لأن الأمر يشملكم .

فاحملهم اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لن تعبد فى الأرض اللهم أنجزنى ما وعدت » ويقول أبو بكر وهو يعدل رداءه الذى سقط من فوق منكبيه يارسول الله بعض مناشدتك ربك إن الله منجزك ما وعدك(١) .

حتى لقد سميت إحدى غزواتهم (بذات الرقاع) وجيش إحدى معاركهم (بجيش العسرة) .

ركبوا المخاطر وخاضوا البحار ولم تقف فى طريقهم عقبة كئود ولا حاجز جبلى أو مائى ألم يقل قائلهم لرسول الله ﷺ لن نقول لك ماقال قوم موسى لموسى عليه السلام ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾ ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون إنا لَصُبُرٌ فى الحرب صُدُقٌ عند اللقاء وغدا ترى منا مايسرك . ألم يقل قائلهم والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ؟ هل دانت لهم الدنيا طعمة سائغة ولقمة باردة ؟ كلا والله .. لم يكن ذلك خبط عشواء ، إنما هى القدوة الحسنة ، والأسوة الصادقة والإخلاص فى السر والعلانية .. اعتزوا بالإسلام فأعزهم الله تواضعوا بالإيمان فرفعهم الله ، حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة نصروا الله فنصرهم وثبت أقدامهم ، تخلقوا بكتاب الله وانتهجوا سنة رسول الله فدانت لهم الدنيا بأسرها ورفعوا راية القرآن ففتحوا العالم لاغزاة طامعين(٢) ولا مغيرين ظالمين بل هداة عادلين نشروا العدالة الاجتماعية ، وحققوا المساواة الإنسانية وأشاعوا الأمن وبثوا الطمأنينة وغرسوا العدل والرحمة ، وفجروا ينابيع العلم والمعرفة ، فتطامنت لهم الرءوس وشاهت الوجوه الشرسة وهفت إليهم القلوب المؤمنة ودخل الناس فى دين الله أفواجا أو دفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون تحت راية القرآن الكريم وحماية الإسلام أو حصدتهم السيوف المسلمة ﴿ **أذن للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ .

• ورضى الله عن ربعى بن عامر حين دخل مبعوثا من قبل القائد المسلم فى

---

(١) راجع كتاب الرسول القائد للعقيد الركن محمود شيت خطاب ورجال حول الرسول لخالد محمد خالد وشهداء الإسلام فى عهد النبوة للنشار .

(٢) راجع كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوع طبيعة الفتح الإسلامى وكلمة الإسلام فى الحرب والسلام .

خلافة الفاروق رضى الله عنه إلى رستم قائد الفرس ومعه فرسه يطأ بها طنافس مجلسه ثم يغرس حربته فى هذه البسط قريبا من مجلس القائد ويربط بها فرسه غير هياب ولا وجل فيهم جنوده المدججون بالسلاح المتلمظون للقتل أن يطيحوا برأسه وكأنى به كم كان يتمنى أن يحدث لينال الشهادة فيمنعهم القائد لينظر ماوراء هذا العربى الذى لم يألفوا طريقته من قبل فيعرض ربعى مضمون سفارته بعد أن يسأله القائد الفارسى ماذا تريد ؟ لقد عرفناكم أهل بادية وقحط نمدكم بالطعام والشراب والملابس حين تفدون علينا فيقول له لا إنما نحن أهل بادية غيّرنا الإسلام وأعزنا القرآن فلا وجهة فى مسألتنا لما ذكرت إلا الله وإنى جئتك من عند قوم الموتُ أحب إليهم من الحياة جئناكم لنخرجكم من عبادة الشيطان إلى عبادة الرحمن ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة وجئتك بإحدى ثلاث إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف ؟ فسأله أليست هناك رابعة قال لافأبى إلا السيف فكانت النتيجة الفتح المبين للمسلمين وينادى عمر رضى الله بأعلى صوته ياسراقةُ بنَ مالك خذ سوارى كسرى فقد أنجز الله وعده لرسوله يوم الهجرة .

وما مقالة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما لابنها عبدالله تعزب عن بال مسلم « يابنى إن كنت على باطل فبئس العبد أنت ومن معك وإن كنت على حق فلا تضرك الشهادة » فلما أظهر لها خوف المثلة فتقول قولتها الخالدة « وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها » وكذا تاريخ النساء الخالدات والصبية الذين نشأوا بين قعقعة السيوف وضرب الرماح وما حديث صقرى قريش عنا ببعيد رغم توالى القرون فكأنه الآن ماثلٌ أمامنا تاريخ حافل بالمآثر علما وأدبا وتربية ومشورة وجهادا وبطولة .. إلخ .

فهؤلاء تلاميذ رسول الله ﷺ وتلاميذهم من التابعين وأتباع التابعين إلى يوم الدين أفذاذ عظماء أبطال بواسل تدين لهم البشرية بالفضل والخير والعلم والريادة فمنهم العباقرة الأساتذة لهذا العالم فى كل ميدان من ميادين الحياة علماء تعمير وقواد سلام ومرحمة لا علماء تدمير وقواد تخريب .

والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الاخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

الفصل الثاني

هــؤلاء وهــؤلاء

هــؤلاء وهــؤلاء :

فإن تشدق المتشدقون ، ودلس الحاقدون ، وقالوا بأن فيهم فلانا المفكر صاحب مبدأ كذا أو نظرية كذا التى أسعدت البشرية .

نقول لهم : لا بأس .. حفظتم شيئا وغابت عنكم أشياء ، أو تناسيتموها ؛ طمسا لمعالم حضارتنا ، حقدا منكم وكراهية .. فلقد سرق الكثيرون منكم كثيرا من نظريات علمائنا الأفذاذ ثم نسبوها إلى أنفسهم — وبخاصة فى علوم التقنية — وخلعوا عليها أسماء مستعارة وادعوا لها الابتكار (١) إنهم عيال على علمائنا (٢) فإن قيل : هذا قائدنا العظيم فلان فتح البلاد ودانت له الدول ، وانحنت أمام خططه وتكتيكاته الحربية نقول لهم — فى عزة وإباء وشمم — أين هؤلاء من أسامة ، وخالد ، وأبى عبيدة ، وطارق ، وصلاح الدين .. إلخ .

وأين معارككم من القادسية ، واليرموك ، وحطين ،وعين جالوت — وإن كان فى المقارنة تجاوز كبير .

ليس من يفتح البلاد لتشقى   مثل من يفتح البلاد لتسعد

فالبون شاسع بين حرب فى سبيل الله وحرب فى سبيل الشيطان ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت** ﴾ فشتان بين هؤلاء وهؤلاء ..

---

(١) راجع كتاب الدكتور على الدفاع « نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات وكتابه : الموجز فى التراث العلمى العربى الإسلامى ..

(٢) وكتاب صفحات مضيئة — من تراث الإسلام ط دار الاعتصام (للأستاذ أنور الجندى) (رواد فى كل الميادين) لماذا كان الخليل بن أحمد هدفا للتغريب .
— الادريسى — البيرونى — ابن ماجد — طارق بن زياد — عباس بن فرناس .
— الدورة الدموية (ابن النفيس) — المسلمون رواد الكيمياء .
— المسلمون مخترعو الكسور العشرية — عروبة دون كيشوت — المسلمون أول من أطلق الصواريخ .. إلخ ...
— ٥ آلاف مخطوطة عربية عن الفلك الاسلامى . وهذا ما أثاره د / ديفيد كنج فى رسالته للدكتوراه عن الفلكى المصرى ابن يونس .

ياقوم : لاتلجوا فى عنادكم ــ إن كنتم آدميين تحترمون آدميتكم ــ ولا تطمسوا معالم ديننا وحضارتنا ــ وأنتم تؤمنون بها فى قرارة نفوسكم .

إن كنتم تريدون إسعاد البشرية بحق ــ كما تزعمون ــ ﴿ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ إن كنتم بحق ــ تريدون مساعدة الدول النامية ، وتبغون الحرية للإنسانية .. إن كنتم ــ بحق وصدق ــ تكرهون استعباد الإنسان لأخيه الإنسان وتتنكرون للتفرقة العنصرية ، إن كنتم ــ بإخلاص ــ تمقتون الهمجية المحمومة والتعصب المذموم . إن كنتم ــ حقا ــ تطلقون الشعارات لإبطال الباطل . « فرنسا أم الحرية » « مجلس الأمن » « محكمة العدل الدولية » « منظمة الأمم المتحدة » منظمات « اليونسكو ، واليونيسيف ، والنقطة الرابعة » ، و .. و .. و .. إلخ . هذه الشعارات الزائفة التى هى تضليل وبهتان وتنويم للدول النامية لابتلاعها فقد قسمتموها فيما بينكم . والأصح أن تقولوا الدول النايمة .

إن كنتم صادقين فاعترفوا بفشل أنظمتكم وجربوا الإسلام ــ ولو كنظام ــ جربوه ــ كنظام ــ لأنكم تكرهونه كدين(١) جربوه ، تجدوا فيه الأمن والسلام والطمأنينة ، والرخاء والعدل والمساواة والأخوة والحب والاستقرار والخير والرحمة والسعادة فى الدنيا والآخرة للبشرية كل البشرية .. إنه الإسلام المنهج الربانى الذى يدعو إلى عالم أفضل ، تكون الحاكمية فيه لله والعبودية فيه لله ، والملك فيه لله الواحد القهار إنه ثورة إنسانية كاملة تبدأ فى ضمير الفرد وتنتهى فى محيط الجماعة عدلا ورحمة وأخوة(٢) .

إنكم تعرفون تاريخ الإسلام والمسلمين جيدا ولكنكم تطمسون معالمه وتعملون على تجهيل المسلمين به ، والضعفاء وطلاب الدنيا ينخدعون بآرائكم .

انشروا تاريخهم للدنيا ليعرف شباب العالم بأسره تاريخهم فى الأندلس ليعرفوا التسامح على حقيقته والحق والعلم والعدل والأمن والسلوك السوى للناس ــ كل

---

(١) ولكننا ــ نحن المسلمين ــ لا نرضى لأنفسنا إلا تطبيقه كاملا .. نظاما وعقيدة ﴿ افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ ..

(٢) يراجع كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للشهيد سيد قطب .. فصل : التحرر الوجدانى المطلق .

الناس ـــ إنهم تلاميذ رسول الله وتلاميذ تلاميذهم .. تربوا على مائدة القرآن . وانتهجوا أخلاق النبوة ، واقتفوا آثار الخلافة الراشدة فهذا المعلم العظيم محمد ﷺ ـــ يأخذ يهودى بمجامع ثوبه ـــ حتى ليكاد يختنق ـــ ويقول : يابنى عبدمناف إنكم قوم مطل.. أعطنى ماعندك من دين.. فيستل الفاروق ـــ رضى الله عنه ـــ سيفه ، ويستأذن رسول الله ليدق عنقه فيقول معلمه السمح العظيم الذى مدحه ربه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ لا ياعمر ... كان الأجدر بك أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء .. أو كما قال ﷺ ـــ فيعلن اليهودى إسلامه قائلا : إن هذا لخلق النبوة ..

* * *

الباب الثالث

صفحات مضيئة من تراث الإسلام

- قل موتوا بغيظكم
- أن محمداً وآله
- سليني ماشئت من مالي
- بطولات خالدة
- من أمجاد تاريخنا
- لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا
- الحمد لله الذي جعل الحق على لسان عمر وقلبه
- ماضر عثمان مافعل بعد اليوم
- قضية ولا أبا حسن لها
- أسد الله وسيد الشهداء
- سيف الله المسلول
- لقد تاب توبة
- ومن يقدر على هذا غير الله
- إن غابت عنا عين أمير المؤمنين
- اجمع لي أمر الدنيا
- أذهبتم طيباتكم
- بقي أن أؤدي صدقتي
- فسالت بها الشوارع
- إنه أعظم جغرافي
- هذه الأمة
- هذه النفحة الإلهية
- أسطول صلاح الدين
- المستشرق وآية واحدة
- وإذا غاب الإيمان
- أول عربي
- غاز الأوزون
- من زهد في الدنيا
- الشخصية المحمدية
- ابن الآمدي سبق برايل
- انتهينا ربنا انتهينا ربنا

قل موتوا بغيظكم :

وإليكم — إخوة(١) الإسلام — لفيفا يسيرا من الصفحات المضيئة من تراث الإسلام فلقد كان التراث الإسلامى هدفا للسخرية والانتقاص من خصوم الإسلام ودعاة التغريب فى إطار الحملة الموجهة إلى اللغة العربية — لغة القرآن — والشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام ، وذلك رغبة فى إقصاء الشباب المثقف عن هذا الورد النمير الذى يكشف عظمة الميراث الإسلامى الذى كان على مدى التاريخ نورا وضياء لكل النهضات التى قامت فى بلاد الإسلام — بهدف تحقيق المجتمع الربانى والتماس منهج الحق — تبارك وتعالى — ونحن نعرف تماما — ولابد أن يعرف شبابنا كذلك — أن الحملات الموجهة إلى الفصحى وإلى التراث الإسلامى والنزوع إلى الحروف اللاتينية والتدريس بالإنجليزية كلها تحاول أن ترمى القرآن الكريم عن قوس وأن الشبهات المثارة حول سيرة المصطفى ﷺ — والقرآن والوحى والنبوة والسنة المطهرة والتاريخ والشريعة — سواء أكان ذلك من الملاحدة والعلمانيين والصهيونية والصليبية العالمية أم كان من المغفلين والسذج والبسطاء والمراهقين فكريا أو مرضى السياسة وكراسى الحكم من المنتسبين إلى الإسلام وأمته — وهو منهم براء — إنما تهدف إلى هدم هذا التراث ، وتدمير القيم الأساسية للإسلام نفسه .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ .

من أجل هذا كله نقدم هذه الصفحات المضيئة من تراث الإسلام ، لتكشف أمام النفس المسلمة(٢) آفاق الإيمان بعظمة هذا الدين وببطولة رجاله ونسائه السابقين ، والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل . هاتفين من أعماقنا ..

---

(١) فتيـة وفتيـات .

(٢) يراجع فى ذلك كتابنا حاضر العالم الاسلامى ، فقد عقدنا لذلك فصلا مستقلا فيه .

من أمثال الكتاب الماركسيين والشعوبيين الذين يخفون المجوسية (والماركسيون المحدثون شيوعيون يخفون اليهودية) وراجع فى ذلك كتاب أنور الجندى (صفحات مضيئة) .

﴿**قل موتوا بغيظكم**﴾ فنحن ماضون على الحق .. والكلاب تنبح والقافلة تسير ! .

إن محمداً وآله أول من يجوع وآخر من يأكل :

دخلت الزهراء — رضى الله عنها — على أبيها — ﷺ — وفى عينيها معركة مع الأيام وعلى وجهها أمارات الجهد وفى محياها بقايا تورد وبواكير تغضن ومدت يدها مصافحة فلاحظ أن يديها خشنتان !! .. فسألها عن السبب فأجابت : من كثرة العمل فى البيت ياأبتاه(١) ، فانحدرت على خديه دمعات رقاق وتغشى المكان صمت عميق .. أتدرون لماذا ؟! خوفا على الزهراء من أن يكون قد دخل قلبها مادخل قلوب نسائه — رضى الله عنهن — من قبل .. فقد سألنه أن يكون لهن مثل ما لنساء كسرى وقيصر من الأثاث والرياش .. فتلقين منه تلك الإجابة الحاسمة :

« لست أنا كسرى ولا أنا قيصر ، وما أوحى إلى ربى أن أكون من المترفين » .. ثم تلا عليهن قوله تعالى : ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا** ﴾ .. فقلن : لا والله يارسول الله .. مانرضى برسول الله بديلا .

ثم ربت كتف ابنته وقال : « مااغبر وجه امرأة من نفض دارها إلا جاءت يوم القيامة يخطف نور وجهها أبصار أهل الموقف جميعا ، ولا غسلت إناءها الذى تطعم فيه زوجها إلا غسل الله ذنوبها وخطاياها » .

ثم قال لها تكلمى يافاطمُ .. فقالت : لقد علمت أن الله قد أفاء بمال على المسلمين فقلت أذهب إلى رسول الله لعلى أجد عنده مايعيننى على شئون الحياة . فسألها : « أو لم تخلفى وراءك طعاما يافاطمة ؟ فقالت : طعاما يكفى ثلاثة أيام ولا يزيد ياأبتاه » وهنا غضب المصطفى — ﷺ — وجمع الكلمات فى فمه جمعا مثيرا وألقاه هكذا .

« والله لأعطيك وأدع فقراء المسلمين .. إن محمداً وآله أول من يجوع

---

(١) وكان على رضى الله عنه — فقيرا وهى تدق النوى لفرسه وتحمله من مكان بعيد على رأسها فأثرت الرحى فى يديها .

وآخر من يأكل » ..

صلوات الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله .. حاسبت نفسك حين أرقت ليلا فوجدت السبب سبعة دراهم تحت وسادتك فجمعتها فى يدك مخاطبا نفسك والدراهم : ماظن محمد لو لقى ربه الليلة وفى بيته هذه الدراهم السبعة وفى أمته ناس جياع ؟ .. ! ثم خرجت وألقيتها فى يد أول فقير صادفته ..

صلوات الله وسلامه عليك يارسول الله ضربت أروع الأمثلة لأمتك فى الزهد والعفاف والتربية فهلا وعى ذلك أصحاب الملايين ؟ ..

سلينى ماشئت من مالى :

وقف المصطفى — ﷺ — ينادى بأعلى صوته :

«يامعشر قريش: اشتروا أنفسكم، لاأغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبدمناف: اشتروا أنفسكم، لاأغنى عنكم من الله شيئا ياعباسُ بنَ عبد المطلب: لاأغنى عنك من الله شيئا وياصفيةُ عمة رسول الله : لاأغنى عنكِ من الله شيئا ويافاطمةُ بنتَ محمد : سلينى ماشئت من مالى ، لاأغنى عنك من الله شيئا .

فاطمة .. التى يقول عنها : فاطمةُ بَضْعةٌ منى يؤذينى مايؤذيها » يقول لها : لاأغنى عنك من الله شيئا ، ويقول : « والله لو أن فاطمة بنتَ محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

بطولات خالدة : (١)

ويبقى هؤلاء الصحابة الكرام — بعد ذلك — النموذج الأعلى للبطولات الإسلامية مرتفعين عن أهواء الصراع والتقاتل ، ولن تجدى محاولات الأعداء — الكافرين والمسلمين المغفلين — طمعا فى الإقلال من أقدارهم ، أو مكانتهم ؛ ذلك أن أحداث السنين المائة الأولى من عصر الإسلام — التى كانت بحق من معجزات التاريخ — إنها كانت عملا لم يعمله أحد قبلهم ولا بعدهم لافى أمة اليونان والرومان ومن بعدهم حتى يومنا هذا — إلا من سار على دربهم من المسلمين الصادقين الذين كانوا بين الحين والحين يعيدون إلى الأذهان وإلى واقع الحياة الدنيا سيرة

(١) يراجع فى ذلك كتابنا حاضر العالم الإسلامى ، فقد عقدنا لذلك فصلاً مستقلاً فيه .

الخلفاء الراشدين — فقد كانوا طرازا خاصا من الناس .. أولئك الذين صاغهم محمد — ﷺ — على عين القرآن ، وإنهم حين يرددون هذه الخلافات التى عفا عليها الزمن لايستطيعون أن يمسوا ذرة واحدة من شأن هؤلاء الصحابة الذين كانوا أسمى أخلاقا وأصدق إخلاصا لله وترفعا عن أن يختلفوا للدنيا وإن كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه . ومن حقنا أن ندرأ عن سيرة الصحابة كل ماألصق بها من أحقاد وظلم وعدوان — مما ليس هذا مكانه من كتابنا — لتكون صورتهم هى الصورة النقية الصادقة فتحسن القدوة بهم .. ولاريب أن محاولة التشكيك فى هذا الرعيل الأول الكريم هى محاولة للتشكيك فى الإسلام نفسه .. !!

ولقد اعتبر التشريع الإسلامى أن الطعن فيهم هو طعن فى الدين الذى هم رداؤه وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التى حملوها وتشكيك فى جميع الأسس التى قام بها كيان التشريع فى هذه الفترة ، ولا ريب أن اتجاه « طاحين » إلى الدفاع عن اليهود بإنكار إبراهيم وإسماعيل أولا وإنكار عبدالله بن سبأ أخيرا كان بتوجيه من « لويس ماسينيون » الذى كشفت السيدة سوزان فى مذكراتها الدور الضخم الذى قام به فى توجيه طه حسين (طاحين) .

ومن أجل هذا نتوجه إلى العلامة الدكتور إبراهيم شعوط الذى كشف منذ وقت فرية من تلك المفتريات التى أذاعها طاحين آملين أن يتابع كتاب (الشيخان) فيكشف لنا مافيه من زيوف — وهو أهل العلم والفضل — حتى تبين أن كتب طاحين عن الإسلام « الفتنة الكبرى » وعلى هامش السيرة وغيرهما إنما هى خداع فى اسمه البراق مازال الكثير من العاملين فى حقل الإسلام مخدوعين به وخاصة بعض رجال الأزهر الشريف .

من أمجاد تاريخنا :

قدم(١) رسول ملك الهند على أمير المؤمنين بهدية — وهى أربعة أسياف هندية قواطع — فآنسه الخليفة ورحب به ، وتقبل هديته بقبول حسن ، ثم دعا بأحد أسيافه ووضع هذه الأسياف الهندية مجتمعة ثم ضربها بسيفه فقطعها كما يقطع

---

(١) من كتاب أنور الجندى — صفحات مضيئة بتصرف — .

القلم . فعجب الهندى من هذه الصناعة العجيبة التى تجلت فى هذا السيف المسلم ، ودهش ــ وعهده وعهد الناس أن الهندية هى السيوف ــ ثم سأله الخليفة أن يطلب مايشاء كِفَاء هديته فقال الرسول : لاشيء إلا هذا السيف فأبى الخليفة كل الإباء .. وقال ياهذا : اطلب كل شيء إلا السلاح فقد نهانا نبينا ــ ﷺ ــ أن نقدم سلاحنا لغير المسلمين على أى سبيل كان (١) ويكفينا فى هذا المقام إطلاق بعض خيوط الضياء لهذا النور الضخم الذى أضاء العالم وكسح ظلامه الدامس ــ فى الحدود المرسومة لإخراج هذا الكتاب « ولماذا أكون مسلما ؟ » (٢) .

لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا :

« أنا وأبو بكر فى الجنة كهاتين » ذلكم هو الصديق ــ رضى الله عنه (وهذه ردة ولا أبا بكر لها ..) يمتنع بعض المنافقين المرتدين عن أداء الزكاة فيقف للردة وقفة الأسد الهصور ــ وهو الرجل السمح الكريم الهادىء الرزين ــ ويقول لأخيه ووزيره الفاروق ــ حين قال له : ياأبا بكر : « ادخل دارك وأغلق عليك بابك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » « فيقول الصديق ــ رضى الله عنه ــ ياعمر : أشجاع فى الجاهلية جبان فى الإسلام ؟ والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه .. والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. وانتهت الأزمة وعاد للإسلام شموخه وعزته حتى قال عمر ــ كالنادم على مابدر منه : فوالله ماهى إلا لحظات حتى شرح الله صدرى لما قال أبو بكر فكانت حروب الردة وكان ماكان من الاستتباب والأمن والوحدة » .

وهذا جيش أسامه ينتقل المصطفى ــ ﷺ ــ إلى الرفيق الأعلى وقد عقد له اللواء ولكن عاجلته المنية قبل إنفاذه ، فينفذه الصديق ويطلب الصحابة تعديل الأمر وإعطاء اللواء لمن هو أسن من أسامة وأفضل من كبار الصحابة فيقول

(١) أين نحن الآن منهم ونحن نشترى منهم الأسلحة ولا نعرف سرها وهم يعرفونها فكيف نحاربهم بها كيف ونحن نستجدى منهم قطع الغيار .. فأين نحن من هؤلاء ؟!!

(٢) إنها ومضات أرسلتها حيثما اتفقت وكيفما وردت فى ذهنى دون ترتيب للحوادث أو تعقيب للزمن ، لأن العقل يحار حين يختار مايثبت هنا وما يدع لأنه ركام ضخم من النور والهدى يحير الأفهام والعقول ويجبر على التقدير والاحترام .

الصديق ــ رضى الله عنه ــ والله لاأحل عقدة عقدها رسول الله ــ ﷺ ــ ثم يسير فى ركب أسامة ويقول القائد البطل : ياخليفة رسول الله : لتركبن أو لأنزلنّ .. فيقول الصديق ــ رضى الله عنه ــ والله : لا ركبتُ ولا نزلتَ ألا أغبر قدميّ فى سبيل الله ساعة ؟!!!

فأى تواضع هذا ، وأى أخوة تلك ؟ ، وأى تضحية وأى قدوة ؟ .. إنها الإسلام إنها عقيدة التوحيد .. إنه منهج الله ..

الحمد لله الذى جعل الحق على لسان عمر وقلبه :

ذلكم هو الفاروق عمر ــ رضى الله عنه ــ يقال عنه ــ فى الجاهلية لو أسلم حمار الخطاب ماأسلم عمر !!! يصير بالإسلام شيئاً آخر ..

حتى يقول فيه النبى العظيم ﷺ : « لو سلك ابن الخطاب شِعْبا لسلك الشيطان شِعبا آخر » أو كما قال ــ ﷺ ــ يصير بالإسلام أرق قلب وأحلم نفس وأعظم مثل لتحمل المسئولية والخلافة الرشيدة . يقول : لو عثرت بغلة بالعراق لكنت مسئولا عنها يوم القيامة ، لِم لَم أسوّ لها الطريق ؟ بغلة ؟!! فما بال المسئولين عن الآدميين ؟ .. إنه عمر .. إنه الإسلام الذى غيره تغييراً جذريا من عربى فظ غليظ القلب إلى المسلم المتواضع الرحيم .. عمر ــ رضى الله عنه ــ الذى يستدعى عمرو بن العاص ــ رضى الله عنه ــ من مصر ومعه ابنه ليقفا بجوار القبطى وابنه ، ليتلقيا درسا لم ينسياه الدهر ولن ينساه التاريخ ويقول قولته المشهورة ــ بعد أن يعطى درته لابن القبطى : اضرب ابن الأكرمين .. ثم يتوجه إلى عمرو ــ رضى الله عنه ــ ويقول قولته الخالدة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ .. ثم يقول للقبطى : خذ الدرة واعْلُ بها عَمْراً على صلعته(١) فيقول لا .. لقد كفيت وأوفيت ياأمير المؤمنين .. لقد صدق فيه من قال : حين رآه مرقع الثياب نائما على التراب تحت ظل شجرة : حكمت فعدلت فأمنت فنمت ياعمر ..

ما ضر عثمان مافعل بعد اليوم :

ذلكم هو ذو النورين ــ رضى الله عنه ــ عثمان بن عفان الذى يقول فيه

---

(١) لأن ابنه مافعل فعلتــه إلا بسلطان أبيه .

النبى الكريم — ﷺ — وقد كان مضطجعاً وقد تعرت ساقه الطاهرة فدخل عليه أبو بكر فلم يغطها ، ثم عمر كذلك فلما دخل عثمان — رضى الله عنه — غطاها فتساءلت أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — لماذا يارسول الله فعلت مع عثمان .. مالم تفعله مع الشيخين ؟ فقال ألا استحى من رجل تستحى منه الملائكة ؟ إنه عثمان إنه من جهز جيش العسرة من ماله .. إنه صاحب بئر معونة التى اشتراها من ماله بأضعاف ثمنها من اليهودى ليشرب منها المسلمون . ويقول فيه الرسول الكريم : « ماضر عثمان مافعل بعد اليوم » إنه المتاجر مع ربه .. تأتى قافلة له محملة بالخيرات فيجتمع لديه تجار المدينة فيعطونه ربحاً على الدرهم درهمين فيأبى فيزيدونه إلى سبعة أمثال وهو يقول فى كل زيادة أعطيت أكثر من هذا فيقولون له ليس فى المدينة من يستطيع أن يعطيك أكثر من هذا .. فقال أعطانى ربى عشرة وأشهدكم أنها كلها فى سبيل الله ..

قضية ولا أبا حسن لها :

إنه باب مدينة العلم (أنا مدينة العلم وعلى بابها) أو كما قال ﷺ وكان أعلم الناس بعد رسول الله بالميراث يجيب على أعوص مسألة على المنبر ارتجالا حتى قيل فيه : « قضية ولا أبا حسن لها » فصارت مثلا ذلكم هو على — كرم الله وجهه — يقول له النبى المصطفى الكريم : « لقد أعطيت امرأة هى سيدة نساء أهل الجنة وولدين هما سيدا شباب أهل الجنة .. » أو كما قال — ﷺ — يسأل معاوية — رضى الله عنه — ضرار بن حمزة — رضى الله عنه — قائلا : صف لى علياً .. فقال ابن حمزة : اعفنى ياأمير المؤمنين : قال له معاوية : لابد من ذلك .. قال ابن حمزة : أما إذا كان لابد من ذلك فإنه كان — والله — بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا .. يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه .. يعجبه من الطعام ماخف ، ومن اللباس ماقصر .. وكان — والله — مجيبا إذا دعوناه ، ويعطينا إذا سألناه .. وكنا — والله — على تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة له ، ولا نبتدئه ، لعظمته فى نفوسنا — يبتسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم فى المسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ، ينصف اللهفان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته .. وكأنى به — وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت

نجومه ــ وهو فى محرابه ، قابض على لحيته . يتململ تململ السليم[1] ، ويبكى بكاء الحزين يقول : يادنيا غرى غيرى .. أَلِيَ تَعَرَّضْتِ ؟ أم إلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ هيهات هيهات .. لاحان حينك .. وقد باينتك ثلاثا لارجعة لى فيك .. حقا : لقد كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار كيف لا وهو ربيب رسول الله ــ ﷺ ــ كرم الله وجهه عن السجود لصنم يبحث عنه رسول الله فى إحدى غزواته ليعطيه الراية فيجاب بأنه أرمد فلما مثل بين يديه تفل فى عينه المريضة فكانت أحدَّ من أختها ــ وهذه إحدى معجزاته الكونية الكثيرة ــ وجد أحد المشركين ثغرة فى الخندق[2] فاجتازها . هو عمرو بن ود من أعظم صناديد قريش (جثة ثور وقوة فيل) ثم أخذ يختال عجبا وينادى بأعلى صوته أفى القوم مبارز ؟ فقام على ــ رضى الله عنه ــ فأجلسه رسول الله ــ ﷺ ــ قائلا : « إنه عمرو (فعل ذلك ثلاثا) » ثم أجازه رسول الله ودعا له بالنصر ونسمع عمراً يقول مرتجزا .

ولقد بححتُ من النداء بجمعكم ، هل من مبارز ؟
ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز !!

فأجابه أبو الحسن على الفور وزنا وقافية :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
إنى لأرجو أن تنوح عليك نائحة الجنائز !!

فقال : عمرو بن ود : من المبارز ؟ فقال :

على بن أبى طالب ...

قال عمرو : صبحك الله بالخير أريد صنديدا من بنى عمومتى فقال على : لاصبحك الله بالخير ياعدو الله .. أنا لك فنزل عمرو عن فرسه متغطرسا مستقلا بشأن على ثم ترجل ونازل عليا فضربه على ضربة لم تؤثر فيه ــ ثم ــ ضرب عليا ضربة أدخل بها المغفر فى وجنتيه وفى سرعة خاطفة قال أبو الحسن : إنى لأقاتل اثنين .. فالتفت الغر فلم يجد إلا حصانه فعقره ــ غيظا وحنقا ــ فعاجله على بضربة فصلت رأسه عن جسده فخر صريعا بين تكبير المسلمين وتهليل المؤمنين ..

---

(١) الملـــدوغ .
(٢) فى غزوة الخندق .

الله أكبر .. الله أكبر ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾ حقا إن الحرب خدعة .

وهذه معالم شخصياتهم تحددها تلك القصة التى روتها كتب التاريخ الإسلامى : جلس رسول الله — ﷺ — بين أصحابه فقال : « حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة »(١) ثم تحكى القصة أن أبا بكر — رضى الله عنه — قال : وأنا يارسول الله : حبب إلى من دنيانا ثلاث : الجلوس بين يديك والصلاة والسلام عليك وإنفاق المال فى سبيل الله (٢) ..

ثم قال عمر — رضى الله عنه — وأنا يارسول الله حبب إلى من دنياى ثلاث : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة حدود الله فى الأرض .

ثم قال عثمان — رضى الله عنه — وأنا يارسول الله : حبب إلى من دنيانا ثلاث .. إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة فى جوف الليل والناس نيام .

ثم قال على — رضى الله عنه — وأنا يارسول الله : حبب إلى من دنيانا ثلاث : إكرام الضيف والضرب بالسيف والصوم فى يوم صيف .

ثم تسترسل القصة فتقول : ثم ينزل جبريل الأمين فيقول يامحمد : وأنا حبب إلىّ من دنياكم ثلاث : تبليغ الرسالة للمرسلين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والحمد لله رب العالمين .

ثم قال يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول لك : حبب إليه من دنياكم ثلاث قلب ذاكر ولسان شاكر وجسد على البلاء صابر (٣) ...

(١) وطعن المستشرقون والمغفلون فى شخصية المعصوم — ﷺ — لقوله « النساء » مردود فى نحورهم فلو كان شهوانيا لما كانت كل زوجاته — رضى الله عنهن — ثيبات إلا عائشة — رضى الله عنها — وإنما هو الرفق والمرحمة « واستوصوا بالنساء خيرا » « رفقا بالقوارير » ثم لماذا يتغابى الأفاكون ويتناسون أنه تزوج أول زيجة ثيبا فى سن الأربعين وهو ابن خمس وعشرين !! ثم تحريم الزواج عليه وهو بعد فى قمة قوته — ﴿ لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ماملكت يمينك ﴾ ٥٢ الأحزاب .. إنه الوحى ..

(٢) أو قيل وإنفاق المال من أجلك .

(٣) الحق أننى لم أعرف مصدر هذه القصة وإنما سمعتها من فضيلة الشيخ شعبان خطيب مسجد فى شبرا شارع خلوصى فنقشت فى ذاكرتى .

أسد الله وسيد الشهداء :

وهذا الحمزة رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ الذى سماه أسد الله وقال فيه (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) وأراد أن يمثل بسبعين من قريش أو بثلاثين انتقاما لما فعلوه بعمه ثم ينزل على حكم الله ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ كما هو مشهور من قصته .

سيف الله المسلول :

وهذا ابن الوليد خالد رضى الله عنه الذى سماه المصطفى ﷺ سيف الله المسلول لايهزم فى معركة حربية بين الكفر والإيمان ويعزله الفاروق رضى الله عنه وهو فى أوج انتصاره وعظمة القائد المظفر يعزله خوفا من الافتتان به لأن الكفار الصناديد كانوا يفرون هلعا وخوفا حين يسمعون كلمة (جيش خالد) مصداقا لقول الرسول الكريم ﷺ (نصرت بالرعب من مسيرة شهر) ومؤاخذة له على بعض تصرفات منه .

ويصور ذلك حافظ شعرا فيقول :

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت ... له الفتوح وهل أغنى تواليها ؟
غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها
عشرون موقعة مرت محجلة ... من بعد عشر بنان الفتح يحصيها
فخالد فى سبيل الله موقدها ... وخالد فى سبيل الله صاليها
أتاه أمر أبى حفص فقبله ... كما يقبل آى الله تاليها
ألقى القياد إلى الجراح ممتثلا ... وعزة النفس لم تجرح حواشيها
وانضم للجند يمشى تحت رايته ... وبالحياة إذا مالت يفدّيها
فخالد كان يدرى أن صاحبه ... قد وجه النفس نحو الله توجيها

لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم[١] :

وهذا ماعز بن مالك رضى الله عنه يقترف جريمة الزنى ولا يراه أحد إلا الله

(١) يراجع كتاب العدالة الاجتماعية ص ١٧٣ والحديث عن بريده .

ولكنه يصر على التطهر فى الدنيا فيذهب إلى رسول الله ﷺ قائلا : طهرنى يارسول الله فيقول مم أطهرك ؟؟ يقول من الزنى فيقول : لعلك لمست أو قبلت أو .. أو .. مما هو دون الزنى ؟ فيقول : زنيت يارسول الله فيقول ﷺ استنكهوه[1] فيستنكه ويراجعه ٤ مرات وهو يعترف زنيت يارسول الله[2] .

فأمر به فرجم .. وتحكى السيرة أنهم لبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء المصطفى ﷺ فقال : « استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم » .

لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له[3] :

إنها الغامدية التي جاءت تطلب من رسول الله ﷺ مراراً أن يطهرها من الزنى فيردها مراراً قائلاً لها لعلك كذا أو كذا فتقول فى كل مرة زنيت يارسول الله فيقول ﷺ : « اذهبى حتى تضعى حملك » فتذهب ثم تجيء وقد وضعت وليدها » .. فيقول لها : « اذهبى حتى تفطميه » فتذهب ثم تعود وفى يد وليدها كِسرة من الخبز كأنها تخشى أن يردها حتى يكبر الوليد ، وكأنى بها تقول هاهو ذا يستقل بالأكل فلا تردنى فيلتفت ﷺ إلى صحابته ـــ رضى الله عنهم ـــ مشيراً إلى الوليد بما معناه من يأخذه ليربيه بحقه عند الله ؟ فيدفعه إلى أحد الصحابة الأبرار ثم يأمر برجمها ، فحفروا لها حفرة ثم رجمت حتى فارقت الحياة شهيدة التوبة النصوح ، وقد كان فى الراجمين خالد بن الوليد ـــ رضى الله عنه قذفها بحجر فتفجر منها الدم فأصابه رذاذ من دمها فسبها ـــ فغضب رسول الله ﷺ قائلاً « مهلا ياخالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » ثم أمر بها فصلى عليها ثم دفنت (رواه مسلم والنسائى) .

ومن يقدر على هذا غير الله ؟

وذلكم صبى يقف خاشعاً يصلى فيسأله ـــ بعد الفراغ ـــ صحابى أعجب

---

(١) شموا رائحة فمه لعله يكون قد شرب خمرا فلا يعى مايقول .

(٢) وفى هذا السلوك العظيم من ضمان الحقوق مالا يخفى فهو ﷺ الذى يقول ادرءوا الحدود بالشبهات .
وفى القرن العشرين يفقه الكفار هذا الحكم فيقول قانونهم الأرضى المتهم برىء حتى تثبت إدانته بعد ١٤ قرنا من الزمان ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .

(٣) وصاحب المكس من يفرض الضرائب الفادحة زوراً .

بخشوعه فى صلاته ابن من أنت ياغلام ؟ فيقول : أنا يتيم الأبوين .. فقال الصحابى : أتحب أن أكون لك أبا وزوجى لك أما ؟ فقال الغلام : شريطة أن تطعمنى إذا جعت فقال الصحابى : ذلك حبيب إلى قلبى .. قال الصبى : أتكسونى إذا عريت ؟ قال الصحابى : إن ذلك أحب شىء إلى نفسى . فقال الصبى : أتحيينى إذا مت ؟ .. فقال الصحابى : ويحك !! ومن يقدر على هذا غير الله ؟ فقال الغلام إذن فدعنى للذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين .. فتلقى الصحابى على يد الصبى درساً عظيماً فقبله وانصرف ..

إن غابت عنا عين أمير المؤمنين فلن تغيب عنا عين رب أمير المؤمنين :

تلكم فتاة بنى هلال يسمعها عمر — رضى الله عنه — وهو يتعسس ليلاً فى حواشى المدينة — وقد أصابه الإعياء — فأسند ظهره إلى جدار .. فإذا امرأة تقول لفتاتها : أى بنية : قومى فامذقى اللبن بالماء .. فقالت البنت : أو ماعلمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ فقالت الأم وما ذاك ؟ قالت الفتاة : لقد أمر مناديه يحذر من غش اللبن ؟ فقالت الأم : وأين نحن من أمير المؤمنين ؟ فقالت الصبية : والله ماكنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلا .. لو غابت عنا عين أمير المؤمنين فلن تغيب عنا عين رب أمير المؤمنين .. وفى الصباح استدعاها الخليفة — رضى الله عنه — ثم زوجها من ابنه عاصم ، فكانت زوجة لابن أمير المؤمنين وجدة لعمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين — رضى الله عنهم أجمعين .

اجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخرة :

بهذه العبارة كتب عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — إلى الحسن البصرى فرد يقول : إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والموت متوسط بينهما ، ونحن أضغاث أحلام من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ماأكرهت النفوس عليه ..

أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها :

من أجل هذا يقول ـــ عمر رضى الله عنه ، لولا أن تنقص جناتى لشاركتكم فى لين عيشكم ، ولو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرفهكم عيشاً ولكنى أخاف من الله ـــ تبارك وتعالى ـــ

إن الله عز وجل لايمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحسن فإنه ليس بين الله ـــ تبارك وتعالى ـــ وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة .

وإذا كان فى الإنسان عشر خصال : تسع منها صالحة وواحدتها سوء الخلق أفسدت هذه الخصلة تلك التسع .

التبسم أبلغ فى الإيناس من الضحك .
المروءة مروءتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف .
إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .
تواضعوا لمن تتعلمون منهم ليتواضع لكم من تعلمونهم .

بقى أن أؤدى أنا صدقتى :

عندما استولى صلاح الدين على بيت المقدس فتح أبواب المدينة لمن يرغب فى مغادرتها فخرج الأمير يليان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن أدى عنهم ثلاثين ألف درهم ثم تتابع خروج الصليبيين ثم خرج البطريرك الكبير يجر من أموال الكنيسة وتحفها وجواهرها مالا يقدر بمال فلم يعرض له صلاح الدين بشىء مما معه وانقضت أربعون يوما ولا يزال فى المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لايملكون فداء فتقدم العادل إلى أخيه قال إنى أستوهبك ألفا من أولئك الأرقاء فأجابه السلطان إلى طلبه وعند ذلك أعتقهم العادل من فوره ثم جاء يليان والبطريرك وطلبا مثل الذى طلبه العادل فوهبهم صلاح الدين ألف رقيق أطلقوا فى الحال .

ثم قال صلاح الدين بقى أن أودى أنا صدقتى ثم أمر رجالا من حرسه أن

ينادوا بأن لكل عاجز عن دفع الفداء أن يخرج حِسْبَة لوجه الله كما أطلق للنساء أزواجهن من الحبوس (١) .

فسالت بها الشوارع مدرارا :

يقول هنري كاسترى إن أحدّ سلاح يستأصل به المسلمون وأمضى سيف يقتلون به هو الخمر وأن الواجب على المسلمين أن يحظوا بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطى المسكرات ، فإن هذا المنع سبب قوتهم وإن القوة التى كونت فيما مضى عظمة الإسلام لم تندثر بل إن بقاياها آخذة بالمحافظة على المدنية الإسلامية ، إذ انفرد الإسلام بتحريم الخمر وهى مزية لاتجدها فى كتب الديانات الأخرى وهى ميزة عظمى فإنه لم يكد يبلغ المسلمون تحريم الله للخمر حتى أريقت أدنانها وكئوسها فسالت بها الشوارع مدراراً .. وقال واحد منهم وقد كانت كأسه فى يده شرب بعضها .. فلما سمع .. ﴿ **فهل أنتم منتهون** ﴾ (٢) قذفها قائلاً : « انتهينا ربنا انتهينا ربنا » .

إنه أعظم جغرافى عرفته البشرية :

كلمة حق قالها المستشرق « اشبرنجر » فى الرحالة المقدسى ويقول صاحب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم :

مابقيت خزانة ملك إلا وقد لزمتها ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها ، ولا أهل زهد إلا وقد خالطتهم ، ولقد سميت بستة وثلاثين اسما : دعيت وخوطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربى وخراسانى وسلمى وصوفى ومقرىء وفقيه وولى وعابد وزاهد وسباح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقى وبغدادى وشامى وحنيفى وراكب ورسول ؛ وذلك لاختلاف البلدان التى حللتها وكثرة المواضع التى دخلتها .

وقد طاف المقدسى العالم كله ماعدا الأندلس والسند وركب المخاطر فى بحر

---

(١) راجع كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالى .

(٢) ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟** ﴾ .

الهند والبحر الأحمر والأبيض .

وقال عنه المستشرق « اشبرنجر » إنه أعظم جغرافى عرفته البشرية يقول المقدسى : لم يبق شيء ، مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيبا غير (الكدية) أى التسول وركوب البكرة فقد تفقهت وتزهدت وتعبدت وفقهت وأدبت وخطبت على المنابر وأذنت على المنائر وأقمت فى المساجد وذكرت فى الجوامع واختلفت إلى المدارس وتكلمت فى المجالس وأكلت مع الصوفية الهرائس ومع الخافقانيين الثرائد ومع النواتى « الملاحين » العصائِد وطردت فى الليالى من المساجد وسحت فى البرارى ، وتهت فى الصحارى ، وصدقت فى الورع زمانا اندمجت بعباد جبل لبنان وخالطت حينا السلطان وملكت العبيد وحملت على رأسى بالزنبيل وأشرفت مرارا على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق وخدمت القضاة والكبراء وخاطبت السلطان والوزراء وبعت فى الأسواق وسجنت فى الحبوس وأخذت على أنى جاسوس .. إلخ .

هذه الأمة :

يقول توينبى « إننى أغبط أبناء المجتمع العربى لما تضفيه عليهم الأمة العربية بأنه فى داره مادام فى بلاد عربية إسلامية فالعراقى والمصرى أو النجدى أو الحجازى أو المراكشى أو التونسى لايجد فرقا فى الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر والقاهرة وجدة ودمشق وبغداد والبصرة » . ونقول هذه هى وحدة الثقافة وهذه هى وحدة الأمة ومصدرها الوحيد هو الإسلام(١) .

---

(١) أضف إلى ذلك ماذكرناه سلفا عن الفرق بين الثقافة والعلم ، ورددوا ماقاله أسلافكم :

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

وطنى الإسلام لا أفدى سواه ... وبَنُوه أين كانوا إخوتى

مصر والشام ونجد ورباه ... مع بغداد جميعا أمتى

وإن دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم ... أجابه فى ذرا لبنان منتحب

وصدق الله العظيم : ﴿ **وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ .

هذه النفحة الإلٓهية :

يقول محمد قطب : على الإنسان أن يزكى نفسه ولا يدنسها بأن يجلو فطرتها فتهتدى إلى الله خالقها وتستمد منه التوجيه ، وحين يحدث ذلك تصبح هذه الذرة الضعيفة التائهة الغائبة أقوى عنصر على الأرض وأضخم طاقة . هذه النفحة الإلٓهية فى الإنسان تهتدى إلى الله بالفطرة مادامت سليمة والإنسان هو الذى يركسها ويغشها فلا ترى سبيلها إليه وحينئذ تنحرف وتضل وتحدث كل أنواع الظلم لنفسه وللآخرين وكل أنواع الفحش وكل ألوان الفساد .

أسطول صلاح الدين :

من أهم مواقع الحروب الصليبية معركة بحر عيذاب ، وقد اهتم بها المؤرخون وأوردوها فى تفاصيل واسعة أوردها ابن جبير وابن الأثير وابن شداد وسبط ، وابن الجوزى ، وأبو شامة وأبو الفداء وابن الوردى ، وابن خلدون ، والمقريزى ، وخلاصتها أن صاحب الكرك الإفرنجى أنشأ أسطولا قسمه إلى فرقتين فرقة أقامت على حصن أيلة تحاصره وتمنع أهله من الوصول إلى الماء وفرقة سارت إلى عيذاب ، تقطع الطريق ، وتهاجم السفن الإسلامية المتجهة إلى الأراضى المقدسة ، وقد ندب صلاح الدين قائده المبرز (حسام الدين لؤلؤ) فتحرك على رأس أسطول ضخم ، وهاجم الفرنجة فتوجه إلى الفرقة التى تحاصر أيلة أولا وهزمها ثم قصد إلى الفرقة الثانية التى كانت عازمة على دخول مكة والمدينة فهاجمهم وانتصر عليهم .. ولما هربوا إلى البر قتل قسما كبيرا منهم وأسر قسما آخر .

المستشرق وآية واحدة من القرآن « منهج الله » :

يقول الأستاذ كامل كيلانى فيما روى من ذكرياته كنت مع الأستاذ « فنكل » وهو من المستشرقين وكانت بينى وبينه صلات أدبية وثيقة وكان يأخذ برأيى فى كل المشكلات التى تقابله فى الأدب ، لما يعتقده فىَّ من الصراحة ، ففى ذات يوم همس فى أذنى وقال : خبرنى عن رأيك بصراحتك المعهودة أممن يعتقدون إعجاز القرآن أنت ؟ أم لعلك تجارى جمهور المسلمين الذين يتلقنون ذلك كابرا عن كابر ، وابتسم ابتسامة كل معانيها لاتخفى على أحد وهو يحسب أنه ألقى سهما لاسبيل إلى دفعه ، فابتسمت له كما ابتسم لى ..

يقول الكيلانى : وقلت لكى تحكم على بلاغة أسلوب بعينه يجب أن تحاول أن تكتب مثله أو تقلده ، فلنحاول ، ليظهر لنا أنحن قادرون أم عاجزون عن محاكاته وقلت فلنجرب مثلا أن نعبر عن سعة جهنم ، فما نحن قائلون : فأمسك بالقلم وأمسكت به فكتبنا نحو عشرين جملة متغيرة الأسلوب يعبر بها عن هذا المعنى .

فقلت مبتسما ابتسامة الظافر الواثق : الآن تتجلى لك بلاغة القرآن بعد أن حاولنا أن نحاكيه فى هذا المعنى .

فقال : هل أدى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما أديناه ؟ فقلت لقد كنا أطفالا فى تأديته فقال مدهوشا وماذا قال ؟ قلت ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد ؟** ﴾ .

فصعق أو كاد ، وفتح فاه كالأبله أمام هذه البلاغة المعجزة وقال صدقت نعم صدقت حقا إنه كلام الله .

وإذا غاب الإيمان تحول المقاتل إلى جسد بلا روح وإلى آلة بلا أمل :

إن الرجوع إلى الدين وإلى تاريخنا يولد الثقة بالنفس فيدفع إلى الشجاعة والتضحية وقد فتح العرب الدنيا بفضل إسلامهم وإن قوات الكوماندوز العربية فى حرب سنة ١٩٤٨ كان عددها لايتجاوز ١٥٠٠ جندى يقودهم عدد محدود من الضباط لايتجاوز العشرة ، وعلى رأسهم الشهيد أحمد عبد العزيز لم ينهزم فى أى معركة خاضها ضد القوات الصهيونية بفضل تمسكها بالدين(١) وإيمانها .

إن عامل التطور فى نوعية السلاح عامل هام لايمكن إغفاله ، ولكن الإيمان هو العامل الحاسم الذى يحدد نتيجة المعركة ــ أى معركة ــ ذلك أن الإيمان هو الروح وهو الحافز وهو الأمل للمقاتل وإذا غاب الإيمان تحول المقاتل إلى جسد بلا روح وإلى آلة بلا أمل اهـ «من كلمات عبد الرحمن عزام» .

أول عربى وصل إلى الدنيا الجديدة :

أشارت مجلة المورد إلى رحلة أول مواطن عربى إلى الولايات المتحدة وهو

---

(١) لأنها تربت فى كنف دعوة الإخوان المسلمين ورائدها الشهيد حسن البنا رحمه الله .

العراق إلياس الموصلى قام بهذه الرحلة عام ١٦٦٨ م حيث غادر بغداد إلى القدس ، فحلب ، فالإسكندرية ، فالبندقية ، وفرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، موصقلية ، ومن أسبانيا ذهب إلى أمريكا الجنوبية واسغرقت رحلته خمسة عشر عاما ثم عاد إلى أسبانيا عام ١٦٨٠ م .

غاز الأوزون وصلاة الفجر :

أعلن العلماء أن هناك ريحا تهب فى ساعات الفجر تلطف الجو تلطيفا مؤثرا يحسه الإنسان إحساسا كاملا ، ويتذوق حلاوته وهى ريح لاشبيه لها فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

هذا الغاز يطلق عليه اصطلاحا (غاز الأوزون) الذى يرتفع بنسبة عالية فى وقت الفجر وتقل تدريجيا حتى تضمحل عند طلوع الشمس له تأثيرات على الجهاز العصبى والمشاعر النفسية العميقة والنشاط العصبى والفكرى ..

وقد أشار العلماء إلى غاز الأوزون تتشبع به الحويصلات والمسام وينقل إلى الدورة الدموية فضلا عن غاز اليود الذى ينقى الرئتين وصدق الله العظيم ﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾ دفعا للمسلم إلى صلاة الفجر ، ليحصل السعادتين ، وصدق رسول الله ﷺ « بورك لأمتى فى بواكيرها » .

فما أجمل الإسلام وأجْمِلْ بشعائره : إنه منهج الله .

من زهد فى الدنيا أنبت الله الحكمة فى قلبه :

قال جعفر الصادق : من أخرجه الله من ذل المعاصى إلى عز التقوى أغناه الله بغير مال وأعزه بغير عشيرة . ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ، من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله عنه باليسير من العمل ، ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مئونته ونعم أهله ، ومن زهد فى الدنيا أنبت الله الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا . داءها ودماءها وأخرجه منها سالما .

● **الشخصية المحمدية :**

احتفلت جامعة شيكاغو سنة ١٩٦٠ بافتتاح قاعة محاضراتها الإسلامية

وتحدث الدكتور « ديكان بلال مكدونالد » فقال :

إن الشخصية المحمدية لاتزال بعد أربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل فى تقوية المسلم ولقد أقام الإسلام بين أتباعه أخوة عامة قَلَّ أن يوجد لها نظير بين أتباع الكنيسة الواحدة .

ابن الآمدى سبق برايل إلى اختراع طريقة الكتابة للعميان :

كشف أحمد زكى باشا شيخ العروبة فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى مصر عام ١٩٠٦ أن علماء العرب قد سبقوا الأوربيين إلى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فلخص كتاب نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى وقال إنه يرجع إلى ابن المشرق الفخر فى وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان (على بن أحمد بن يوسف) المشهور بزين الدين الآمدى الذى فقد بصره فى أول عمره وشرح طريقة معرفته شكل حرف من الحروف وألصقها فى الكتاب وكانت هذه الحروف هى التى يستعين بلمسها على معرفة ثمن الكتاب وبهذا يكون ابن الآمدى المتوفى سنة ٧١٢ هـ قد سبق برايل إلى اختراع طريقة الكتابة للعميان بنحو ستمائة سنة .

انتهينا ربنا ... انتهينا ربنا .. :

عن أبى بريدة عن أبيه بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر إذ قمت حتى آتى رسول الله فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر فجئت أصحابى فقرأت الآية عليهم : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **فهل أنتم منتهون ؟** ﴾ قال وبعض القوم شربته فى يده شرب بعضا وبقى بعض فى الإناء ، فأراقوا مافى كئوسهم ثم صبوا مافى باطيتهم وقالوا انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا ..

وما تكونت عصابات لمحاربة التهريب ولا لجأت الدولة إلى أحكام الإعدام والسجن والمصادرة للأموال والأملاك كما فعلت أمريكا ولم تفلح فى مكافحة

---

(١) رواه ابن جرير بسنده فى تفسير ابن كثير .

الخمر ، ولكنها المبادرة إلى التنفيذ فى يسر وطاعة ورضا ، امتثالا لأمر القرآن . حقا إنه الإسلام إنه منهج الله (١) .

وهذا مثل من الأمثلة التى خلبت ألباب كثير من المستشرقين منهم هنرى كاسترى سالف الذكر .

* * *

(١) عن منهج القرآن فى التربية بتصرف لمحمد شديد
وراجع كتاب د . يوسف القرضاوى الإيمان والحياة باب أثر الإيمان فى حياة الفرد والجماعة .

الفصل الرابع

وأنتم معقد الآمل ومحط الرجاء يا شباب

- شبيبة الإسلام .
- من اعتز بهذه الكلمة .
- وخلاصة القول .
- الغرب يكتشف عظمة الإسلام .
- والفرصة مواتية لدعاة الإسلام .
- قبل أن نقرأ .
- من حدود الصين إلى منابت الزيتون .
- نريد أمير المؤمنين .
- في ظلال القرآن .

شبيبـــة الإســـلام :

هذه نماذج بشرية من صنع الإسلام وتربية محمد ﷺ سقتها على سبيل المثال للمجتمع المثالى فى ظلال الإسلام .. وهى قطرات من بحر وورود من مروج .. صحيح أنها نماذج ممتازة فى تاريخ البشر .. ولكن المهم أنهم بشر ولكنهم بشر تشربت أرواحهم النور الربانى ، فارتفعت أرواحهم به وسمت نفوسهم حتى صارت إلى تلك النماذج العالية التى تشرف بها الإنسانية فى جميع أحقابها وأحوالها والتأسى بهم ، والاقتداء بأعمالهم وأفكارهم ومشاعرهم محاولة مفتوحة أمام المسلمين فى كل جيل يصلون منها إلى ماتقدر عليهم نفوسهم ، بل ومحاولة مفتوحة أمام غير المسلمين ليجربوا الإسلام ـــ دين الله الحق ـــ منهج الله القويم ، فقد كان رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة ، وكانت كل دقيقة من حياته مبسوطة أمامهم ؛ لتكون النموذج الكامل الدائم الذى يرجعون إليه فى كل تصرفاتهم ويحاولون بقدر مايطيقون أن يقتبسوا منها ، ويقتدوا بها ، ويترسموا سلوكها فى الشدائد والصعاب واضعين نصب أعينهم ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ ولا يسعنى فى هذا المقام المحدود إلا أن أحيل القارىء على كتب السيرة والتاريخ الإسلامى الصافى ، ليُحَلِّقَ فى هذا الجو العبق ، وينهل من المنهل العذب ، ليتبين صور المجتمعات الإسلامية عبر القرون التى عاشت فى ظلال الإدراك الصحيح لمفهوم الإسلام ومرامى الدعوة الإسلامية .

فتيـــة الإســـلام :(١)

هذا هو المجتمع المسلم الذى ساق الخير للبشرية جمعاء كلما كان تحت راية القرآن وملتزما بسنة النبى ﷺ فإذا انحرف وتنكب الطريق كانت هزيمته وكانت نكسته وكانت غلبة الكفار عليه .. هذا المجتمع هو الذى خلف لنا هذا التراث الخالد ، ولكننا من بعدهم بعدنا على الخط رويدا رويدا بيدنا النور ولكننا انبهرنا بشموع ذابلة من هنا وهناك .

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

---

(١) فتيـــانا وفتيـــات .

حتى صار المسلمون إلى ماصاروا إليه اليوم من انحراف عن الإسلام ؛ فقد انحسر المد الإسلامى ، وانحصر فى نفوسهم مفهومه إلى هذه الصورة الهزيلة التى صارت ــ فى أحسن حالاتها ــ مجموعة من الشعائر التعبدية المخلصة وفى معظم حالاتها عبادة لله (بالنية الحسنة) وفى أسوأ حالاتها خروجا صريحا على الدين ، ونفورا منه ، وانسلاخا من كل رابط يربطهم بتعاليمه .

والمصلحون من المسلمين بين هذين الخطين فى حيرة يحاولون التقريب ويلتمسون المعاذير .

فيأيها الشباب : هل وفاة الرسول ﷺ وذهاب تأثير شخصيته المباشرة على نفوس المسلمين معناه تحطيم المجتمع الإسلامى وتدمير قواعده من الأساس؟ لا ... فإنه تصدمنا حقيقة واقعة فى تاريخ الإسلام والمسلمين من حياة المجتمع الإسلامى فى حياة الخلفاء الراشدين ، ثم حياة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز بعد كبوات وهفوات ثم صحوة تعقبها كبوات ثم صحوة بين غفوات وغفوات ؛ إذ الإسلام كلمة الله وهى كلمة حية لاتموت .

واليوم.. هل مات النبى محمد؟لا — لم يمت والشرع يغزو الأعصرا
لا.. لم يمت بل مات كل مكابر — ومضى إلى الأخرى حقيراً صاغراً(1)
لا.. لم يمت وكتاب ربى بيننا — يدعو إلى الإصلاح يهدى الفاجرا
ياخير خلق الله إن تحيتى — فى ظل سنتك النشيد مطهرا
فعناه للماضى يكفر بعضه — ويقود للحسنى رفيقاً طاهراً
حاشا لمثلك أن يرد تحية — دبجتها فيكم محبا شاعــرا

من اعتز بهذه الكلمة أعزه الله :

والمجتمع المسلم الذى يتمسك بها ، يحيا لها ويموت من أجلها ، لا شك أنه واصل إلى ماوصل إليه سلفه الصالح من سعادة فى الدنيا وفوز بالجنة فى الآخرة .. لقد جرب الإسلام كنظام فنجح وأسعد البشرية كلها فخلص الناس من ظلم الفرس والروم ، ومن استعباد الأكاسرة والقياصرة وجرب كدين ومنهج فنعمت البشرية فى ظلاله ورفرفت الرحمة والعدالة والأمن والسلام على أرجائها . ولكن

---

(1) أى المكابــر .

مع الأسف خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فانتفض الحاقدون منتهزين غفلة المسلمين وضعفهم وانقضوا على رقعة الإسلام ينتقصونها من كل جانب حتى مزقوا الشمل . وبدءوا يبتلعونها لقمة لقمة .. ثم أفقتم ياشباب على مدنية زائفة وشعارات جوفاء من الشرق والغرب سرقت معانيها من مبادىء الإسلام — كدين — وتنادوا بها — كنظام — يفرض بالسلطة والسيادة والسخرة والرق ، والاستعباد والاستعمار (أقصد الاستخراب) استخراب الأرض والفكرة والعقيدة وإن انتصروا فإلى حين ؛ فكل منهج غير منهج الله إلى زوال .

ونظرة إلى شعيرة واحدة من شعائر الإسلام — ياشبيبة الإسلام — تريكم كيف تجمع كل هذه النظم الأرضية التى تسمعونها وهم يتشدقون بها وكأنها أطواق النجاة جهالة بأنها مبدأ مسروق من مبادىء الإسلام ؛ وسميت بأسماء جديدة واستعملت فى غير ماوضعت له .. وبالمثال يتضح المقال : الإمام فى الصلاة مثلا : متابعته فرض وطاعته واجبة وصدق رسول الله ﷺ « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا » فسرقوا هذا المبدأ مبدأ الاتباع والطاعة للإمام وطبقوه على الحياة كلها وخلعوا عليه اسم الدكتاتورية ، فإذا أخطأ فقد منح الإسلام المأموم حق التوجيه والتصويب فيقول الرجل سبحان الله أو يفتح عليه فيصحح له الآية القرآنية التى أخطأ فيها .. وأما المرأة فترده إلى الصواب بالتصفيق .. سرق بعضهم هذا المبدأ وطبقوه فى مجتمعهم فى مناسبة وغير مناسبة وأطلقوا عليه اسم الديمقراطية .

المساواة فى الصف فى مساجد الله حيث يقف الفقير بجوار الغنى والعظيم بجوار السوقة الأول فالأول والآخر فالآخر سواسية كأسنان المشط .. سرقوا ذلك وسماه بعضهم اشتراكية وسماه البعض الآخر شيوعية إلى غير ذلك من الأسماء التى ابتدعوها هم جميعا يطبقون المبادىء التى سرقوها وابتدعوها فى شتى ميادين الحياة ، إنما الإسلام يضع كل شىء فى موضعه وكل نظام فى محله الاسم المناسب على المسمى المناسب والوسيلة المناسبة للغاية المناسبة لأنه منهج الله .

ثم مابالكم لو تمعنتم فى شعيرة الزكاة أو الصدقة(١) أو شعيرة الصوم أو

---

(١) راجع كتاب دراسات إسلامية للشهيد سيد قطب موضوع التكافل الاجتماعى وكتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام .

فريضة الحج أو الجهاد .. إذن لرأيتم وأدركتم حقيقة دينكم القيم .. نظام الحياة الكامل ، إنه لو طبق فى الأرض ـــ كما أنزل ـــ لسعدت الإنسانية كلها ، ولنعمت البشرية كلها ، ولساد الأمن والسلام ولوضعت الحرب أوزارها ، ولعم الرخاء ، ولسادت الرحمة والسلام ، وعم الأمن وشاع العدل ، وسعد الأنام .

ويجب على دعاة الإسلام ألا يهادنوا فى ذلك أو يداهنوا فليطلبوا من الناس الرجوع إلى الإسلام ، ولا يقولوا مرة تحت عنوان ديمقراطية الإسلام ومرة اشتراكية الإسلام .. إلخ . لتبرير نقل نظمهم إلينا وإقناع الدهماء بمذاهبهم .. لا ..

إنما هو الإسلام والإسلام فقط (١) إنه منهج الله وهذه رسالتكم فتية الإسلام وأنتم معقد الأمل ياشباب ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .

ياحماة العروبة . ياورثة الإسلام ، ياأتباع محمد عليه الصلاة والسلام هذه رسالتكم ـــ وهى شاقة صعبة ـــ حيث البداية من الصفر تربية أنفسكم كأفراد ، ثم تكوين البيت المسلم ، ثم المجتمع المسلم المثالى ثم المجتمعات الإسلامية كأمة واحدة ثم الانطلاق إلى آفاق الأرض لدعوة المجتمعات البشرية كلها إلى عبادة الله الواحد القهار ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** ﴾ .

فتية الإسلام ﴿ **وما ذلك على الله بعزيز** ﴾ لو خلصت النية وصدقت العزيمة لرأيتم ذلك حقيقة واقعة وتلك سنة الله فى خلقه ﴿ **فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ .

استمعوا إلى ربكم يقول : ﴿ **فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ كل شيء من سلطان المال والعلم والسلاح والاقتصاد ولكنهم فقدوا الطمأنينة ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ ﴿ **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وهو يقول : ﴿ **لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا**

---

(١) راجع كتاب معالم فى الطريق ص ١٥٤ وكتابنا حاضر العالم الإسلامى ، فصل (العالم الاسلامى .. ماهو ؟) وكتاب الشيخ أبى الحسن الندوى ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟.

من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ .

واستمع إليه يقول : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج إلا نكدا ﴾ ويقول ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾وهو يقول : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ ووعد الله لايتخلف لمن يأخذ بالأسباب ويحسن الاقتداء ويخلص فى الأسوة ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ﴾ .

فتية الإسلام : انطلقوا على بركة الله ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم وضعوا نصب أعينكم ماقدمته لكم من مقومات المجتمع المسلم فى(١) ظلال القرآن الكريم ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا * إلا من تاب وآمن وعملا عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليهم صماً وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها حسنت مستقرا

---

(١) من مقومات المجتمع المسلم : حتى لاتنسى .

١ ـــ التحرر الوجدانى المطلق .

٢ ـــ المساواة الإنسانية الكاملة

٣ ـــ التكافل الاجتماعى .

٤ ـــ العمل للدنيا والآخرة .

ومقاما * **قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لِزَاما** ﴾ صدق الله العظيم ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ القرآن الكريم كله ، السنة المطهرة كلها ، القدوة الحسنة . وصدق الرسول الكريم « تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » أو كما قال ﷺ .

فتية الإسلام هذه باختصار شديد هى رسالتكم وهى كما قلت شاقة وصعبة ولكن ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا** ﴾ « حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات » أو كما قال ﷺ وقد تحمل أعداؤكم المشقة فى سبيل نشر باطلهم وقد تكتلوا وتحالفوا مع الشيطان ﴿ **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ وأنتم على الحق تتفرقون ؟ كلا فأنتم حزب الله ﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ فقوموا ركضا إلى الله بيدكم مفاتيح الأرض وفى قلوبكم مفاتيح الجنة .

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

فتية الإسلام : أنتم أسياد العالم بهذه الرسالة الخالدة ، وأنتم لاشىء بدونها فلا تكونوا عبيداً لغير الله ، ولا إمَّعات لغيركم من البشر مهما سبقوكم فى مضمار الحياة ولا تقلدوهم إلا فيما ينفعكم فى الدنيا ولا يوردكم الهلكة فى الآخرة ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** ﴾ وحدوا الصف ، وحدوا الهدف ، استكملوا العدة ﴿ **اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾ ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ فلم يبق بعد ذلك إلا ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم** ﴾ .

وخلاصة القول : أن رسالتك أيها المسلم ورسالتك أيتها المسلمة : هى الإسلام ككل (دون إفراط أو تفريط ﴾ الإسلام بأركانه الستة وما شيد فوق الأركان : خمسة فى حديث (بُني الإسلام على خمس) والسادس فى حديث السدوسى — رضى الله عنه — (ذهبت لرسول الله ﷺ لأبايعه على الإسلام فاشترط علىَّ شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة وأن أصوم رمضان وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أجاهد فى سبيل الله ، فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله ماأطيقهما : الجهاد والصدقة ، فأما

الجهاد فإنهم زعموا أنه من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله ، وأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسى وكرهت الموت . وأما الصدقة فوالله مالى إلا غنيمة وعشر ذود[1] هن رسل أهلى وحمولتهم ، قال : فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ثم ضرب كفا بكف ثم قال « فلا جهاد ولا صَدَقَة فَلِمَ تدخل الجنة إذن ؟ » قال السدوسى[2] — رضى الله عنه — : فقلت يارسول الله : امدد يدك فأنا أبايعك قال فبايعت عليهن كلهن أو كما قيل ، وفى حديث معاذ — رضى الله عنه — وهو حديث طويل (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ..)[3] .

وما أكثر آيات القرآن التى تحض على الجهاد وتنظمه وتوضح وسائله ومقاصده ﴿ **أذن للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظُلِموا** ﴾ ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** ﴾ .

أخى المسلم أختى المسلمة هذه رسالتك رسالة سيد الأنبياء ومن قبله من الرسل ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾ . ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين** ﴾ ﴿ **يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم** ﴾ وصدق رسول الله ﷺ : «لودِدْتُ أن أغزوَ فى سبيل الله فأقتلَ ثم أغزو فأقتلَ ثم أغزو فأقتلَ » من عظمة مايعلم من منزلة الشهداء فى الجنة .

وعلى هذا الدرب سار الصحابة والتابعون ومن تبعهم .. تنافسوا فى هذه التجارة الرابحة حتى العجزة منهم وأصحاب العاهات والنساء .

ويسرنى أن أعيد على مسامعكم حديث الأسرة المسلمة التى خرجت بأسرها للقتال فى سبيل الله فى غزوة أحد : عمرو بن الجموح وزوجه هند وأخوها سعيد

---

(١) الواحد من الإبل .

(٢) وهو بشير بن الخصاصية — مسند الامام أحمد جـ ٥ .

(٣) انظر حديث معاذ — رضى الله عنه — فى أول الجزء الأول من هذا الكتاب .

وأولادهما الأربعة خلاد وأبو أيمن ومعاذ ومعوذ[1] ، والخنساء وبنوها الأربعة واستشهدوا جميعا وهى محتسبة صابرة تقول اللهم اجمعنى بهم فى مستقر رحمتك الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم .

شباب الإسلام إليكم يوجه النداء وعليكم يعقد الأمل وفيكم الرجاء وأنتم محط الأنظار بكم نستدرك مافات ونستعيد التراث فنحن[2] إلى المثوى الأخير راحلون وأنتم[3] إلى فتوة ونضج وتقدم قادمون وشتان مابين المصيرين ياشباب .

وليس معنى هذا أننا نتخلى عن واجب الجهاد ؟ كلا والله فليس هذا بخلق المسلم ولكننا نأخذ دور عمرو بن الجموح وأمهاتكم وعماتكم وخالاتكم وزوجاتكم يأخذن دور هند والخنساء ونسيبة وأسماء وأنتم دور على وخالد وصلاح الدين وأحمد عبد العزيز ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ وألحقنا بهم فى جنات النعيم مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وليكن هتافنا جميعا (وعجلت إليك رب لترضى) وليكن شعارنا ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** ﴾ .

لنقل جميعا فى صدق وإخلاص .

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

معتزين بما اعتزوا به :

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

متمثلين قول قائلهم :

---

(١)والقصة مذكورة فى مقدمة رسالة المرأة من هذا الكتاب وتروى القصة أيضا فى السميرا بنت قيس إحدى نساء بنى دينار وقد أرسلت ابنها النعمان بن عبد عمرو وسليم بن الحارث ص ٣٨ من كتاب شهداء الإسلام فى عهد النبوة د . سامى النشار .

(٢)الشيوخ .

(٣)الشباب .

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أظفارنا تقطر الدما

ياشباب : أذكركم وأذكر نفسى بأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ولا خير فى حياة يحياها المرء بغير قلب .. ولا خير فى قلب يخفق بغير حب ولا خير فى حب يكون دون الجنة (ليس الإيمان بالتمنى[1] ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل وإن قوما غرتهم أمانى المغفرة خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم فيها قالوا كنا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) أو كما قال ﷺ .

ياشباب الإسلام : هذا طريق البناء والتاريخ يعيد نفسه والبقاء للأصلح **﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض ﴾ ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾** وتذكروا وعد ربكم واستخلافكم والتمكين لكم واستبدال خوفكم أمنا تعبدونه لاتشركون به شيئا : أى شىء ثم ماذا ؟

﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

ياشباب : إنكم إن فعلتم ذلك بصدق كنتم بحق خير أمة أخرجت للناس وعسى أن يكون المخرج على أيديكم فتفوزوا بسعادة الدارين ويتحقق قول الرسول الكريم فيكم « أتدرون من أعجب الناس إيمانا ؟ قالوا الملائكة يارسول الله قال لا كيف لايؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا الأنبياء يارسول الله . قال لا كيف لايؤمنون والوحى ينزل عليهم ؟ قالوا نحن يارسول الله . قال : لا . كيف لاتؤمنون وأنا بين ظهرانيكم ؟ قالوا فمن إذن يارسول الله ؟ قال أقوام يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى الشهيد منهم بمائة شهيد . قالوا منهم ؟ قال : لا بل منكم أنتم . أنتم تجدون على الحق أعوانا أما هم فلا يجدون » أو كما قال ﷺ .

فالأمر إذن جد خطير إنه أمر العقيدة من أساسها ثم هو سعادة البشرية أو شقاؤها وقد حملتم أنتم المسلمين هذه الأمانة . إن هذه البشرية ــ وهى من صنع

---

(١) فى رواية ولا بالتحلى ــ رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس بن مالك وهو مذكور فى كتاب الجامع الصغير وأحاديث البشير النذير لجلال الدين السيوطى ص ١٣٤ .

الله ـــ لاتفتح مغاليق فطرتها إلا بمفتاح من صنع الله ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذى يخرج من يده سبحانه وقد جعل فى منهجه وحده مفاتيح كل مغلق(١) وشفاء كل داء ﴿ **وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** ﴾ ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما** ﴾ ﴿ **إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون . وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ .

ولكن هذه البشرية الضالة فى جاهلية القرن العشرين وفى علمانيتها وإلحادها لاتريد أن ترد هذه الصنعة إلى صانعها ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه ، ولا تسلك فى أمر نفسها وفى أمر إنسانيتها ومصيرها وسعادتها أو شقوتها ماتعودت أن تسلكه فى أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التى تستخدم فى حاجاتها الصغيرة وهى تعلم أنها تستدعى لإصلاح التلفاز مثلا المهندس المتخصص فى الألكترونيات الذى يستهدى بالكتالوج الذى صممه المهندس صانع هذا التلفاز وهكذا فى كل آلة ولكنها لاتطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه فترده إلى المصنع الذى خرج منه ، ولا أن تستفتى المبدع الذى أنشأ هذا الجهاز الإنسانى العجيب العظيم الدقيق اللطيف الذى لايعلم مساربه ومداخله إلا الذى أبدعه وأنشأه .. ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟** ﴾ ألا فلتعلموا أن الاحتكام إلى منهج الله ليس نافلة ولا تطوعا ولا موضع اختيار .. إنما هو إيمان أولا إيمان ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ..** ﴾ ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض .. والله ولى المتقين** ﴾(٢) .

من هنا ـــ من البعد عن منهج الله ـــ كانت شقوة البشرية المسكينة الضالة

(١)يراجع موضوع : المفتاح الفذ لأقفال الحياة لأبى الحسن الندوى فى كتاب بين العلم والإيمان للدكتور يوسف القرضاوى .

(٢)ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم .. الفاسقون .. الظالمون .. الكافرون .. الآيات فى سورة المائدة .

الحائرة التى لن تجد الرشد والهدى ، ولن تجد الراحة والأمن والسعادة إلا حين ترد الفطرة إلى صانعها الكبير ـــ سبحانه ـــ كما ترد الجهاز الصغير إلى صانعه الصغير ، وليكن ذلك على أيدى شباب الإسلام ـــ إن شاء الله ـــ حتى تعود البشرية إلى النظافة والجمال ، والعظمة والارتفاع والبساطة واليسر والواقعية والايجابية ، والتوازن والتناسق ـــ الذى كان وحدث بعد الجاهلية الأولى ببعثة محمد ـــ ﷺ ـــ فى ظلال القرآن ، ومنهج القرآن وشريعة القرآن ، وتطبيق النبى له عليه الصلاة والسلام واتباع الصحابة والتابعين لسنته وتوصيلهم الأمانة إلينا حتى تركونا على المحجة البيضاء .

وليكن ذلك على أيديكم أنتم ياشباب .. ولن يكون إلا إذا انتهجتم أنتم أولا منهج الله منهج مجتمع المدينة المنورة ، وسلكتم سبيل المهاجرين والأنصار فى الغاية والوسيلة .

فسيروا على بركة الله .. والله معكم .. ولن يتركم أعمالكم ..

﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء .. كل امرىء بما كسب رهين .. ﴾ .

﴿ ياأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون .. إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون . ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ .

والدور لكم ياشباب ، وليعرف كل منكم واجبه .. وما تزال تجربة الذين دخلوا الإسلام من المثقفين الغربيين بحاجة منا إلى نظر وتأمل .. ولقد أقام (روبرت ولزلى) فى القاهرة بعد أن فقد كل مايملك من أهل ومال ، فى بلاده وعمل أستاذا فى جامعة الأزهر — بعد أن أعلن إسلامه .. فسمى عبد الرشيد الأنصارى يقول : إذا أراد العرب أن يتقدموا فعليهم أن يفرقوا بين مايجب أن يتعلموه من الغرب ، ومالا يجب ؛ إذ أن كثيرا من علوم الغرب ضار وخطر ، ولقد خسرت الشعوب الغربية الشيء الكثير بقدر ماكسبت من خلال نضالها فى سبيل التقدم . وأصبح المجتمع الغربى مجتمعاً غير متزن ولا منسجم مع طبيعة الحياة البشرية إنه مجتمع مترف ولكنه غير قانع ، ويرجع ذلك إلى أربعة عوامل : الثورة الصناعية — الحرمان — النضال فى سبيل المساواة بين الجنسين (ولعله أهمها جميعاً) — فقدان الثقة فى الكنيسة المسيحية . إنهم لايذهبون إليها إلا ثلاث مرات عند تعميدهم ، وعندما يتزوجون ، وعندما يموتون ، إن الشجرة بلا جذور سرعان ماتسقط ، وهكذا الحال بالنسبة لكل الحضارات مهما بلغت من التقدم . أما الإسلام فإن جذوره مكينة تمتد فى أرض الله القوية المتماسكة .. وإذا درست فإننا نراه يمتد من هذه الجذور شجرة قوية من الإيمان الخالد .. إن قوته سوف تحمينا ، وثمرته هى غذاء لأرواحنا ، ومنبع قوتنا .. لهذا فإن على كل مسلم فى كل قطر أن يدرس دينه ويفهمه حق الفهم .. بل يجب أن يدرس كذلك لغة الدين : ألا وهى اللغة العربية .. إن اللغة العربية هى جزء من تراثنا .. كما أنها فى نفس الوقت هى لغة القرآن .. إنها لغة مقدسة ، حيث أنزل الله بها كتابه الكريم إلى العالم ..

إن القرآن واللغة لايمكن انفصال بعضهما عن بعض لفهم العالم الذى حولنا ، وبدراستهما تتلاشى الحواجز بين الشعوب ، ويزول الشك ، ويعرف بعضنا بعضا حق المعرفة ، وعلى هذا الأساس يمكن بناء صرح شامخ للعالم الإسلامى وللحضارة الإسلامية ..

إن جميع المسلمين لهم عقيدة ولغة مشتركة وهذان لهما هدف واحد هو الإسلام ..

ويقول : إن الإسلام ليس أثرا من الآثار الساكنة الهادئة تشير إلى ماضٍ

ميت .. وإنما هو منبع حى للحق ظهر فى العصر الإسلامى العربى الذى ورثناه تراثا عظيما لنا نفخر به .. ذلك التراث يجب ألا نتركه بسهولة .. إن كلمات القرآن مليئة بالمعانى فى يومنا هذا كما كانت بالنسبة لأسلافنا وكما ستكون إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها .

إنها كلمات مليئة بالحكمة بعثها الله إلى الناس كافة ، وبهذه الكيفية فإنها تتعدى حدود الزمن لأنها عندما أحكمت أحكمت خارج حدود الزمن خالدة صالحة لكل زمان بل لجيمع الأزمان (١) ولجميع الأماكن وللناس ــ كل الناس .

الغرب يكتشف عظمة الإسلام :

ولكن العالم والغرب ــ بخاصة ــ يصدم حين يرى المسلمين بغير إسلام !!! والمرأة بالذات تحدث الأعاجيب حينما تدخل الإسلام (٢) .

ماذا يمكن أن تعطينا هذه الواقعة (٣) وخاصة إذا كان قد سبقتها مثيلات لها ، وتعددت حتى أصبحت بمثابة ظاهرة جديدة فى أفق الفكر الغربى :

قالت « مارشيلا مايكل أنجلو » وهى ممثلة إيطالية ــ بعد أن أعلنت (إسلامها) ، وأصبح اسمها فاطمة محمد عبدالله : ذهبت إلى مرسى مطروح فى الصحراء لأمثل فيلما عن الحرب العالمية الثانية وفى يوم مارأيت مجاميع من الناس تتجه إلى مبنى صغير على بابه يخلعون أحذيتهم ليدخلوه حفاة .. تقدمت إلى المبنى وشاهدت، الناس فى صحن المبنى يسيرون فى خشوع ثم يصطفون ، ليقوموا بشعائر معينة سجودا وركوعا ..

سألت وعرفت وكانت هذه المرة الأولى التى أرى فيها مسجدا ، والمرة الأولى التى أرى فيها مسلمين يصلون .. شدتنى البساطة فى صلاة المسلمين ، شدتنى البساطة فى البشر أنفسهم ــ فى المسجد ذاته .. كان الناس ــ باختلاف أعمارهم ومراكزهم وملابسهم ــ متساوين حفاة يؤدون الصلاة فى خشوع

---

(١)راجع ماقلناه فى هذا الكتاب فى موضوع إعجاز القرآن .. ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

(٢)والكلام لفتياتنا المثقفات اللائى عميت بصائرهن عن التراث الخالد وانخدعن بالبريق الزائف والعين دائما تواقة إلى مافى يد الآخرين .. وأخص بحديثى الفتيات المسلمات الفاقهات لتجتذب أختها المسلمة الغافلة حتى تعود إلى الإسلام .

(٣)يراجع كتاب : (صفحات مضيئة) لأنور الجندى .

وهدوء ، أحسست أن شيئا مافى داخلى فى أعماقى يتحرك .. شيئا لاأستطيع بالضبط أن أحدده .. أن أعرف ماهو ؟ لماذا على وجه الدقة وجدتنى أسمع لنفسى : إنى أريد أن أكون مسلمة مثل هؤلاء الناس فكرت فى هذا الأمر جيدا ذلك النهار حتى انطوت صفحته ، ومع الليل ظل فكرى ساهرا .. وفى اليوم التالى توجهت إلى المسجد ـــ نفس المسجد ـــ ووقفت أمامه أراقب المسلمين وأتحدث مع بعضهم .. كانوا طيبين أنقياء يتحدثون بلا لف ولا دوران .. أحسست أن مافى قلوبهم على ألسنتهم . ومضت الأيام واستقر فكرى على قرار لابد أن أكون مسلمة .. كيف ؟ هل الأمر بهذه البساطة ؟ وعدنا إلى إيطاليا ..

أسرة يرعاها الأب « مايكل أنجلو » الذى يحمل اسم أشهر فنانى عصر النهضة .. أسرة بسيطة متدينة نشأت « مارشلا » فى وسطها حتى تركت « جنوا » كلها وانتقلت إلى روما تدرس فى أكاديمية الفنون . واستلفت جمالها الأنظار فأصبحت « موديل » للرسامين ثم « مانيكان » للأزياء ثم قدمها المخرج المشهور « بتروجريس » للسينما وتنبأ لها بمستقبل ناجح ، وعندما عادت مارشلا إلى روما .. هل ضاعت الفكرة وسط الزحام ؟ وهل ألهاها الضجيج والصخب والأضواء والأهواء ؟ هى نفسها تقول : لا .. بل إن هذا الأمر نفسه كان السبب فى خلافى مع زوجى .. لقد كرهت المظاهر المادية .. أصابنى السأم من الزخرفة والطلاء الذى ليس وراءه شىء حقيقى ، وكان طَبَعِيًّا أن يختلفا وأن ينفصلا ..

تقول : إن القرار قرارى أنا وحياتى هى ملكى ، ولأول مرة فى حياتى أشعر أننى موجودة لأول مرة أقرر أمرا مصيريا تتوقف عليه حياتى كلها ومستقبلى كله . إن أحدا من قبل لم يسألنى عن ديانتى .. أى دين تحبين ؟ .. والآن أختار بنفسى .. إن الحياة تمر بالإنسان عبر فصول من الكفاح مضيئة ولقد يمر فصل منها وربما عشرة دون أن يقرر (شيئا جوهريا) ثم فجأة يتخذ قراره ، والواقع أن ذلك لايتأتى فجأة وإنما نتيجة فكر تشكل من تجارب ومؤثرات بلا حصر سأحاول أن ألائم بين دينى وعملى ولكننى سوف أؤدى الشعائر كلها ، سأتعلم العربية ، وأدرس القرآن وأصوم رمضان ، وأصلى ، وأؤدى الحج .. وأنا أبحث الآن عن تفسير للقرآن بالفرنسية أو الإيطالية .

يا أيتها السيدة مارشيلا سابقا .. يافاطمة : لماذا أسلمت ؟!(١) .

تقول : البساطة ـــ الطيبة ـــ السماحة ـــ مشهد الناس الطيبين يدخلون فى بساطة إلى صحن الجامع المتواضع يصلون فى خشوع ، فعل فى نفسى هذا فعل السحر .. حرك كوامن مترسبة فى أعماق .. أحسست أنى مسلمة قبل أن أعلن إسلامى .. لقد وجدت فى دينكم العقل والمنطق .. أنتم ببساطة ـــ وكما فهمت ـــ مؤمنون بالله ورسوله . هذا الرسول بشر مثلنا ورجل عادى اختاره الله لينقل رسالته إلى الناس ليؤمنوا بكتابه القرآن والقرآن دستوره العظيم ينظم حياة الناس ، ليعيشوا متعاونين فى خير وسعادة ، وببساطة وبلا مظاهر كاذبة إننى أشعر أنى كما لو كنت قد ولدت من جديد .. !!

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ ﴾ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

إننى أنا المسلمة قد خرجت من أعمالى لأعيش تاركة علاقتى بالقديم .. سل الذين عرفونى من قبل لقد أدهشتهم السعادة التى أرفل فيها .. إن مسألة إسلامى مسألة تنبع من داخلى وحدى وهو أمر يتعلق بحياتى وحدى وقبل أن أقرر فكرت ودبرت ثم نفذت فى صمت (٢) ..

الواقع أن المرأة الغربية هى أصدق حسا وأعمق فهما للحياة من الرجل ولذلك فهى قد شعرت تماما بمدى الخطر الذى حاصر المجتمع الأوربى والنفس الغربية ..

إن كتابات الدكتورة « لورا فتيثيا فاليرى » الإيطالية التى جمعتها تحت اسم (محاسن الإسلام) وترجمها طه فوزى عام ١٩٣٠ لتكشف بوضوح وجهة نظر المرأة الغربية المثقفة فى عظمة الإسلام ثم تجىء بعد سنوات الدكتورة (سجريد هونكة) بكتابها الرائع (شمس الله تشرق على الغرب) فتؤكد نظرة المرأة الغربية إلى الإسلام ثم تجىء حالات متعددة من الدخول فى الإسلام أو الإعجاب به

---

(١) ومن هنا انبثقت فى نفسى فكرة عنوان الكتاب .. ولماذا أكون مسلما ؟!! .

(٢) فهل فكرت أنت أيتها الأخت المسلمة ؟ ..

لتوضح هذه الظاهرة وتعمقها ..

أما الكاتبة البريطانية « إيفلين كويلة » فقد صورت فى كتابها « البحث عن الله » تجربتها الرائعة مع الإسلام وهى مجموعة يوميات كتبتها بعد أداء فريضة الحج بعد إسلامها ، والكاتبة نبيلة بريطانية استطاعت أن تهتدى إلى الإسلام عن طريق قراءتها فى (مقارنات الأديان) تقول : سألنى كثيرون كيف ؟ ومتى أسلمت .. ؟ .

وجوابى على ذلك أنه يصعب علىّ تعيين الوقت الذى سطعت فيه حقيقة الإسلام أمامى فارتضيت الإسلام دينا ، ويغلب على ظنى أنى مسلمة منذ نشأتى الأولى وليس هذا غريبا إذا ماراح المرء يفكر فى أن الإسلام هو الدين الطبيعى الذى يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه . وإنى لأذكر أيام طفولتى ، وكيف أنى صرفت الشتاء مع والدى فى قصر عربى فى الجزائر ، وكيف كنت كثيرة الرغبة ـــ وأنا مازلت طفلة : فى الذهاب إلى المسجد مع بعض الرفاق استمتع بما يغمره من حياة لطيفة رائعة .. ولعمرى لقد كنت مسلمة منذ ذلك العهد ـــ وإن كان هذا ممالم يدر فى خلدى .

ثم تناسيت مع الأيام بعد مغادرتى الجزائر صلاتى فى المسجد ، وذهبت الأيام بما كنت قد تلقيته من مبادىء العربية الأولى ، ومضت الأيام ـــ فبينما أنا فى حوار مع بعض المعارف قلت من غير أن أدرى إنى من المسلمين ، ولعمرى مأأزال أحار فى الحافز الذى دفعنى إلى ذلك ، وما أعلم أننى رحت أفكر فى الإسلام فى كثير أو قليل ..

ومهما يكن السبب فهذا نور جديد أضاء لى مأأمامى فكان الحق على أن أقرأ كل مايتعلق بهذا الدين الذى ارتضيته لنفسى ، وكلما أمعنت فى القراءة زاد إيمانى واعتقادى بأن الدين الإسلامى أكثر الأديان طواعية وقربا من العقل ، وأنه الدين الوحيد الذى يستطيع تفسير النظم الحافزة والبلوغ بالإنسانية إلى ماترتجيه وتطلبه من سلام وطمأنينة ..

ولقد زرت المدينة المنورة ومسجد الرسول محمد ﷺ ووقفت مبهورة ذاهلة باكية مسترجعة من خشية الله ، ذلك أن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران

الأفئدة .. فما بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة ؟ وما بالك بها وقد راحت تضحى بكل شيء فى الحياة فى سبيل الإنسانية وخير البشرية ؟

رحمتك اللهم : رجل تبعث به أمة كاملة وترسل على يديه ألوان الخير إلى الانسانية ؟ ثم مشيت نحو المسجد ، وكانت الشمس قد أشرقت أو كادت .. وكان النهار مايزال باردا زاهيا فلما تلمسنا مدخل المسجد النبوى تملكتنى رعدة عظيمة ، وخلعت نعلى وتقدمت أمشى فى صحن الجامع أتابع خطوات رفيقى ، ثم أخذت لنفسى مكانا قصيا صليت فيه ركعتين وأنا غارقة فى عالم هو أقرب إلى الأحلام .. كان الزحام شديدا حولى والمؤمنون سكوت يصلون ، والقلوب واجفة ، والأفئدة خاشعة ولم يكن هناك حوله من يصلى .. ذلك أن محمدا ــ ﷺ ــ منع الصلاة عند قبره ونهى عنها حتى لايتخذ الناس قبره موطنا للعبادة ، ذلك إنما تكون الصلاة لله وحده ــ جل جلاله ــ وليس فى الإسلام صلاة لغير الله ولا قبلة غير الكعبة ..

وفى مكة طفت بالبيت وسعيت .. ولقد تولانى من الخشوع والذهول والتوبة والاستغفار والإيمان ماتولانى فرفعت رأسى إلى السماء ودعوت مع الداعين ، وبكيت مع الباكين . وطفت مع الطائفين وأسلمت نفسى للواحد الأحد ، وغمرتنى روحانية الإسلام فتناسيت نفسى وتناسيت كل شيء !!

وهكذا نجد أن الإسلام قد أخذ يزحف إلى قلوب المرأة الغربية .. ولعل لذلك مابعده ــ إن شاء الله ــ .

وهذه تجربة جديدة أخرى .. تلك هى (فاطمة نزفسكن) تقول : إن للإسلام فرصة عظيمة فى العالم ، لأنه يتضمن جميع الصفات التى يتطلبها دين عالمى .. وتستطيع أن ترضى المطالب الروحية والمادية لإنسان هذا العصر ..

وإن نظامه الاجتماعى يستجيب للفطرة . وإن تعاليمه تخاطب العقل :

١ ــ بما فيه من مساواة كاملة بين الأجناس .
٢ ــ من تلك الحرية التى يتيحها الإسلام لأهله .
٣ ــ الاعتراف بالحياة الدنيوية التى لم يحرم منها الإسلام على معتنقيه ماأحل لهم من طيباتها .

٤ ــ الاجتهاد فى طلب العلم الذى جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة وأنه دعا إلى طلبه والسعى فيه وتكبد المشاق فى تحصيله .

٥ ــ المكانة الرفعية للمرأة المسلمة التى حرص الإسلام على أن يكون لها دورها الفعال فى الحياة العامة تسهم فيه بقدر طاقتها واستعدادها مما يدفع عجلة الحياة إلى الامام وبعد : تنطلق حقائق الإسلام فى شرايين المجتمع الغربى وتصل إلى مهد المرأة وإلى قلبها ، ومنها ستصل إلى الأجيال الجديدة .. وسنرى ــ إن شاء الله ــ .

والسيدة ــ عائشة لو ــ : إحدى الغربيات المثقفات اللائى فتح الله لهن باب الإيمان بالإسلام واعتناقه منذ ستة عشر عاما .. وهى إنجليزية أسلمت وهى تعمل أستاذة فى نيجيريا تتحدث عن تجربتها فتقول : إن المرأة المسلمة منحت مساواة روحية وفكرية كاملة مع الرجل وتنال التشجيع ــ كل التشجيع ــ لممارسة دينها وتنمية ملكاتها الذهنية حتى نهاية عمرها .. وفى علاقتها مع الرجال يجب أن يرسى الطرفان حشمة المشية والملبس ويتصفان بدستور أخلاقى رائع لايسيغ الاختلاط بين الجنسين . ولا يوافق الأسلوّب الإسلامى للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة أو أن تتخذ الفتاة لها صديقا .. كذلك لايقر حفلات السمر التى يختلط فيها الجنسان ، والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المسكرات والمخدرات وغير ذلك من مظاهر الأسلوب الغربى للحياة والمعروف بأنه يهيىء الأوضاع التى لاتنشأ فيها العلاقات المرذولة قبل الزواج وأثناء قيامه .. إن التربية البريئة فى الإسلام تتم عادة إما داخل نطاق الأسرة أو بين جماعات منفصلة من الرجال وأخرى من النساء لا اختلاط بين الجنسين فيها .

وتقول : لايعتبر الجنس خارج الزواج فى الشريعة الإسلامية إثما فحسب .. ولكن أيضا جريمة يدخل مرتكبها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة أو القتل أو غيرهما ، ويوقع العقاب المشروع لها على الرجال والنساء على حد سواء .. وهو عقاب صارم فعال ..

وتتحدث عن فهمها لموقف الإسلام من مسألة اللباس فتقول : تستطيع المرأة

المسلمة أن تلبس مايحلو لها أمام زوجها والعائلة وفى وسط صديقاتها(١) ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل الأسرة رجال آخرون غير زوجها وأقرب الأقرباء فى الأسرة فالواجب أن تلبس رداء يغطى كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها فما أعظمه من دين !! وما أقبحه من تباين فى الأزياء الغربية التى تركز ـــ عامدة ـــ فى كل عام على كشف مفاتن جديدة فى جسم المرأة للنظرات العامة .. لقد رأينا فى السنوات القليلة الأخيرة ظهور واختفاء أنواع عديدة من الملابس الفاضحة تحت أسماء (المينى والميكرو) السروال الساخن ... إلخ . ولا هدف سوى إبراز أو الكشف عن العورات فى جسم المرأة .. ويمكن للمرأة أن تلحظ مؤخرا نزعة مماثلة فى ملابس الرجال التى أصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه .. إن هدف الرداء الغربى أن يكشف أو يعرى جسم الإنسان فى حين أن هدف « الرداء الإسلامى » إخفاء أو تغطية هذا الجسم على الأقل فى العلن ، والآية القرآنية المناسبة المتعلقة بالموضوع هى الآية ٥٩ فى السورة رقم ٣٣ حيث يقول تعالى : ﴿ **ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ صدق الله العظيم وعلى ذلك فقد فرض على المرأة الإسلامية أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها على أن فرض السلوك المحتشم لايقع على النساء فقط ، ذلك أن وصايا القرآن موجهة للرجال والنساء على حد سواء .

﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها ..** ﴾ إلخ الآيات من سورة النور .

إن الآيات القرآنية تحض النساء على تغطية أنفسهن عند خروجهن من بيوتهن وتحث الرجال والنساء على الغض من أبصارهم وأبصارهن والسلوك بالاحتشام الواجب كل أمام الجنس الآخر ، ومن ثم فإن المسلمات يستطعن أن يخرجن لقضاء

---

(١) كان ينبغى أن تعلق على ذلك شريطة ألا تكشف العورة وجميع جسمها كله عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها وألا يكون الثوب واصفا أو شفافا .. لأن العورة محرمة كذلك للمرأة على المرأة وليراجع فى ذلك كتاب الحجاب لأبى الأعلى المودودى . ولكنها حديثة عهد بالإسلام ـــ بارك الله فيها ـــ

أعمالهن المشروعة ويمكن لهن أن يضعن فى الاعتبار أيضا اضطرار بعض المسلمات للخروج بقصد الدراسة وممارسة بعض الأعمال المجالية كالطب والتمريض والتدريس ..

وترى السيدة (عائشة لو) أن الإسلام بذلك قد حفظ المرأة وحفظ الأسرة وحفظ المجتمع جميعا من عوامل الفساد. التى يتردى فيها المجتمع الغربى القائم على العرى والاختلاط وعلى تعريض المرأة لأخطار الفساد والتردى وتحرير الأسرة المسلمة من اجتماعات الرقص وشرب المسكر وتقول فى النهاية : إن النظام الإسلامى حقق المزج المناسب بين الحرية والطمأنينة الذى تبحث عنه المرأة ويفيد المجتمع كله(١) .

والفرصة مواتية لدعاة الإسلام :

جاء فى إعلان رسمى صدر عن الحكومة السوفيتية يؤكد أن هناك واحدا من كل خمسة من الشباب السوفياتى يؤمن بشكل أو بآخر بدين من الأديان وهذا يعنى أن حوالى ٣٣ مليونا من الشباب هناك ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما يعتبرون من المؤمنين بالأديان .. فإذا أضفنا إلى ذلك أن ١٠ ٪ من الشباب يمكن وصفهم بالمتمردين بين اعتناق عقيدة دينية أولا فسنجد أن العدد الإجمالى للذين تأثروا بالأديان يبلغ ٥٠ مليونا من السوفييت .

نشرت هذا جريدة الديلى تلجراف البريطانية فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٦ م لمحررها « دافيد فلويد » فهل وعيتم ذلك ياشباب ؟ .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها .. وإن أمتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليها عدوا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم .. وإن ربى قال يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لايرد وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم — ولو اجتمع عليهم من أقطارهم — أو قال : مابين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا

---

(١)فما رأيك أنت أيتها الأخت المسلمة بالوراثة ؟ .

ويسبى بعضهم بعضا .. » (حديث رقم ٢٠٠ صحيح مسلم) فهلا وعيتم ذلك يامسلمون ؟ .. ألا تخافوا العدو ولكن خافوا أنفسكم .. وفى الحديث الشريف : « إنى لا أخشى عليكم الدنيا وإن اجتمعت ولكنى أخشى عليكم أنفسكم » أو كما قال ـــ ﷺ ـــ

قبـــل أن نقـــرأ :

أمنية يجب أن تتحقق .. كتاب يصدر للشباب المسلم ، ليكون حذرا من كل ماهو مكتوب ، ومذاع ، ومنشور .. سواء أكان صحيفة أم كتابا أم مسرحية أم فيلما سينمائيا .. إن علينا أن نعرف خلفيات مانقرأ مما يعرض علينا وأن تكون لنا أرضية فى الفهم والأصالة تقوم على معرفة التحديات الحقيقية التى تواجه مجتمعنا اليوم ومازالت قائمة بالرغم من التحرر الذى شهده التالم الإسلامى من النفوذ الاستعمارى (الاستخرابى) ، ذلك أن هناك نفوذا فكريا وثقافيا مازال مستمرا فى ثنايا التعليم والثقافة لأن فيها الكثير من مخلفات دنلوب(١) ..

إن علينا أن نعرف أن أمتنا تقع فى مكان الصدارة من العالم كله . ولذلك فهى مطمع الغزاة من قديم ـــ لا من ناحية الثروات المادية فحسب بل الثروات الروحية هى هدفهم بالدرجة الأولى .

ونحن نعيش اليوم الغزوة الصهيونية بعد غزوة الاستعمار ، ومن قبل جاءت موجة الحروب الصليبية وحروب الفرنجة ـــ وهى قائمة بعد ـــ كل يقنعنا بصدق الوصية التى دعانا إليها رسول الله ـــ ﷺ ـــ (بأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة) . وأن الموجة لن تتوقف بين أهل الإسلام وخصومه .. وأن علينا أن نكون مرابطين إلى يوم القيامة ندافع عن أرضنا وقيمنا وعقيدتنا ومقدساتنا ، لأنها حياتنا .. يجب أن نقف موقف الحذر من كل ماتلقيه إلينا المصادر الغربية والشرقية الوافدة ..

لقد خدعنا بأساليبهم فى الحكم والتربية والاجتماع ـــ كما أسلفت مكررا فى كل مناسبة من هذا الكتاب ـــ وجربنا وراء التجربة الأصالة .. طريق الجهاد ..

---

(١) إنى أعيد القول هنا ـــ رغم أنى قلته عند حديثى عن الثقافة الإسلامية وطالب الجامعة ـــ لأعمق الفكرة فى قلوب الشباب ليبتعدوا عن السم المدسوس فى العسل وخاصة الفكر المستورد من اليونسكو أو اليونيسيف أو الماسونية أو .. أو .. إلخ .

طريق الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية .. لقد مر المسلمون من قبل بمثل تجربتنا وانتصروا فيها حين التمسوا الأصالة واستمسكوا بالشريعة الإسلامية ، وعلينا نحن الآن ألا تحتوينا المذاهب (والأيدلوجيات) وعندنا منهج الله ــ القرآن الجامع ــ الذى لاينحرف ، والسنة النقية لا مذاهب الفلسفة ولا العقلانية ولا الجبرية الصوفية ولا الحدس الوجدانى .. كل ذلك ركام باطل جددته الباطنية والمجوسية والشعوبية ــ كما أسلفت ــ وأعادت صياغته من جديد لتضرب مفهوم التوحيد الخالص ، وإن علينا أن نعرف قبل أن نقرأ ، مَنْ نقرأ له ؟ وما هدفه ؟ وما غايته ؟ وأن نحذر من الفكر الوافد ، لأنه ليس فكر أمتنا ولا يمثل قيم مجتمعنا ..

ياأمة محمد .. ياشباب محمد .. يادعاة الإسلام .. ياأمل الأمة الإسلامية ، إن المجتمع الإسلامى اليوم فى حاجة إلى القدوة الحسنة ــ كما كررت ذلك مرارا ــ وإنه لن تكون هناك قيادة صحيحة إلا إذا كانت فى نفس الوقت قدوة صالحة ، ولن تصل الكلمة إلى القلب إلا إذا تطابقت مع السلوك ــ (كان خلقه القرآن ــ ﷺ ــ) .

وإلا أدى ذلك إلى نوع من الانفصال الشبكى العنيف الذى يؤدى بالمجتمع إلى عمى البصر والبصيرة .. وإلى اضطراب نفسى ، وتمزق اجتماعى وضياع فكرى وأخلاقى ..

يا أمة محمد : ياخير أمة أخرجت للناس .. جربوا الإسلام مرة واحدة .. ياأمة محمد دعوكم من قضايا الشرق والغرب وعودوا إلى شجرة طيبة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .. أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

فلكم البشرى .. روى الإمام أحمد فى مسنده أن تميما الدارى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر » .

وعن رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا وحتى يصير الراكب بين العراق ومكة لايخاف إلا ضلال الطريق » رواه أحمد .

من حدود الصين إلى منابت الزيتون :

عندما بلغ قتيبة بن مسلم حدود الصين على رأس جيش كثيف أرسل إلى ملكها وفدا فأعاده الملك ساخرا وقال له : قولوا لصاحبكم ينصرف فإنى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ، قال هبيرة : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون — الشام — ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا وغزاك ؟ .

أما تخويفك إيانا بالقتل ، فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه أو نخافه .

هنالك بعث لهم الملك بتراب بلاده ليطأه قائدهم وبعض أولاده ليختمهم ودفع له الميرة .

نريد أمير المؤمنين :

ولما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة ٦٣٦ م أطل البطريرك صفروينوس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة وقال لهم : إنا نريد أن نسلم ونكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم ، فقدموا له أمير الجيش ، فقال لا إنما أريد الأمير الأكبر نريد أمير المؤمنين فكتب أمير الجيش إلى عمر — رضى الله عنه — يقول إن القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصيا فقدم عمر إليهم فسلموه مفتاحها .

هل أدركتم عزة الإسلام ؟ وعزة من يتمسك بالإسلام ؟ ... ياليت !!!

فى ظلال القــرآن :

وخير مايفعله المسلم ياشباب أن يعيش حياته فى ظلال القرآن فالحياة فى ظلاله نعمة — مابعدها نعمة — نعمة لايعرفها إلا من ذاقها .. فى ظلال القرآن يتعلم الإنسان أنه لا مكان فى هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للغفلة العارضة **﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ ﴿ وخلق كل شىء فقدره تقديرا ﴾** وكل أمر لحكمة ولكن حكمة الغيب العميقة قد لاتتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة **﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا**

وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ والأسباب التى تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لاتتبعها والمقدمات هى التى تنشىء الآثار والنتائج وإنما هى الإرادة الطليقة التى تنشىء الآثار والنتائج كما تنشىء الأسباب والمقدمات سواء ﴿ لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ والمؤمن يأخذ بالأسباب ، لأنه مأمور بالأخذ بها ، والله هو الذى يقدر آثارها ونتائجها والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله وإلى حكمته وعلمه هو وحده الملاذ الأمين والنجوة من الهواجس والوساوس ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** ﴾ والمؤمن يعرف بأنه مطالب بأن يعمل بمقتضى إيمانه ويستكمل قواعد إسلامه وأركانه وينتهج القرآن وسنة رسول الله سيرة وسلوكا ومنهج حياة فانية توصل إلى حياة باقية هى الحياة الحقيقية يعيش لها ويجاهد فى سبيلها وعليها يلقى الله ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء** ﴾ أى طمأنينة ينشئها التصور وأى سكينة يفيضها على القلب وأى ثقة فى الحق والخير والصلاح ؟ وأى قوة واستعلاء على الصغير يسكبها فى الضمير؟.

والمؤمن فى ظلال القرآن ينتهى إلى يقين جازم حاسم أنه لا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله .

والرجوع إلى الله — كما يتجلى فى ظلال العقيدة الإسلامية — كتابا وسنة — له صورة واحدة فقط ، وطريق واحد .. واحد لاسواه . إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذى رسمه للبشرية فى كتابه الكريم وطبقه رسوله الكريم إنه تحكيم هذا الكتاب وحده فى حياتها والتحاكم إليه وحده وسنة رسوله ﷺ فى شئونها وإلا فهو الفساد فى الأرض والشقاوة للناس والارتكاس فى الحمأة والجاهلية التى تعبد الهوى من دون الله ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين** ﴾ وسنة رسول الله الذى لاينطق عن الهوى فلا ضلال بعدهما ﴿ **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** ﴾ .

إن شريعة الله للناس هى طرف من قانونه الكلى فى الكون . فإنفاذ هذه

الشريعة لابد أن يكون له أثر إيجابى فى التنسيق بين سيرة الناس وسيرة الكون والشريعة ، إن هى إلا ثمرة الإيمان لاتقوم وحدها بغير أصلها الكبير فهى موضوعة لتنفذ فى مجتمع مسلم كما أنها موضوعة لتساهم فى بناء المجتمع وهى متكاملة مع التصور الإسلامى كله للوجود الكبير وللوجود الإنسانى ومع ماينشئه هذا التصور من تقوى فى الضمير ، ونظافة فى الشعور ، وضخامة فى الاهتمامات ، ورفعة فى الخلق ، واستقامة فى السلوك ، وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء مانسميه القوانين الطبيعية وما نسميه القيم الإيمانية فكلها أطراف من سنة الله الشاملة لهذا الوجود .

والإنسان كذلك قوة من قوى الوجود ، وعلمه وإرادته وإيمانه وصلاحه وعبادته ونشاطه هى كذلك قوى ذات آثار إيجابية فى هذا الوجود وهى مرتبطة بسنة الله الشاملة للوجود . وكلها تعمل متناسقة وتعطى ثمارها كاملة حين تتجمع وتتناسق بينما تفسد آثارها وتضطرب وتفسد الحياة معها وتنتشر الشّقوة بين الناس والتعاسة حين تفترق وتتصادم ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ فالارتباط قائم وثيق بين عمل الإنسان وشعوره وبين مجريات الأحداث فى نطاق السنة الإلٓهية الشاملة للجميع ولا يوحى بتمزيق هذا الارتباط ولا يدعو إلى الإخلال بهذا التناسق ولا يحول بين الناس وسنة الله الجارية إلا عدو للبشرية يطاردها دون الهدى ينبغى لها أن تطارده وتقصيه من طريقها إلى ربها الكريم .

وأنت أيها المسلم(١) مطالب بتبليغ هذه الدعوة وهداية البشرية إليها وتجاهد فى سبيلها ولا يوجد هذا الفهم العميق إلا لدى من وحد الله وأسلم له وجهه ولم يتخذ معه من إلٓه .. ولهذا .. كان لابد للإنسان من عقيدة ولابد أن تكون العقيدة هى الإسلام ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** ﴾ .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

---

(١) وأنت أيتها المسلمة :

الخاتمة

اداب سلوكية

- تمهيد .
- الدعاء ... أنواره وآدابه وآثاره .
- أدعية يومية .
- مسك الختام .

تمهيـــــد

أخى المسلم ... أختى المسلمـة :

فى اعتقادى أن السبيل إلى العقيدة الحقة قد استبانت معالمه ، وأن الرؤية قد اتضحت تماما ، وأن طريق الجنة قد أصبح ممهدا ــ وهو محفوف بالمكاره ــ وسبيل النار أضحى مكشوفا وهو محفوف بالشهوات وما على المرء إلا أن يختار وأن يسدد ويقارب فليس بعد الموت من مستعتب وما القبر إلا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وليس وراء حياة البرزخ إلا الجنة أو النار .. فإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .. سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله .. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

ولكن إذا حُمَّ القضاء على امرىء   فليس له بَر يقيـه ولا بحر

﴿ **إن أجل الله إذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون** ﴾ ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** ﴾ ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ؟ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ وربكم يحب لكم أن تكونوا ربانيين ينصركم ويثبت أقدامكم ويدخلكم جنات النعيم ويدافع عنكم ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾ وفى الحديث القدسى : « **من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، وما يزال**

عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١) .

ولما كانت رسالة الإنسان هى عبادة الله وتوحيده كان لزاما على صاحب العقيدة أن يتقى الله فى سره وإعلانه والمنشط والمكره والرخاء والشدة والسعادة والألم والصحة والسقم ، وأن يكون كما جاء فى الحديث (صمته فكرا ونطقه ذكرا ونظره عبرا)(٢) وأن يذكر الله كما كان رسول الله ﷺ على كل أحيانه ولوقصد بكل حركاته وسكناته وجه الله كان ذلك ذكرا فالصلاة ذكر والصدقة ذكر والصوم ذكر والزكاة ذكر والحج ذكر والجهاد ذكر وإماطة الأذى عن الطريق ذكر والتفكر ذكر .. إلخ .

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾ وفى الحديث القدسى ﴿ **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم الأرملة والمسكين وابن السبيل ورحم المصاب** » أو كما قال ﷺ عن الله (٣) .

وخير الذكر الخفى وأطيبه قراءة القرآن ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ وصدق رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته مااستطعتم إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لايزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى

---

(١)حديث قدسى عن رب العزة .. عن أبى هريرة أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « إن الله تعالى قال ﴿ من عادى لى وليا .. ﴾ الحديث » فتح البارى شرح صحيح البخارى المجلد رقم ١١ ــ حديث رقم ٦٥٠٢ باب التواضع .

(٢)أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها .. أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وأن أعطى من حرمنى وأصل من قطعنى وأن أعفو عمن ظلمنى وأن يكون صمتى فكراً ونطقى ذكراً ونظرى عبراً » أو كما قال ــ ﷺ ــ .

(٣)راجع كتاب خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

عجائبه ولا يَخْلَقُ من كثرة الرد اتلوه فإن الله يؤجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات أما إنى لأقول لكم ألٓمٓ حرف ولكن ألف ولام وميم » رواه الحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله(١) وقد عرفت سلفا فى الفصل الأخير مايضفيه القرآن الكريم على من يعيش فى ظلاله ويستروح نفحاته فهو ربيع القلوب وَجِلاء الهموم ونور البصائر وراحة الضمير وواحة النفوس وحفاظ الأبدان وعبير الأردان وهداية الألباب وعصمة الجوارح يحس ذلك كل من انفعل به ، وتفاعل معه ، وخالطت آياته شغاف قلبه وسرى منه مسرى الدم من عروقه لأنه كلام الله الحكيم ودستوره الخالد فهو عيادة طبية جامعة ﴿ **ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم** ﴾ ففيه شفاء النفس والروح والقلب والبدن فيه كل ماصطلح عليه الطب قديما وحديثا وما يتجدد بعد ذلك من عيادات طبية بدنية ونفسية حيث فيه الدواء الناجع والحل الشافى الناجح لجميع مشكلات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والتجارية والصحية .. إلخ(٢) .

وقد يبدو هذا الكلام غريبا .. لكنه لو فهم على أنه قانون الحق ومنهج المعبود للعبد ودستور رب الناس للناس ، ومنهج الله الذى ينظم حياة البشر لزال العجب(٣) واختفت علامات الاستفهام اقرأ معى — فى عجالة ، وعلى سبيل

---

(١) وقد مر بك فى الجزء الأول حديث الفتن الذى رواه الترمذى .. عن على — رضى الله عنه — ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ماكان قبلكم وخبر مابعدكم » الحديث .. فليرجع إليه .

(٢) وما أروع ماقال الرافعى — رحمه الله — عن القرآن الكريم :

* ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة الآخرة .. تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها ، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك فى وجوه الغيوب ، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب .

* ومعان بينا هى عذوبة ترويك من ماء البيان ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به فى مرآة الايمان وجه الأمان ، وبينا هى ترف بندى الحياة على زهرة الضمير ويخلق فى أوراقها من معانى العبرة معنى العبير وتهب عليها بأنفاس الرحمة فتنم بسر هذا العالم الصغير ، ثم بينا هى تَسَّاقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان ، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان ، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان . إذا هى بعد ذلك أطباق السحاب وقد انهارت قواعده والتمعت ناره وقصفت فى الجو رواعده ، وإذا هى السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها واستأذنت فى صدمة الفزع ربها وكانت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وإنما هى عند ذلك زجرة واحدة فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض مائدة . « مصطفى صادق الرافعى » .

(٣) كم كان بودى أن تتاح الفرصة لإفراد فصل خاص بهذا المفهوم أو فى كتاب والله المعين على ذلك مستقبلا .

المثال لا الحصر ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ ﴿ **وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** ﴾ ﴿ **شفاء لما فى الصدور** ﴾ ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان**[1] **تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ ﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ ﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ إنه القرآن الكريم العاصم من الانحراف والزلل المخلّص من نزغات الشيطان .

فاللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور بصائرنا وأبصارنا ، وجلاء همومنا وأحزاننا ومتنفس كرباتنا وشفاء صدورنا وأبداننا اللهم ذكرنا منه مانُسِّينا وعلمنا منه ماجهلنا وانفعنا بما علمتنا واجعلنا من التالين له آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك منا ياسميع الدعاء واشرح به قلوبنا ومكنا من تنفيذه والتخلق به وتنفيذ أحكامه وأحينا بمعرفتك وأمتنا على الشهادة فى سبيلك إنك على ماتشاء قدير وإنك نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدعاء ... أنواره وآدابه وآثاره :

أخى المسلم ... أختى المسلمة .. رأيتُ فى مسك الختام أن أضع بين أيديكم بعض الآداب السلوكية الإسلامية فى المأكل والمشرب والملبس والمنام والممشى فى السفر والإقامة .. إلخ . مافى الحياة العملية اليومية من الأدعية المأثورة عن معلمنا العظيم ومرشدنا الكريم سيد الخلق محمد ﷺ حتى ترد المسلم فى كل تصرف فى هذا الوجود إلى ربه وخالقه سبحانه وحتى يكون كما ذكرنا آنفا صمته فكرا ونطقه ذكرا ونظره عبرا كما جاء فى وصية جبريل عليه السلام لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام فيكون المسلم لسانه دائما رطبا وقلبه مطمئنا بذكر الله وقد علمتم أن خير الذكر هو الذكر الحكيم ــ كلام الله ــ ثم حديث رسول الله ﷺ وامتثالا لأمر الله ــ سبحانه ــ ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا**

---

(١) قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس .. الآيات .

وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ وفى الحديث القدسى ﴿ **أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم** ﴾ متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

ومن أطيب الذكر الدعاء فالدعاء مخ العبادة كما حدّث رسول الله ﷺ وصدق الله العظيم ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم** ﴾ ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ وعن ابن عمر رضى الله عنهما (من فتح باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله تعالى أحب إليه من أن يُسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القضاء إلا بالدعاء فعليكم بالدعاء) والصلاة التى هى صلة بين العبد وربه معناها فى اللغة الدعاء (وصلِّ عليهم) أى ادع لهم وياحبذا لو تمعنتم فى معنى (مخ العبادة) مخها خلاصتها لبها روحها إنه المناجاة التى تصل العبد بخالقه وقديما قال العربى يامحمد هل ربك قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل قوله تعالى ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾

تنام العيون وهو ــ سبحانه ــ ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ تغلق الملوك أبوابها إلا بابه فإنه مفتوح للسائلين ــ سبحانه ــ سبحانه ــ يبسط يديه بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، ﴿ **ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ ﴿ **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾ ...

وبعد : فإن للذكر آدابا يجب أن يتحلى بها الذاكر فهو على مأدبة الله وعلى شرف المثول بين يدى خالقه ، ونحن فى حياتنا العامة نتهيأ للقاء الأحبة والأقارب والأصدقاء وعِلية القوم فنحرص على اكتمال الهيئة وحسنَ المظهر وانسجام الزينة وانتقاء الألفاظ .. إلخ . أوَلَيس رب العالمين بأحق من كل هؤلاء ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ ورضى الله عن ابن عمر كان يعلق ثوبا خاصا بالصلاة فلما سئل عن ذلك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله جميل يحب الجمال » فأنا أتجمل لربى

وصدق الله العظيم ﴿ **يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ إن الواحد منا إذا كان فى حاجة إلى عبد مثله طلب منه هذا الشىء بلطف وأدب وبأسلوب مهذب .. وإذا كان فى سجن مثلا فأراد من سجانه أن يفتح الباب قليلا ليتنفس عبير الهواء المتجدد ، وليرى إشراقة الشمس الدافئة فإنه يتضرع إليه ويستعطفه فما باله لو طلب العفو والصفح وفك الإسار ؟ تخيل معى ماذا يقول ؟ وما الأسلوب الذى يرجوه به ؟ .

فهذا الحطيئة يقول لعمر رضى الله عنه :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ	**زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ**
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة	**فاغفر عليك سلام الله ياعمرُ**
فياليت أمى لم تلدني وليتنى	**رجعت إلى القول الذى قاله عمرُ**

والحديث فى هذا يطول وربنا سبحانه ليس فى حاجة إلى عبادة عباده « **ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا .. ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا .. ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، ياعبادى ! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه** » قال سعيد : كان أبو إدريس الخلانى إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه قال أبو إسحق حدثنا بهذا الحديث الحسن والحسين ابنا بشر ومحمد بن يحيى قالوا : حدثنا أبو مُسْهر فذكر الحديث بطوله .

ونحن مصيرنا بيديه ومآلنا إليه فيجب علينا استحضاره والخشوع عند دعائه والتضرع له بما هو أهله والذكر القولى اللسانى ليس مقصوداً لذاته بل الأوبة إليه والتأوه خوفا من عذابه والإنابة له ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ وكل ذلك ذكر وأداء الواجب كما أسلفنا ذكر .. وكل أمر من أمور الدنيا إذا راقبت فيه ربك فهو ذكر إذا صحت النية وصدقت العزيمة وصدق الرسول الكريم « مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ الأجر » .

و « إن من الذنوب ذنوبا لايكفرها الصوم ولا الصلاة وإنما يكفرها السعى وراء الرزق » أو كما قال ﷺ .

وذنوب العباد لايكفرها صوم ولا صلاة ولا سعى على المعيشة إلا إعادة الحق إلى صاحبه أو عفوه فقد ثبت عن رسول الله ﷺ (١) أنه ضحك حتى بدت ثناياه فقال على رضى الله عنه بأبى أنت وأمى مايضحكك ؟ فقال اثنان من أمتى جثيا بين يدى الرحمن فقال أحدهما يارب خُذْ لى مظلمتى من هذا فقال الرب — سبحانه — للمدين اردد على أخيك مظلمته فقال من أين يارب العزة ؟ وأنا لاأملك شيئا فقال الرب — سبحانه — لصاحب الحق ماذا تفعل بأخيك ؟ فقال ليعطنى من حسناته فقال المدين لقد نفدت حسناتى فقال : فليحمل عنى من أوزارى وهنا بكى رسول الله ﷺ بكاء مرا حتى اخضلت لحيته بالدموع فقال على رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يارسول مايبكيك ؟ قال ﷺ إنه ليوم عصيب يوم يحتاج الناس فيه أن يحمل عنهم من أوزارهم وتستمر القصة يقول النبى الكريم ﷺ فيشير الرب — سبحانه — إلى قصور فى الجنة من ذهب وياقوت وأحجار كريمة قائلا لصاحب الحق انظر فيقول يارب لأى مَلَك هذا ؟ أو لأى نبى هذا ؟ قال ياعبدى هى لمن أعطى الثمن فقال ومن يقدر على هذا يارب العالمين ؟ فقال أنت ياعبدى بعفوك عن أخيك فقال : أشهِدُكَ يارب العزة أنى قد عفوت عنه فيقول الرب عز وجل خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة » (٢) .

ومعنى هذا أن الله إذا رضى عن عبد لأعماله الصالحة فى الدنيا تحمل عنه ومنح صاحب الحق مايرضيه — كما فى القصة — ولهذا كان المصطفى الكريم يدعو بدعاء مأثور فاحفظوه (اللهم إن لى ذنوبا فيما بينى وبينك وذنوبا فيما بينى وبين عبادك فما كان لك منها فاغفره وما كان لعبادك فتحمله عنى) .

فلابد إذن ليكون للذكر أثره فى القلوب وأنواره فى النفوس وقبوله عند الله من مراعاة آدابه .. وإلا كان ألفاظا مجردة جوفاء لاتتجاوز الحناجر وذلك مادعا الفاروق رضى الله عنه لأن يقول : إنى لا أحمل هم الإجابة ولكنى أحمل هم الدعاء

---

(١) وقد ذكرت القصة فى أول الكتاب .

(٢) والقصة مروية بالمعنى لأنى حفظتها مشافهة وليس تحت يدى الآن مصدرها . وقد مرّ ذكرها فى أول الكتاب .

فإذا كان الدعاء خالصا كانت الإجابة معه .

ومن تلك الآداب مايلى :

١ ــ رفع اليدين حين الدعاء ــ دون رفع البصر إلى السماء ــ فعن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ «لا تستروا الجدر ، ومن نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار .. سلوا الله ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » .

٢ ــ والخشوع والتأدب ، واستحضار القلب لمعانى الأفكار ، ومحاولة التأثر بها وملاحظة أهدافها والتيقن من الإجابة .

فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال:قال رسول الله ﷺ « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ » .

٣ ــ خفض الصوت ــ ما أمكن ــ مع يقظة القلب ووعى الضمير ــ كما تقدم وعدم الرياء واصطناع المسكنة «فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا بصيرا» وأما الرياء والتصنع فقد رأى عمر من أحد أصحابه ذلك فقال له لاتمت علينا ديننا أماتك الله .

٤ ــ نظافة الثوب والبدن والمكان ــ ماأمكن ــ وإلا فرسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه ، ومراعاة الأماكن المحترمة والأوقات المناسبة فإن ذلك أدعى للصفاء والنقاء والإخلاص والخشوع وأجدر بالإجابة .

٥ ــ الهدوء وعدم التشويش على الغير (ألا إن كلكم مُنَاجٍ لربه فلينظر بم يناجيه ؟) فعن أبى موسى ــ رضى الله عنه ــ قال:قال رسول الله ﷺ أيها الناس : « اربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » . .

٦ ــ التكرير ثلاثا فى الدعاء والاستغفار فعن ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا .

٧ ــ ألايتعجل الإجابة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ « يستجاب لأحدكم مالم يعجل بقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » ..

٨ ــ ألَّا يدعو على ولده ولا على ماله ولا على نفسه بسوء .

عن جابر ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لاتوافق(١) من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم » .

٩ ــ أن يبدأ بنفسه إذا دعا لغيره فرسول الله ﷺ كان إذا دعا لأحد بدأ بنفسه .

١٠ ــ أن يختم دعاءه (بآمين) .

عن أبى مصبح القرائى عن أبى زهير النميرى قال « خرجنا مع النبى ﷺ ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح فى المسألة فوقف رسول الله ﷺ يسمع منه فقال أوجب إن ختم فقيل بأى شىء يختم يارسول الله ؟ قال بآمين » وانصرف فقيل للرجل يافلان : قل آمين وأبشر .

١١ ــ الذكر فى جماعة ــ ما استطعت إلى ذلك سبيلا ــ ففى الحديث « لايقعد قوم يذكرون الله ــ عز وجل ــ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » مع مراعاة موافقة الجماعة وياحبذا لو كان ذلك مع الزوجة والأولاد إذن لرفرفت السعادة على البيت وحفته الملائكة بأجنحتها وشملتهم البركة والنجاح والتوفيق .

١٢ ــ الانصراف فى خشوع وعدم اللهو واللغو الذى يحبط العمل .

١٣ ــ آداب تلاوة القرآن .

أما إذا كان الذكر قرآنا فله فوق ماتقدم آداب للاستماع وآداب للتلاوة .

فأما آداب الاستماع :

١ ــ فالإنصات التام والخشوع ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾(٢) ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت**

---

(١) أى مخافة أن توافق الدعوة ساعة إجابة .

(٢) ومن يشاهد المستمعين للمغنين والمغنيات يعد ذلك قليلا فى حق القرآن الكريم إذا كان جليل البندارى لما كان يسمع أم كلثوم يقول أنا كنت مع أم كلثوم فى محراب الحب مع الأسف .

عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون إلى القرآن الكريم وكأن على رءوسهم الطير .. وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعي ـــ رحمه الله ـــ وكان حسن القراءة فقرأ عليهم ، واستمعوا فلا يرى الراءون أكثر بكاء منهم فى حالهم تلك حين الاستماع ﴿ **وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾ .

وكان المصطفى الكريم ﷺ يحب أن يسمعه من غيره فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يطلب من عبدالله بن مسعود أن يقرأ من كتاب الله .. وذات مرة طلب منه ذلك فقال يارسول الله أأقرأ وعليك أنزل ؟ فقال ﷺ إنما أحب أن أسمعه من غيرى أو كما قال ﷺ فتلا عليه قوله تعالى من سورة النساء ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** ﴾ حتى قوله تعالى ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾ فأشار إليه رسول الله ﷺ أن يكف وانهمرت دموعه مدرارا فقال ابن مسعود رضى الله عنه مايبكيك يارسول الله ؟ أمنْ مخافة من أرسلك ؟ فقال ﷺ نعم بعثنى على طريق مثل حد السيف إن زغت عنه هلكت أو كما قال ﷺ .

٢ ـــ ويستحب ـــ إتماما للفائدة ـــ إن كان يتلو على جماعة تلخيص ماتلا من آيات .

وأما آداب القراءة :

١ ـــ فلابد من الاجتهاد ـــ كل الاجتهاد ـــ فى التفكر والتدبر ـــ وهما أعلى درجات الذكر ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟** ﴾ .

حتى إن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ القرآن وجاء ذكر الجنة طلبها من الله وإذا جاء ذكر النار استعاذ منها .. إلخ .

٢ ـــ مراعاة أحكام التجويد والتأثر والانفعال بالقراءة والتحزن وصدق رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا .. فإن لم تبكوا

فتباكوا وتغنوا به .. فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا » رواه ابن ماجه والتغنى هو التحزن وإظهار الخشوع من تجويد القراءة والتمثيل كالتعجب والاستفهام واللين والقوة ورفع الصوت .. إلخ . فقد قال رسول الله ﷺ « إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » رواه ابن ماجه .

وليس المراد بالتغنى الأصوات المنغمة المستحدثة المركبة على أوزان وأوضاع موسيقية ملهية وفيها خروج على قواعد التجويد بضياع المعانى لتحسين الموقف كما يفعل كثير من جماهير القراء السوقيين الذين يتكسبون بذلك على حساب كتاب الله نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ..

وإن من يشاهد المغنين والمغنيات حين التمايل والتململ تأثرا وتأثيرا ومن يقطعن المناديل و (الإيشاربات) بأيديهن انفعالا وزينة ومنهم ومنهن من يتباكى و .. و .. إلخ . لأقام عليهم وعليهن — كما يقول المثل — مأتما وعويلا !! لأنهم لم يتأثروا ولم ينفعلوا بالقرآن هكذا .

ثم لايكون التحزن والانفعال بالقراءة تماوتاً كما قال عمر رضى الله عنه « لا تمت علينا ديننا أماتك الله » إنما تكون القراءة قراءة والاستماع استماعا واستحضار المولى عز وجل بالخشوع له والاستجابة لآياته ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله** ﴾ .

* * *

أدعية يومية مأثورة

وهذه آثار نبوية نذكرها للاقتداء فى الذكر والدعاء ليكون المسلم ذاكرا ربه على كل أحيانه ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ .

ليكون المسلم ربانيا فى حياته محمديا فى تصرفاته مستحضرا ربه فى كل لحظة من لحظات حياته «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أو كما قال ﷺ ففى كل مناسبة أدعية مأثورة كثيرة تطلب من كتب السنة فى أبواب الذكر فى رياض الصالحين والكتب الستة وزاد المعاد وحياة الصحابة على سبيل المثال لا الحصر(١) . وبخاصة ماورد فى كتاب الله .

ولكننا سنذكر ذكرا واحدا فى كل مناسبة ومن أراد المزيد فليراجع ماأشرنا إليه .. وإن كان الدعاء جائزا ومقبولا بأى صيغة مادام من القلب وإنما يستحب أن يكون بالمأثور وبما يشبه ألفاظ القرآن ففيه مضاعفة الثواب .

١ ــ دعاء الاستيقاظ من النوم :

« الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره » فإذا استيقظ من نومه وذهب عنه أثر النوم قال « لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك .. اللهم زدنى علما ، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

٢ ــ دعاء لبس الثوب وخلعه :

عند الملبس يقول (اللهم إنى أسألك من خيره وخير ماهو له وأعوذ بك من شره وشر ماهو له) .

فإذا لبس جديدا قال (الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة) وكذلك عند استعمال أى شيء جديد لأول مرة وعند الخلع يقول (باسم الله الذى لا إله إلا هو) .

(١) وراجع فى ذلك كتاب الاقتداء فى الذكر والدعاء للشيخ محمد صوان .

٣ ــ دعاء الخروج من المنزل :

(باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله) فمن قال ذلك يقال له « كفيت ووفيت وهديت وتنحى عنه الشيطان » (اللهم إنى أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل أو أزِل أو أُزَل أو أظلِم أو أُظلَم أو أجهل أو يُجهل على) .

٤ ــ دعــاء الدخــول :

(اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا ــ وعلى الله ربنا توكلنا .. ثم ليسلم على أهله) .

٥ ــ المشى إلى المسجد :

(اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا وفوق نورا وأمامى نورا واجعل لى نورا) .

٦ ــ دخــول المسجــد :

يدخل برجله اليمنى ثم يقول (باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم افتح لى أبواب رحمتك) (اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان الرجيم) قيل فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم .

٧ ــ الخروج من المسجــد :

يخرج برجله اليسرى ثم يلبس الحذاء برجله اليمنى قائلا (باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم إنى أسألك من فضلك) .

٨ ــ قبيل دخول الحمام أو الخلاء لقضاء الحاجة :

(اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث) ثم يدخل برجله اليسرى .. فإذا خرج يخرج باليمنى ثم يقول (غفرانك .. الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى) .

٩ ــ الوضوء والاغتسال :

(اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى) .

١٠ ــ عند سماع الأذان :

يقول مثل ما يقول المؤذن ثم يقول عند قوله (حى على الصلاة وحى على الفلاح) (لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) ثم يقول بعد نهاية الأذان اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة .. آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم مقاما محمودا الذى وعدته إنك لاتخلف الميعاد) من قال ذلك حلت له شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة .

١١ ــ عند لقائه لأخ يحبه فى الله :

إنى أحبك فى الله ويرد عليه أخوه قائلا أحبك الذى أحببتنى من أجله .

١٢ ــ عند الطعام :

(اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار .. بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نسى فى أوله فليقل : بسم الله الرحمن الرحيم أوله وآخره ، وإذا كان الطعام لبنا يقول : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه) .

١٣ ــ بعد الانتهاء من الطعام :

(الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة) فإذا كان عند جماعة قال : (أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة الأطهار وذكركم الله فيمن عنده) أو كما قال ﷺ .

١٤ ــ التهجـد :

(اللهم لك الحمد أنت قيوم السموٰات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموٰات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموٰات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلٰه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

١٥ ــ الرؤيا (الحلم فى المنام)(١) :

فإذا كانت رؤيا يحبها فإنما هى من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها .. وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هى من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد .

١٦ ــ الفــزع فى النوم :

(أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون) فإنها لن تضره .

١٧ ــ الأرق :

(اللهم ربَّ السموٰات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين كن لى جارا من شر خلقك أجمعين أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى عزَّ جارك وتبارك اسمك) .

١٨ ــ ختــام الصـــلاة :

(من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين مرة ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين مرة فتلك تسع وتسعون وقال تمام المائة : لا إلٰـه إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ــ غفر خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر) .

١٩ ــ دعـــاء النوم :

إذا جاء فراشه فلينفضه بثوبه ثلاث مرات ، وليقل : (بعد أن ينام على جنبه الأيمن باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه . اللهم إن أمسكت روحى فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) .

أو (اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وألجأت جنبى إليك وأسندت ظهرى إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت) .

---

(١) الحِلم بكسر الحاء حسن الخلق والحُلم بضم الحاء واللام البلوغ والحُلْم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا المنامية .

٢٠ ـ القيام من المجلس :

(سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك) .

٢١ ـ الصبـاح والمسـاء :

قراءة آية الكرسى ، وسورة النصر ، والإخلاص « ثلاثا » والمعوذتين ثم يقول : أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لاشريك له لا إله إلا هو إليه النشور « ثلاثا » .

وفى المساء يقول : أمسينا .. أصبحنا أو أمسينا على فطرة الإسلام وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ـ ﷺ ـ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين « ثلاثا » .

(اللهم إنى أصبحت ـ أو أمسيت ـ منك فى نعمة وعافية وستر فأتمم نعمتك على وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة « ثلاثا ») .

(اللهم ماأصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر « ثلاثا ») .

ياربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك « ثلاثا » (رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا « ثلاثا » سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته « ثلاثا ») .

(اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) « ثلاثا » .

(اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت) « ثلاثا » .

(أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه) « ثلاثا » ـ (باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم) « ثلاثا » .

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت »(١) .

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد) اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد مأحاط به علمك وخط به قلمك وأحصاه كتابك وارض اللهم عن ساداتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أدعية مأثورة فى حالات مختلفة :

ـ دعـــاء الزواج :

يقول لمن تزوج : (بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير) وإذا تزوج قال : (اللهم ارزقنى خيرها وخير ماجبلت عليه ، وجنبنى شرها وشر ماجبلت عليه) . وتقول الزوجة (اللهم ارزقنى خيره وخير ماجبل عليه .. إلخ) .

ـ عنــد الجمــاع :

(اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا) قيل فإن رزق فى ليلته بولد (٢) لايضره الشيطان أبدا أو كما قال ـ ﷺ ـ

ـ إذا رزق بمولود :

أذن الأذان الشرعى فى أذنه حين ولادته .

---

(١) وقد ورد أن هذا الدعاء هو سيد الاستغفار .
(٢) أو بنت فكل مولود ولد .

ـ تعويـذ الأطفـال :

(أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) فإذا أفصح ـ أو أفصحت ـ فليعلمه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ وإذا سقطت أسنانه فليأمره بالصلاة .

ـ إذا رأى وجهه فى المرآة :

قال (اللهم أنت حسنت خَلقِي فحسن خُلُقِي ، وحرم وجهِي على النار ، الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله ، وكرم صورة وجهى فأحسنها وجعلنى من المسلمين) .

ـ إذا صنع أحد إليه معروفا :

قال : جزاك الله خيرا

لقول رسول الله ـ ﷺ ـ « من دعاكم فأجيبوه ومن صنع لكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له حتى تُرَوْا أنكم قد كافأتموه » أو كما قال ﷺ .

ـ اذا وقع له مالا يختاره :

فليقل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا يقول : لو كان كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان .

ـ إذا أصابته مصيبة :

قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(اللهم إنى احتسبت عندك مصيبتى فَأْجرنى[1] فيها وأبدلنى منها خيرا) .

ـ إن غلبـه أمـر :

قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ـ إذا غضـب :

قال (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وغير هيئته فإن كان واقفا جلس .

---

(١) إملائياً : فاؤجرني .

والوضوء والصلاة عند ذلك خير . وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) .

ــ إذا استصعب شيئا :

قال : (اللهم لاسهل إلا ماجعلته سهلا وأنت تجعل الحَزْن إذا شئت سهلا)(١) .

ــ إذا ابتلى بالدَّين :

قال : (اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك) .

ــ إذا مرض أو اشتكى له أحد من وجع :

وضع يده على موضع الألم ثم قال : (باسم الله ــ ثلاث مرات ــ أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر) ــ سبعا ــ

ــ إذا عاد مريضا :

قال : (اللهم أذهب البأس رب العالمين « أو كما قيل رب الناس » اشف ــ وأنت الشافى ــ لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقما) ويمسح عليه بيده ويطيب خاطره .

فى العــزاء :

(إن لله ماأخذ وله ماأعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب) .

ــ فى صلاة الجنازة :

يقول (اللهم اغفر له(٢) وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مُدْخَلَه ، واغسله بالماء والثلج والْبَرَد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجه ، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ــ أو من عذاب النار) .

---

(١) الحزن بفتح الحـاء .

(٢) أولها إن كانت أنثى فدائما يذكر ضمير المذكر للتغليب والأصل للذكر والأنثى .

فى زيارة القبور :

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية .. أنتم لنا فرط ، ونحن تبع .. اللهم لاتحرمنا أجرهم ولا تَفْتِنّا بعدهم) .

ــ من أدعية السفر :

يقول المقيم للمسافر : (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، وأقرأ عليك السلام ، ثم يوصيه فيقول : « عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف[١] اللهم أطْوِ البعد ، وهون عليه السفر زودك الله بالتقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير) .

ويقول المسافر للمقيم :

(أستودعك الله الذى لاتضيع عنده الودائع) .

فإذا ركب :[٢]

قال : (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) .

اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطْوِ عَنَّا بعده . اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل . اللهم أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد) :

فإذا رجع من سفره :

قالهن وزاد فيهن .. (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) .

إذا رأى الهلال :

قال : (الله أكبر . اللهم أهلّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى . ربى وربك الله هلال خير ورشد ــ اللهم إنى أسألك

---

(١) مرتفــع .

(٢) دابة أو طائرة أو سيارة ... إلخ .

من خير هذا الشهر ، وخير القدر ، وأعوذ بك من شره) .

إذا رأى المطر :

قال : (اللهم صيبا نافعا) : فإذا كثر المطر أو خاف الضرر قال :

(اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر) .

إذا سمع الرعد :

قال : (اللهم لاتقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك) .

ومن أدعية التوبة :

١ ــ تبت إلى الله ، ورجعت إلى الله ، وندمت على مافعلت ، وعزمت على أنى لاأعود إلى معصية أبدا ، وأنا برىء من كل دين يخالف دين الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

٢ ــ اللهم إن مغفرتك أرجى من عملى ، وإن رحمتك أوسع من ذنبى ، فإن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغنى لأنها وسعت كل شيء ياأرحم الراحمين .. أعددت لكل هول ألقاه فى الدنيا والآخرة لا إله إلا الله ، ولكل هم وغم ماشاء الله ، ولكل نعمة الحمد لله ، ولكل رخاء وشدة الشكر لله ولكل ضيق حسبى الله ، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ، ولكل ذنب أستغفر الله ولكل عجب سبحان الله ، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ..

٣ ــ اللهم إنا نسألك التوبة الصادقة وقبولها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا .. اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ماأحييتنا واجعله الوارث منا ، اللهم لاتجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ومبلغ علمنا .. اللهم كن لنا ، ولا تكن علينا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا .. اللهم أرنا الحق حقا

وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .. اللهم لاتكلنا إلى نفوسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ياأرحم الراحمين .. اللهم أحينا بمعرفتك وأمتنا على الشهادة فى سبيلك ، إنك على ماتشاء قدير وإنك نعم المولى ونعم النصير .

٤ ــ اللهم ياعالم السر والنجوى ياكاشف الضر والبلوى ، يامن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء عمن ناداه : نسألك أن تكشف عنا البلاء ، وما حل بنا من الأعداء اللهم فرج كربنا ، وأحسن خلاصنا وفك أسر إخواننا وارحم شهداءنا ، وتقبل توبتنا وبارك أخوتنا ، وأكرم أوبتنا ، وأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا ، وجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن .. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا .. ربنا إنك رءوف رحيم

٥ ــ (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) (اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا) (اللهم الطف بنا فى قضائك وقدرك) (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا) (اللهم آت نفسى تقواها وزكها فأنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها) (اللهم ارزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى) (اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونعادى بعداوتك من خالفك) .

٦ ــ (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت عليّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد) .

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم واجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

اللهم هذا الدعاء، وعليك الاجابه

دعاء الاستخارة :

يسن لمن أراد أمرا من الأمور المباحة (١) والْتبَس عليه وجه الخير فيه أن يصلى ركعتين من غير الفريضة ـــ ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد ـــ فى أى وقت من الليل أو النهار يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ـــ ﷺ ـــ ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر ـــ رضى الله عنه ـــ قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها (٢) كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ـــ من غير الفريضة ـــ ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك (٣) بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (٤) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى .. أو قال فى عاجل أمرى وآجله (٥) فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ـــ أو قال عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به » قال ويسمى حاجته : أى يسمى حاجته عند قوله : اللهم إن كان هذا الأمر .

---

(١) الواجب والمندوب مطلوب الفعل والمحرم والمكروه مطلوب الترك ، ولهذا لاتجرى الاستخارة إلا فى أمر مباح .

(٢) قال الشوكانى هذا دليل العموم وأن المرء لايحتقر أمراً لصغره ، وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه مما قرب أمر يستخف بأمره فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم أو فى تركه ولذلك قال النبى ـــ ﷺ ـــ وليسأل أحدكم ربه حتى فى شسع نعله .

(٣) أطلب منك الخيرة أو الخير .

(٤) يسمى حاجتـــه .

(٥) يجمع بينهمـــا .

قال النووى : ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ماينشرح له فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأسا وإلا فلا يكون مستخيرا لله ، بل يكون غير صادق فى طلب الخير ، وفى التبرى من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعالى ، فإذا صدق فى ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

دعـــاء الحاجـــة :

عن عبدالله بن أبى أوفى ـــ رضى الله عنه ـــ قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : (من كانت له حاجة إلى الله تعالى .. أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ ، وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين[1] ثم يُثْنِ على الله تعالى ويُصَلِّ على النبى ﷺ وليقل : لا إلـه إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم ـــ الحمد لله رب العالمين . أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم .. اللهم لاتدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا[2] إلا قضيتها ياأرحم الراحمين .. ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ماشاء فإنه يقدر) أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه .

فما أجمل الإسلام .. ! وما أسمى مراميه .. ! وأعِظمْ بتربيته ، وأَكْرِمْ بمن أرسل به ، وما أصفى من بلغه ـــ ﷺ ـــ ويالسعادة من طبقه !!! والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

* * *

---

(١) من غير الفريضـــة .

(٢) وقيل يقول بعدها : (ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها) أو كما قيل . أى : لك فيها رضا ولنا فيهـــا صـــلاح .

مسك الختام :

﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ .

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

أخى المسلم ... أختى المسلمة ...

بهذا — وبهذا وحده — يغير الله مابنا من حالنا إلى أحسن حال : فتكتمل لدينا أسباب النصر ، والسعادة فى الدنيا والآخرة — (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فاللهم غيرنا إلى أحسن حال .. آمين .

بهذا وحده — يوجد الفرد المسلم ، ثم يتكون البيت المسلم ، فالأسرة المسلمة ، ثم المجتمع المسلم ثم تبدأ المرحلة العليا ، والهدف الأسمى والغاية المثلى من الانتساب الشريف إلى هذه العقيدة الإسلامية والدعوة الإنسانية المحمدية .. ألا وهى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام والجهاد فى سبيل إعلاء كلمته ، حتى تكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا بعد أن يسلم المسلمون **﴿ يأيها الذين آمنوا .. آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسله .. ﴾** فلابد للمسلم من تبييت النية ، وعقد العزيمة على ذلك .

فمن لمن يغز ولم ينو الغزو فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، وقد سبق أن قرأنا حديث رسول الله ﷺ « لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » .

وصدق الرسول الكريم « مامن كَلْم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة على هيئته يوم كلم اللون لون دم والريح ريح مسك » رواه مسلم .

ولابد أن تكون النتيجة تحقيق وعد الله الذى لايتخلف .. **﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا ومن**

كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ ﴿ .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. ﴾ وفى الآخرة مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ..

أيها الإخوة والأخوات :

هذا المنهج هو السبيل الأوحد ــ ولا سبيل سواه ــ وإن كان شاقا ــ حتى نبلغ الغاية ونحقق الهدف من الانتساب إلى هذا الدين .

أيها الشاب المسلم ... أيتها الشابة المسلمة :

هــذه رســالتك ...

﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .. اللهم سدد على طريق الدعوة خطانا واغفر زلاتنا وتجاوز عن سيئاتنا واجعلنا ممن يقولون فيعملون ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

تم بحمد الله فى الظهران يوم الاثنين : ٢٢ من محرم سنة ١٤٠١ هـ / ١ من ديسمبر سنة ١٩٨٠

المؤلــف

عبد العظيم عبد العزيز سبيع
أستاذ الثقافة الإسلامية والموجه الدينى
بجامعة البترول والمعادن ــ سابقا

عفا الله عنه

المراجـــع

اسم الكتـــاب	اسم المؤلف والناشر
تفسير ابن كثير العظيم	الحافظ ابن كثير ـــ رحمه الله
تفسير فى ظلال القرآن	الشهيد سيد قطب ـــ رحمه الله ط دار الشروق
مشاهد القيامة فى القرآن	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق
التصوير الفنى فى القرآن	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق
صفات المتقين فى سورة البقرة	الشهيد حسن البنا ـــ رحمه الله
روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام	الشيخ محمد الصابونى ط دار القرآن الكريم ـــ كويت
أعلام الموقعين	ابن قيم الجوزيه
تفسير سورة النور	الشيخ أبو الأعلى المودودى
الحجـــاب	الشيخ أبو الأعلى المودودى
تحت راية القرآن ـــ إعجاز القرآن	الشيخ مصطفى صادق الرافعى
مباحث فى علوم القرآن	الشيخ مناع القطان مؤسسة الرسالة ـــ بيروت
منهج القرآن فى التربية	الشيخ محمد شديد
التربية فى القرآن	محمد عبدالله السمان سلسلة دار الاعتصام
الإنسان فى القرآن	عباس محمود العقاد ط دار الإسلام مصر

اسم الكتـــاب	اسم المؤلف والناشر
اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان	الإمامان المحدثان البخارى ومسلم لمحمد فؤاد عبد الباقى ط المكتبة الإسلامية
سبل السلام شرح بلوغ المرام	للصنعانى على متن بلوغ المرام لابن حجر العسقلانى ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مختصر الترغيب والترهيب	للحافظ بن حجر العسقلانى ط شركة السلام العالمية بمصر
شذرات من معجزات وخصائص الرسول ﷺ	الشيخ حسنين محمد مخلوف
الأحاديث الضعيفة	الشيخ ناصر الدين الألبانى
حجة النبى ﷺ	الشيخ ناصر الدين الألبانى
فقه السيرة	د . محمد سعيد البوطى
فقه السيرة	الشيخ محمد الغزالى
العبقريات	عباس محمود العقاد
مكتبة الإمام الشهيد حسن البنا	الإمام ـــ رحمه الله ـــ
السنة ومكانتها فى التشريع	د. مصطفى السباعى ط ٢ المكتب الإسلامى
لسان العرب	ابن منظور
القاموس المحيط	الفيروزابادى
مجمع الأمثال	الميدانى
المرأة بين الفقه والقانون	د. مصطفى السباعى ط ٢ المكتب الإسلامى
تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة	د. محمد الطيب النجار
الرسول القائد	العقيد الركن محمود شيت خطاب مكتبة الحياة ـــ بغداد

اسم الكتــاب	اسم المؤلف والناشر
بهجة قلوب الأبرار ورقة عيون الأخبار فى شرح جوامع الأخيار	الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدى ط ٢ سنة ١٩٦٩ م
رياض الصالحين	الحافظ النووى
نزهة المتقين شرح رياض الصالحين	الحافظ النووى د. مصطفى الخن وآخرون ـ مؤسسة الرسالة
عنوان النجابة فى معرفة من مات بالمدينة من الصحابة	مصطفى بن محمد بن عبدالله ـ دار العربى مصر سنة ١٩٥٢ م
فقه السنة	الشيخ سيد سابق ط دار الكتاب العربى بيروت
رجال حول الرسول	خالد محمد خالد
بين يدى عمر	خالد محمد خالد
شهداء الإسلام فى عهد النبوة	د. على سامى النشار ـ المكتبة العربية ـ حلب
العقيدة الطحاوية	شرح وتعليق محمد ناصر الألبانى المكتب الإسلامى
منهاج المسلم	أبو بكر الجزائرى ط دار الفكر
إصلاح المجتمع	محمد بن سالم الكدادى البيحانى ط العصرية كويت سنة ١٩٧٢ م
أستاذ المرأة	محمد بن سالم الكدادى البيحانى ط دار مصر للطباعة
المرأة بين البيت والمجتمع	البهى الخولى
العدالة الاجتماعية فى الإسلام	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق
معالم فى الطريق	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق
نحو عالم أفضل	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق
خصائص التصور الإسلامى ومقوماته	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق

اسم الكتـــاب	اسم المؤلف والناشر
دراسات اسلامية	الشهيد سيد قطب ط دار الشروق
شبهات حول الإسلام	الأستاذ محمد قطب ط ٦
جاهلية القرن العشرين	الأستاذ محمد قطب ط ٦
الإنسان بين المادية والإسلام	الأستاذ محمد قطب ط ٦
هل نحن مسلمون	الأستاذ محمد قطب ط ٦
قبسات من الرسول ﷺ	الأستاذ محمد قطب ط ٦
نظام الحياة فى الإسلام	الشيخ أبو الأعلى المودودى
مبادئ الإسلام	الشيخ أبو الأعلى المودودى
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	الشيخ أبو الحسن الندوى ط دار الكتاب العربى
الإسلام عقيدة وشريعة	الشيخ محمود شلتوت
ركائز الايمان	الشيخ محمد الغزالى ط دار الاعتصام
ظلام من الغرب	الشيخ محمد الغزالى ط دار الاعتصام
الزحف الأحمر	الشيخ محمد الغزالى ط دار الاعتصام
معركة المصحف	الشيخ محمد الغزالى ط دار الاعتصام
الإسلام المفترى عليه	الشيخ محمد الغزالى ط دار الاعتصام
التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام	الشيخ محمد الغزالى ط دار الاعتصام
عقيدة المسلم	الشيخ محمد الغزالى ط دار الكتب
الطب محراب للايمان	د. خالص جلبى كنجو
النظم الإسلامية	د. أديب الصالح
خواطر نفس	د. منصور فهمى
الايمان والحياة	د. يوسف القرضاوى
حتمية الحل الإسلامى	د. يوسف القرضاوى
مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام	د. يوسف القرضاوى ـــ دار العربية
العبادة فى الإسلام	د. يوسف القرضاوى ـــ دار العربية

اسم الكتــاب	اسم المؤلف والناشر
الإسلام والمرأة	سعيد الأفغانى
حقوق المرأة فى الإسلام	أحمد أغاييف ترجمة سليم قبعين سنة ١٩٠٥
مركز المرأة فى الإسلام	أمير على الهندى ط ١٩٠٢ م
الـــروح	ابن القيم الجوزية ط دار الكتب العلمية ـــ بيروت
الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة	ترجمة محمد خلف الله أحمد
التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالتشريع الوضعى	الشهيد عبد القادر عودة ـــ رحمه الله
الإسلام وأوضاعنا القانونية	الشهيد عبد القادر عودة ـــ رحمه الله
شطحات مصطفى محمود	الشيخ عبد المتعال الجبرى
القرآن والتفسير العصرى	د. بنت الشاطىء
نساء النبى ﷺ	د. بنت الشاطىء
العلم يدعو إلى الايمان	صالح الفلكى
نظام الإسلام العقيدة والعبادة	د. محمد المبارك ط دار الفكر ـــ بيروت
الإسلام وبناء المجتمع	د. أحمد العسال
مفتريات على الإسلام	الشيخ أحمد محمد جمال
محاضرات فى الثقافة الإسلامية	االشيخ أحمد محمد جمال
كتيبات وأشرطة	الشيخ محمد الشعراوى
محاضرات روح الحضارة الغربية	الأستاذ محمد أسد
محاضرات الطريق إلى التقنية	د. بكر بن عبدالله بكر
الموجـــز	د. على الدفاع
نوابغ علماء العرب والمسلمين	د. على الدفاع
تطور الفكر عند المسلمين	د. محمد عفيفى
الغارة على العالم الإسلامى	ترجمة محب الدين الخطيب

اسم الكتـــاب	اسم المؤلف والناشر
حضارة الإسلام	تعليق شكيب أرسلان
حاضر العالم الإسلامى	تعليق شكيب أرسلان
الإسلام فى وجه التحديات	محمد مشهور الحداد
أزمة التعليم فى مصر	د. زغلول النجار مكتبة الفلاح
حول الأصول الثلاثة الله ـ الرسول ـ الإسلام	سعيد حوى دار الكتب العربية ـ بيروت
فى فلسفة الحضارة الإسلامية	د. عفت الشرقاوى ط دار النهضة العربية ـ بيروت سنة ١٩٧٩م
الحضارة فى الميزان	توينبى ترجمة أمين محمود الشريف ط الحلبى
صفحات مضيئة من تراث الإسلام	أنور الجندى ط دار الاعتصام
مصر الحديثة	لورد كرومر
الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر	محمد حسين
حصوننا مهددة من داخلها	د. محمد محمد حسين ط المكتب الإسلامى
بطل الأبطال	د. عــزام

* * *

فهرس الكتاب

الموضــــوع	صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٥١٦ / ١٩٨٧

الترقيم الدولى ٩٧٧ – ٠١٤٢ ١٧٥ ١

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ – شارع نشاطى شبرا القاهرة
ت : ٧٧٣٢٢١